

الصفوية والصوفية
خصائص وأهداف مشتركة

تأليف

أ/ علي الكاش

١٤٣٥هـ - ٢٠١٤م





بسم الله الرحمن الرحيم

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا الله وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ الله وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [سورة الأحزاب:70-71].

﴿وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ اليَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَكُمْ فَلَمَّا تَرَاءَتِ الفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَى عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكُمْ إِنِّي أَرَى مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّي أَخَافُ الله وَاللهُ شَدِيدُ العِقَابِ﴾ [سورة الأنفال/48].

﴿اتَّبِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلا تَتَّبِعُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ﴾ [سورة الأعراف/3].

﴿ادْعُ إلى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ أن رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ [سورة النحل/125].

﴿إِنَّ الله عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ أَن الله عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [سورة لقمان:34]

﴿إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللهِ فَقَدْ حَرَّمَ الله عَلَيهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾ [سورة المائدة الآية/72].

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى الله الْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَى إلى الإسلام وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [سورة الصف:7].

﴿قُلْ لا أَقُولُ لَكُمْ عِندِي خَزَائِنُ الله وَلا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ أن أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَى إلى قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَفَلا تَتَفَكَّرُونَ﴾ [سورة الأنعام:50].

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ الله عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ﴾ [سورة البقرة:204].

﴿وَمَنْ كَفَرَ فَلا يَحْزُنْكَ كُفْرُهُ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ فَنُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا أن الله عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ [سورة لقمان:23] .



الإهداء

أهدي كتابي هذا

إلـى كـل مـن يحـب كشـف القنـاع عـن محيـا الحقيقـة، ويتـوق للوصـول إليهـا مهمـا كانـت الصـعاب والتضحيات.

أهدي كتابي هذا

إلى كل من يهتدي بالإسلام ديناً حنيفاً، ويحفظ بيضته، ويتفيء في ظلال مبادئه الزكية السمحاء، ولا يشذ عن الطريق المستقيم.

أهدي كتابي هذا

إلى كل من يتدرع بالقرآن الكريم، ويتحصن بالسنة النبوية الشريفة، ويشهر سيفه للدفاع عنهما ضد أعداء الإسلام.

أهدي كتابي هذا

إلـى كـل مـن يحـب العـرب ويؤمن بالعروبـة ويتفـاخر بقوميتـه العربيـة ويعتصـم بهـا ويعتـرف بفضـل العرب على بقية الأمم.

أهدي كتابي هذا

إلـى كـل مـن يـدرك خطـر الحركـات الباطنيـة والشـعوبية علـى العروبـة والإسـلام، ويسـاهم فـي كشـف مخططاتهم الخبيثة.

أهدي كتابي هذا

إلـى مـن يبحـث عـن الحـق والحقيقـة المجـردة مـن الأغـراض الجانبيـة كالتعصـب الطـائفي والعنصـرية والقبلية والاقليمية والمصلحية.

أهدي كتابي هذا

إلى العاقل المتنور الذي لا يختلـق لنفسـه مئـات الأعـذار، ليقنـع نفسـه بأنـه علـى صـواب والبـاقين علـى خطأ.

أهدي كتابي هذا

إلى كل من يؤمن بأن التمسك بأهداب الحقيقة لا يكفي وحده، دون أن تسبر الأغوار وتقتحم المجاهيل.

أهدي كتابي هذا

إلى كل من فتح باب المكاشفة وأغلق شباك التقية.

علي الكاش

2014



فهرس المواضيع


البرهان
دليل الباحثين عن الحقيقة


البرهان
دليل الباحثين عن الحقيقة


البرهان
دليل الباحثين عن الحقيقة



قالوا في التصوف

نقل ابن الجوزي عن الإمام الشافعي قوله: "لو أن رجلاً تصوف أول النهار لا يأتي الظهر حتى يكون أحمقا" [تلبيس إبليس/370]. وقال أيضاً: "ما لزم أحد الصوفية أربعين يوماً فعاد إليه عقله أبداً" [المصدر السابق].

قال الإمام الشافعي: "صَحبت الصوفية فاستفدت منهم كلمتين، قولهم: الوقت سيف أن لم تقطعه قطعك، وقولهم: نفسك أن لم تشغلها بالحق شغلتك بالباطل" [تأييد الحقيقة العلية الشاذلية/13].

قال يحيى بن معاذ: "اجْتَنَبْتُ صحبةَ ثلاثةِ أصنافٍ من النَّاس: العلماءِ الغافلين، والقُرَّاءِ المداهنين، والمتَصَوِّفَة الجاهلين" [طبقات الصوفية/46].

قيل لحَمدون: "ما بالُ كلام السَّلف أنفعُ من كلامنا؟ قال: لأنهم تكلموا لعِزِّ الإسلام، ونجاةِ النفوس، ورضا الرحمنِ، ونحن نتكلمُ لِعِزِّ النَّفْس، وطلب الدنيا، وقُبولِ الخلق" [طبقات الصوفية/486].

قال ابن خلدون: "حدث عند المتأخرين من الصوفية الكلام في الكشف وفيما وراء الحس، وظهر في كثير منهم القول على الإطلاق بالحلول والوحدة، فشاركوا فيها الإمامية والرافضة لقولهم بألوهية الأئمة وحلول الإله فيهم. وظهر منهم أيضاً القول بالقطب والأبدال وكأنه يحاكي مذهب الرافضة في الإمام والتقيا، وأشربوا أقوال الشيعة، وتوغلوا في الديانة بمذهبهم حتى جعلوا مستند طريقهم في لبس الخرقة أن علياً رضي الله عنه ألبسها الحسن البصري، وأخذ عليه العهد بالتزام الطريقة" [مقدمة ابن خلدون/256].

قال ابن عقيل: "المتكلمون يفسدون عقائد الناس بتوهمات شبهات العقول، والمتصوفة يفسدون الأعمال ويهدمون قوانين الأديان"

قال القشيري: "رأى الشيخ الخزار في منامه الشيطان متفاخراً وسعيداً لأنه وجد فخاً لاصطياد الصوفية وذلك هو حبهم للغلمان المردة" [الرسالة القشيرية/9].

ذكر الإمام الشافعي: "للصوفي أربع خصال: كسول، أكول، نؤوم، وكثير الفضول" [مناقب الشافعي2/207].

قال مالك بن نبي: "عندما يكون الفكر الإسلامي في حالة أفول، فإنه يغرق في التصوف، وفي المبهم، وفي المشوش، وفي النزعة إلى التقليد الأعمى" [الصوفية ونشأتها/ مقدمة].

قال أحمد أمين: "أسس التصوف ثلاثة: وحدة الوجود، الفناء في الله، وحب الله" [ظهر الإسلام2/78].

"ذكر التنيسي بأنه كان مع جماعة عند مالك بن أنس، فذكر أحدهم بأنه يوجد في دياره قوم يسمون الصوفية، يأكلون كثيراً، ثم يأخذون في القصائد ويرقصون، فسأله مالك: أصبيان هم؟ قال الرجل: لا! فسأل مالك: أمجانين هم؟ قال: بل مشايخ وعقلاء! فقال مالك: ما سمعت أن أحداً من المسلمين يفعل ذلك" [ترتيب المدارك للقاضي عياض4/54].



ذكر أبو العزايم جاد الكريم: "إن أعظم فتنة ابتلي بها المسلمون قديماً وحديثاً هي فتنة التصوف. هذه الفتنة التي تلبست للمسلمين برداء الطهر والعفة والزهد والإخلاص، وأبطنت كل أنواع الكفر والمروق والزندقة، وحملت كل الفلسفات الباطلة ومبادئ الإلحاد والزندقة. فأدخلتها إلى عقائد الإسلام وتراث المسلمين على حين غفلة منهم، فأفسدوا العقول والعقائد. ونشروا الخرافات والدجل والشعوذة، ودمروا الأخلاق، وأتوا على بنيان دولة الإسلام من القواعد؛ إذ حارب المتصوفة العلم والجهاد والبصيرة في الدين، بل والزواج والعمل والكسب، فنصبوا للقرآن والسنة حرباً لا هوادة فيها، وحرفوا الناس عن تعليمها" [صور من الصوفية/ المقدمة].

يقول الدكتور محمد ضياء الرحمن الأعظمي: "لا شك أن كتب الصوفية أحدثت في الأمة أنواعاً من البدع والخرافات، وما ابتلي المسلمون أشد من ابتلائهم بطرق الصوفية وكتبها" [دراسات في الجرح والتعديل/113].

ذكر أحمد الخريصي: "لا بلية أصابت المسلمين في عبادتهم وعقائدهم أخطر من بلية المتصوفة، إذ من بابهم دخلت الوثنية، وبدعة إقامة الموالد، ومواسم الأضرحة والمهرجانات على عقائد المسلمين" [المتصوفة وبدعة الاحتفال بموالد النبي[ص/7].

يذكر الشيخ عبد الرحمن الوكيل: "كم من عارف صوفي دينه أساطير، ودعوته مجوسية" [هامش مصرع التصوف186/1].

وينقل د. كمال محمد جعفر عن هيلر: "إن ذيوع التصوف يصحب تدهور الحضارات" موضحاً والذي يفهم من هذا الرأي ببساطة هو أن نضج التصوف، وتطوره يصاحب دائماً تدهور الحضارة، أي أنه لا يمكن أن تكون هناك حضارة متقدمة وزاهية يصاحبها تصوف ناضج ومكتمل" [التصوف طريقاً ومذهباً/183].

ذكر نيكلسون: "إذا حللنا شخصية محمد على ضوء ما جاء في القرآن، سنجد أنها تغاير تماماً شخصية الإمام والولي التي صورها لنا المتصوفة والشيعة. فالنبي بشر كما رسم شخصيته القرآن، لكن أولياء الصوفية وأئمة الشيعة المعصومين وُصِفوا بكل الصفات الإلهية" [الصوفية/85].

ذكر غولد تسيهر: "التصوف خصوصاً هو الذي عني بتصوير كثير من الأفكار الأفلاطونية المحدثة والغنوصية في صورة إسلامية، فعن دوائر التصوف صدر الكثير من الأحاديث الموضوعة التي قصد بها إلى تبرير قواعد التصوف" [التراث اليوناني لبدوي/218].

ذكر كارل بكر: "لقد سادت روح الغنوص فرق صدر الإسلام كلها، ثم سادت التصوف الذي كان يعد في البدء بدعة خارجة عن الدين، ولكنه أصبح بفضل الغزالي خالياً من السم، معترفاً به من أهل السنة" [المصدر السابق/10].

ذكر نيكلسون: "يقال إجمالاً: أن كثيرين من المتصوفة كانوا من خيار المسلمين، وإن كثيرين منهم لم يكونوا مسلمين إطلاقاً، ولعلها أن تكون أكبر الثلاثة مسلمة تقليدا" [الصوفية في الإسلام/33].

ذكر الفيلسوف ولتر ترنس ستيس: "هناك صعوبة تتمثل في أن المتصوفة عادة يقولون: أن تجاربهم لا يمكن النطق بها، أو نقلها إلى الآخرين، لأنها فوق الوصف. ثم يبدءون بعد ذلك ـ وتلك خاصية مشتركة بينهم ـ في وصفها، فماذا نفعل إزاء ذلك؟" [التصوف والفلسفة/78].



ذكر المستشرق برنارد لويس: "في المرحلة المبكرة من تاريخ الشيعة تعرضت نظرياتها ومنظماتها لتغييرات كثيرة، فقد ظهر عدد كبير من الذين يدعون الانتماء بدرجة أو أخرى لأهل البيت أو نوابهم. ثم كانوا يختفون عن العيون بعد أن يضيفوا تفاصيل جديدة إلى الأوصاف الأسطورية للمخلص المنتظر. وكانت برامجهم تتأرجح بين المعارضة المعتدلة والبدع الدينية المتطرفة، التي هي أبعد ما تكون عن التعاليم السائدة والمقبولة في الإسلام. ومن أهم السمات التي أدخلوها هي تقديس الأئمة والدعاة، واعتبارهم معصومين وقادرين على الإتيان بالمعجزات، وكانت نظرياتهم تعكس أفكاراً صوفية واستشراقية، مستمدة من الغنوصية ومذهب ماني، ومختلف الأفكار الإلحادية الإيرانية، واليهودية والمسيحية" [الحشاشون فرقة صورية في تأريخ الإسلام]

يذكر المستشرق الانكليزي أدورد براون في كتابه "التأريخ الأدبي لبلاد فارس" بأن "التشيع والتصوف هما السلاحان اللذان إستخدمهما الفرس في حربهم ضد العرب"

Brown: A Literary History of Persia Vol. 1 P.410

قال ابن الجوزي: "لو قال رجل للصوفية من أين أطعم عيالي؟ لقالوا: قد أشركت! ولو سئلوا عمن يخرج إلى التجارة؟ لقالوا: ليس بمتوكل ولا موقن! وكل هذا لجهلهم بمعنى التوكل واليقين" [تلبيس إبليس/282].

قال أبو الوفا علي بن محمد بن عقيل العقيلي الحنبلي: "ما على الشريعة أضر من المتكلمين والمتصوفين، فهؤلاء المتكلمون يفسدون عقائد الناس بتوهمات شبهات العقول، وهؤلاء المتصوفة يفسدون الأعمال، ويهدمون قوانين الأديان. فالذي يقول: حدثني قلبي عن ربي فقد استغنى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد خبرت طريقة الفريقين فغاية المتكلمين الشك، وغاية المتصوفة الشطح" [تلبيس إبليس/375]

يذكر البيروني: "منهم مَن كان يرى الوجودَ الحقيقي للعلة الأولى فقط، لاستغنائها بذاتها فيه، وحاجة غيرها إليه، وأنَّ ما هو مفتقر في الوجود إلى غيره، فوجوده كالخيال غير حقٍّ، والحقُّ هو الواحد الأول فقط، وهذا رأي السوفية، وهم الحكماء، فإن سوف باليونانية: الحكمة. وبها سمي الفيلسوف: بيلاسوفا، أي: محب الحكمة، ولما ذهب في الإسلام قوم إلى قريبٍ مِن رأي حكماء الهند ولم يَعرف اللقبَ بعضُهم، فنسبهم للتوكل إلى الصُفَّة وأنَّهم أصحابها في عصر النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم" [تحقيق ماللهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة/24].



المقدمة

مرّ التصوف كعقيدة بعدة مراحل شأنه شأن بقية العقائد، وتطورت مفاهيم العقيدة بتأثير الترجمة عن الإغريقية والفارسية والهندية وغيرها من الديانات والفلسفات، مما ساهم في رفدها بأفكار جديدة بعضها يتعارض مع الإسلام تعارضاً رئيساً مثل أفكار الحلول والاتحاد والفناء والرجعة، وبعضها يتوائم مع العقيدة الإسلامية كأداء الفرائض والزهد والتواضع والتعبد.

لو افترضنا جدلاً بأن التصوف إسلامي النشأة، فإنه لا أحد يمكن أن ينكر تأثره بالثقافات الأجنبية التي مرّ ذكرها. ورغم أن بعض المتصوفة ينكر هذه الأفكار ويعتبرها دخيلة على التصوف، ويعلن تمسكه بالقرآن والسنة النبوية، لكن هذا لا ينفي مطلقاً أن الأفكار الغنوصية أمست جزء لا يتجزأ من العقيدة الصوفية. وقد اعترف بعض المتصوفة بهذ الحقيقة، في حين البعض منهم أنكرها، والبعض الآخر تجنب التطرق إليها لسبب في نفس يعقوب.

إن الكثير من الفرق الإسلامية نحت منحى المتصوفة، مدعية بأن أفكارها مستمدة من العقيدة الإسلامية، وأنها تمثل الإسلام الصحيح، على الرغم من أنها تقف على الضفة المقابلة للإسلام تماماً؛ لما تتضمنه من شرك وإلحاد كالقاديانية والنصيرية والدرزية والصفوية، والغرض منها إضعاف شوكة المسلمين، وزرع بذور الفرقة والبغضاء بين صفوفهم، وقد نجحت نجاحاً باهراً في تحقيق أهدافها الخبيثة، بسبب سواد الأمية والجهل، وقلة الوعي والتعصب الطائفي.

ويمكن القول: أن أرضية الأديان السرية والحركات الباطنية ملغومة دائماً ولا يمكن الوثوق بها، ويتطلب دائماً الحذر منها والانتباه لتحركاتها المريبة، بغية وأدها في مهدها.



على رغم من أن التصوف ألحقَ بأهل السنة خطأ وظلماً، لكن الأفكار التي يتبناها تتناقض كلياً مع المذاهب الأربعة لأهل السنة. فالتصوف مثلث قام على ثلاثة أضلاع ضلعين من غلاة الشيعة وضلع مجهول الهوية. وأصوله ليست من عقيدة السنة البتة، بل من العقيدة الشيعة كما سيتبين في فصول الكتاب. كما أن أفكار الرجعة والحلول والعروج إلى السماء والتقية والعلم اللدني والكرامات والمعاجيز لها أصول في العقيدة الشيعية ولا أساس لها في مذاهب السنة.

يقول نيكلسون: "أجمع النقاد على أن القول بوحدة الوجود إنما هي واحدة من أهم خواص التصوف الاسلامي" [الصوفية والاسلام/31].

ويذكر أحمد أمين: "أركان التصوف هي وحدة الوجود، الفناء في الله وحب الله" [ظهر الإسلام 78/2].

فهل لهذه العقائد وجود مذاهب السنة الأربعة؟ كلنا نحب الله تعالى، ولكننا لا نمثله بليلى قيس، ولا بثينة جميل. ولا أمثالهما من الفرس؛ لأننا نؤمن بأن الذات المقدسة ليس كمثله شيء، وهذا ما ورد في القرآن الكريم.

من المعروف أن الصفوية والصوفية تؤمن بعقيدة الإنابة، ونيابة الإمام في الفكر الصفوي لا تختلف في جوهرها عن نيابة الشيخ الصوفي "حيث يستمدها الشيخ من النبي صلى الله عليه وسلم باعتبار الشيخ الصادق نائب عنه" [المدرسة الشاذلية لمحمود عبد الحليم/387]، ويستمدها الصفوي من الأئمة رجوعاً إلى سفراء الإمام المهدي الأربعة، الذين نصبوا أنفسهم الضالة نواباً لشخص لم تصح ولادته أصلاً لا في كتب الشيعة نفسها، ولا باعتراف أهل بيته. كان الغرض من الإنابة هو إحاطة النواب بهالة مقدسة، والتجرؤ على أنهم معصومون، مما يترتب عليه منحهم صلاحيات دينية ودنيوية مطلقة، وأهمها بالنسبة لمراجع الصفويين واردات الخمس. ولذلك أعتبروه واحد من أركان الإسلام بل وأهم من بقية الفرائض، وبسقوط الخمس تسقط أركان الصفوية والعقيدة الإمامية، حيث يفقد تنابلة المذهب موردهم المالي.

كما يلاحظ أن تسلسل الأئمة عند المتصوفة هو نفس التسلسل الذي تنفرد به الإمامية. وعقيدة المهدي المنتظر من حيث ولادته المزعومة وعودته لملأ الأرض عدلاً بعد إن امتلأت جوراً يأخذ بها المتصوفة، وهذه العقيدة لا تعترف بها المذاهب السنية فهي أسطورة الغرض منها التقاعس والتخاذل بانتظار المخلص الموعود.

إن شطر التصوف إلى شطرين شيعي وسني ممنوع من الصرف، فالنقيضان لا يُجمعان. والاختلافات كلية وليست جزئية كما يحاولون تصويرها. فأما التصوف سني أو شيعي؟ ولا توجد منطقة وسطى بينهما. كما أن أية عقيدة كل ما ابتعدت عن القرآن الكريم والسنة النبوية كلما ضلت طريقها واقتربت من الشرك. والصوفية والصفوية كلاهما انحرف عن جادة الإسلام، وتشرب بالأفكار الوثنية حتى تشبَّع بها.

إن من يَدعِ بأن الاختلافات بين أهل السنة والشيعة سيما الإثنى عشرية تنحصر في الفروع وليس الأصول هو على وهم كبير! فهو أما جاهل أو يتجاهل أو يعمل بالتقية. فالاختلاف يشمل كل شيء، ابتداء من الوضوء والأذان والشهادة، ويستمر مع الصلاة والحج والزكاة التي لا موقع لها حيث حل محلها الخمس. ومن يدعِ بأن القرآن محرف وناقص ولا يعترف بأحاديث النبي صلى الله عليه وسلم



التي أوردها غير الأئمة، ويكفر الخلفاء الثلاثة، ويهتك عرض أمهات المؤمنين، ليس له قواسم مشتركة مع المذاهب السنية التي هي من ينطبق عليها حقاً الاتفاق في الأصول، والاختلاف في الفروع.

من جهة أخرى، أن التصوف كمصطلح لا معنى له البتة، حتى لو اعتبر كدلالة على الزهد. فالزهد حالة معنوية، ولبس الصوف حالة مادية قد ترجع إلى الفقر أو تفضيل نوع معين من اللباس على غيره. فليس الزاهد كل من لبس الصوف، وليس كل من لبس الصوف هو زاهد. يذكر ابن القيم "الأنبياء أعظم الزهاد ولم يخصوا الصوف باللبس، فقد لبسوه ولبسوا غيره ومثلهم الصحابة" [زاد المعاد135/1].

كذلك الحال بالنسبة إلى ارتداء الملالي والسادة العمائم السوداء. فليس كل معمم رجل دين، وليس كل رجل دين معمم. المظاهر أحياناً خداعة لا تنم عن الجوهر، ولا تشكل أساساً للحكم على الشخصية. لا يوجد أكثر إيماناً من الصحابة ومع هذا لم يتميزوا بوحدة الملبس وغطاء الرأس. حتى كبار مشايخ الصوفية احتاروا في اشتقاق كلمة التصوف، فأمهات مصادرهم كرسالة القشيري وعوارف السهروردي ولمع الطوسي وكشف الهجويري لم تتحدث عن الصوف كأساس للاشتقاق كما سيتبين لاحقا.

يلاحظ: أن المستشرقين الذين يعادون الإسلام يمدحون المتصوفة ويصفونهم بالتيار الديني المتسامح، ولا نعرف من أين جاءت صفة التسامح؟ وهذا ما نوه عنه د. عبد الوهاب المسيري: "مما له دلالته أن العالم الغربي الذي يحارب الإسلام، يشجع الحركات الصوفية. ومن أكثر الكتب انتشاراً الآن في الغرب مؤلفات محيي الدين بن عربي، وأشعار جلال الدين الرومي، وقد أوصت لجنة الكونغرس الخاصة بالحريات الدينية بأن تقوم الدول العربية بتشجيع الحركات الصوفية. فالزهد في الدنيا والانصراف عنها وعن عالم السياسة يضعف ولا شك صلابة مقاومة الاستعمار الغربي"، والغرابة أن المستشرقين يقفون أيضاً مع الشيعة نفس الموقف المؤيد! ربما لأنهم استمدوا منهم الأفكار الهدامة كالقول بتحريف القرآن الكريم، والطعن بالنبي صلى الله عليه وسلم والسخرية منه، ولعن كبار الصحابة؟

تقول الكاتبة "فارينا علم" بأن "الروحانية الإسلامية الصوفية تعتبر الجزء المكمل لحياة المسلم الدينية، وقد قدم أولياء وشيوخ الصوفية نظرة منهجية لمعرفة الله تستند على تلاوة الابتهالات، والتدرب على تطوير شخصية ورعة قويمة، بغية إذلال الأنا وتكريس النفس لخدمة المجتمع. ومن الممكن أن تصبح الصوفية اليوم بتركيزها على القيم الإسلامية المشتركة ووضع الأهداف السامية نصب عينيها، بمثابة قوة كبيرة مضادة للإسلام السياسي المجاهد" [المبادئ الخمس لمستقبل الإسلام].

ويؤكد المستشرق الألماني شتيفان رايشموت أستاذ العلوم الإسلامية وتاريخ الإسلام بجامعة بوخوم بأن "مستقبل العالم الإسلامي سيكون حتماً للتيار الصوفي" [الصوفية هل تكون النموذج الأمريكي للتغيير/ د. عمار علي حسن].

ولا نعرف كيف توصل شتيفان إلى هذه النتيجة؟ هل هي الضرب على التخت؟ أم هم الذين يوجهون المتصوفة ويخططون لهم لتحقيق هذه الغاية. وفي تقرير نشرته مجلة [يو إس نيوز آند وورلد ريبورت



الأمريكية] وذلك في عام 2005 تحت عنوان "عقول وقلوب ودولارات" جاء فيه: "يعتقد الاستراتيجيون الأمريكيون بشكل متزايد أن الحركة الصوفية بأفرعها العالمية قد تكون واحداً من أفضل الأسلحة، وبينما لا يستطيع الرسميون الأمريكيون أن يُقِرُّوا الصوفية علناً، بسبب فصل الدين عن الدولة في الدستور الأمريكي، فإنهم يدفعون علناً باتجاه تعزيز العلاقة مع الحركة" [2005/4/25 Us news and world Report on]..

إذن الولايات المتحدة والغرب يؤيدون المتصوفة، ويعززون علاقاتهم مع الفرق الصوفية! مع التركيز على عبارة أفضل الأسلحة! وجاء فيه أيضاً: "لا بد من حل مشكلة التيارات الإسلامية، وأن هناك حلاً للمشكلة أخذ يشق طريقه بمساندة من الولايات المتحدة لإصلاحيين تجمعهم رابطة الصوفية التي تعتبر فرعاً متسامحاً من فروع الإسلام" [المصدر السابق].

كما أشارت صحيفة الخليج إلى حضور السفير الأمريكي في القاهرة حفل الميلاد النبوي الشريف معلناً عن إعجابه الشديد بعالم التصوف الإسلامي، ولافتاً النظر إلى ما تنطوي عليه الصوفية من تسامح، وما تجسده من قيم ومبادئ إسلامية رفيعة مثل الحق والخير والجمال" [جريدة الخليج في2005/2/25].

وفي هذا الصدد يذكر الأستاذ محمد فريد وجدي: "يجب أن نعذر الأوروبيين إذا صدقوا جميع الأكاذيب الملفقة عن الإسلام والمسلمين، فهم غير ملومين إذا أظهروا العداوة لديننا ما داموا لا يجدون نصب أعينهم غير مشاهد البدع التي أحدثها رجال ذوو فكر سقيم، وارتضاها الناس وزادوا عليها وما إلى ذلك من الهرطقات والأخطاء المتنافية مع الطبيعة البشرية ومع نواميس المدنية، وكيف نرجو أن يفهم الأوروبيون روح ديننا نفسها وهو الدين الوحيد الذي يكفل السعادة الكاملة ما داموا لا يعرفون غير بعض مظاهر الإسلام الخارجية التي يشهدونها كل يوم مثل الحشود الضاجَّة في الشوارع السائرة خلف الرايات والطبول، والاحتفالات المستهجنة المنافية لكل منطق أخلاقي؟ والتي تقام في جميع مدن مصر يوم مولد الرسول، وعقد حلقات الذكر الضخمة أمام جمهور يتألف من آلاف الناس، وإرسال الابتهالات الصوفية في صوت جَهْوَري وعلى وقع الانحناءات ذات اليمين وذات اليسار وما شابه ذلك" [دفاعاً عن الإسلام/122].

كذلك الأمر بالنسبة للشيعة فقد صرح "ليسلي كَلد" رئيس مجلس العلاقات الخارجية الأمريكي في مقال له في نيويورك تايمز يقول: "إن الاستراتيجية الوحيدة في العراق القابلة للحياة هي تصحيح الخلل التاريخي والتحرك على مراحل نحو حل الدول الثلاث: الأكراد في الشمال، والسنة في الوسط، والشيعة في الجنوب". ويضيف: "الفكرة العامة هي في تقوية الشيعة والأكراد وإضعاف السنة، ومن ثم الانتظار لمعرفة ما إذا كان سيتم التوقف عند الحكم الذاتي أو تشجيع تكوين دولة! يجب أن تكون الخطوة الأولى جعل الشمال والجنوب منطقتين تتمتعان بالحكم الذاتي مع حدود مرسومة بشكل يتوافق قدر المستطاع مع الحقوق العرقية، أعطوا مليارات الدولارات التي صوّت عليها الكونغرس لإعادة الإعمار كلها إلى الشيعة والأكراد. ويمكن لأمريكا أن تساعد في تسليح وتدريب الأكراد والشيعة في حال طُلب منها ذلك" لاحظ لقد نُفذ هذا المشروع بحذافيره! فالعراق في طريقه للتقسيم



إلى ثلاث دويلات سنية وشيعية وكردية. والبيت الأبيض يقف مع الشيعة والأكراد ضد أهل السنة كما هو واضح في العراق وسوريا.

على نفس الصعيد، ذكر أريبل شارون"لم أرَ يوماً في الشيعة أعداءا لإسرائيل على المدى البعيد" [مذكرات أريبل شارون/583]. وقد صدق شيخ الإسلام بقوله: "إذا صار لليهود دولة بـ(العراق) وغيره، تكون الرافضة من أعظم أعوانهم، فهم دائماً يوالون الكفار من المشركين واليهود والنصارى، ويعاونونهم على قتال المسلمين ومعاداتهم" [منهاج السنة النبوية378/3].

وقال ابن تيمية أيضاً: "قد عرف أهل الخبرة أن الرافضة تكون مع النصارى على المسلمين" [الفتاوى528/28].

وهكذا كان حال الشيعة في التعاون مع قوات الغزو الامريكي في احتلال العراق عام 2003. فقد أصدر مرجعهم السيستاني فتوى بالتعامل الحسن مع قوات الغزو الأمريكي بعد أن سلمه وزير الدفاع الأمريكي رامسفيلد رشوة بمقدار(200) مليون دولار، وهذا ما اعترف به رامسفيلد في مذكراته في حين أصدر السيستاني فتوى "الجهاد الكفائي" لقتال أهل السنة عام 2014!

إن المذاهب الباطنية بشكل عام لا تنمو إلا في المجتمعات المتخلفة، وتنتشر بين الطبقات المسحوقة التي تعاني من الفقر والجوع والجهل. يذكر د. عامر النجار: "إنه قد يكون مما ساعد على انتشار الطرق الصوفية في مصر انتشاراً عجيباً، واندفاع عشرات الألوف من المصريين للانضمام تحت لواء هذه الطرق هو تشجيع الحكام أنفسهم لحركات الطرق الصوفية، ليشغلوا الشعب المصري عن التفكير في أحوال البلاد، فبدلاً من أن ينشغل الإنسان المصري بالتفكير في ظروفه الاجتماعية والاقتصادية السيئة، وبدلاً من أن يفكر في فقره وبلائه، وبدلاً من أن يفكر في طريقة للخلاص من وضعه السيئ بالثورة على الحاكم؛ فإن الحاكم نفسه يعمل على شغل فكره من خلال تشجيعه الانضمام إلى إحدى الطرق الصوفية، فيجد عالمه وخلاصه في رحاب الطريق. وهكذا انشغل المصريون كلهم في هذه الحقبة من الزمن بالطرق الصوفية وتركوا الحكام" [الطرق الصوفية في مصر/282].

والحقيقة أنهم لم يتركوا الحكام فحسب، بل تركوا الدين الحنيف وركضوا وراء سراب وهمي. مع أن المتصوفة يدعون بأنهم ملتزمون بالقرآن الكريم والسنة النبوية. فقد ذكر الشيخ أبو القاسم النصراباذى بأن "أصل التصوف ملازمة الكتاب والسُّنة، وترك الأهواء والبدع، وتعظيم حرمات المشايخ، ورؤية أعذار الخلق، وحسن صحبة الرفقاء، والقيام بخدمتهم، واستعمال الأخلاق الجميلة، والمداومة على الأوراد، وترك ارتكاب الرُّخص والتأويلات، وما ضلَّ احدٌ فى هذا الطريق، إلا بفساد الابتداء؛ فإن فساد الابتداء يؤثر في الانتهاء" [طبقات الصوفية/126]. لكن عندما تقرأ كتبهم ستجد نقيض هذا الكلام تماماً، ربما هي التقية!

من الجدير بالذكر أنه لا يمكن تصنيف التصوف إلى أنواع مثلاً، الإسلامي، والمعتدل، والمغالي، طالما أن المنبع والأصل والعقيدة والقواعد الرئيسة موحدة، كوحدة الوجود، وعصمة الأولياء ومعاجيزهم، والحقيقة المحمدية وغيرها. صحيح هناك من المتصوفة من اتصف بالإيمان والزهد ولم يخرج عن معالم الطريق الإسلامي، لكن هناك أيضاً من خرج عن الطريق، وأشرك بوحدانية الله



وسخر من الذات الإلهية والرسل والأنبياء، ونصب نفسه إلها على العباد، ومتحكماً في الكون، يُحيي ويُميت ويعلم الغيب وبيده مفاتيح الجنة. ولا نغالي إن قلنا بأن أعمدة العقيدة أنفسهم قد خرجوا عن الطريق كابن عربي والحلاج وابن الفارض والبسطامي والحكيم الترمذي وغيرهم. فلا حجة لهم علينا بالمرة عندما نتعامل معهم كوحدة متجانسة.



نظرة موجزة في المعاجم الصوفية

تعج كتب المتصوفة بمصطلحات لا علاقة لها بالإسلام لا من قريب ولا من بعيد، فمعانيها مستوحاة من الإغريقية والفارسية والهندية وغيرها، وصار للمتصوفة معجم خاص بهم كبقية اللغات الأجنبية!
قال المستشرق نيكلسون: "يذهب الجامي إلى أن الجنيد كان أول من صاغ المعاني الصوفية، وشرحها كتابة" [في التصوف الإسلامي/20].
مثال ذلك: مصطلح الربوبية حيث ذكر الغزالي "الذي يذكر هو قرب العبد من ربه عز وجل في الصفات التي أمر فيها بالاقتداء والتخلق بأخلاق الربوبية، حتى قيل: تخلقوا بأخلاق الله" [إحياء علوم الدين324/4].
ومصطلح وحدة الوجود، حيث يذكر نيكلسون "قد أجمع النقاد على: أن القول بوحدة الوجود، وهو أخص مظاهر التصوف الإسلامي" [في التصوف الإسلامي/104].
ومفهوم الاصطلام كقول القشيري: "الصوفي: المصطلم عنه بما لاح من الحق" [الرسالة القشيرية557/2].
والفناء كقول الهجويري: "الصوفي هو الفاني عن نفسه، والباقي بالحق" [كشف المحجوب231/1].
والحلول حيث قال الجرجاني: "الحلول عبارة عن اتحاد جسمين، بحيث تكون الإشارة إلى أحدهما تعني إشارة إلى الآخر" [التعريفات/3].
والسكر، فقد ذكر أبو علي الجوزجاني: "رحم الله أبا يزيد له حاله وما نطق به، ولعله تكلم على حد الغلبة أو حال سكر، كلامه له ولمن تكلم عليه، وليس لمن يحكي عنه" [طبقات السلمي/248].
والفردانية، كما في قول الإمام الغزالي: "منهم من صار له ذوقاً وحالاً، وانتفت عنهم الكثرة بالكلية، واستغرقوا بالفردانية المحضة" [مشكاة الأنوار/12].
وأيضاً المرتبة الرحمانية كما في قول عبد الكريم الجيلي: "لهذا أمرنا السيد الأواه فقال: تخلقوا بأخلاق الله؛ لتبرز أسراره المودعة في الهياكل الإنسانية، فيظهر بذلك علو العزة الربانية، ويعلم حق المرتبة الرحمانية" [الإنسان الكامل19/2].
وغيرها من المصطلحات الموجودة في المعاجم الصوفية، بما يصدع الرأس ويحير الألباب من مصطلحات شاذة وغامضة شوهت لغتنا العربية.
كما يلاحظ: أن معظم من كتب عن التصوف كانوا مغالين في حبهم أو كراهيتهم للتصوف، وهذا الأمر يوقع الباحث والقارئ في متاهة عندما يطلع على كتبهم. فعلى سبيل المثال عندما ترجع إلى كتب المعاجم الصوفية تجد جميعهم من المغالين في حبهم للمتصوفة! وما إن تقرأ المقدمة أو أحياناً الإهداء فقط حتى تكتشف أن الكاتب غير حيادي في موقفه، كأن يهمل الجانب السلبي، أو يأوله بنفس طرق المتصوفة، فيخلط بذلك السمن بالعسل.

فعلى سبيل المثال: تجد أن أهم معاجم التصوف المسمى "المعجم الصوفي. الحكمة في حدود الكلمة" للدكتورة سعاد الحكيم وهي أستاذة التصوف في الجامعة اللبنانية.



قد جاء في إهداء كتابها: "إلى أبي الروحي سيدنا أبو العباس الدندراوي، تقف حروفي على أعتاب صفاتك المحمدية"! وفي شكرها للدكتور عبد الكريم اليافي: "أطعمني كرمه بأن أستقي من معين صوفيته الرائق، عذب تجربته الخاصة".

وفي الوقت الذي تنصحنا الحكيم بعدم السقوط أمام أحادية الجانب في النظر لنصوص الصوفية، فهي نفسها وقعت في فخ التحييز والأحادية. كما أنها تبنت مفاهيم ومصطلحات ابن عربي بشكل خاص فكان سقوطاً آخر في الأحادية.

ابن عربي لا ينكر أهميته في عالم التصوف فهو من رواده لكنه ليس الوحيد، وتَبني مفاهيمه الخاصة لا يعني مطلقاً أنه الفارس الوحيد في الميدان. وليست كل صولاته ناجحة سيما وقد عرف عنه التقية التي جنبته سقطة الحجاج، مدعياً أنه يمارس الفقه على مذهب الإمام سفيان الثوري. كما تنصحنا السيدة الحكيم بالرجوع إلى الجذور، وهذا شيء مهم ولا اعتراض عليه. لكن اعتماد الإطار فقط لا يعكس الصورة المتكاملة للتصوف.

أو بصورة أوضح يكشف لنا الجانب الإيجابي (أحادي)، ولكن ما إن ندقق قليلاً في الصورة حتى ندرك أن الإطار جميل ولكن الصورة بشعة، وأحياناً مشوهة، مثله مثل التشيع فقد كان يعني في البداية موالاة الإمام علي وذريته، ولا شائبة على الموالاة للأئمة فهم من بيت النبوة، لكنه تمادى في انحرافه بعد ذلك، ليتضمن أفكاراً بعيدة كل البعد عن روح الإسلام، مثل شتم الصحابة وتخوينهم، والإساءة إلى أمهات المؤمنين، ورفع منزلة الأئمة إلى منزلة الذات الإلهية المقدسة، ودعم سيرتهم بالكذب والأساطير والخرافات. فلا يجوز الأخذ بالجذور وإهمال ما أنبتته لنا من أزهار أو أشواك.

وتأخذ الحكيم على المفكرين سقوطهم في شرك عدم التمييز بين التجربة الصوفية والتعبير عنها بقولها: "فأرجعوا التصوف إلى أصول يونانية وهندية وفارسية" بالطبع هذا كلام غير جائز من أستاذة أكاديمية تبرر وتخلق للمتصوفة الأعذار عن شطحاتهم وانحرافهم عن الدين، فإذا كان التعبير عن التجربة غير سليم، فالعيب بالأساس على صاحب التجربة الذي فشل في التعبير عنها. كما أن تأثير وتفاعل العقائد اليونانية والفارسية والهندية والبوذية مع الصوفية حقيقة اعترف بها المتصوفة أنفسهم قبل غيرهم من العلماء المسلمين والمستشرقين. فعلامَ إنكارها، أو حتى التقليل من شأنها؟ هل وحدة الوجود والاتحاد والحلول والفناء أفكار إسلامية؟

والمعجم الثاني للدكتور عبد المنعم الحفني بعنوان "الموسوعة الصوفية":

حيث يعترف الأستاذ الحفني بأن تخصصه الفلسفة ولكن التصوف يستهويه! ومن منطلق الاستهواء اقتحم ميدان غير متخصص فيه. ويمجد الحفني المتصوفة بشكل عام ويعتبرهم نجوماً تزهو بهم أزمنتهم، وكل واحد منهم أعطاه علماً وأدباً، ويرجوهم أن يشفعوا له عند رب العالمين! وادعى إأنه أعطى كل منهم حقه من التمحيص وهذا ما لا تجده في عرضه لأفكارهم. إضافة إلى تركيزه على المصريين مثل زكي مبارك وغيره، والعجيب أنه أدخل بعض الكتاب المصريين في خانة المتصوفة لأنهم كتبوا نصاً أو تضمنت كتبهم إشارات للتصوف فقط! مثل محمد عبده وعلى عبد الرازق والطهطاوي وجلال الدين السيوطي، وآخرين لم يُعرفوا كمتصوفة، أو لهم باع في الكتابة عنها



كالشاطبي وداود الإنطاكي وفيليب حتي وحشر اسمه "عبد المنعم الحفني" بينهم. وخلط بهم فلاسفة كأبو حيان التوحيدي وابن طفيل وابن سينا والرازي. وتحدث بإسهاب عنهم.

بالرغم من تعدد الفرق الصوفية، فإن الدكتور عبد المنعم الحفني أهمل معظمها. فالصفوية لم تكلفه سوى نصف صفحة رغم علاقتها الوثيقة بالصوفية، إضافة إلى إهماله معظم المتصوفة من أصحاب الشطحات لغاية مقصودة! وقد كتب بإسهاب وكثرة عن متصوفة مصر.

ومن الطريف أنه كتب عن محمد عبده أكثر من صفحتين في حين كتب عن عبدك أحد مؤسسي التصوف وابن عجيبة نصف صفحة لكل منهما! لذا فالكتاب لا يتصف بلغة الحياد في عدة جوانب كما لاحظنا.

المعجم الثالث للدكتور حسين الشرقاوي بعنوان "معجم ألفاظ الصوفية":

أهداه "للعارفين بأهل الله الحق، أولياء الله، رجال الليل الذين ينيرون طريق الله بالإخلاص والصدق والطاعة" لاحظ إهداءه يفضح إنحيازة لجانبهم. كما شمل كلامه جميع المتصوفة واعتبرهم العارفين بالله وبعضهم في الحقيقة يصح تسميتهم بالكافرين بالله. ولا نعرف أي طريق أناروه، وأي علم قدموه رجال الليل ـ كما يسميهم ـ؟ هل الطيران في الهواء أم المشي على الماء أو طي المسافات أو أكل الجمر؟ اعطنا مثالاً مفيداً عما قدموه يا دكتور للبشرية وسوف نحترم رأيك؟ هل قدم المتصوفة عقاراً لخدمة الناس يداونهم به، وهم كما يدعون مكشوف لهم الحجاب ويعلمون علم الله!

أما كونهم "أسسوا لأنفسهم منهاجاً ونظاماً وألفاظ لا يفهمها غير أهل الحقيقة" فهذا أمر خاص بهم ولا يعنينا. فالماسونية والكثير من الديانات السرية تستخدم الرموز، وهذه الخاصية تفسر سلباً وليس إيجاباً، الحقيقة والعبادة وكتاب الله وسنة نبيه المصطفى واضحة وضوح الشمس ولا تحتاج إلى رموز وطلاسم المتصوفة. وإن كان فهمها ينحصر عليهم فقط! فما شأننا بها، من يستخدم الرموز والإشارات المبهمة لا يمكن الوثوق مطلقاً بصدق نواياه، والشرقاوي يعترف بنفسه "بأن ألفاظهم- أي المتصوفة- لا تعرف عن طريق منطق العقل، وإنما عن طريق الكشف والذوق! كأنه يتحدث عن نوع من الحلوى تكشفها وتتذوقها، وليس عقيدة إيمانية يفترض أن تُفهم من خلال الدراسة والتحليل. ثم إذا كانت طريقة الفهم لا تعرف عبر التعليم والعقل فكيف نفسر إنتاجهم الغزير من المؤلفات ولمن؟ ولماذا يجمعون المريدين ويعلمونهم بحلقات دراسية؟ من يضحك على مَن يا ترى؟!!

يتوصل الشرقاوي بأن "الصوفية لم يجانبوا الحق، ولم يبتدعوا شيئاً جديداً كما يدعي بعض الطاعنين والحاقدين والجهلاء" أي حكم هذا؟ وهل يليق بمن يحمل رسالة الدكتوراه أن يرى الضفة المعارضة للمتصوفة جهلة وحاقدين؟ هل ابن تيمية وابن القيم والإمام الشافعي والطرطوشي والذهبي والعشرات غيرهم هم من الجهلة يا أيها الأكاديمي؟ وهل بعض المتصوفة هم فعلاً "العارفون الله" كالحكيم الترمذي والبسطامي والحلاج والشيخ العريان؟ ألم يكن الشيخ إبراهيم العريان يطلع المنبر ويخطب عريان وسط الناس فيحصل للناس بسط عظيم؟ أعارف بالله هذا أم شيخ مسخرة ولا يستحي من الله ولا البشر؟ وكان نفسه "يخرج الريح بحضرة الأكابر، ثم يقول هذه ضرطة فلان ويحلف على ذلك، فيخجل ذلك الكبير منه! أهكذا تكون صفات العارف بالله؟ كذب وسفاهة وافتراء وقسم كاذب بالله!!



والشيخ الشويمي "كان رضي الله عنه يحسس بيده على النساء، فكن يشكون ذلك لسيدي مدين فيقول لهنَّ: حصل لكم الخير فلا تشوشوا"! كم حريص العارف بالله على عدم وشوشتهم؟
والشيخ علي وحيش"كان رضي الله عنه عنه له كرامات وخوارق، وكان إذا رأى شيخ بلد أو غيره يُنزله من حماره، ويطلب منه أن يمسكه حتى يفعل به"! نِعم العارف بالله! أم الذين يرون حجاج بيت الله حميراً؟ أم الذين يؤمنون بوحدة الوجود والفناء والاتحاد؟ لو قال الشرقاوي بعضهم لما اعترضنا البتة على كلامه! لكن أن يجمع الغزلان والخنازير في مزرعة واحدة ويسميها "مزرعة الغزلان" فهذا ما لا يجوز ولا يقبل من حامل شهادة دكتوراه.
يلاحظ: أن هناك مفاهيم خطرة في التصوف كالفناء والاتحاد ووحدة الوجود والحقيقة المحمدية والشطحات أما تجاوزها الشرقاوي، أو تحدث عنها بشكل مقتضب متبنيا الجانب الأحادي (المؤيد) ومتجنبا الجانب الآخر (المعارض). لو استوضحت مثلاً شرحه لمفاهيم الفناء والشطحات والاتحاد، لما خرجت بفكرة واضحة عنها. في الفناء يحذرنا عن لسان المتصوفة من الوقوف في بداية الفناء لأنه يوقعنا في الشرك كما حدث للحلاج، لذا يجب سلوك فناء الفناء. أي البقاء في عمق أبعاده! جملة أشبه بالطلسم وغير مفيدة. وكان الأجدر به أن يوضح مفهوم (فناء الفناء وماهية أبعاده)؟ ويضيف بأنه يتم بإرادة الله! لكن لا يشرح لنا كيف سيكون بإرادة الله. وكيف نتيقن أنه تم وفقاً لإرادة الله تعالى؟ ما هو مقياس رضا الله عند المتصوفة؟ وإن كان شيخ المتصوفة الحلاج قد وقع في الشرك وهو الرائد فكيف سيكون الحال مع غيره؟

المعجم الرابع لأيمن حمدي بعنوان "قاموس المصطلحات الصوفية:

وهو كما ادعى دراسة تراثية مع شرح اصطلاحات أهل الصفا من كلام خاتم الأولياء!
تبنى المؤلف تسمية أهل الصفا وهو اشتقاق لم يصح عند الكثير من المتصوفة كما سنلاحظ بين دفتي الكتاب. وصفة خاتم الأولياء هي تسمية مرادفة لخاتم الأنبياء. قد عرفنا خاتم الأنبياء لأن الله عز وجل أتم نعمته علينا ورضي بالإسلام ديناً. لكن كيف يتسنى لنا معرفة خاتم الأولياء؟ ومن قرر أن يكون الخاتم؟ ولماذا تُشبه الولاية بالنبوة وعلى أي أساس؟
يجد المؤلف في التصوف "منهجا في التنوير والتحرر" ولم يوضح لنا ما المقصود بالتنوير، ونحن نعرف أن عصر التنوير هو عصر العلم واليقين وليس الكرامات والأساطير. وما المقصود بالتحرر الذاتي أم الموضوعي. أما الذاتي فلا يعنينا لأنها علاقة ثنائية بين الفرد وربه. أما الموضوعي فقد كان موقف المتصوفة خلال غزو المغول والتتار والحروب الصليبية والاستعمار القديم - باستثناء بعض الطرق الصوفية في المغرب العربي وحالياً جيش الطريقة النقشبندية في العراق - موقفاً مخزياً وعاراً ما بعده عار.
ويوقع الكاتب نفسه في فخ التناقض بادعائه "العجب كل العجب من إطلاق الأحكام رغم عدم الاطلاع على معظم نصوص الصوفية؛ إذ أنها لازالت مخزونة في مؤسسات"! إذن كيف أصدرت حكمك طالما الكنوز لم تظهر بعد؟



وفي شرحه لمفردات التصوف تبنى نظرة أحادية وهي شروحات الشيخ أحمد التيجاني فقط. وكان الأحرى به أن يسمي معجمه "قاموس المصطلحات التيجانية". فالكاتب ظل يدور في فلك التيجاني إلى أن ضل طريقه وضلنا معه. فلا تجد في معجمه ما يسد جوعك من الغذاء الصوفي.

بلا شك أن هذه المواقف غير الحيادية تجاه التصوف تجعلك تدور في حلقة مفرغة ومتاهة معقدة تسبب لك القلق والضجر، لعدم وضوح الرؤيا وتشابك المواقف واتباع أسلوب التقية. فبعض المتصوفة تراهم في نفس المؤلف يجمعون بين الشيء ونقيضه، فتارة في قمة الإيمان وتارة في وادي الإلحاد. تارة في رياض الزهد وتارة في صحارى اللذة الدنيوية. تارة متمسكين بالفرائض وتارة يسخرون منها، تارة في معالي الأخلاق، وتارة في مهابط الانحلال والانحطاط.



عودة سريعة إلى الوراء

أمر الله سبحانه تعالى نبيه المصطفى صلى الله عليه وسلم بنشر الدعوة الإسلامية، وأن يهدي الناس إلى دين الحق، وأكمل الرحمن الدين كله برسالة الإسلام، وأتمم نعمته علينا برضاه عن الإسلام ديناً، كما جاء في سورة المائدة: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإسلام دِينًا﴾ [المائدة:3]، قال الإمام أبو الحسن علي الواحدي: "أخبرنا الحاكم أبو عبد الرحمن الشاذياخي قال: أخبرنا زاهر بن أحمد قال: أخبرنا الحسين بن محمد بن مصعب قال: حدثنا يحيى بن حكيم، قال: حدثنا أبو قتيبة قال: حدثنا حماد عن عمار بن أبي عمار قال: قرأ ابن عباس هذه الآية ومعه يهودي: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإسلام دِينًا﴾، فقال اليهودي: لو نزلت هذه الآية علينا في يوم لاتخذناه عيداً، فقال ابن عباس : إنها نزلت في عيدين اتفقا في يوم واحد: يوم جمعة وافق ذلك يوم عرفة" [أسباب النزول/99]. وكان النبي صلى الله عليه وسلم والصحابة رضوان الله عليهم الأسوة الحسنة التي اقتدى بهم أتباعهم في العقيدة والسيرة والأخلاق النبيلة والتضحيات المشهودة.

حفظ الله كتابه الحصيف، وحفظت الأمة أحاديث النبي المصطفى صلى الله عليه وسلم. وإن كان القرآن قد حفظ بوسيلة ربانية، فإن الأحاديث النبوية لم تحظَ بتلك العناية الإلهية وهذا أمر طبيعي. فكلام الله لا يحسب ككلام الرسل والأنبياء، مع منزلتهم العظيمة سواء عند الله أو عند الأمة. لذلك تعرضت الأحاديث النبوية إلى عملية تشويه وتزييف كبير من لدن أعداء الإسلام. وكانت الحركات الباطنية والشعوبية السوس الذي دخل تحت سقيفة الإسلام وبدأ ينخر في أركانها. جميع الحركات الباطنية والشعوبية تلبست لبوس الإسلام، وزعمت تمسكها بالقرآن الكريم والسنة النبوية رغم الضلال الذي كانت تخفيه كتقية أو تبديه علناً. فالقرآن حمال أوجه بنظرهم، ويمكن تأويل آياته بما يتناسب وأهوائهم وأغراضهم، والأحاديث النبوية لأنها لم تدون في زمن النبي صلى الله عليه وسلم والصحابة، أتيحت لهم الفرصة لأن يعبثوا بها، فيحرموا ما أحل الله، ويحلوا ما حرم الله.

من أشهر وضاع الحديث في العهد الأموي وما بعده هم، ابن أبي يحي ومقاتل بن سليمان ومحمد بن سعيد وعبد الكريم ابن أبي العوجاء الذي اعترف لما أمر محمد بن سليمان بقتله في أوائل عصر الدولة العباسية سنة 153هـ بأنه وضع (4000) حديثاً نبوياً كاذباً، حلل فيه الحرام، وحرم فيه الحلال.

قال بشار يهجو ابن أبي العوجاء:

لا تصلي، ولا تصوم، فإن صمـ * * * ـت، فبعض النهار صوماً دقيقاً

لا تبالي إذا أصبت من الخمـــ * * * ـر عتيقاً ألا تكون عتيــــــقاً

ليت شعري غداة حليت في الجنـ * * * ـد حنيفاً حليت، أم زنديقــــاً

منع الرسول صلى الله عليه وسلم كما معروف تدوين أحاديثه، وسمح بتدوين القرآن فقط، وجاء النهي بروايات أبي هريرة وعبد الله بن عمر وزيد بن ثابت وأبي سعيد الخدري وعبد الله ابن مسعود وغيرهم. فعن أبي هريرة قال: "خرج علينا النبي ونحن نكتب أحاديثه، فقال: «ما الذي تكتبون؟» فقلنا: أحاديث نسمعها منك يا رسول الله. فقال: «أكتاب غير كتاب الله؟» فجمعنا ما كتبناه وحرقناها بالنار". ويضيف: بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أناساً قد كتبوا أحاديثه، فصعد المنبر وقال:



ما هذه الكتب التي بلغني أنكم قد كتبتم، إنما أنا بشر، فمن كان عنده شيء فليأت بها"، ويستطرد أبو هريرة: "فجمعنا ما كتبناه وأحرقناه بالنار" (راجع الخطيب البغدادي/ تقييد العلم/32).

في حديث لأم المؤمنين عائشة عن أبيها أبو بكر الصديق "جمع أبي الحديث عن رسول الله وكان خمسمائة حديث، فبات ليلة يتقلب كثيراً فلما أصبح قال: أي بنية هلمي الأحاديث التي عندك، فجئته بها فدعا بنار و أحرقتها" [تذكرة الحفاظ للإمام الذهبي5/1].

وصعد عمر بن الخطاب رضي الله عنه المنبر وقال: "أيها الناس! بلغني أنه قد ظهرت في أيديكم كتب فأحبها إلى أحسنها وأقومها، فلا يبقين أحد عنده كتبه إلا أتاني بها فأرى رأيي فيه!" فأتوه الناس بكتبهم فجمعها وأحرقها وقال: "أمينة عندي كأمينة أهل الكتاب" وكتب إلى الأمصار: "من كان عنده من السنة شيء فليتلفه" [ابن حزم الأحكام139/2].

وجاء في الحديث النبوي: **«لا تكتبوا عني غير القرآن، ومن كتب عني غير القرآن فليمحه»** [أخرجه مسلم 229/18]. وفي رواية لأبي سعيد الخدري قال فيها: "استأذنت رسول الله صلى الله عليه وسلم أن اكتب حديثه فأبى أن يأذن لي"، ومن المعروف أن الخليفة عمر بن عبد العزيز هو الذي أمر بجمع السنة وتدوينها.

حتى هذا الأمر - أي رفض تدوين الأحاديث النبوية - تلاعبوا به، ولم يصح كلياً برأي بعض المؤرخين رغم أنه أقوى وأثبت حجة! لوجود من يعارضة بحجج أضعف، وهذه واحدة من المشاكل التي نوهنا عنها، مدعين أن النبي صلى الله عليه وسلم سمح بتدوين أحاديثه. فقد روى رافح بن خديج: "قلت لرسول الله: إنا نسمع منك أشياء أفنكتبها؟ قال: **«اكتبوا ولا حرج»**" [أخرجه السيوطي]. وروى أبو هريرة أن رجلاً كان يجالس رسول الله صلى الله عليه وسلم فيسمع منه الحديث فيعجبه ولا يقدر على حفظه، فشكا ذلك إلى الرسول فقال له: **«استعن على حفظك بيمينك»** [رواه الترمذي كما رواه البخاري لكن وصفه بأنه "من منكر الحديث"].

وهناك من يصّر على أن الرسول صلى الله عليه وسلم لم ينقض حديثه بمنع تدوين أحاديثه، فقد روى أبو نضرة: "قلت لأبي سعيد الخدري: إنك تحدثنا عن رسول الله بأحاديث حسنة فلو كتبناها؟ فقال: "لن أكتبكموها ولن أجعلها قرآناً" [جامع البيان]. كما روى عن ابن مسعود: "جاء علقمة بكتاب فيه أحاديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فدخلنا على عبد الله بن مسعود، ودفعنا إليه الصحيفة فأمر بها فأحرقت ثم قال: "أكر الله رجلاً يعلمها عن أحد إلا أعلمني بها، بهذا أهلك أهل الكتاب قبلكم حتى نبذوا كتاب الله وراء ظهرهم" [سنن الدارمي/124/1].

هذا التعارض في الآراء من جهة، وتأخر عملية تدوين الأحاديث النبوية من جهة أخرى، ساعد عداء الإسلام من الشعوبيين سيما الرافضة والمتصوفة على إدخال أحاديث مفبركة نسبوها إلى النبي صلى الله عليه وسلم، بعضها يتعارض مع القرآن الكريم، وأخرى تتعارض مع سيرة وأخلاق الرسول صلى الله عليه وسلم، وبعضها يناقض العلم القديم والحديث، والبعض الآخر لا يستقيم مع المنطق السليم، مما يجزم ببطلانها.

على سبيل المثال: حديث: "شاوروهن وخالفوهن" تجده حديثاً غريباً لا يستقيم، والكثير من الوقائع التأريخية ومواقف النبي صلى الله عليه وسلم نفسه من نسائه أو بقية المؤمنات. فمن المعروف أنه بعد



معاهدة الحديبية مع المكيين عام628م التي عارضها بعض الصحابة، طلب النبي صلى الله عليه وسلم من المسلمين أن يحلقوا رؤوسهم ويعودوا إلى حالة الحل، فلم يستجب له أحد رغم أنه كرر طلبه ثلاث مرات! فاغتم حينها ودخل خيمته، وحكى لزوجته أم سلمة رضي الله عنها عما جرى, فأجابته: لا تحزن يا رسول الله احلق رأسك أنت وأكمل التضحية! ففعل الرسول ما طلبته أم سلمة رضي الله عنها، فما إن رآه أصحابه هكذا حتى قاموا بحلاقة رؤوسهم ونحر الأضاحي [تأريخ الطبري3/80].

وحديث غريب أخرجه البخاري [ج1/136] قال النبي صلى الله عليه وسلم: **«ما يقطع الصلاة، الكلب والحمار والمرأة»**، وقد سفهته عائشة بقولها: "إني بين النبي وبين القبلة وأنا مضطجعة على السرير فتكون لي الحاجة فأكره أن أستقبله فأنسل انسلالاً من عند رجليه" علماً أن عائشة روت [1210] حديثا عن النبي صلى الله عليه وسلم، وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: **«خذوا جزء من دينكم عن هذه الحميراء»** [كتاب الإجابه/31] رغم أن البعض قد ضعف هذا الحديث.

وهناك عشرات الأحاديث الغريبة شكلت قاعدة قوية انطلق منها الشعوبيون لتزوير الأحاديث النبوية، وفي الوقت الذي نسب المتصوفة الأحاديث إلى النبي صلى الله عليه وسلم عبر الخضر عليه السلام؛ فإن الصفويين نسبوا الأحاديث إلى النبي صلى الله عليه وسلم عبر الأئمة الإثنى عشر. وتصب أحاديث الفريقين في مستنقع ضحل ملوث، الغرض منه تشويه معالم الإسلام، وإدخال البدع والأساطير والمعاجز لتفريغه من مضامينه الإنسانية الأصيلة.

يقول العلامة الألوسي: "ومن مكايدهم (الرافضة) أن جماعة من علمائهم اشتغلوا بعلم الحديث أولاً، وسمعوا الأحاديث من ثقات المحدثين من أهل السنة فضلاً عن العوام، ولكن الله سبحانه وتعالى قد تفضّل على أهل السنة فأقام من يميّز بين الطيب والخبيث، وصحيح الحديث وموضوعه، حتى إنهم لِمَ لَمْ يخف عليهم وضع كلمة واحدة من الحديث الطويل. ومن مكايدهم أنهم ينظرون في أسماء الرجال المعتبرين عند السنة، فمن وجدوه موافقاً لأحد منهم في الاسم واللقب أسندوا رواية حديث ذلك الشيعي إليه، فمن لا وقوف له من أهل السنة يعتقد أنه إمام من أئمتهم فيعتبر بقوله ويعتدّ بروايته، كالسدّي: فإنهما رجلاً أحدهما السدّي الكبير، والثاني السدّي الصغير، فالكبير من ثقات أهل السنة، والصغير من الكذابين وهو رافضي غالٍ. وعبد الله بن قتيبة رافضي غال. وعبد الله بن مسلم بن قتيبة من ثقات أهل السنة وقد صنّف كتاباً سمّاه المعارف، فصنّف الرافضة كتاباً وسمّوه بالمعارف أيضاً قصداً للإضلال" [مختصر التحفة الإثني عشرية/32].

إن الخطر الكامن في الحركات الباطنية عموماً يتجسد في إمكانية تحويلها إلى حركات سياسية تتسم بالعنف، ولأن لها نفوذ كبير على أتباعها، علاوة على كثرة عددهم، ولأن معظمهم من الجهلة والأميين والسذج، لذا يمكن تسييرهم حسب مشيئة الشيوخ، فيصبحوا سلاحاً فاعلاً يصعب السيطرة عليه، سيما إذا تمكن واستمكن.

يذكر د. شريعتي: "لقد تحول المذهب الصوفي فجأة إلى مذهب شيعي، وصار الفقيه والمحدّث بدائل عن المرشد، ووفدوا إلى التكايا بدلاً من المساجد" [التشيع العلوي والتشيع الصفوي].



وخير مثال تاريخي على ذلك هم القزلباشية فهم "صوفية متشيعة من أتباع الصفويين، ولفظ القزلباش معناه الرؤوس الحمر، لتغطية رؤوسهم بشعار أحمر، وهو عبارة عن قنلسوة يلبسونها كشعار لهم وقد وصفها بعضهم بقوله: لقد أمر حيدر بن جنيد الصفوي أتباعه بأن ترتفع من وسط عمامتهم، ذات الأكوار العديدة قطعة مدببة على هيئة الهرم مقسمة من قمتها إلى إطرافها إلى اثنتي عشرة شقة تذكر بعلي وأبنائه الاثني عشر، ومن هنا سمي الصوفية من أتباع الصفويين بالقزلباش اتصالاً بهذا الشعار الاثني عشري الأحمر. وقد زعم محسن الأمين أن القزلباش لقب للاثني عشرية في بعض البلدان [أعيان الشيعة23/1].

الغريب في الأمر: أن الحر العاملي يذكر بأنه "لا يوجد للتصوف وأهله في كتب الشيعة وكلام الأئمة عليهم السلام ذكر إلا بالذم، وقد صنفوا في الرد عليهم كتباً متعددة ذكروا بعضها في فهرست كتب الشيعة، وجاء في كتاب الكشكول "قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: لا تقوم الساعة حتى يخرج قوم من أمتي اسمهم صوفية ليسوا مني، وإنهم يهود أمتي، وهم أضل من الكفار وهم أهل النار" [رسالة الإثني عشرية في الرد على الصوفية/16].

في حين أن المراجع الشيعية تشيد بالصوفية ورجالها كالبوني وابن عربي!

في مقال بعنوان "دور المستشاريات الثقافية الإيرانية في الترويج للمذهب الشيعي .. السودان نموذجاً" للكاتب محمد خليفة الصديق ذكر بأن "بدايات دخول التشيع إلى السودان كانت عبر زياراتهم لشيوخ الطرق الصوفية، وتوثيق العلاقة بهم؛ وخصوصاً من يدعي منهم أنه من آل البيت، والتظاهر لهؤلاء الشيوخ بأنهم يجتمعون وإياهم في محبة آل البيت ومناصرتهم، وادعاؤهم أن أساس اعتقادهم واحد، ثم توالت الزيارات لهؤلاء مع الإغراءات المادية لهم، فتكونت علاقات وثيقة وصلت إلى تنظيم زيارات لهم إلى إيران؛ ومن خلال هؤلاء الشيوخ تم الوصول إلى مريديهم وأتباع طرقهم، وسُمح لهم بإلقاء المحاضرات في مساجدهم وقراهم، وتوزيع الكتب والرسائل والمنشورات".

مؤخراً قامت دعوة أهل المعية المحمدية الصوفية بمصر بتصميم شهادة ميلاد للمشير عبد الفتاح السيسي تحت اسم "شهادة ميلاد رجل مصر الرشيد وفتاها الذي كسر صنم هبل الخوان". وكتبت الطريقة الصوفية في الشهادة التي وزعتها على مريديها: الاسم الناصر صلاح الدين عبد الفتاح السيسي، واسم الجد "سيدنا رسول الله الذي قال أنا جد كل تقي" على حد قولهم. كما جاء في الشهادة أن مكان الميلاد في رحاب الإمام الحسين بن علي ابن رسول الله، ومحل السكن قلوب وأرواح كل المصريين، وجاء في خانة الديانة: مسلم أباً وأماً، قلباً وقالباً، عقيدة حقة وعبادة خالصة. كما ذكرت الطريقة في الشهادة أن الوظيفة المرشح لها السيسي هي أنه أب وأم لكل المصريين بدرجة رئيس جمهورية مصر المحروسة، وقائداً أعلى لكل المصريين"! إنه التزلف للحاكم وهو ديدن المنافقين.

ونقلت صحيفة "المصريون" عن التقرير الذي أعدَّته لجنة المتابعة الخاصة بمجمع البحوث: أن الأموال باتت تتدفق على أتباع الطرق الصوفية في مصر، بعد تصريحات أطلقها بعض قيادات رموز التصوف، أشاروا فيها إلى أنه لا فرق بين الشيعة والمتصوفين، وَفْق ما نسب إلى حسن الشناوي شيخ مشايخ الطرق الصوفية.



وفي هذا الإطار أماط التقرير اللثام عن سعي إحدى الطرق الصوفية إلى إنشاء مركز دراسات للشيعة من الباطن بتكلفة تصل لأكثر من عشرة ملايين جنيه في منطقة الدرَّاسة. حيث تقف وراء هذا الاتجاه بعض الجهات الشيعية. وحذَّر المجمع من تزايد النشاط الشيعي في مصر، خاصة مع قدوم لاجئين عراقيين ينتمون إلى المذهب الشيعي، يسعون لإقامة حُسَيْنِيَّات في مصر، وهو الطلب الذي قُوبِلَ برفض من الجهات الأمنية المصرية.

يُشار في هذا الصدد إلى أن مجمع البحوث الإسلامية قرَّر مصادرة العديد من الكتب والمجلات الشيعية مؤخَّرًا، كان آخرها كتاب لأحمد راسم النفيس وهو أحد أقطاب الشيعة في مصر، يستعرض فيه رحلته في الانتقال من المذهب السنِّي إلى المذهب الشيعي! ونود أن نوضح بأن المراجع الشيعية تحث أتباعها سيما العراقيين على اللجوء لمصر وشراء العقارات، وتقدم لهم مساعدات نقدية لهذا الغرض؛ لذا فإن النسبة الكبيرة من اللاجئين العراقيين لمصر هم من الرافضة، وهم خلايا نائمة في مصر تستيقظ بطرقة أصابع الولي الفقيه في طهران.

كما ذكر محمد حامد الناصر بأن أصحاب الأضرحة الكبرى ممن ينسب إلى التصوف هم في الحقيقة من غلاة الشيعة الباطنية، حيث "انطلق من العراق أحد أتباع الرفاعي إلى مصر، وهو (أبو الفتح الواسطي) (جد إبراهيم الدسوقي) لنشر دعوتهم الباطنية بها، وقد كان ذلك في العهد الأيوبي، وبعد موت الواسطي جاء (البدوي) ليخلفه في دعوته تلك، وقد توزع هؤلاء الدعاة في مصر، فكان (الدسوقي) بدسوق، و(أبو الحسن الشاذلي) بالإسكندرية، و(أبو الفتح الواسطي) ما بين القاهرة وطنطا والإسكندرية، ولما مات الواسطي حل محله البدوي بطنطا، وجميعهم من فلول العبيديين الذين طردهم صلاح الدين الأيوبي من مصر، ثم حاولوا العودة تحت ستار التصوف والزهد، كما أن كلاً من ابن بشيش وابن عربي قد تتلمذا على يد (أبي مدين) بالمغرب" [بدع الاعتقاد/247].



الباب الأول

تعريف موجز للتصوف

اختلف المتصوفة في تعريف التصوف وساروا في اتجاهات ثلاثة، فمنهم من علقه بلباس الصوف باعتباره الزي المتعارف عندهم، كما تشير الأخبار عن سيرهم الذاتية، حيث اعتبروا لبس الصوف من الزهد. فقد ذكر أبو عبد الرحمن السلمي: "سمعت أبا العباس محمد بن الحسن الخشاب قال: حدثنا أبو الحسن علي بن محمد بن أحمد المصري، قال: حدثني أبو سعيد أحمد بن عيسى الخراز قال: حدثنا إبراهيم بن بشار قال: صحبت إبراهيم بن أدهم بالشام، أنا وأبو يوسف الغسولي، وأبو عبد الله السنجاري، فقلت: يا أبا إسحاق! خبرني عن بدء أمرك كيف كان؟ قال: كان أبي من ملوك خراسان، وكنت شاباً فركبت إلى الصيد، فخرجت يوماً على دابة لي، ومعي كلب، فأثرت أرنباً أو ثعلباً، فبينما أنا أطلبه، إذ هتف بي هاتف لا أراه، فقال: يا إبراهيم: ألهذا خلقت؟ أم بهذا أمرت؟ ففزعت، ووقفت، ثم عدت فركضت الثانية، ففعل بي مثل ذلك ثلاث مرات، ثم هتف بي هاتف من قربوس السرج: والله ما لهذا خلقت، ولا بهذا أمرت. قال: فنزلت فصادفت راعياً لأبي يرعى الغنم، فأخذت جبته الصوف، فلبستها ودفعت إليه الفرس، وما كان معي، وتوجهت إلى مكة فبينما أنا في البادية، إذ أنا برجل يسير ليس معه إناء ولا زاد، فلما أمسى وصلى المغرب، حرك شفتيه بكلام لم أفهمه، فإذا أنا بإناء فيه طعام، وإناء فيه شراب، فأكلت وشرب، وكنت معه على هذا أياماً، وعلمني (اسم الله الأعظم)" [طبقات السلمي/29].

وينقل الشعراني عن أبو يحيى مالك بن دينار: "سئل رضي الله عنه عن لبس الصوف فقال رضي الله عنه: أما أنا فلا أصلح له لأنه يطلب صفاء" [الطبقات الكبرى34/1].

يقول أبو صالح سيدي عبد القادر الجيلي: "قاسيت الأهوال في بدايتي، فما تركت هولاً إلا ركبته، وكان لباسي جبة صوف، وعلى رأسي خريقة، وكنت أمشي حافياً في الشوك وغيره، وكنت أقتات بخرنوب الشوك، وقمامة البقل، وورق الخس من شاطئ النهر" [الطبقات الكبرى126/1].

ويذكر الشيخ أبو يعقوب يوسف بن أيوب الهمداني: "اعلم أن الله خلق من نور بهائه سبعين ألف ملك من الملائكة المقربين، وأقامهم بين العرش والكرسي في حضرة الإنس لباسهم الصوف الأخضر، ووجوههم كالقمر ليلة البدر فقالوا متواجدين والهين حيارى خاشعين سكارى منذ خلقوا مهرولين من ركن العرش إلى ركن الكرسي لما بهم من شدة الوله فهم صوفية أهل السماء فإسرافيل قائدهم، ومرشدهم، وجبرائيل رئيسهم ومتكلمهم والحق تعالى أنيسهم، ومليكهم فعليهم السلام من الله عز وجل" [الطبقات الكبرى137/1].



كما يذكر الشيخ العارف بالله تعالى سيدي إبراهيم المسوقي القرشي: "ليس التصوف لبس الصوف، إنما الصوف من بعض شعار التصوف فإن دقيق التصوف رقيق صفاته، ورونق بهجة ترقيه لا يحصل إلا بالتدريج فإذا وصل الصوفي إلى حقيقة التصوف المعنوي لا يرضى بلبس ما خشن لأنه وصل إلى مقامات اللطافة، وخرج عن مقامات الرعونة" [الطبقات الكبرى178/1].

ويذكر الشعراني: "يحكي عن الشيخ عبد الرحيم القناوي رضي الله عنه أنه رأى مرة في عنق كلب خرقة من صوف فقام له إجلالاً لخرقة الصوف" [الطبقات الكبرى361/2]. بمعنى أن لخرقة الصوف قدسية في عقيدتهم حتى لو لبسها كلباً أو مُسح بها الكنيف!

يلاحظ أن كبار الشيوخ فندوا الرأي باشتقاق مصطلح الصوفية من الصوف، فقد ذكر قال القشيري: "ليس يشهد لهذا الاسم من حيث العربية قياس ولا اشتقاق، والأظهر فيه أنه كاللقب" [الرسالة القشيرية250/2]. مضيفاً: "القوم لم يختصوا بلبس الصوف"، وذكر الهجويري: "اشتقاق هذا الاسم لا يصح على مقتضى اللغة، من أي معنى؛ لأن هذا الاسم أعظم من أن يكون له جنس يشتق منه، وهم يشتقون الشيء من شيء مجانس له، وكل ما هو كائن ضد الصفاء، ولا يشتق الشيء من ضده، وهذا المعنى أظهر من الشمس عند أهله، ولا يحتاج إلى العبارة" [كشف المحجوب230/1]، ويتفق شيخ الإسلام ابن تيمية بأن طريقهم ليس مقيداً بلبس الصوف [للمزيد راجع الفتاوى11/16].

ومنهم من ربط التصوف بالزهد، والحقيقة لا توجد علاقة بين الزهد والتصوف، فالأنبياء والرسل وكبار الصحابة لم يكن ملبسهم الصوف وهم سادة الزهد. والصوف لباس لا يقتصر لبسه على المتصوفة فحسب وإنما كل الناس وفق الرغبة والمزاج. وهذا ما أوضحه شيخهم شهاب الدين السهروردي بقوله: "التصوف غير الفقر، والزهد غير الفقر، والتصوف غير الزهد، فالتصوف: اسم جامع لمعاني الفقر، ومعاني الزهد، مع مزيد أوصاف وإضافات، لا يكون بدونها الرجل صوفيا، وإن كان زاهدا فقيرا" [عوارف المعارف].

ومن المتصوفة من ربط المصطلح بالصفو بمعنى التسامي والصفاء، يقول أبو القاسم الجنيد: "التصوف هو صفاء المعاملة مع الله تعالى، وأصله الصرف عن الدنيا، كما قال حارثة صرفت نفسي عن الدنيا فأسهرت ليلي وأظمأت نهاري" [الطبقات الكبرى84/1].

ويقول الجُنَيد بنُ محمد أبو القاسم الخَزَّار: "ما أخذنا التصوف عن القيل والقال، لكنْ عن الجوع، و تَرْكِ الدُّنيا، وقَطْعِ المألوفاتِ والمُسْتَحْسَنَاتِ؛ لأنَّ التصوفَ هو صفاءُ المعاملةِ مع الله تعالى، وأصله التَّعزُّف عن الدنياَ" [طبقات الصوفية/56].

وقد سئل أبو علي الروذباري، وهو من ذرية كسرى الفرس عن التصوف فقال: "هو صفوه القرب بعد كدورة البعد" [الطبقات الكبرى106/1].

كما يقول أبو عبد الله محمد بن خفيف الضبي: "التصوف تصفية القلوب، ومفارقة أخلاق الطبيعة، وإخماد صفات البشرية، ومجانبة الدعاوي النفسانية، ومنازلة صفات الروحانية، والتعلق بعلوم الحقيقة، والنصح لجميع الأمة واتباع النبي صلى الله عليه وسلم في الشريعة" [الطبقات الكبرى120/1].



كما سئل أبو الحسين بندار بن الحسين الشيرازي عن الفرق بين الصوفية، والمتصوفة فقال: "الصوفي من اختاره الله لنفسه فصافاه من غير تكلف، والمتصوف هو المتكلف بنفسه المظهر لزهده مع كون رغبته في الدنيا، وتربية بشريته" [الطبقات الكبرى121/1].

ويذكر الشيخ علي الكازروني: "من تفقه ولم يتصوف فقد تفسق، ومن تصوف ولم يتفقه فقد تزندق، ومن تفقه وتصوف فقد تحقق" [الطبقات الكبرى417/2].

وسئل محمد بن خفيف عن التصوف فقال: "تصفية القلب عن موافقة البشرية، ومفارقة أخلاق الطبيعة، وإخماد صفات البشرية، ومجانبة دعاوَى النفسانية، ومنازلة الروحانية، والتعلق بعلوم الحقيقة، واستعمال ما هو اولى على السرمدية؛ والنصح لجميع الأمة، والوفاء لله على الحقيقة، واتباع الرسول صلى الله عليه وسلم فى الشريعة" [طبقات الصوفية/124].

ويقول ابن أبى سعدان: "الصوفى هو الخارج عن النعوت والرسوم، والفقير هو الفاقد للأسباب؛ ففقد السبب أوجب له اسم الفقر، وسهل له الطريق إلى المسبب، وصفاء الصوفى عن النعوت والرسوم ألزمه اسم التصوف؛ فصفى عن ممازجة الأكوان كلها، بمصافاة من صافاه فى الأزل بالأنوار والمبار" [طبقات الصوفية/115].

وقال بندار بن الحسين: "إن الصوفى من اختاره الله لنفسه فصافاه، وعن نفسه برَّاه، ولم يردَّه إلى تعمُّل وتكلُّف بدعوى. وصوفي على زنة عوفي، أى: عافاه الله؛ وكوفي، أى: كافأه الله؛ وجوزوي، أى: جازاه الله. ففعل الله تعالى ظاهر على اسمه" [طبقات الصوفية/125].

كما سئل على بن بندار عن التصوف فقال: "هو إسقاط رؤية الخلق، ظاهراً وباطناً" [طبقات الصوفية/129].

تجدر الإشارة بأن أصحاب هذا التعريف أضعف حجة ممن ربط التصوف بخرقة الصوف.

وهناك من ربط التصوف بالعلاقة مع الله تعالى، وهي علاقة خاصة تثير الكثير من التساؤلات وتتقاطع مع القرآن الكريم وسيرة النبي المصطفى صلى الله عليه وسلم وكبار الصحابة. كالعادة هناك تعارض في الأقوال بين المتصوفة أنفسهم. مثلاً ذكر أبو القاسم الجنيد: "التصوف أن تكون مع الله تعالى بلا علاقة" [الطبقات الكبرى84/1]. في حين يذكر الشيخ أبو الحسن الشاذلي: "التصوف تدريب النفس على العبودية، وردها لأحكام الربوبية" [الطبقات الكبرى222/1]. وسئل أبو الحسن علي بن بندار بن الحسين الصوفي عن التصوف فقال: "هو إسقاط رؤية الخلق ظاهراً، وباطناً" [الطبقات الكبرى124/1]. وهذا الربط يتعلق بما يسمونه بالكشف. كما يذكر ظاهر المقدسي: "إنما سميت الصوفية بهذا الاسم لاستتارها عن الخلق بلوائح الوجد، وانكشافها بشمائل الفضل" [الطبقات الكبرى99/1]. ويذكر الشيخ أبو النجيب عبد القادر السهروردي: "أول التصوف علم، وأوسطه عمل، وآخره موهبة، فالعلم يكشف عن المراد، والعمل يعين على الطلب، والموهبة تبلغ غاية الأمل، وأهل التصوف على ثلاث طبقات مريد طالب، متوسط طائر ومنته واصل. فالمريد صاحب وقت، والمتوسط صاحب حال والمنتهي صاحب يقين" [الطبقات الكبرى144/1]. ويضيف الشيخ عبد الرحمن الوكيل: "التسمية بالعارف بدعة صوفية تخفي وراءها كيداً خفياً للشريعة؛ إذ الغاية عندهم المعرفة وحدها لا العبادة، معرفة أن الحق عين الخلق. أما الغاية الحقة لكل مسلم، فهي الإيمان الصحيح مع



التوحيد الخالص، مع التقوى، وكم من عارف صوفي دينه أساطير، ودعوته مجوسية" [راجع هامش مصرع التصوف186/1]. وقد سئل البسطامي عن التصوف أجاب: "صفة الحق يلبسها العبد" [شطحات الصوفية لبدوي/110]. ومنها سئل أبو حمزة الخراساني عن الصوفي؟ فقال: من صفى من كل درن، فلم يبق فيه وسخ المخالفات بحال" [طبقات الصوفية/95].

وهناك من أرجع مفهوم الصوفية إلى الكلمة اليونانية (سوفيا) أي الحكمة، فقد أشار نيكلسون إلى ذلك بقوله: "إن بعض الباحثين من الأوروبيين يردها إلى الكلمة الإغريقية: سوفوس، بمعنى ثيو صوفي" [الصوفية في الإسلام/11]. منهم المستشرق فون هامر وكذلك بعض الكتاب العرب، لعلهم يستدلون بذلك من خلال قول ابن عربي: "من شروط المنعوت بالتصوف، أن يكون حكيماً ذا حكمة. وإن لم يكن؛ فلا حظ له من هذا اللقب" [الفتوحات المكية266/2]. أو ما ذكره البيروني في حديثه عن الهنود: "منهم من كان يرى الوجود الحقيقي للعلة الأولى فقط، لاستغنائها بذاتها فيه، وحاجة غيرها إليها، وأن ما هو مفتقر في الوجود إلى غيره، فوجوده كالخيال غير حق، والحق هو الواحد الأول فقط. وهذا رأي (السوفية) وهم الحكماء، فإن (سوف) باليونانية الحكمة وبها سمي الفيلسوف (بيلاسوبا)، أي محب الحكمة. ولما ذهب في الإسلام قوم إلى قريب من رأيهم، سموا باسمهم، ولم يعرف اللقب بعضهم فنسبهم للتوكل إلى [الصفة]، وأنهم أصحابها في عصر النبي صلى الله عليه وسلم، ثم صُحّف بعد ذلك، فصُيّر من صوف التيوس" [تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة/27]. كما ذكر د. محمد جميل غازي: "الصوفية كما نعلم اسم يوناني قديم مأخوذ من الحكمة [صوفيا] وليس كما يقولون إنه مأخوذ من الصوف" [الصوفية الوجه الآخر/47].

كما ذكر الشيخ عبد المجيد سليم في تحقيقه لكتاب كتاب "الفتاوى/ التسهيل" للإمام أبي عبد الله محمد بن علي الحنبلي: "الصواب أن التصوف اسم أعجمي قديم كان ولا يزال معروفاً عند وثني الهند وأصله عند قدماء اليونان (ثيو صوفي) ومعناه المتجرد لطلب الحقيقة الأولى التي انبثق عنها الوجود وهي عندهم الحقيقة الإلهية أو نحو هذا، ولهذا كانت الصوفية ديناً آخر غير الإسلام دخيلٌ عليه" [كتاب الفتاوى/ 611].

هناك من ربط المصطلح بعوامل أخرى أقل أهمية، وهي في الحقيقة تفاسير وصفات أكثر منها تعاريف، حيث يذكر أبو عمرو الدمشقي: "التصوف غض الطرف عن كل ناقص ليشاهد من هو منزه عن كل نقص" [الطبقات الكبرى99/1]. ويقول أبو القاسم الجنيد: "بني التصوف على أخلاق ثمانية من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام: السخاء وهو لإبراهيم، والرضا وهو لإسحاق، والصبر وهو لأيوب والإشارة وهي لزكريا.والغربة وهي ليحيى، ولبس الصوف وهو لموسى، والسياحة وهي لعيسى، والفقر وهو لمحمد صلى الله عليه وسلم وعليهم أجمعين" [الطبقات الكبرى84/1]. كما يذكر ابن البَغَوِيّ الصوفي: "التصوفُ ترك كلِّ حظ للنفْس"، ويضيف: "ليس التصوف رُسوماً ولا عُلوماً، ولكنها أخلاقٌ" [طبقات الصوفية/58]. سئل أحمدُ بنُ محمد بنِ مَسْروق عن التصوفِ فقال: "خُلُوُّ الأسرار مما عنه بُدّ، وتعلقُها بما ليس منه بدّ" [طبقات الصوفية/76]. وسئل طاهراً المقدسي: لم سميت الصوفية بهذا الاسم؟ فأجاب: لاستتارها عن الخلق بلوائح الوجد، وانكشافها بشمائل القصد" [طبقات الصوفية/83]. كما قال أبو عمرو الدمشقي: "التصوف رؤية الكون بعين النقص، بل غض



الطرف عن كل ناقص ليشاهد من هو منزه عن كل نقص" [طبقات الصوفية/83]. ويقول الشيخ أبو بكر الشبلي: "التصوف ضبط حواسك، ومراعاة أنفاسك، إنه التآلف والتعاطف" [طبقات الصوفية/97]. كما سئل الشيخ المرتعش عن التصوف فقال: "الإشكال، والتلبيس، والكتمان" [طبقات الصوفية/100]. وذكر مظفر القرميسيني: "التصوف هو الأخلاق المرضية" [طبقات الصوفية/109]. وسئل محمد بن داود الدقي: ما علامة الصوفي؟ فقال: "أن يكون مشغولاً بكل ما هو أولى به منه غيره، ويكون معصوماً عن المذمومات" [طبقات الصوفية/121]. كما ذكر الجنيد: "التصوف مبني على ثمان خصال: السخاء، والرضا، والصبر، والإشارة، والغربة، ولبس الصوف، والسياحة، والفقر" [الرسالة القشيرية235/1]. ويلاحظ أن هناك خلط ما بين التعريف والوصف في أحاديث المتصوفة أنفسهم.

لم نستعرض تعاريف المؤلفين الجدد وأصحاب الموسوعات طالما أن التعاريف موجودة في كتب المتصوفة أنفسهم، وهي واضحة لا تحتاج إلى الشرح والتأويل والاستنباط.

لكن من المهم الإشارة إلى ما ذكره أبو بكر بن محمد بن علي بن جعفر الكتاني حول أعداد وأشكال كبار المتصوفة بقوله: "النقباء ثلاثمائة، والنجباء سبعون، والأبدال أربعون، والأخيار سبعة، والعمد أربعة، والغوث واحد فمسكن النقباء المغرب والنجباء مصر، والأبدال الشام، والأخيار سياحون في الأرض، والعمد في زوايا الأرض، والغوث مسكنه بمكة فإذا عرض حاجة من أمر العامة ابتهل فيها النقباء ثم النجباء ثم الأبدال ثم الأخيار ثم العمد ثم الغوث فلا يتم الغوث مسألته حتى تجاب دعوته" [الطبقات الكبرى110/1].

أما أركان التصوف، فقد ذكر أبو بكر الكلاباذي عن أبو الحسن محمد بن أحمد الفارسي: "أركان التصوف عشرة. أولها: تجريد التوحيد ثم فهم السماع وحسن العشرة وإيثار الإيثار وترك الاختيار وسرعة الوجد والكشف عن الخواطر وكثرة الأسفار وترك الاكتساب وتحريم الادخار. معنى تجريد التوحيد أن لا يشوبه خاطر تشبيه أو تعطيل. وفهم السماع أن يسمع بحاله لا بالعلم فقط. وإيثار الإيثار أن يؤثر على نفسه غيره بالإيثار ليكون فضل الإيثار لغيره. وسرعة الوجد أن لا يكون فارغ السر مما يثير الوجد ولا ممتلئ السر مما يمنع من سماع زواجر الحق. والكشف عن الخواطر أن يبحث عن كل ما يخطر على سره فيتابع ما للحق ويدع ما ليس له. وكثرة الأسفار لشهود الاعتبار في الآفاق والأقطار. قال الله تعالى: ﴿**أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ**﴾ [الروم:9]، ﴿**قُلْ سِيرُوا فِي الأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ**﴾ [العنكبوت:20]، وقيل في قوله عز وجل: ﴿**قُلْ سِيرُوا فِي الأَرْضِ**﴾ قال بضياء المعرفة، لا بظلمة النكرة، ولقطع الأسباب ورياضة النفوس وترك الاكتساب لمطالبة النفوس بالتوكل، وتحريم الادخار في حالة لا في واجب العلم" [التعرف لمذهب أهل التصوف].



تعريف موجز للصفوية

يذكر د. علي شريعتي وهو فيلسوف فارسي متخصص بدراسة العقائد: "إن التشيّع الصفوي هو في الأساس فرقة طائفية مناوئة للمجتمع المسلم، وتقوم فلسفة وجوده على أساس بثّ الفتنة وزرع الاختلاف بين أعضاء الجسد الإسلامي الواحد، والانفصال عن الجسد الإسلامي الأم الكبير، وما وجد التشيّع الصفوي إلاّ من أجل تحقيق هذا الغرض".

ويضيف شريعتي: "لم تكن الصفوية تقتنع وتكتفي بدور الدين والمذهب في تبرير الوضع القائم وإضفاء القدسية على ما هو كائن وموجود، بل كانت تطمح إلى ما هو أبعد من ذلك في استخدام المذهب كقوة تحريكية وآلة للانتقام من المذهب السنّي".

ويشخص العلة: "أنّ مشكلة الصفوية تكمن في حاجتها بالذات إلى عناصر التأليب وتأجيج المشاعر والنعرات الطائفية والمذهبية، وعلى خلاف بقية الأنظمة وهياكل الحكم"، موضحاً بأن "المذهبين التشيّع العلوي والتشيّع الصفوي لهما من حيث الاسم نفس الأصول ونفس الفروع مما يجعل قضية الفرز أكثر تعقيداً، ذلك أن التشيّع الصفوي جاء وأرسى دعائمه على هيكلية مشابهة لهيكلية التشيّع العلوي. واستعار نفس القوالب الفكرية والعقائدية بعد أن أفرغها من مضمونها، مستعيناً بعلماء من ذوي الخبرة والاختصاص، ليتسنى له تمرير هذه العملية على ذقون الناس. وقد نجحت الخطة فعلياً؛ إذ لم ينتبه الناس لعملية التبديل تلك رغم أنها طالت كل شيء وشملت الله والكتاب والنبي والإمام وسائر الشخصيات البارزة في الدين والتاريخ، وتم الإبقاء على القشور فقط" [راجع التشيع العلوي والتشيع الصفوي].

يلاحظ: أن الرافضة غالباً ما يصفون إسماعيل الصفوي بأنه قائد عظيم، ويمجدونه بشكل يثير التقزز والاشمئزاز.

على سبيل المثال: يذكر الشيخ جعفر السبحاني: "إن الصفويين هم أسرة الشيخ صفي الدين العارف المشهور في أردبيل المتوفى عام 735 هـ. وعندما انقرضت دولة المغول انقسمت البلاد التي كانت تحت نفوذهم إلى دويلات صغيرة شيعية وغير شيعية، إلى أن قام أحد أحفاد صفي الدين، الشاه إسماعيل عام (905 هـ) بتسلم مقاليد الحكم والسيطرة على بلاد فارس، وإقامة حكومة خاصة به استطاع أن يمد نفوذها ويبسط سلطتها، واستمر في الحكم إلى عام (930 هـ)، ثم ورثه أولاده إلى أن أقصوا عن الحكم بسيطرة الأفاغنة على إيران عام (1135هـ)، فكان الصفويون خير الملوك، لقلة شرورهم وكثرة بركاتهم، وقد راج العلم والأدب والفنون المعمارية أثناء حكمهم، ولهم آثار خالدة إلى الآن في إيران والعراق، ومن وقف على أحوالهم ووقف على تاريخ الشيعة يقف على أن عصرهم كان عصر ازدهار التشيع"، وينتقد الموقف من الشيعة: "إن الآراء الساقطة في تحليل تاريخ الشيعة ومبدأ تكونهم، كلها كانت أمورا افتراضية بنوها على أساس خاطئ وهو أن الشيعة ظاهرة طارئة على المجتمع الإسلامي بعد عهد النبي، سامح الله الذين لم يتعمدوا التزييف وغفر الله لنا ولهم" [أضواء على عقائد الشيعة الإمامية/ 96].



وسنذكر بعضاً من بركات الشاه الصفوي التي تحدث عنها السبحاني، ونقول سبحان الله؟ يا لكذبك يا سبحاني!

في البدء حول تطور الفنون والعلوم على يد الشاه الصفوي، ينقل الدكتور إسماعيل نوري عن صاحب كتاب "تاريخ الأدبيات الإيرانية": أن الشاه إسماعيل كان شديد الحساسية بالنسبة للعلماء والفنانين وسائر المفكرين، وكان من سيرته أنه كان يطلب منهم القول "بأن يشهدوا أن علياً ولي الله"، فمن يلفظها يطلق سراحه، ومن يرفض يقطع رأسه أو يلقى به في النار. على سبيل المثال وليس الحصر: قيامه بقتل اثنين من علماء السنة في شيراز وأصفهان وهما العلامة "مير حسين مبيدي" والعلامة "الأمير غياث الدين محمد الأصفهاني"، بسبب رفضهم لعن الخلفاء الثلاثة.

يلاحظ: أنه رغم سلمية أهالي بغداد الذين لم يقاوموا إسماعيل الصفوي خلال هجومه على بغداد إلا بعد الاتفاق بين الشاه مع الخليفة الضعيف الذي تعرض إلى خيانة من وزيره وخدعة من الشاه؛ لذا فإن الإرهاب الذي مارسه الشاه من قتل وحرق وتخريب وإغراق الكتب في نهر دجلة، لا يمكن تبريره إلا بالحقد التأريخي الفارسي الشديد على العرب؛ إذ من المعروف أن الفاتحين والغزاة الذين يسيطرون على البلاد الأخرى ولا يجدون مقاومة من قبل الشعوب المحتلة أو يعقدون اتفاقاً بالتسليم دون التعرض لهم بالقتل والتخريب، فإن الفاتحين والغزاة يرأفون بهذه الشعوب المسالمة أو المهادنة، ولا يستخدمون العنف المفرط ضدهم، على العكس ممن يقاومهم ويقاتلهم أو يرفض التسليم لهم.

والشاه الصفوي لم يستخدم العنف مع الشيعة والنصارى واليهود وبقية الأقليات، وإنما مع أهل السنة فقط! ولم يكتفِ بأن يعم شره على الأحياء فحسب بل نكل بالأموات، حيث نبش القبور، وهشم الجثث بالقضبان وأحرقها. ومنها مرقد الحنيفة النعمان، كما هدم المدارس الفقهية لأهل السنة، وحرق المكتبات العائدة لهم، وأغرق ملايين المجلدات في نهر دجلة، كما خرب وأحرق مساجد أهل السنة، وقتل سلف القادة العظام من أحفاد الصحابة كخالد بن الوليد. وهذا ليس بالأمر الصعب على مجرم لم يتورع عن قتل أمه بسبب تمسكها بمذهبها الحنفي. بل إنه قتل الملك شيروان وطبخه وأمر قزلباشيته بأكله، فعملوا الواجب والتهموا ملكهم، كما يفعل آكلوا لحوم البشر.

للمزيد من جرائم هذا الصفوي الإرهابي يمكن الرجوع إلى كتاب الأستاذ عبد العزيز بن صالح المحمود "عودة الصفويين".

في حين عَمَرَ العتبات المقدسة للشيعة وكرم العلماء الشيعة وأغدق عليهم المال والمناصب. يقول الدكتور علي الوردي في كتابه "لمحات اجتماعية" عن الشاه عباس: "إن الشاه عباس فعل ببغداد عند احتلالها مثلما فعل جده الشاه وربما زاد عليه، فقد هدم مرقد الإمامين أبي حنيفة وعبد القادر الكيلاني رضي الله عنهما وقتل عددًا كثيراً من أهل السنة، وقد نجا الباقون بشفاعة كليدار الحضرة الحسينية".

ويذكر محسن الأمين العاملي في محاولة للالتفاف على أجداده الصفويين برمي الكرة في ملعب العثمانيين: "كان سلاطين بني عثمان لا يزالون في حروب مع سلاطين الفرس الصفوية، وقتل السلطان سليمان العثماني من الشيعة في الأناضول أكثر من أربعين ألف لم يكن لهم ذنب إلا أنهم شيعة" [الشيعة في مسارهم التأريخي]. مع أن العثمانيين تسامحوا مع الشيعة العرب ولم يقفوا بوجه التبشير الشيعي وإقامة الشعائر في عاشوراء، بل كانت الشعائر تجري بوجود الولاة العثمانيين.



في حين أمر الشاه الصفوي خطباء المساجد في بغداد بلعن وسب كبار الصحابة، أبي بكر وعمر وعثمان ومعاوية. وبلغ عدد قتلاه ما يزيد عن مليون من أهل السنة، وكان يمتحن أهل السنة من خلال شتم الصحابة وأم المؤمنين فمن رفض قتله على الفور. والمشكلة أن أهل السنة لا يؤمنون كالشيعة بالتقية، ولو كان قد عملوا بها لما ضحوا تلك التضحيات الجسيمة. بمعنى لو كانت المعادلة مقلوبة لكان الشيعة قد شتموا ولعنوا كل الأئمة وجعلوا عاليهم سافلهم بحجة التقية.

كان الشاه المجرم يرسل دعاته في الأسواق والطرق ليسبوا الصحابة، ويحفزوا الناس على الاقتداء بهم. واعتبر نفسه الضالة إلهاً؛ فأمر جنوده بالسجود له، وأباح لهم سرقة ممتلكات أهل السنة وزوجاتهم حسب وصية الإمام الصادق وخلفه.

وروى الشيخ الصدوق عن داود بن فرقد قال: "قلت لأبي عبد الله عليه السلام: ما تقول في الناصب؟ قال: حلال الدم لكني أتقي عليك؛ فإن قدرت أن تقلب عليه حائطاً أو تغرقه في ماء لكيلا يشهد به عليك فافعل. قلت: فما ترى في ماله؟ قال خذه ما قدرت" [وسائل الشيعة 463/18]. لاحظ كأن التأريخ أعاد نفسه! نفس هذه الممارسات الإجرامية بالضبط فعلها جيش المهدي، فقد هجموا عام 2006 على مساجد أهل السنة فأحرقوها وخربوا ما فيها بما فيها نسخ القرآن الكريم وسرقوا السجاد والأثاث، واستولوا على المئات منها وحولوها من بيوت الله (جوامع ومساجد) إلى بيوت الحسين (حسينيات)، كما قتلوا مئات الآلاف من أهل السنة على الهوية، سيما من اسمه بكر وعمر وعثمان وعائشة، وأحرقوا البشر ومنهم طفل من أهل السنة طبخوه ووضعوه فوق الرز وأرسلوه إلى أهله في منطقة الأمين الثانية. وآخر في زيونه لأن اسمه عمر، وكذلك الشيخ أبو عمر المشهداني الذي شوي بالفرن في منطقة الدورة. كما أنهم يقومون - بحماية الشرطة والجيش مستغلين سيارات الحكومة سيما الشرطة - باستخدام مكبرات الصوت والدخول للأحياء السنية، واستفزازهم بشتم أم المؤمنين عائشة وكبار الصحابة.



طبيعة التشابه بين مصطلحي الصوفية والصفوية

إن الصراع الفكري بين الفرق الإسلامية وانعكاساته السلبية على أمتنا العربية والإسلامية، سيما أن جذوره عميقة تمتد لحوالي أربعة عشر قرناً، يتطلب وقفة جادة لتحديد مواطن الزلل وكيفية الخروج منها بعد أن سددنا ثمنها من دمائنا طوال أربعة عشر قرناً، ولكي نجنب الأجيال القادمة دفع المزيد من الدماء البريئة لاختلافات ليسوا هم طرفاً فيها، أصلها سياسي من أجل الزعامات والكراسي، وليست خلافات دينية. هذه المشكلة هي فعلاً العقبة الكؤود التي تعرقل مسيرتنا النهضوية، وتشل عقولنا عن التفكير بمستقبلنا ومستقبل أبنائنا التي لا محالة ستلعن كل من قام بتعتيم مصيرها وضَيع ثرواتها وسَبَبَ تخلفها عن ركب الحضارة.
إن كنا نعاني من تداخل وتشابك المصالح الدينية والسياسية ونحن على عتبة الألفية الثالثة؛ فإن الدول المتطورة عانت منها قبلنا خلال القرون الوسطى، وتجاوزتها عندما فصلت بين السلطتين الدينية المتمثلة بالكنيسة، والسياسية المتمثلة بالسلطة الحاكمة. وهذا البعد الزمني الهائل يؤشر درجة التباين الحضاري الخطير بيننا وبينهم. إنها مسألة قرون وليست عقود وسنين حتى يمكن تجاوزها بسهولة!
فهم يمشون للأمام ونحن نتراجع للوراء، هم ينتجون ونحن نستهلك، هم يزرعون ونحن نأكل، هم مشغولون بالعلوم والمخترعات ونحن مشغولون بالمذاهب والفتاوى البليدة. هم ينتجون الأسلحة ونحن نقاتل بها بعضنا البعض.هم يصنعون القوة من ثرواتنا ويستعينون بها علينا، ونحن نرفع أيدينا للسماء، ومثبتين اقدامنا كالمسامير، مبتهلين العون من الله ونصرته دون أن نُعين أنفسنا قليلا وننهض من كبوتنا.
تحدث ابن زنبل الرمال عن موقعة مرج دابق التي انتصر فيها السلطان سليم على المماليك وأسر اميرهم "كرتباي"، سأل السلطان أسيره عن رأيه في أسباب هزيمة جيش المماليك؟ فأجابه كرتباي: ذلك أمر قضاه الله سبحانه وتعالى وقدره منذ الأزل. نصركم ليس بقوتكم ولا بفروسيتكم! بهذه الطريقة برر سبب هزيمته وليس بسبب ضعف جيشه وقلة الزاد والعتاد والخيانة [كتاب آخرة المماليك].
لاحظ الهزيمة جعلت "إرادة الله" حتى فشلنا وهزائمنا نعزيها للسماء! العجيب إنهم يعزون النجاح لأنفسهم، بينما يعزون الفشل إلى الله تعالى! ويا ويلنا من غضب السماء!
عندما أطلق ماركس مقولته الشهيرة: "الدين أفيون الشعوب"، لعن العالم الإسلامي ماركس وسفه فلسفته الدينية، وصدرت فتاوى وعاظ السلاطين لتكفير الشيوعيين، وكانت تورية بمعنى إجازة لسفك دمائهم؛ رغم أن ماركس كان يتحدث عن الدين المسيحي كظاهرة تأريخية واجتماعية أكثر منها لاهوتية، وعلى ضوء الكتاب المقدس وليس القرآن الكريم. فهو كفيلسوف على بينة من الفساد الذي كان يعشعش في سقوف الكنيسة المسيحية، ودجل القساوسة واستغفالهم وتغييبهم لعقول الناس بقصد جني ثمار تخلفهم من طاعة وثروة. وفي كتابه "حول الدين" تضمن ثلاث رسائل فقط حول الدين الإسلامي عنت بدراسة مقتضبة عن تأريخ وجغرافية شبه الجزيرة العربية قبل وبعد البعثة المحمدية وليس مناقشة العقيدة الإسلامية، فماركس نفسه صاحب المقولة الشهيرة لحل مشاكل البشرية: "الإسلام هو الحل" بمعنى أنه يشهد بأن الإسلام هو الحل لمشاكل الإنسانية ونحن نرى فيه معضلة!



ولا نقصد بذلك الإسلام بجوهره النقي ورسالته السمحاء، بل الإسلام السياسي وما أفرزه من مذاهب متناحرة، وأحزاب عميلة وفاسدة تتخذ من اسم الله تعالى والإسلام عنواناً لها. أحزاب تتوحد فيها إرادة أدعياء الدين مع إرادة أقزام السياسة لتمزيق الأمة وتسفيه العقل المسلم.
الدين الإسلامي الحنيف ليس دين الخزعبلات والدجل والنفاق الذي يعبر عنه وعاظ السلاطين من خلال فتاوبهم المثيرة للسخرية، كما أن الشخصيات الإسلامية التي حملت مشاعل نور الإيمان لتنير دهاليز الجهل وأقبية التخلف هي ليست نفس الشخصيات المهزوزة التي يتحدث عنها وعاظ السلاطين. وآل البيت رضوان الله عليهم الذين طهرهم رب العزة من الرجس، هم ليسوا نفس الأئمة السحرة والمشعوذين والدجالين اصحاب المعجزات والأساطير ممن يتحدث عنهم وعاظ الصفوية، والدين الإسلامي الحنيف هو ليس دين المتصوفة والدراويش القابعين في التكايا والصومعات يرتزقون من النذور والهبات .. الإسلام أطهر من أن يتلوث بأيدي تجار الدين والطفيليات التي تتغذى على أموال العوام من الجهلة والسذج، والمترهل بهم مجتمعنا الإسلامي مع الأسف الشديد.
كنا قد تحدثنا عن وعاظ المنابر الحسينية، ودورهم الهدام في تسفيه العقل الشيعي، وسنتحدث عن دور المتصوفة والدراويش في تسفيه العقل السني. فهما تؤامان سياميان يستخدمان نفس الأسلوب والمنهج الشعوبي، ولهما نفس الهدف، وهو تشويه الإسلام وتقديم نسخة مشوه عنه لغير المسلمين، وعندما ترجع للأصول التأريخية لفرق التصوف ستجد أن للفرس دوراً كبيراً في نشأتهم ورعايتهم وتوجيههم لتنفيذ مخططاتهم الشعوبية في المنطقة العربية. فالصفوية والصوفية هما وجهان لعملة فارسية واحدة، رغم أن الصفوية كمصطلح - وليست فكرة - ارتبطت بالحكم الصفوي، وكفكرة نفذت في فجر الإسلام، فالصفوية والصوفية هما من أمضى أسلحة الشعوبية وأكثرها فتكاً وضرراً على الإسلام والمسلمين. يذكر المستشرق الانكليزي أدورد براون في كتابه (التأريخ الأدبي لبلاد فارس) بأن "التشيع والتصوف هما السلاحان اللذان استخدمهما الفرس في حربهم ضد العرب" وهذه حقيقة لا يمكن إنكارها، فشواهد التأريخ القديم والمعاصر تدعم هذا الرأي.
لا أعرف إذا كان التشابه بين المصطلحين (الصوفية والصفوية) هو محض صدفة؟ أم أن هناك ارتباط وثيق بين المصطلحين في ظل تشابه الوسائل والغايات. فالمتصوفة يزعمون بأن فكرة التصوف ترجع جذورها أيضاً لآل البيت، ويرتبط التصوف أصلاً بالإمام علي بن أبي طالب وخلفه.
[للمزيد راجع كتب التعرف لمذاهب أهل التصوف/ الكلاباذي أبو بكر].
مثلاً عبد القادر الكيلاني [مؤسس الطريقة القادرية] يدعي بأنه أخذ طريقته عن الحسن البصري والأخير عن الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه؛ لذا ليس من الغرابة أن تُنسب إليه نفس قدرات الإمام علي نفسه كإحياء الموتى، ومعرفة علم الغيب، والقول للشيء "كُن فيكن"، وإبرهيم الدسوقي (مؤسس الطريقة الدسوقية) يرجع نسبه إلى البيت العلوي، ومؤسس الطريقة المولوية محمد بن محمد بن محمد بن حسين الهاشمي (المكنى بجلال الدين الرومي) يرجع نسبه إلى بني هاشم، سنناقش هذا الموضوع في فصل لاحق.
من الجدير بالملاحظة: أن معظم مؤسسي التصوف هم من الفرس كمعروف الكرخي، شقيق البلخي، السهروردي، إبراهيم بن أدهم، أبو منصور الحلاج، أبو يزيد البسطامي، صفي الدين إسحاق



الأردبيلي، عبد القادر الكيلاني، جلال الدين الرومي. ويمكن الجزم بأنه لم يكن في القرنين الثالث والرابع متصوفاً عربياً إلا ما ندر؛ لذلك ليس من الغرابة أن يكون التصوف أحد معاول تدمير بنية الإسلام، فإن استعصى فهم أسباب انحلال أمتنا الإسلامية، فتش دائماً عن الفرس، فإن لم يكونوا عنصراً رئيساً كانوا عنصراً ثانوياً، إن لم يكونوا في العلن فهم وراء الستر. لم يؤثر في تأريخهم السياسي منفعة للإسلام والمسلمين بل العكس تماماً.

عندما تحضر لحلقات الذكر والدروشة وتسمع الأوراد والأذكار التي يذكرونها، تستذكر أدعية مفاتيح الجنان وضياء الصالحين، وعندما تتعالى أصوات الدفوف تستذكر صوت الطبول والمزامير التي يستخدمها الصفويون لإحياء مراسم كربلاء. وعندما يغرز الدراويش الدرباشات والسيوف في أجسادهم تستذكر القامات والسيوف والسلاسل الحديدية التي يستخدمها الصفويون في مراسم عاشوراء. وعندما تنظر إلى طبيعة الحضور في المناسبات الصوفية والصفوية ستجد أن غالبيتهم من العوام والفقراء والمتخلفين تعليمياً وثقافياً.

إنها ممارسات هجينة لا علاقة لها بالإسلام عن قريب أو بعيد، فلم نعرف عن الرسول الأعظم صلى الله عليه وسلم وكبار الصحابة وآل البيت من مشى منهم على الماء، أو طار في الهواء، أو أكل الجمر، أو حول العصا إلى رجل يقضي له حوائجه، أو يفترش المسامير وينام عليها كما يفعل أصحاب الطرق الصوفية.

ومثلما كانت مراسيم عاشوراء مستوحاة من الديانة المسيحية القديمة على يد الشاه إسماعيل الصفوي، فإن ممارسات الدراويش مستوحاة من ديانات شرقية قديمة كالهندوسية والمجوسية والسيخ والبوذية؛ لذا تجد في الهند وتايلند ودول شرقية أخرى من يمارس هذه الأفعال الجنونية وهم غير مسلمين ولا علاقة لهم بالتصوف! إنها إذن فنون أو سحر أو خفة أو شيء آخر، سَمِها ما شئت ولكنها بالتأكيد لم ولن تكون عبادة، ولاعلاقة لها بالإسلام. بل هي مصادرة لحقوق الله وتمليكها للبشر.

في معركة أحد جُرح الرسول صلى الله عليه وسلم، وشَج عبد الله بن شهاب جبهته، وأصابه ابن قمئة الليثي بأنفه ونزف دماء كثيرة، تمكنت ابنته فاطمة بصعوبة من وقف النزيف. وعندما هاجر من مكة إلى المدينة قطع المسافات البعيدة مشياً على الأقدام، وليس طائراً أو طوياً للأرض كما يسبغ الدراويش من صفات على أقطابهم. وفي ترحاله يأخذ ما يلزمه من الماء والطعام كعدة للسفر، ولا يمتنع عن الأكل والشرب شهوراً وأعواماً، كما يدعي الدراويش مخالفين بذلك سنن الله ونواميس الطبيعة البشرية.

لو افترضنا جدلاً بأن للدراويش القدرة على الطيران والمشي على الماء، والمكوث أشهراً بلا زاد ولا ماء، ويغرزون السيوف والدرباشات بأجسادهم دون دماء أو وجع، واعتبرناها كرامات مثلما يزعمون! فما الذي قدموه بقدراتهم تلك من خدمات للبشرية؟ وما نفع المسلمين من هذه الكرامات؟ ولماذا لا يوجهون سيوفهم إلى نحور أعداء الإسلام بدلاً من نحورهم؟ وإن كانوا يطيرون في السماء ويمشون على الماء، لماذا لم يسخروا هذه القدرات الخارقة لمنفعة الجيوش الإسلامية من خلال رفدها بمعلومات عن قوات وتحركات الأعداء على أقل تقدير؟ يحدثنا التأريخ عن مواقفهم المخزية خلال الحروب الصليبية حيث تعانوا مع الأعداء. والحروب الفارسية ضد الامبراطورية العثمانية التي



كانت سبباً رئيساً في إضعاف شوكة الخلافة، ووقف نشر الإسلام وتوسيع رقعته الجغرافية في أوروبا.

يذكر زكريا بيومي سليمان بعض ما جاء في رسالة (البوكيرك) الحاكم البرتغالي في الهند إلى الشاه إسماعيل الأول حيث يقول له فيها "إنـي أقدر لك احترامك للنصرانيين في بلادك وأعرض عليك الأسطول والجند والأسلحة، لاستخدامها ضد قلاع الترك (الدولة العثمانية) في الهند. وإذا أردت أن تنقضَّ على بلاد العرب أو تهاجم مكة فستجدني بجانبك في البحر الأحمر، أمام جدة أو في عدن أو في البحرين. أو القطيف أو البصرة، وسيجدني الشاه بجانبه دوماً على امتداد الساحل الفارسي، وسأنفذ له كل ما يريد" [قراءة جديدة في تاريخ العثمانيين/63].

ويذكر شاهين مكاريوس "بعد نزول (أنتوني شرلي) الإنجليزي وأخوه الأصغر(روبرت) ضيوفاً على الشاه (عباس) في إيران لمدة ستة أشهر. استشار الشاه (أنتوني) وهو الأخ الأكبر في أمر الحرب مع العثمانيين. فأشار عليه بتعليم جنوده أولاً المبادئ العسكرية. ثم التحالف مع دول أوروبا ضد السلطنة العثمانية، فرضي الشاه بقوله، وانتدبه سفيراً له ينوب عنه أمام حكومات أوروبا في هذا الأمر، وأصدر (فرمانا) بذلك، مما يدل على ثقته التامة بهذا الرجل الإنجليزي، والذي صار فيما بعد من أعظم المُقربين إليه" [تاريخ إيران/154].

من جهة أخرى، يشير الرواة بأن الرسول صلى الله عليه وسلم عمل في الرعي والتجارة، وأبو بكر الصديق عمل في تجارة الأقمشة، وفي اليوم التالي لخلافته حمل أقمشته على كتفيه ليتاجر بها. والفاروق رضي الله عنه عمل في التجارة أيضاً. والإمام علي رضي الله عنه عمل في الزراعة، والزبير بن العوام رضي الله عنه في الخياطة، وكذلك بقية الصحابة الأجلاء. فهم لم يتميزوا عن بقية الناس بسبب مكانتهم الدينية الرفيعة. وكانوا يخالطون الناس ويعلمونهم ويشرحون لهم مسائل العقيدة، ولم يعتكفوا في صومعات وتكايا يرددون الأذكار والأوراد ليلاً ونهاراً عاطلين بحجة الزهد. ولم يعتاشوا على الهبات والنذور والهدايا كالدراويش والسادة. فلا خير في إنسان سليم معافى يعيش على تعب وعرق الآخرين دون أن يشاركهم جهدهم. في حين عمل الدراويش لا يزيد عن حلقات ذكر ودروشة وترويج خرافات ومغالاة وشطط. أفعال بلا نفع ولا دفع، ولا يوجد لها موقع على خارطة الإسلام الصحيحة، بل مثبتة على خارطة الشرك والدجل، بهدف تمويه الناس وحجب الحقيقة عنهم، وتَغييب عقولهم وشَل إرادتهم، ومن المؤسف أن أتباعم يثقون بهم ثقة عمياء، ويسبغون عليهم عصمة بلهاء كأنهم أولياء معصومين لا يأتيهم الباطل من بين أيديهم ولا خلفهم.

إن عملية استرجاع الوعي لجماهير المتصوفة وأتباع المراجع الشيعية، وإخراجهم من صدفة الأعراف والتقاليد والطقوس الخاطئة، وسحبهم إلى حلقة النور، وشطب كلمة (مولانا، سيدنا، شيخنا) من عقليتهم، تتطلب رجالاً من طراز خاص لهم إلمام ودراية بالدين والتأريخ وعلم الاجتماع. رجال عندهم إرادة واعية متحفزة وقادرة على التحرك داخل شرنقة المجتمع وتنقيته من الأفكار والمعتقدات الخاطئة، التي يعتبرونها ثوابت في العقيدة مُسلّم بها وغير قابلة للدحض والتمحيص أو المراجعة وحتى المناقشة على أقل تقدير، إضافة إلى القدرة على استقطاب القوى الاجتماعية المحركة والمؤثرة في البنية الاجتماعية وضمها تحت جناح المشروع النهضوي البناء.



يفترض أن تكون تلك القوى الواعية متحفزة ويقظة للتيارات المتخلفة المعادية لتحركها النهضوي بأشكالها المقصودة والعفوية وغير المحسوبة، فرجال الدين الأدعياء سرعان ما يتحولون إلى شياطين مردة عندما تتعرض مصالحهم الشخصية وامتيازاتهم إلى الخطر، والعراق المحتل أبرز دليل على ذلك.

وكلما تمكنت النخب الاجتماعية الرائدة من إجهاض مخططات قوى الظلام في مهدها بسرعة، كلما أمنت لنفسها ولغيرها سلامة المسير والوصول إلى هدفها. فالحكمة تحذرنا كل الحذر من أن قوى الظلام ستتشبث بكل قوتها بعفاريت العقلية الشعبية، وليس من السهل إجبارها على المغادرة وإرجاعها إلى قماقمها المظلمة؛ إنها مهمة صعبة حقاً، ولكنها ليست مستحيلة. وهي مهمة إنسانية ودينية ووطنية تتناغم مع تعاليم السماء وقوانين الأرض.

إن النخب الثقافية ومؤسسات المجتمع المدني والجامعات ومراكز البحوث والدراسات وعلماء الدين الأفاضل ممن لم تصافح أيديهم ثعالب السياسة الماكرة، وكل مواطن يعتز بدينه ووطنه وشرفه يتحمل جزء ولو يسيراً من مسؤولية التوعية والتثقيف الجمعي لمجتمع التخلف والجهل، ويترتب عليه واجب الدفع باتجاه بناء عقلية انسانية واعية متحررة من الأغلال ومتفهمة، تتوافق مع حركة التطور الحتمية، وتتفاعل إنسانياً مع روح العصر.

إذا طال الزمن على الفساد في بلد ما، فإنه سيستوطن العقول ويمدُّ جذوره المهلكة عميقاً في كل الخلايا الاجتماعية ويدمرها تدريجياً، ويُصعب على الوعي والإدراك أن يوقفاه مهما بذلا من جهود، حيث يصعب إقناع الشعب المتخلف بأن فساد الهرم سينحدر شيئاً فشيئاً إلى القاعدة، ويدمر كل من في طريقه. ووقف الفساد السياسي والديني وما يصحابه من ظلم واستعباد وإذلال للشعوب يتطلب وجود النخبة الطليعية المثقفة والرائدة في المجتمع التي تتولى مهمة إنهاض الشعب وتنويره وإعادة تنظيمه ليتولى مهمة الخلاص من قيود الظالمين وكسرها، وغالباً ما تتبلور هذه النخبة لتشكل قيادة حكيمة قادرة على إدارة التحرك الشعبي، وتحويل مساره إلى انتفاضة واعية ومن ثم إلى ثورة ثقافية عارمة تدك حصون وقلاع الطغاة وتهدمها فوق رؤوسهم الخاوية.



الأثر الفارسي في التصوف

يذكر د. زكي مبارك بأن "أهل فارس هم أكثر الناس تصوفاً بين الأمم الاسلامية، وهم أيضاً أشد الشعوب الإسلامية تشيعاً" [كتاب الشيخ البدوي/ د.سعيد عبد الفتاح عاشور].

ومن الجدير بالملاحظة: أن معظم مؤسسي التصوف هم من الفرس، وهذا ليس عيباً؛ إذا جهدوا واجتهدوا في سبيل الإسلام وخدمته، فلا فضل لعربي على أعجمي إلا بإيمانه وتقواه، فأصحاب الصحاح والسنن لأهل السنة فيهم من الفرس وقدموا للإسلام أهم المؤلفات، وأغنوا الإسلام بها، لكن سنجد في متصوفة الفرس رؤية معاكسة؛ لأنهم انحرفوا عن خط الإسلام المستقيم.

معظم المتصوفة من الفرس وأبرزهم معروف الكرخي، شقيق البلخي، حاتم الأصم، إبراهيم بن أدهم، سهل بن عبد الله التستري وهو من بلدة كور الأهواز. أبو منصور الحلاج وكنيته أبو مغيث الفارسي البيضاوي، وصفي الدين إسحاق الأردبيلي وعبد القادر الكيلاني، وأبو حامد الغزالي (ولد في طوس قرب مشهد)، وأحمد الغزالي (أخو أبو حامد الغزالي وكان يطلق عليه معجزة الله في الكذب)، وعين القضاة الهمذاني (أعدم في بغداد سنة 1131 بتهمة الهرطقة)، وروزبهان البقلي (يسمى بشيخ شيراز)، وقطب الدين أبو مظفر بن أردشير المرزوي، وشهاب الدين السهروردي، وفريد الدين العطار (صاحب كتاب تذكرة الأولياء ومنطق الطير ومصيبة نامة "كتاب الابتلاء" وهو من نيسابور وقد قتله المغول، وجلال الدين الرومي (من بلخ)، وصاحب الطريقة المولوية وهم أول من ابتكر الرقص الصوفي، وأبو عثمان الهجويري (من شيوخ الطريقة الحكيمية) وأبو حفص الحداد النيسابوري، وكان أول من أظهر طريقة التصوف في نيسابور، وعبد العزيز بن محمد النسفي، وعبد الرحمن الجامي الفارسي، وأبو محمد المرتعش النيسابوري، وميرزا محمد اختر الدهلوي، وشقيق البلخي (وتلميذاه حاتم الأصم وأبو تراب النخشبي)، وأبو يزيد البسطامي (من خراسان وجده زرادشتيا)، ويحي بن معاذ الرازي من الري، وأبو عثمان الحيري (مؤسس الصوفية في نيسابور)، ويوسف بن حسين الرازي (ينتمي إلى مدرسة أبي تراب الإمام علي) في الري، ويوسف العجمي، وأبو المفاخر يحيى الباخرزي، وعبد الواحد زيدان (أول من أسس خانقاه في عبادان)، وأبو سعيد بن أبو الخير، وابن الخفيف الشيرازي، والشيخ سرمد الفارسي (كان يهودياً ثم أسلم، أعدم عام 1661 وهو صاحب رباعيات مشهورة في التصوف)، وبهاء الدين نقشبند من بخارى. وابو بكر النصراباذي (من نيسابور) وأبو عثمان الحييري النيسابوري وأحمد ابن خضرويه البلخي، ومحمد بكتاش الخراساني النيسابوري مؤسس الطريقة البكتاشية، والمئات غيرهم لكن حصرنا أبرزهم وستجد معظمهم من غلاة الصوفية.

ويدعي معظمهم بأن نسبه - حقاً أو باطلاً - لآل البيت، فإبراهيم الدسوقي يرجع نسبه إلى البيت العلوي. ومحمد بن محمد بن محمد بن حسين يرجع نسبه إلى بني هاشم. والشيخ أحمد الرفاعي يرجع نسبه إلى الإمام موسى الكاظم، وصفي الدين الأردبيلي (خليل العجم) يرجع نسبه إلى الإمام الحسين وهكذا.



ويذكر السهروردي بأن صوفية خراسان كان يطلق عليهم تسمية (شكفتية) لأنهم يأوون إلى الكهوف والمغارات، ولا يسكنون القرى والمدن.

ويلاحظ أن الكثير من الطرق الصوفية تعتبر الإمام علي رضي الله عنه قطبهم الأول، وأخذوا خرقة التصوف منه، وأن اثنين من الطرق الصوفية هما (البريلوية) و(البكتاشية)، ألّهت الإمام علي (كطائفة على اللهية في العراق) ودعائهم الرئيس يسمى (دعاء السيف)، ومما جاء فيه: "نادي علياً مُظهر العجائب، تجده عوناً لك في النوائب. كل هم وكل غم سينجلي بولايتك ياعلي، يا علي".

والبكتاشيون هم أصحاب عقيدة التثليث المأخوذة من النصرانية وحوروها إلى [الله، محمد، علي]! ولم يقتصروا على عقيدة التثليث فحسب، بل قلدوا النصارى في الاعتراف بخطاياهم أمام شيوخهم، كما أن معظم شيوخ الطرق هم من الفرس، فالطريقة المولوية تعود لجلال الدين الرومي، والطريقة الحلمانية أسسها أبو حلمان الفارسي الحلبي، والقشيرية تعود لأبي القاسم القشيري بن هوازن ومات في نيسابور، والقادرية تعود لمحي الدين عبد القادر الكيلاني وهو اعجمي من كيلان، والطريقة الخفيفية تعود إلى أبي عبد الله الشيرازي، والحلاجية للحسين بن منصور وهو فارسي، والقصارية تنسب لأبي صالح حمدون بن أحمد القصار النيسابوي، والبكتاشية تنسب إلى حاجي بكتاش من خراسان ونزح إلى تركيا، والركنية تنسب إلى ركن الدين علاء الدولة السمناني (خراسان)، والكبروية تنسب للشيخ نجم الدين الخوارزمي (مدينة خيوة من أعمال خوارزم)، والهمدانية تنسب للفارسي علي بن شهاب الهمداني وكان له دور مميز في نشر التشيع في إيران، والنوربخشية ترجع إلى نوبخرش (مات في الري) ومن أبرز شيوخها طاهر بن رضا القزويني الذي نشر التشيع في فارس والهند، والطريقة المهدوية أسسها محمد بن يوسف الجنبوري، وقد ادعى بأنه المهدي المنتظر، وتوفي في خراسان، والفرقة الذهبية أسسها الفارسي المدعو آغاسيد محمد القريشي، والطريقة الحروفية أسسها فضل الله الحسيني الاسترابادي، والأويسية ومن مؤسسيها جلال الدين علي أبو الفضل [توفي في طهران]، كذلك الملاماتية والنقشبندية والكازرونية والجنابذية والكونايادية والصفائية والاوجاغية والخاكسارية وغيرها.

ويذكر د. كامل مصطفى الشيبي في كتابه "تأريخ الطريقة الصوفية" بأنه "سبقت الدولة الصفوية حركات على أسس التصوف المسلح بزعامة علوية "منها حركة الصفويين العلويين نعمة الله، وفضل الله الحروفي، ومحمد بن عبد الله المكنى (نوربخش) الذي زعم نفسه المهدي، وحركة الصفوي العلوي محمد بن فلاح الذي ثار في منطقة البطائح وادعى أيضاً بأنه المهدي، وقد جمع رسائله وخطبه في كتاب سماه (كلام المهدي)، ومن المعروف بأن أتباع (نوربخش) تميزوا بلبس السواد، وهم أول من لبس العمامة السوداء وصارت تقليداً لعلماء الإمامية فيما بعد [للمزيد راجع مجالس المؤمنين للسيد نور الله التستري].

كما أن الشاه إسماعيل الصفوي كان بدوره متصوفاً وكتب أشعاراً يرددها أصحاب الطرق الصوفية ذات النزعة الصفوية المتشددة كالشبك والبكتاشية والقلزباشية، وقد ذكر إسماعيل عن نفسه: "إن ولايتي الصوفية قد صدرت من ختم النبوة، وكمال الولاية" [للمزيد راجع تأريخ إسماعيل شاه]، ويصف الشيبي حركة إسماعيل شاه بأنها كانت "شيعية الإطار، صوفية المذهب".



هناك بعض العلماء والكتاب الشيعة لا ينكرون العلاقة بين الصوفية والصفوية وهم قلة، وهناك من يصغر أو يهمش من شأن العلاقة، والبعض ينفيها نفياً قاطعاً في محاولة لربط التصوف كحركة مغالية بالتسنن، على اعتبار أن الغلو لا يقتصر على الشيعة فقط، والحقيقة لو سايرنا هذا الاتجاه رغم عدم صحته كما سيتبين فيما بعد، فإنه لا تصلح للمقارنة بين الحالتين، فمعظم حركات وفرق التشيع تتصف بالغلو.

يذكر الشيخ حيدر حب الله في تقديمه لكتاب كولن تيرنر[التشيع والتحول في العصر الصفوي/8]: "كان للمقولات التي أنتجها العهد الصوفي بالغة الأهمية للفكر الشيعي، تماماً كما كانت مقولات العقل الشيعي مؤثرة أيضاً"، ويقدم الشيخ مثلاً على ذلك الأطروحة الصوفية حول (الإنسان الكامل) منوهاً: "ثمة تصور يدافع بقوة عن العلاقة الجدلية بين فكرة الإمامة وفكرة الإنسان الكامل التي تطرحها المدرسة العرفانية"، مؤكداً بأن ابن عربي من خلال إعادة إنتاج المقولات الصوفية على شكل نظم فلسفية أحدث تحولاً في الفكر الشيعي، ويستخلص من حديثه بأن ذلك أدى إلى إعادة إنتاج التصور الشيعي على أساس العقل الفلسفي العمراني في أرقى أشكاله، على حد تعبيره.



الباب الثاني

1) الولاية والإمامة في العقيدتين الصفوية والصوفية

يذكر د. أحمد أمين بأن "الصوفية اتصلت بالتشيع اتصالاً وثيقاً، وأخذت فيما أخذت عنه فكرة المهدي وصاغتها صياغة جديدة وسمته (قطباً)، وكونت مملكة من الأرواح على نمط مملكة الأشباح، وعلى رأس هذه المملكة الروحية القطب، وهو نظير الإمام في التشيع، والقطب هو الذي يدبر الأمر في كل عصر، وهو عماد السماء، ولولاه لوقعت على الأرض، ويلي القطب النجباء، قال ابن عربي في الفتوحات المكية: هم اثنا عشر نقيباً في كل زمان، لا يزيدون ولا ينقصون، على عدد بروج الفلك الاثني عشر، كل نقيب عالم بخاصية كل برج وبما أودع الله تعالى في مقامه من الأسرار والتأثيرات" [كتاب ضحى الإسلام/245].

لاحظ أن عدد النقباء (12) يساوي عدد الأئمة!

وتعتبر الولاية من أركان الإسلام في العقيدة الصفوية، ذكر عبد القاهر البغدادي أن أول من تحدث بها هو عبد الله بن سبأ عندما خاطب أهل الكوفة "أنه وجد في التوراة أن لكل نبي وصيَّاً وأن عليَّاً رضي الله عنه وصي محمد صلى الله عليه وسلم، وأنه خير الأوصياء كما أن محمداً خير الأنبياء" [الفَرْق بين الفِرَق/235].

ويعتبر الصفويون الولاية من أفضل من الفرائض الإسلامية، ويحذرون المسلمين من إنكارها بدعوى: "من أنكر الولاية لا تقبل منه صلاة، ولا زكاة، ولا حج، ولا صوم" [أمالي الصدوق/154]، والأنكى منه قولهم: "لو سجد الساجد حتى ينقطع عنقه، ما قبل الله منه ذلك إلا بولاية أهل البيت" [الخصال41/1]، ويصل الحال إلى تكفيرهم وسفك دمائهم. ويدعون أن الأخبار متضافرة في تأويل الشرك بالله والشرك بعبادته بالشرك في الولاية والإمامة، أي: أن يشرك مع الإمام من ليس من أهل الإمامة [مرآة الأنوار/202]، لا نفهم من أين أتى التضافر طالما لا وجود للولاية في القرآن الكريم ولا السنة النبوية؟!

وتشير مصادرهم بأن العالم لا يخلو من الأئمة لأنهم حجج الله على عباده! ويدعي القمي"لو أن الإمام رُفع من الأرض ساعة لماجت بأهلها كما يموج البحر بأهله" [كمال الدين وتمام النعمة لابن بابويه القمي].

كما نسبوا لضحيتهم الإمام جعفر الصادق: "لو بقيت الأرض بغير إمام لساخت" [الكافي180/1]! في حين منذ اختفاء وفاة الإمام العسكري والدنيا بلا إمام فلا ماجت البحار، ولا هاجت السماء، ولا ساخت الأرض! إنما ساخت عقولهم، وهاجت شياطينهم، وماجت عفاريتهم، وبانت تخريفاتهم. مجرد سفسطة لرصف الأتباع في صف الانتظار، لعله مخلصهم الأسطوري المختفي منذ (12) قرناً أن يعجل فرجه ويسعفهم.



العجيب في أمرهم: أنهم يفرضون على الله تعالى تنصيب الإمام (نظرية النص الإلهي)، فقد ذكر محمد جواد مغنية "يجب على الله أن ينصب إماماً للناس، وأن الاختيار في هذا التنصيب لله وحده" [مع الشيعة الإمامية/98]. ويغالي البعض في تعظيم الأئمة زاعماً بأنه لولاهم ما عُبد الله! ولا نفهم كيف يبررون لنا عبادة الناس لربهم منذ زمن نبينا إبراهيم عليه السلام لغاية دعوة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم حيث لم يكن هناك إمام؟!

ونسبوا حديثاً كاذباً لابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم في الأئمة: "بهم يَحبس الله العذاب عن أهل الأرض، وبهم يمسك أن تقع على الأرض إلا بإذنه، وبهم يمسك الجبال أن تميد بهم، وبهم يسقي خلقه الغيث، وبهم يخرج النبات، أولهم علي وآخرهم المهدي" [الاختصاص/223]، كلام تافه نسب لحبر الأمة كراهية به ولا ثناء به، ومشكلته مع الإمام علي بن أبي طالب معروفة، فقد اتهمه الإمام بسرقة بيت المال، واتهم ابن عباس علياً بسفك دماء المسلمين الأبرياء في حروبه الثلاثة على المسلمين بسبب الطمع بالخلافة.

من جهة أخرى نتساءل بدورنا: لماذا الأئمة وليس الأنبياء والرسل اختصوا بهذا القرب من الذات الإلهية المقدسة؟ وكيف يدعي النبي صلى الله عليه وسلم هذا الأمر الجسيم للأئمة وليس لنفسه؟ هل الأئمة أعز عند الله من الأنبياء والرسل؟ إذا كان الجواب: لا! إذن بطل الحديث. وإن كان الجواب: نعم! إذن لماذا لم يصطفيهم الله تعالى بدلاً من الأنبياء والرسل؟ أليس هذا طعناً بالله تعالى لأنه لم يصطفِ من هو أفضل من نبيه المصطفى؟ ثم ما الذي قدموه الأئمة للإسلام؟ هل ساهموا في نشره؟ هل افتتحوا الأمصار؟ هل فسروا القرآن الكريم؟ هل ألفوا كتباً عن النبي صلى الله عليه وسلم والإسلام أو الفقه؟ هل قدموا علماً عاماً انتفع به المسلمين؟ هل وحدوا كلمة المسلمين أم كانوا سبباً في تفرقتهم وسفك دمائهم منذ معركة الجمل ولحد الآن؟ إذا كان فضلهم يرتبط بقرابتهم من النبي فقط! فإن أبو جهل وأبو لهب من أقارب النبي صلى الله عليه وسلم أيضاً، وأقرب منهم للنبي صلى الله عليه وسلم؛ لأن العم أقرب من ابن العم.

يذكر الكليني بأنه: "لو لم يكن في الأرض إلا اثنان لكان الإمام أحدهما" كيف ذلك والإمامة كما يدعون هي بنص إلهي؟ وأي إمام هذا وأتباعه واحد فقط!

يضيف محمد رضا المظفر بأن "الإمامة أصل من أصول الدين لا يتم إلا الإيمان به، فالإمامة استمرار للنبوة" [أوائل المقالات في المذاهب والمختارات/69].

ولا يفسر لنا عدم وجود أصل صريح لهذا الأصل في القرآن الكريم؟ وطالما أن الإمامة أصل فلماذا اختفى الأصل في الحفرة ليتوقف الإيمان؟ هل من المروءة أن يوقف الإمام الإيمان ويهرب خوفاً من القتل؟! الأنكى منه هو ربط المجلسي عبادة الله بوجود الإمام بقوله: "لا تخلو الأرض من حجة إلى أن تقوم الساعة، ولولا ذلك لما عُبد الله"! إذا ما الذي كان يفعله الرسول برسالته؟ ولماذا فرضت العبادات على البشر طالما هي مرتبطة بالحجة؟ وكيف سيكون الأمر للفرق التي لا تؤمن أصلاً بالإمامة وهم حوالي 90% من إجمالي المسلمين؟

وينسب الطوسي حديثاً للنبي صلى الله عليه وسلم بأن "من مات ولم يعرف إمامه مات ميتة جاهلية، وميتة الجاهلية لا تكون إلا عن كفر" [تلخيص الشافي131/4].



حسنا! منذ موت العسكري ولحد الآن لا يوجد إمام؛ فهل المسلمون بعد الموت العسكري ماتوا ميتة جاهلية، ويعتبرون كفاراً؟ أي ذنب هذا الذي سيتحمله المهدي لموت مئات الملايين من المسلمين ميتة جاهلية.

حسنا! من هو الإمام الحالي عند الصفويين؟ المهدي الذي اختفى خوفاً من القتل؟ أم نوابه الخامنئي أو السيستاني أم النجفي أو إسحاق الفياض أم الحائري والعشرات غيرهم؟ فكلهم آيات الله وحججه الواهية.

قال شيخهم محمد آل كاشف الغطاء: "الإمام في الكمالات دون النبي وفوق البشر" [أصل الشيعة وأصولها/214]. في حين يرى القمي "أن الأئمة كالرسل قولهم قول الله، وأمرهم أمر الله، وطاعتهم طاعة الله، ومعصيتهم معصية الله، ولا ينطقون إلا عن الله وعن وحيه" [الاعتقادات لابن بابويه].

هم كما ترى فوق مكانة الأنبياء والرسل، وذكر الكليني في الكافي "أن قول الإمام عندهم كقول الله ورسوله"، وفي قول آخر يناقضه يروي الكليني أن هشاماً الأحول سأل أبا جعفر: "جعلت فداك أنتم أفضل أم الأنبياء؟ قال: بل الأنبياء" [الكافي174/1].

قال الخميني: "إن لأئمتنا مقاماً سامياً، وخلافة تكوينية تخضع لها جميع ذرات هذا الكون، وينبغي العلم أن لأئمتنا مقاماً لا يبلغه ملك مقرب ولا نبي مرسل" [الحكومة الإسلامية/52]، وقول الخميني مستمد من المراجع القديمة كالقمي والمجلسي وغيرهم. وهذا القول الآثم لم يدعيه مدعو النبوءة ولا كبار الزنادقة والسحرة.

رد المرحوم العلامة الآلوسي على ادعاء الشيعة بأن الأئمة أعلى مقاماً من الأنبياء إلا النبي محمد صلى الله عليه وسلم بقوله: "وهذا مخالف لما ورد عن الأئمة، فقد روى الكليني عن هشام الأصول عن زيد بن علي أن الأنبياء أفضل من الأئمة، وأن من قال غير ذلك فهو ضال" [مختصر التحفة الإثنى عشرية/199]، مع أن بعضهم يفضل الأئمة على النبي محمد صلى الله عليه وسلم أيضاً.

موقف الصوفية من الولاية لا يختلف عن الصفويين من حيث التناقضات؛ فتارة يعتبرون الولي مثل الله تعالى، وتارة كالأنبياء وتارة أقل من الأنبياء، وفي الوقت الذي يعتبر فيه الصفويون الولاية نص إلهي، يرى المتصوفة بأن الولاية موهبة من الله ولا تكتسب! فقد ذكر محمد السفاريني الحنبلي: "الولاية موهبة من الله تعالى غير مكتسبة ولا يصل الولي ما دام عاقلاً بالغاً إلى مرتبة سقوط التكليف عنه بالأوامر والنواهي، ومن زعم ذلك فهو إلحاد وزندقة، وأن زعمه من زعمه من بعض الكرامية ومن نحا نحوهم من أن الولي قد يبلغ درجة النبي بل أعلى" [لوامع الأنوار البهية/396].

وهو نفس ما ذكره الحكيم الترمذي بأن "الولاية وهب ومنحة إلهية لا كسب وموجدات، وأن الولي يعلم علم البدء وعلم المقادير وعلم الحروف" [ختم الولاية/362].

وصنف الترمذي منازل للولاية: "المجاذيب وأهل العته والجنون؛ لأن الله جذبهم إليه وأسقط عنهم التكاليف، وأن هناك أربعين من أوليائهم الذين يتصرفون في شؤون العالم، وأن هناك القطب الأكبر والخاتم للولاية، وأن الأولياء هؤلاء محروسون عند الله فلا يلقى في صدورهم إلا الوحي الرحماني الملائكي فقط!! وجعل هؤلاء الأولياء منهم من بلغ ثلث النبوة، ومنهم من بلغ نصفها ومنهم من زاد على ذلك وهو ختم الأولياء" [ختم الولاية/347].



حسنا فعل الترمذي عندما بدأ في المجاذيب وأهل العتة والجنون، لأنهم فعلا مجاذيب! فقد ضم كتاب الطبقات للشعراني العشرات من المجاذيب على حد وصفه.
وفيما يتعلق بالنبوة، فقد اعتبر الترمذي مُنظِر ولاية الصوفية بأنه كما للأنبياء خاتم فإن للأولياء خاتم أيضاً، ونقل السلمي عن طاش كبري زاده قوله: "شهدوا على الحكيم الترمذي بالكفر بسبب تصنيفه كتاب (ختم الولاية)، حيث قال فيه: إن للأولياء خاتماً، كما أن للأنبياء خاتماً، وأنه يفضل الولاية على النبوة" [مفتاح السعادة2/170].
وقال ابن عربي: "وليس هذا العلم إلا لخاتم الرسل، وخاتم الأولياء! وما يراه أحد من الأنبياء، أو الرسل إلا مشكاة الرسول الخاتم، ولا يراه أحد الأولياء إلا من مشكاة الولي الخاتم، حتى أن الرسل لا يرونه إلا من مشكاة خاتم الأولياء، فإن الرسالة والنبوة تنقطعان، والولاية لا تنقطع أبداً، فالمرسلون من كونهم أولياء لا يرون ما ذكرناه إلا من مشكاة خاتم الأولياء" [فصوص الحكم1/62].
واعتبروا مقام الولي في قومه كمقام النبي في قومه، يقول الغوث الرفاعي: "الشيخ في قومة كالنبي في أمته" [قلادة الجواهر لأبي الهدى الرفاعي/165]. بل إنهم سخروا من الأنبياء كما يتجلى في قول البسطامي الذي أشار إليه المناوي بأنه خاطب علماء الدين "أخذتم علمكم ميتاً عن ميت، وأخذنا علمنا عن الحي الذي لا يموت" [الكواكب الدرية/246].

وادعوا بأن النبي صلى الله عليه وسلم لا يفارق الولي، والأخير يستمد منه علوم الشريعة، مع أنهم اعتبروا الولي أفضل من النبي! يذكر أحمد بن مبارك السلجماسي: "اعلم وفقك الله أن الولي المفتوح عليه يعرف الحق والصواب ولا يتقيد بمذهب من المذاهب، ولو تعطلت المذاهب بأسرها لقدر على إحياء الشريعة! وكيف لا وهو الذي لا يغيب عنه النبي صلى الله عليه وسلم طرفة عين، ولا يخرج عن مشاهدة الحق جل جلاله في أحكامه التكليفية وغيرها وإذا كان كذلك فهو حجة على غيره وليس غيره حجة عليه لأنه أقرب إلى الحق من غير المفتوح عليه وحينئذٍ؛ فكيف يسوغ الإنكار على من هذه صفته ويقال إنه خالف مذهب فلان في كذا، إذا سمعت هذا فمن أراد أن ينكر على الولي المفتوح عليه لا يخلو إما أن يكون جاهلاً بالشريعة كما هو الواقع غالباً من أهل الإنكار وهذا لا يليق به الإنكار والأعمى لا ينكر على البصير أبداً" [الإبريز/192].
لكن الشيخ الرفاعي يعتبر هذه الحالة مرحلة أولى تعقبها مراحل أسمى يصل فيها الولي إلى الذات المقدسة! بقوله: "إذا أراد الله عز وجل أن يرقي العبد إلى مقامات الرجال يكلفه بأمر نفسه أولاً، فإذا أدب نفسه واستقامت معه كلفه بأهله، فإذا أحسن إليهم وأحسن عشرتهم، كلفهم بجيرانه وأهل محلته فإن هو أحسن إليهم وداراهم كلفه جهة من البلاد، فإن هو داراهم وأحسن عشرتهم، وصلح سريرته مع الله كلفه ما بين السماء والأرض، فإن فيهم خلقاً لا يعلمه إلا الله تعالى، ثم لا يزال يرتفع من سماء إلى سماء حتى يصل إلى محل الغوث، ثم ترتفع صفته إلى أن يصير صفة من صفات الحق تبارك وتعالى، وأطلعه على غيبه حتى لا تنبت شجرة، ولا تخضر ورقة إلا بنظره، وهناك يتكلم عن الله تعالى بكلام لا يسعه عقول الخلائق" [طبقات الشعراني/143]. كلام مجاذيب فعلاً، ولا يصدقه إلا المجاذيب من أمثالهم.



مثلما ربط الصفويون الإمامة بالخلافة، واعتبروا أن الخلفاء الراشدين الثلاثة اغتصبوا حق علي بن أبي طالب في الخلافة، مع أن هناك فرقاً بين الولاية والخلافة؛ لأن الولاية كما يصفونها في أحاديثهم نص سماوي أي ولاية دينية، لكن الخلافة ولاية سياسية، كذلك كان الأمر مع بقية الخلفاء الأمويين والعباسيين. في حين ورد في القرآن الكريم سورة البقرة: ﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا قَالُوا أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِنَ الْمَالِ قَالَ إِنَّ اللهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَنْ يَشَاءُ وَاللهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة:247]، وذلك عندما اعترض اليهود على تنصيب طالوت ملكاً فأوضح لهم النبي بأن الملك والخلافه بيد الله لا في خلف داود.

كذلك حصر الشيعة الولاية بخلف علي بن أبي طالب، ولهم في ذلك تناقضات كثيرة.

منها: أنها تتوارث في حين سرقها ورثة الحسين من أبناء عمومتهم الحسن، وقالوا إمام يبلغ الحلم ومهديهم المزعوم لم يبلغه، وقالوا يغسل الإمام الميت ولده البكر وهذا ما لم يحصل مع العسكري.

الطريف أن الخميني نفى النص الإلهي للإمامة في فخ نصبه للآخرين فوقع فيه: "لو كانت مسألة الإمامة قد تم تثبيتها في القرآن، فإن أولئك الذين لا يعنون بالإسلام والقرآن إلا لأغراض الدنيا والرئاسة كانوا يتخذون من القرآن وسيلة لتنفيذ أغراضهم المشبوهة، ويحذفون تلك الآيات من صفحاته، ويسقطون القرآن من أنظار العالمين إلى الأبد، ويلصقون العار بالمسلمين وبالقرآن، ويثبتون على القرآن ذلك العيب الذي يأخذه المسلمون على كتب اليهود والنصارى" [كشف الأسرار/131].

المتصوفة استعاروا تخاريف الصفويين أيضاً ليسبغوها على شيوخهم، وأولوا آيات الذكر الحكيم حسب أهوائهم لدعم ادعاءاتهم الباطلة.

منها: أنهم أمناء الله، وخزنة أسرار علمه، والعارفين به، وصفوة الخلق .. وغيرها من الصفات التي تزخر بها مصادرهم، فقد ذكر الحكيم الترمذي بأنه "لا تخلو هذه الأمة قائم بالحجة" [ختم الأولياء/360]. ذكر الطوسي عن شيوخه بأنهم "أمناء الله عز وجل في أرضه، وخزنة أسراره وعلمه، وصفوته في خلقه" [اللمع/19]. ويدعي أبو طالب المكي بأن "الله يسخط على كل بلد ليس فيها منهم"! ولو نظرنا إلى خارطة العالم لرأينا أن أكثر الدول تخلفاً وفقراً وجوعاً وجهلاً وقذارة وضعفاً، هي الدول التي فيها الأئمة والمشايخ وقبورهم.

وهذا المنوفي يذكر "أنهم حجج الله تعالى على خلقه، وهم سبب نزول البركات ودفع النقمات" [كتاب جمهرة الأولياء102/1]؛ فأين البركات وأرضنا مستباحة للغزاة، وتعج بالنقمات وسوء الإدارة والفساد والانحطاط والتخلف الحضاري؟ وأولوا كلام الله حسب أهوائهم، يصف السلمي مثلاً الشيوخ بأنهم الأوتاد والرواسي المشار إليهم في سورة الرعد: ﴿وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ﴾ [الرعد:3]، وهو أمر يمكن لكل من لا يخاف الله أن يدعيه لنفسه.

ويذكر ابن عربي [الفتوحات المكية 244/1] بيت الشعر التالي:

أنا خاتم الولاية دون شك *** لورث الهاشمي مع المسيح



يلاحظ: أن نفس هذه الاسطوانات المشروخة نسمعها عن قيام الأئمة والأولياء بفداء الناس أنفسهم أمام الله، وهو افتراء سخيف ومفضوح؛ لأن كل نفس رهينة بما تكسبه من خبر أو شر. فالكليني ينسب إلى موسى بن جعفر القول بأن "الله عز وجل غضب على الشيعة، فخيرني نفسي أو هم، فوقيتهم بالله بنفسي" [الكافي260/1]. ولم يقل لنا كليم الله سبب غضب الله على الشيعة؟ وكيف فداهم بنفسه؟ وما هو ثمن الفداء؟ الموت! بالطبع لا! لأنه عاش بعد قوله. أو أن يدخل جهنم بدلاً عنهم؟ أم ماذا؟ حاشاه بالطبع من هذا الإفك المنسوب إليه .. لعن الله القوم الظالمين والمفترين عليه وعلى نبيه وآله وصحبه، وهذا الشعراني ينسب للرفاعي بأنه "كان يمرغ وجهه وشيبته في التراب باكياً ويقول: اللهم اجعلني من يقف البلاء على هؤلاء الخلق" [الطبقات الكبرى 144/1]. أليس أفضل من التمرغ بالتراب أن يتطهر الشيخ، ويقف نظيفاً بين يدي الله تعالى ويسأله أن يغفر له ولعباده بدلاً من هذه المسرحية التافهة؟

يذكر الشيخ الرفاعي: "أقامنا الله أئمة الدعوة بالنيابة عن نبيه صلى الله عليه وسلم، من اقتدى بنا مسلم، ومن أناب إلى الله بنا غنم، الحق يقال نحن أهل بيت ما أراد سلبنا سالب إلا سلب، ولا نبح علينا كلب إلا جرب، ولا هم على ضربنا ضارب إلا ضرب، ولا تعالى علينا حائط إلا وخرب"! [البرهان المؤيد/31]. ويضيف: "وعدني رسول كرمه أن يأخذ بيد مريدي وحُبي ومن تمسك بي وبذريتي وخلفائي في مشارق الأرض ومغاربها إلى يوم القيامة عند انقطاع الحيل، بهذا جرت بيعة الروح لا يخلف الله وعده، لا تصح المكالمة لمخلوق مع الخالق بعد النبيين والمرسلين الذين كلمهم سبحانه وحياً أو من وراء حجاب، وإنما وعد إحسانه ينجلي إلى قلوب أوليائه وأحبابه بالرؤيا المنامية، والواسطة المحمدية والإلهام الصحيح الذي لا يخالف ظاهر الشريعة الأحمدية بحال من الأحوال وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء" [البرهان المؤيد/82].

وقال محمد بن حامد: "إنكار ولاية الأولياء، فى قلوب الجهال؛ من ضيق صدورهم عن المصادر، وبعد علومهم عن موارد القدرة".

حسناً! معظم المسلمين لا يؤمنون بولاية الأولياء؛ فهل هم جهال يا جاهل؟ وأضاف رابطاً الولاية بمعرفة الله تعالى "الاستهانة بالأولياء من قلة المعرفة بالله تعالى" [طبقات الصوفية/85]. قد عرفنا الله من كتابه ورسله وبعقولنا وقلوبنا، لكن كيف نعرف الأولياء وهم كالعفاريت تتحدثون عنهم وعن كراماتهم دون أن يشاهدها الناس؟

يلاحظ: أن المتصوفة استخدموا مصطلح الولاية أيضاً، وقسموا الولاية إلى (عامة) يشترك فيها جميع المؤمنين و(خاصة) حكراً على الأئمة والشيوخ فقط، وأعلى مرتبة للولاية عند المتصوفة هي الغوث وتقابل الإمام عند الصفويين، ولا نرى بداً من إبداء ملاحظة وهي أن الولاية والاعتراف بها والشرك لمن أنكرها تمثل قاسماً مشتركاً بين العقيدتين، كما أن العقيدة الصفوية تنص بأن "من مات دون معرفة إمامه مات على الكفر" كذلك تنص العقيدة الصوفية كما جاء على لسان الرومي" من لم يعرف شيخه فهو كافر" [المثنوي3325/2].

استعار المتصوفة تسمية [الحجة/ القائم] من الصفويين وأضفوها على شيوخهم رغم أنها لا تعني شيئاً في مصطلحاتهم الصفوية، حيث يستخدمون بدلاً عنها (الغوث، القطب، الشيخ، الأستاذ، الكامل)



كدلالة على المنزلة الرفيعة لشيوخهم، وهذا يدل على تبعيتهم الكاملة للشعوبيين، رغم أن لهم مئات المصطلحات الخاصة بهم يمكن للقارئ الرجوع إليها في قواميس المصطلحات الصوفية، ومن الأمثلة على ذلك ما جاء في [كتاب قوت القلوب لأبي طالب المكي134/1] نقلاً عن الطوسي السراج: "لا تخلو الأرض من قائم لله بحجة كي لا تبطل آياته، وتدحض حججه" بمعنى أن الدين لم يكمل، ورسالة النبي صلى الله عليه وسلم ناقصة لأن آيات الله وحججه سوف تبطل بدون قائم! سنناقش هذا الموضوع في مبحث قادم. وفي كتاب [قواعد التصوف لابن زرق/48] جاء: "لا تخلو الدنيا في هذه الأمة من قائم بالحجة" وذكر الشعراني [كتاب الأخلاق المتبولية116/2] نقلاً عن الشيخ (علي الخواص) قوله: "من نِعم الله على عباده كونه لا يخلي الأرض من قائم له بحجة في دينه، رضية لولايته، واختاره لمعاملته، ويبين به دلالاته، ويوضح به طريقته"، ويذكر الهجويري: "اعلم أن قاعدة وأساس طريقة التصوف والمعرفة إجمالاً تقوم على لولاية وإثباتها" [كشف المحجوب/442].

عجباً لهؤلاء الأوغاد! ألم يوضح الله تعالى طريقته في الذكر الحكيم؟ وماذا كان يفعل الأنبياء؟ وأين كتب الأئمة والأولياء التي وضحت طريقة الله؟ ومن منهم كان حجة في دينه؟ أو بين به الله تعالى دلالاته؟

علاوة على استخدام مصطلحاتهم الخاصة مثل (الكامل)، ويتجلى في قول ابن عربي: "لا يخلو الزمان عن كامل" أي قطب/ غوث [عقلة المستوفر/97]. أو (الشيخ) كما هو عليه في قول أبي يزيد البسطامي: "من لم يكن له شيخ، كان الشيطان شيخه" أو(الأستاذ) كما في قول ابن عربي: "يقال له الشيخ الوارث والأستاذ، من لم يكن له أستاذ فإن الشيطان أستاذه" [للمزيد راجع كتاب ذخائر الأعلاق/ تحقيق محمد عبد الرحمن/ط القاهرة].

من المعروف أن الولاية تفيد بمعنى الدنو والتقارب بين شيئين، وهي تأتي كاسم فاعل واسم مفعول بمعنى التقارب الإيجابي المرتكز على قواعد المودة والرحمة. وبمعناها الديني الموالاة أي موالاة الرب بطاعته والابتعاد عن المعاصي. وقد جاء في سورة يونس: **﴿أَلا إِنَّ أَوْلِيَاءَ الله لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾** [يونس:62] ، وكذلك في سورة المائدة: **﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ الله وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا[المائدة:55]، وفي سورة الكهف: ﴿هُنَالِكَ الْوَلايَةُ لِلَّهِ الْحَقِّ﴾** [الكهف:44]، كذلك في سور النساء والأعراف والأنعام والبقرة بما يفيد أن الولاية قد تكون لله وكذلك للشيطان **﴿إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ﴾** [الأعراف:27]، من البديهي أن يؤول الصفويون والمتصوفة المعنى بما يخدم العقيدتين الضالتين، لكن الأكيد أن وليهم الشيطان لأنهم ليسوا بمؤمنين.

الولاية لم تدخل في العقيدة الصوفية إلا على يد الحكيم الترمذي وهو فارسي وصاحب كتاب (ختم الأولياء) ثم طورها ابن عربي وجعلها من بنات العقيدة، معتبراً الولاية أسمى من النبوة بقوله:

"مقام النبوة في برزخ * * * فويق الرسول ودون الولي"

وذكر أبو حيَّان الأندلسيّ في الشيخ محيي الدِّين ابن عربي كلاما مهما عن الولي"؛ لأن بعضهم نقل عنه أن الولي أفضل من النَّبي، وهذا لا يكاد يخطر في قلب مسلم، ولابن عربيَّ الطَّائي كلام في الوليّ وفي غيره نعوذ بالله منه" [البحر المحيط].



صنف الإمام الترمذي الأولياء إلى صنفين: **أولهما:** أولياء حق الله وهم ممن يكبحون رغباتهم عن ارتكاب المحارم وطهروا أنفسهم من الرجس وأدوا الفرائض. **ثانيهما:** أولياء الله وهم من يتولى الله مهمة حمايتهم، فيكونوا تحت حراسته متحررين من رغبات الدنيا ومنشغلين بعبادته. ويصرح ابن عربي بأن النبي محمد صلى الله عليه وسلم من حيث كونه ولياً أفضل منه نبياً، فولايته أفضل من نبوته والأخيرة ـ أي النبوة ـ أفضل من رسالته. ويرى أن الولي مطلق الصلاحية في إبطال أو تغيير أو تعديل الأحكام الشرعية غير المنصوص عنها في الكتاب. ومهد رأي ابن عربي لبقية المتصوفة من بعده بادعاء عصمة الأولياء. وهو نفس ما يدعيه الصفويون من عصمة الأئمة، وكانوا أسبق من المتصوفة في تبني عقيدة العصمة، وأن موضوع تغيير وتعديل الأحكام سواء كان يقصد بها الشرعية أو غير الشرعية أمر جسيم، تترتب عليه مخاطر تهدد العقيدة الإسلامية برمتها.

يرى المتصوفة بأن منصب الغوث أو القطب ليس من صنيعة الإنسان، بل هو منصب إلهي، ويقول بهذا الصدد ابن عربي: "لقد منحني الله تعالى هذا المقام، هبة منه ولم أنله بعمل، وإنما هو اختصاص إلهي" [اليواقيت والجواهر/66].

ويرى الصفويون بأن الولاية منصب إلهي أيضاً، يذكر محمد حسين آل كاشف الغطاء في كتابه أصل الشيعة وأصولها: "إن الإمامة منصب إلهي كالنبوة"، ويضيف هادي الطهراني في كتابه [ودائع النبوة] بأن الإمامة ليست منصباً إلهياً فحسب بل هي "أجل من النبوة، وإن أعظم ما بعث الله تعالى نبيه من الدين هو أمر الإمامة"! من المعروف أن أول من قال بالولاية هو ابن سبأ، وأول من حصرها بآل البيت هو شيطاق الطاق (يلقبه الصفويون بمؤمن الطاق)، وكذلك هشام بن الحكم [للمزيد راجع رجال الكشي].

وتتفق الصفوية والصفوية بأن نكران الولاية والمشيخة والخروج عن الإمام والقطب يعد شركاً، فقد ورد في أصول الكافي وتفسير القمي وتفسير العياشي والبرهان وبحار الأنوار ومرآة الأنوار ورد بأن "الكفر هو نكران الولاية"، وعند المتصوفة كذلك حيث ذكر ابن عربي: "من لا شيخ له فإن شيخه الشيطان".



2) العصمة

العصمة صفة مهمة تطلبتها ضرورة إبلاغ الرسالة السماوية للعباد بشكل كامل وسليم لتجنب الخطأ والسهو في نقل كلام الله عز وجل للعباد عبر رسوله المصطفى صلى الله عليه وسلم، وما عدا العصمة المحدودة في الجانب التبليغي للرسل والأنبياء، فهم بشر عاديون لا يختلفون عن غيرهم، معرضون للسهو والخطأ، ومن العجائب أنه في الوقت الذي لم يسبغ النبي محمد صلى الله عليه وسلم على نفسه العصمة ولا ادعاها؛ فإن هناك من أسبغها عليه ليبرر بها عصمة الأئمة والشيوخ من بعده! وما ورد في الآية الكريمة ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى﴾ [النجم:3-4]، إنما تتعلق بنقل كلام الوحي فقط! وإلا كيف نفسر مشاورات وإستشارات النبي صلى الله عليه وسلم للصحابة الكرام في كثير من الأمور تماشياً مع أمر الله جل جلاله: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ﴾ [آل عمران:159]، وإن كان النبي صلى الله عليه وسلم معصوماً، فما الغرض من المشاورة الواردة في القرآن الكريم؟

كما هناك آيات فيها عَتب من الله تعالى على رسوله صلى الله عليه وسلم تنفي عصمته، منها سورة عبس: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّى * أَنْ جَاءَهُ الأَعْمَى * وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّى﴾ [عبس:3]، وكذلك: ﴿وَأَمَّا مَنْ جَاءَكَ يَسْعَى * وَهُوَ يَخْشَى * فَأَنْتَ عَنْهُ تَلَهَّى﴾ [عبس:8-10].

ويحدثنا التأريخ عن تراجع النبي صلى الله عليه وسلم عن بعض ما اجتهد به موقفاً أو رأياً، منها مثلاً قبل موقعة بدر اتخذ النبي صلى الله عليه وسلم موقعاً يصلح للمعركة، فسأله الحباب بن المنذر: "أهو منزل أنزلكه الله؟ أم هو الرأي والحرب والمكيدة" فنفى الرسول بأنه أوحي إليه. وأجابه: «**بل هو الرأي والحرب والمكيدة**»، عندها أشار الحباب إلى مكان أفضل فاستحسنه النبي صلى الله عليه وسلم وساعد ذلك على انتصار المسلمين، وهناك حادثة تأبير النخيل، وسهو النبي صلى الله عليه وسلم في الصلاة، وطريقة الآذان، وفداء أسرى بدر .. وغيرها مما ينسف العصمة عنه إلا في حال تبليغ الرسالة السماوية.

عندما تنتفي العصمة عن النبي صلى الله عليه وسلم فهي تنتفي تلقائياً عن الأئمة والشيوخ؛ لأن سندها عندهم كما أشاعوا هي عصمة النبي صلى الله عليه وسلم التي لم تثبت إلا في المهمة التبليغية من الخالق لعباده، كذلك لم يدعِ العصمة أياً من فضلاء الأمة بعد النبي صلى الله عليه وسلم كأبي بكر وعمر وعثمان وعلي رضوان الله عليهم جميعاً، فالفاروق كما وصفه النبي صلى الله عليه وسلم بقوله: «**قد كان في الأمم قبلكم محدثون؛ فإن يكن في أمتي أحد فعمر منهم**»، ويصفه الإمام علي: "ما كنا نبعد أن السكينة تنطق على لسان عمر"، وقد أخطأ عمر واعترف بأخطائه بكل صراحة بلا خجل أو وجل فقال مقولته الشهيرة: "أصابت امرأة وأخطأ عمر"، من الجدير بالذكر أن أم المؤمنين عائشة قالت: "سَحَرَ رَسُولَ الله رَجُلٌ مِنْ بَنِي زُرَيْقٍ يُقَالُ لَهُ لَبِيدُ بْنُ الأَعْصَمِ، حَتَّى كَانَ رَسُولُ الله يُخَيَّلُ إليه أَنَّهُ يَفْعَلُ الشَّيْءَ وَمَا فَعَلَهُ" [أخرجه البخاري/5763]. فإن كان نبي الرحمة قد تعرض إلى السحر فأين العصمة؟



يزعم الصفويون بأن العصمة كالنبوة! ويشير محمد رضا المظهر بأن "الإمام كالنبي يجب أن يكون معصوماً من جميع الرذائل والفواحش، ما ظهر منها وما بطن، من سنِ الطفولة إلى الموت عمداً وسهواً، كما يجب أن يكون معصوماً من السهو والخطأ والنسيان"، قد فهمنا العصمة عند الراشد لكن كيف تكون العصمة عند الطفل؟ ويذكر شيخهم محمد الحسين آل كاشف الغطاء بأن "الإمام يجب أن يكون معصوماً كالنبي عن الخطأ والخطيئة" [أصل الشيعة وأصولها/59].

وفي أمهات مصادرهم تقرأ بأن "الإمام يجب أن يكون معصوماً" [تلخيص الشافي للطوسي181/1]، كذلك ذكر شيخهم الصدوق: "اعتقادنا في الأئمة: أنهم معصومون موصوفون بالكمال والتمام والعلم من أوائل أمورهم وأواخرها" [الاعتقادات/108]، ونقل الشيخ المفيد عن جعفر بن محمد قوله: "ما نقول بأهوائنا، ولا نعمل بإرادتنا، ولا نقول إلا ما قال الله" [أمالي المفيد/ 59].

ويصف العلامة الحلي العصمة بأنها "لطف يفعله الله سبحانه وتعالى بالمكلف بحيث لا يكون له داع إلى ترك الطاعة، وارتكاب المعصية"، ويضيف الخميني: "نحن نعتقد أن المنصب الذي منحه الأئمةً للفقهاء لا يزال محفوظاً لهم؛ لأن الأئمة الذين لا نتصور فيهم السهو أو الغفلة، ونعتقد فيهم الإحاطة بكل ما فيه مصلحة للمسلمين، كانوا على علم بأن هذا المنصب لا يزول عن الفقهاء من بعدهم بمجرد وفاتهم" [الحكومة الإسلامية/91]. لاحظ أنه هبط بمنزلة العصمة من الأئمة إلى الفقهاء؛ بمعنى إنه معصوم أيضاً!

من البديهي أننا لا نعترض على تجنبهم الرذائل والفواحش والمفاسد، فذلك الأمر مقبول وبديهي، ولا نتوقع من الأئمة ارتكاب الكبائر، لكن لاتقبل العصمة عن السهو والخطأ! فالخميني على سبيل المثال يناقض نفسه بنفسه عندما نفى العصمة عن النبي صلى الله عليه وسلم، مدعياً بأنه لم يبلغ الرسالة: "من الواضح أن النبي لو كان قد بلغ بأمر الإمامة طبقاً لما أمر الله به، وبذل المساعي في هذا المجال، لما نشبت في البلدان الإسلامية كل هذه الاختلافات والمشاحنات والمعارك، ولما ظهرت خلافات في أصول الدين وفروعه" [كشف الأسرار/55]. ويناقض كلامه مرة أخرى فيعتبره معصوماً! ثم كيف تجتمع عصمة النبي مع الفشل في تبليغ الرسالة؟ الخميني يصف نظام الحكم الإسلامي بالفشل قائلاً: "حتى في عهد النبي صلى الله عليه وسلم لم يستقم نظام الحكم كما ينبغي" [خطابه في التاسع من آب 1984 بمناسبة ذكرى مولد الإمام الرضا]. وبصفاقة أكبر يقول: "جاء الأنبياء من أجل إقامة العدالة لكنهم لم ينجحوا، حتى النبي محمد خاتم الأنبياء الذي جاء لإصلاح البشرية لم ينجح في ذلك" [خطابه في 15 شعبان عام 1400هـ بمناسبة مولد المهدي]. بل ينفي الخميني العصمة عن الذات المقدسة بتكرار حديث أسلافه الصفويين: "إننا لا نعبد إلها يقيم بناء شامخاً للعبادة والعدالة والتدين، ثم يقوم بهدمه بنفسه" [كشف الأسرار/123].

إذن الله ونبيه غير معصومين لكن الأئمة معصومون؟! من يقبل بهذه السفاهة والهراء؟!

قال الشريف المرتضى: "الإمام معصوم ومنصوص عليه بالضرورة" [رسائل المرتضى368/2]، أين النص بالضرورة؟!

ويبرر الشيخ الصدوق العصمة: "لأنه أن لم يكن معصوماً دخل في الخطأ، فلا يؤمن أن يكتم على نفسه وأقربائه واحتاج حينئذٍ أن يقام عليه الحد" [إكمال الدين وإتمام النعمة/367].



لكن هناك فرق بين نقل كلام الله من جهة، وغيره من الكلام. عصمة الأئمة تجعلنا في حيرة في كيفية التعامل مع الكثير من المفاهيم والحوادث التأريخية التي رافقت مسيرة الأئمة، فالإمامة كما يزعمون هي نص إلهي كالنبوة، والأئمة معصومون؛ فكيف نبرر إذن مبايعة الإمام علي للخلفاء قبله وهو يعصي النص الإلهي بمبايعته؟ هل تجتمع العصمة مع المعصية؟ ثم موقف الإمامين الحسن والحسين من الخليفتين معاوية ويزيد. فالحسن آثر السلم وصالح معاوية ولم يخرج عن طاعته حتى موته، والحسين ثار على يزيد وخرج عن طاعته، فإذا كان الاثنان معصومين سنقع في تناقض فاضح؛ لأن أحدهما لا بد أن يكون على صواب والآخر لا بد أن يكون على خطأ؛ فكيف تجتمع العصمة من الخطأ؛ سيما أن هذا الأمر خطير ويتعلق بمصير الأمة؟!

يذكر المجلسي: "إن أصحابنا الإمامية أجمعوا على عصمة الأئمة أجمعين من الذنوب الصغيرة والكبيرة عمداً أو خطأً ونسياناً من وقت ولادتهم إلى أن يلقوا الله عز وجل" [بحار الأنوار 350/25].

وينقل إبراهيم الزنجاني عن الصدوق قوله: "اعتقادنا في الأنبياء والرسل والأئمة أنهم معصومون، مطهرون من كل دنس، وأنهم لا يذنبون لا صغيراً ولا كبيراً، ولا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون، ومن نفى عنهم العصمة في شيء من أحوالهم فقد جهلهم، ومن جهلهم فهو كافر" [عقائد الاثني عشرية157/2].

ذكر المجلسي عن الهروي قال: "قلت للرضا يا ابن رسول الله! إن في الكوفة قوما يزعمون أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يقع عليه السهو في صلاته. فقال: كذبوا لعنهم الله إن الذي لا يسهو هو الله لا إله إلا هو" [المجلسي - بحار الأنوار/ج17].

وفيما يتعلق بعقيدة العصمة عند المتصوفة يذكر إحسان إلهي ظهير بأنهم "أخذوها من الشيعة، وهذا دليل على الروابط العميقة بينهما، وكون التصوف مأخوذ من التشيع" [للمزيد راجع كتاب التصوف المنشأ والمصدر/201].

ويذكر أبو نعيم الأصفهاني عن شيوخ الصوفية: "ليس للغفلة عليهم مدخل، ولا للهو فيهم مطمع، قد حجب التوفيق بينهم وبين الآفات، وحالت العصمة بينهم وبين الملذات".

ويصف ابن عربي انتساب سلمان الفارسي للنبي صلى الله عليه وسلم بأنها: "شهادة من النبي صلى الله عليه وسلم لسلمان الفارسي بالطهارة والحفظ الإلهي والعصمة"، ولكن لماذا سلمان الفارسي دون صهيب الرومي وبلال الحبشي؟ ما زاد الفارسي على الرومي والحبشي ليكون من أهل البيت النبوي؟

ويضيف ابن عربي: "من أجل كرامات الأولياء، دوام التوفيق للطاعات، والعصمة عن المعاصي والمخالفات" [الرسالة القشيرية667/2].

كما يذكر النفري الرندي بأن "الصوفية يجعلون شيوخهم معصومين، ولا يجيزون الاعتراض عليهم ويقولون: من قال لأستاذه: لِمَ؟ لا يفلح" [كتاب غيث المواهب العلية1-197]. مجرد قول المريد لشيخة: لِمَ! وهي تعبر عن السببية تجعله لا يفلح، اي استعباد هذا!

يذكر الشعراني عن الشيخ أبو بكر الحديدي أنه "رأى الشيخ محمد العدل رضي الله يحسس على بطن امرأة أجنبية لمرض كان بها فصاح عليه: واديناه! وامحمداه! الله أكبر عليك يا عدل! فقال: والله ما قصدتها بشهوة، فقال له: أنت معصوم! نحن ما نعرف إلا ظاهر السنة" [الطبقات الكبرى361/2].



وذكر أبو بكر الواسطي: "الناس على ثلاث طبقات: الطبقة الأولى: الذين منَّ الله عليهم بأنوار الهداية، فهم معصومون من الكفر والشرك والنفاق. والطبقة الثانية: الذين من الله عليهم بأنوار العناية، فهم معصومون من الصغائر والكبائر. والطبقة الثالثة: الذين من الله عليهم بالكِفاية، فهم معصومون عن الخواطر الفاسدة وحركات أهل الغفلة" [طبقات الصوفية/903].

جعل الشيخ العصمة حالتين، جزئية وكلية.

ذكر الهجويري عن الجنيد بأنه كان واقفاً أمام المسجد، وأقبل عليه شيخ فسأله: من أنت أيها الشيخ؟ فلا طاقة لعيني برؤية وجهك من الوحشة، ولا طاقة لقلبي بالتفكير فيك من الهيبة. فرد الشيخ: أنا الذي تتمنى مشاهدتي. فأجابه الجنيد: يا ملعون ما منعك من السجود لآدم؟ فأجابه: يا جنيد كيف تتصور أن أسجد لغيره؟ فنادى الجنيد في سره أن يكذبه، فسمع الشيطان نداء قلب الجنيد واحترق" [كشف المحجوب]. من ثم يستدل الهجويري من هذه القصة: "دليل على عصمته؛ لأن الله يحفظ أولياءه من كيد الشيطان" الهجويري استند على رواية ربما خالية وبنى عليها عصمة الجنيد. وقال ابن عربي: "إن من شرط الإمام الباطن أن يكون معصوماً" [الفتوحات المكية 183/3]. ولتبرير كرامات الأولياء يتذرع الكلاباذي "قال بعضهم أن كرامات الأولياء تجري عليهم من حيث لا يعلمون والأنبياء تكون لهم المعجزات وهم بها عالمون بإثباتها ناطقون؛ لأن الأولياء قد يخشى عليهم الفتنة مع عدم العصمة والأنبياء لا يخشى عليهم الفتنة بها لأنهم معصومون" [التعرف لأهل التصوف للكلاباذي].

كما جاء [في طبقات الصوفية للسلمي/109]: سئل أبو بكر محمد الدينوري عن علامة الصوفي؟ فأجاب: "أن يكون معصوماً عن المذمومات".

الطريف ما ذكره الكلاباذي بأن "المتصوفة معصومون لأنهم أطفال في حجر الحق" [التعرف لأهل التصوف للكلاباذي/110].

وهم يناقضون أنفسهم بأنفسهم كالعادة، فالشيخ أبو الحسن الشاذلي يذكر مثلاً: "إذا عارض كشفك الكتاب، والسنة فتمسك بالكتاب والسنة ودع الكشف! وقل لنفسك أن الله تعالى قد ضمن لي العصمة في الكتاب، والسنة، ولم يضمنها لي في جانب الكشف ولا الإلهام، ولا المشاهدة" [الطبقات الكبرى216/1]. كما ذكر أبو طالب المكي عن إبراهيم بن أدهم: "طفت ذات ليلة بالبيت وكانت ليلة مظلمة ذات مطر ورعد فخلا الطواف فلما انتهيت إلى الباب قلت: اللهم اعصمني حتى لا أعصيك أبداً، قال: فسمعت قائلاً يقول من جوف البيت: يا إبراهيم أنت تسألني أن أعصمك، وكل عبادي يسألوني العصمة، فإذا عصمتهم فعلى من أتفضل ولمن أغفر" [قوت القلوب91/3]، وهذا غيض من فيض.



3) عقيدة التقية

ذكر الشهرستاني: "طعن سليمان بن جدرير مؤسس فرقة السليمانية في الرافضة فقال: أن إئمة الرافضة قد وضعوا مقالتين لشيعتهم ثم لا يظهر أحد قط عليهم: إحداهما: القول بالبداء فإذا أظهروا قولاً: أنه سيكون. والثانية: التقية فكل ما ارادوا تكلموا به فإذا قيل لهم في ذلك: إنه ليس بحق وظهر لهم البطلان قالوا: إنما قلناه: تقية وفعلناه: تقية" [الملل والنحل للشهرستاني88/1].

التقية بشكل موجز هي: أن تظهر غير ما تبطن، وقد ظهرت بظرف استثنائي وخاص جداً يتوافق مع المنطق السليم. وهو عندما تكون حياتك في خطر محدق فلا بأس أن تتقي الشر بأن تظهر غير ما تبطنه كي تجنب نفسك الخطر. ما عدا ذلك فالأمر يعد نفاقاً وكذباً، لكن هذه الحالة الاستثنائية سرعان ما تحولت إلى عقيدة وصارت تسع أعشار الدين!

نقل الكليني عن الصادق: "التقية تسعة أعشار الدين" [الكافي 217/2]. أي التقية تعادل تسعة أعشار كل الفرائض وكل ما يتعلق بالتقوى وأعمال الخير والنوايا الحسنة! ومع هذا لا توجد لهذه الميزة الجبارة التي تمثل النسبة الكبيرة من الدين ذكر في القرآن الكريم، إلا مرة واحدة ضمن المعنى المشار إليه في أعلاه، وليس لها من ذكر في السنة النبوية كبقية الفرائض! أين الخلل؟ ربما للصادق دين آخر هو ليس دين الإسلام والله أعلم! لأنه يدعي بأن التقية هي تقية أجداده! وهذا كذب وافتراء! علي والحسن لم يتقيا، والحسين لم يتقِ عندما خذله أعوانه؟ وكان في أحرج موقف صادفه في حياته عندما طلب الرحمة، وأعلن استعداده بأن يكون مقاتلاً في الثغور، وجندياً في جيش يزيد.

ينسب الصفويون للإمام الصادق الحديث: "لا والله ما على وجه الأرض أحب إلى من التقية، من كانت له تقية رفعه الله، ومن لم تكن له تقية وضعه الله" [الكافي 217/2].

الغريب في هذه الدعوى: أن التقية أحب للصادق من الصدق والوفاء والمحبة والرحمة والتعاون والتقوى، لله درك يا صادق في تقيتك! وفي حديث منسوب إليه يحث أتباعه على النفاق مع مخالفيهم (أهل السنة) ويقسم بأن ذلك أحب شيء إليه! يقول: "صلوا في عشائرهم، وعودا مرضاهم، واشهدوا جنائزهم، والله ما عبد بشيء أحب إليه من الخبْ! قيل له: ما الخبْ؟ فأجاب التقية" [الكافي 219/2]، تحريض واضح من الإمام لأتباعه على نهج أسلوب النفاق، كما أنه افتراء على الله تعالى وربما على الصادق نفسه، والله أعلم.

والحقيقة: أن ربط التقية بالصادق دون غيره سببها أنه لم يخرج عن طاعة الخلفاء في عصره فاعتبروها تقية منه! ولا نعرف لماذا اختفى مهديهم ولم يمارس تسع أعشار دينه ويتقي؟ وقد افتروا كذلك على أهل الكهف ونسبوا إليهم التقية! حيث نُسب للصادق القول أيضا: "ما بلغت تقية أحداً تقية أهل الكهف" [الحقائق في محاسن الأخلاق/12]. ولكن أين التقية فقد اختفوا ولم يتقوا؟ كما وردت أحاديث مريبة في كتبهم، وعجيبة في أمرها منها "التقية بمنـزلة الصلاة" [الاعتقادات/114]. و"التقية ذنبها لا يغفر كالشرك" [وسائل الشيعة 474/11] وأنه من خالفها فقد خالف الله ورسوله والأئمة أنها محاولة سقيمة لجعلها التقية عقيدة، وهنا التقية دلالة على الجبن والذل والتخاذل والسكوت عن الحق.



روى الكليني عن أبي جعفر أنه قال لأحد أصحابه ويدعى معلى بن خنيس: "يا معلى! اكتم أمرنا ولا تذعه؛ فإنه من كتم أمرنا ولم يذعه أعزه الله به في الدنيا، وجعله نوراً بين عينيه في الآخرة، يقوده في الجنة. يا معلىّ! من أذاع أمرنا ولم يكتمه أذله الله به في الدنيا، ونزع النور من بين عينيه في الآخرة، وجعله ظلمة تقوده إلى النار. يا معلى! إن التقية من ديني ودين آبائي، ولا دين لمن لا تقية له" [الكافي للكليني223/2].

وقال الشيخ المفيد [في الاعتقادات/241]: "التقية كتمان الحق، وستر الاعتقاد فيه، ومكاتمة المخالفين، وترك مظاهرتهم بما يعقب ضرراً في الدين أو الدنيا، وفرض ذلك إذن علم بالضرورة أو قوي في الظن".

ويذكر الخوئي [في معجم الرجال 113/2]: "على أن ظهور الكذب أحياناً لا ينافي حسن الرجل، فإن الجواد قد يكبوا" وهي تورية للتقية، وتبرير لعدم خروج معظم الأئمة عن طاعة الخلفاء، وإشارة مبطنة للرد على من يُكذب رواتهم كابن القيم في كتابه "المنار المنيف" الذي سفه فيه هذه الأفكار السقيمة. قارن قول الخوئي بقول الشيخ المتصوف حمدون القصار: "اصحب الصوفية فإن للقبيح عندهم وجوهاً من المعاذير" [الرسالة القشيرية 553/2]. إنه يصب في نفس المعنى! والحقيقة أن في التقية إشكال كبير؛ إذ من الصعب أن تفهم المقابل إن كان يصدق أو يكذب، وقد استفادوا الرافضة من هذه الظاهرة استفادة قصوى، فقد انطلت حيلهم حتى على مشيخة الأزهر التي أجازت التعبد بمذهبهم، ولم يجيزوا هم التعبد بمذاهب أهل السنة. كما أنهم سرعان ما ينقلبوا على أنفسهم بتغير الأحوال، تارة أصدقاء وتارة أعداء، لا تُعرف وجوههم من مؤخراتهم. ورغم ادعائهم بأنه انتفى زمن التقية كما زعم محمد جواد مغنية، فإن كلامه كذب مبين، طالما التقية تسعة أعشار دينهم. وقد علق الأستاذ محمود الملاح عن قول محمد جواد مغنية: "انتهى عهد التقية اليوم عند الشيعة" بقوله: "إنما كلامه تقية على التقية" [مجموع السنة111/1].

يوجد رابط بين عقيدة التقية وظاهرة الحلول: يذكر ابن القيم بأن من معتقدات الصوفية: "الحلول والاتحاد الذي تقول به النصارى، ولكنهم يهابون الإفصاح عن ذلك ويجعلونه من الأسرار المكتومة" [إغاثة اللهفان188/1].

يلاحظ: أن عقيدة التقية يأخذ بها المتصوفة فعلاً، يذكر بهذا الصدد د. محمد سعيد الجليند بأن القارئ لكتب التصوف قد يجد لدى الصوفي الواحد أقوالاً يخالف بعضها البعض في القضية الواحدة، مما أدى إلى اضطراب كثير من الكتابات وعلاقة ذلك بالكتاب والسنة" [من قضايا التصوف/10]. كما سيتضح من النصوص القادمة سيما في كتب ابن عربي.

يذكر ابن عجيبة عن الجنيد: "أنه كان يجيب عن المسألة الواحدة بجوابين مختلفين، فكان يجيب هذا بخلاف ما يجيب ذاك " [كتاب إيقاظ الهمم/ 144].

ويلاحظ: أن هذا الكلام مستعار في معناه عن جواب للإمام الباقر على سؤال طرحه عليه زرارة. وقد أورده الكليني: "سألت أبا جعفر عن مسألة فأجابني، ثم جاءه رجل فسأله عنها فأجابه بخلاف ما أجابني، ثم جاء رجل آخر فأجابه بخلاف ما أجابني وأجاب صاحبي! فلما خرج الرجلان قلت له: يا ابن رسول الله! رجلان من أهل العراق من شيعتكم قدما يسألان فأجبت كل واحد منهما بغير ما أجبت



به صاحبه؟ فقال: يا زرارة، إن هذا خير لنا وأبقى لنا ولكم، ولو اجتمعتم على أمر واحد لصدّقكم الناس علينا، ولكان أقل لبقائنا وبقائكم"، لا يوضحون لماذا هذا الانفصام في الأجوبة؟ وهل هذا الكذب يخدم الدين طالما أن الأسئلة تتعلق بالدين؟ وكيف سيكون الأمر لو كان الرسول صلى الله عليه وسلم سلك هذا النهج؟ هل كان المسلمون يقبلون به؟ وألف السراج الصوفي كتاباً بعنوان "مسألة في التقية" جمع فيه آراء المتصوفة في التقية ومما جاء فيه: "التقية حرم المؤمن، كما أن الكعبة حرم مكة"، ومن أشعارهم في التقية التي يرددها الإمام الغزالي:

إذا كان قد صح الخلاف فواجب * * * على كل ذي عقل لزوم التقية

ولا يبين حجة الإسلام الغزالي مبررات ووجوب التقية طالما أن الغرض من المناظرة الوصول إلى الحقيقة، سيما أن المناظرلت التي خاضها كانت مع علماء وفلاسفة كابن رشد، وليس مع حكام حتى يخشى سوء العاقبة، ثم إذا كان حجة الإسلام على حق وسكت عنه ألا يكون بذلك شيطان أخرس؟ الم يقول الإمام على رضي الله عنه وهو قطبهم الأول كما يزعمون: "قل الحق ولو كان فيه هلاكك"؟ ومن شعر ابن الفارض في التقية:

أخالف ذا في لومه عن تقى كما * * * أخالف ذا في لومه عن تقية

وتشير كتبهم بأن الجنيد أرسل للحلاج رسالة قبل قتله أنبه فيها على ما صرح به من أفكار سببت تكفيره والحكم بقتله جاء فيها: "إنك أفشيت أسرار الربوبية فأذاقك طعم الحديد"، وقال له الشلبي: "نحن حبّرنا هذا العلم تحبيراً، ثم خبأناه في السراديب، فجئت أنت فأظهرته على رؤوس الملأ" [التعرف لمذهب التصوف للكلاباذي/172]. أي علم هذا الذي يخبأ في السردايب شأنه شأنه مهدي الشيعة؟ كما يذكر المتصوفة بأن الخضر عليه السلام مر بالحلاج وهو يُصلب فعاتبه الحلاج قائلاً: أهذا جزاء أولياء الله؟ فأجابه الخضر: نحن كتمنا فسلمنا، وأنت بحت فمتّ" [شرح حال الأولياء لعز الدين المقدسي/ 250]. ما حاجة الخضر وهو شبح ليَسلم؟ وممن يُسلم؟ ويذكر الشلبي في هذا الصدد: "كنت والحلاج شيئاً واحداً، غير أنه تكلم وسكت أنا" [أربعة نصوص/ تحقيق لويس ماسينيون/ 19]. لكن من منهم كان على حق، ومن كان على باطل؟

يغمز الطوسي في [اللمع/159] بأن النبي محمد صلى الله عليه وسلم كان يمارس التقية أيضاً! فلا يعلن كل ما عنده من علم: "إن حقائق رسالة محمد صلى الله عليه وسلم وماخصه تعالى به من العلم لو ضعت على الجبال لذابت، إلا أنه كان يظهرها لهم على مقاديرهم"، وهذا طعن كبير بالنبي صلى الله عليه وسلم لأنه لم يبلغ العباد بجميع كلام الله.

ويضيف الطوسي بأن "التقية نور في القلب يفرق بين الحق والباطل" وهو اعتراف صحيح بأن عقيدتهم باطنية، ويذكر الغزالي في كتابه إحياء علوم الدين "ليس كل سر يكشف ويفشى، ولا كل حقيقة تعرض وتجلى، فصدور الأحرار قبور الأسرار" هذا صحيح عموماً، ولكنه لا ينطبق على العبادات.

كما يفصح الشيخ النفزي عن السبب الكامن وراء استخدامهم التقية: "في قلوب الأحرار قبور الأسرار، والسر أمانة الله تعالى عند العبد، فأفشى بالتعبير عنه خيانة، والله تعالى لا يحب الخائنين. أن الأمور المشهودة لا يستعمل فيها إلا الإشارة والإيماء، واستعمال العبارات فيها إفصاح بها



وإشهار لها، وفي ذلك ابتذالها وإذاعتها، ثم إن العبارة عنها لا تزيدها إلا غموضاً وانغلاقاً؛ لأن الأمور الذوقية يستحيل إدراك حقائقها بالعبارات النطقية، فيؤدي ذلك إلى الإنكار والقدح في علوم السادة الأخيار" [غيث المواهب العلية214/1].

نسأله: هل قول الحقيقة للعباد تعتبر خيانة لله وكتمانها وفاء لله؟ إنه هذيان يُنزه الله عنه.

مما نُسب للشيخ معروف الكرخي القول: "كنت أصبح دهري كله صائماً، فإن دعيت إلى طعام أكلت ولم أقل إني صائم" [كتاب صفوة الصفوة32/2]. أي نفاق هذا يا شيخ! حتى الكافر لا يقوم به، هل يستحي المخلوق من المخلوق، ولا يستحي من الخالق!

كما جاء عن بعض شيوخهم عقوبة صارمة لمن يكشف أسرارهم قائلين: "من باح بالسر استحق القتل" [اليواقيت والجواهر للشعراني/17]. وهذا هو التكفير بأعنف معانيه والتحريض على القتل جريمة كبرى.

من نصائح الجنيد لمريديه: "عليك ضبط لسانك، ومعرفة أهل زمانك، وخاطب الناس بما يعرفون، فَقَل من جهل شيئاً إلا عاداه، وأخرج إلى الخلق من حالك بأحوالهم، وخاطبهم من قلبك حسب مواضعهم".

في الختام، لقد ورد عن التقية في سورة البقرة: **﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللهَ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ﴾** [البقرة:204]، في كلام الله الردُّ الحاسم على المنافقين.

4) عقيدة الحلول

ذكر أبو العزايم جاد الكريم: "يعتقد المتصوفة في الله عقائد شتى، منها الحلول الذي يعني أن يكون الصوفي إلهاً ورباً يعلم الغيب كله، كما يعلمه الله سبحانه وتعالى، حيث أن الهدف الصوفي هو الوصول إلى مقام النبوة أولاً، ثم الترقي حتى يصل الفرد منهم في زعمهم إلى مقام الألوهية والربوبية، وتأكيد الصوفية على القول بالحلول، جعلهم يتشبهون بصفات الله، ويصلون في النهاية إلى القول بوحدة الوجود" [صور من الصوفية]. أي أن يحل الله في جسد الصوفي فيستمد الأخير من الذات الإلهية جميع صفاتها.

والحلول نوعان:

أولهما: الحلول الخاص، وهو اتحاد الله ببعض خلقه. أي ما ادعاه النصارى في حلول الذات الإلهية المقدسة في السيد المسيح أو ما يسموه "حلول اللاهوت في الناسوت"، وهو نفس ما ادعاه غلاة الشيعة في حلول الله تعالى في علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

ثانيهما: الحلول العام، وهو حلول الرب وحصوله بذاته في كل مكان. وقد عبر عنه شيخ الإسلام ابن تيمية بقوله: "هناك ممن يقول: إن الله بذاته في كل مكان" [مجموع الفتاوي 140/2]. مفيداً بأن هناك "من لم يفرق بين الحلول العام والحلول الخاص، ولا شك أن التفريق بينهما له أثر في بيان حقيقة الحلول" [مجموع الفتاوي 4500/2]. وهناك أيضاً من خلط ما بين الحلول والاتحاد، فالأول هو حلول



بلا امتزاج أي تبقى لكلٍ من الذات الإلهية خصائصها الربوية، وتبقى للمخلوق صفاته الخاصة، أما الاتحاد فهو امتزاج الذات الربوية مع الذات الإنسانية فتتوحد الصفات والخصائص في بوتقة واحدة.

من المعروف أن عقيدة الحلول ليست من بنات أفكار الرافضة والمتصوفة، بل هي من العقائد القديمة التي ورد ذكرها في اليهودية والنصرانية والمجوسية والديانات الهندية القديمة، فالنصاري يدعون بأن الذات الإلهية المقدسة قد حلت بالسيد المسيح وهو ما يطلقون عليه "حلول اللاهوت في الناسوت" والتي استعارها المتصوفلة. حيث جاء في سفر [أشعيا22/45] النص: "التفوا إلي وأخلصوا يا جميع أقاصي الأرض؛ لأني أنا الله وليس آخر"، واعتقد المجوس بأن الله يَحل في ملوكهم لذلك أضفوا عليهم هالة من القدسية، تحولت فيما بعد للأئمة وانتهت بآيات الله وحججه، حتى في الديانات الوضعية في شرق آسيا مثلاً يعتقدون بظاهرة الحلول، ولعهد قريب كان الشعب الياباني والصيني يعتقدون في ملوكهم هذا الحلول الإلهي.

في العقيدة الصفوية يستندون على رواية تأريخية تؤكد بأن أول من تحدث عن حلول الله في الأئمة هو اليهودي ابن سبأ. وقد ذكرها ابن أبي الحديد في شرحه بقوله: "قال ابن سبأ للإمام وهو يخطب: أنت أنت وجعلها يكررها. فقال الإمام علي: ويلك من أنا؟ فقال ابن سبأ: أنت الله، فأمر بأخذه" [للمزيد راجع شرح نهج البلاغة5/5].

لاحظ المصيبة! أمر بأخذه فقط وهو يعتبره الله! وتشير روايات أخرى بأن الإمام علي رضي الله عنه أمر بحرقهم فزادهم بعقابه ذاك تمسكاً بألوهيته! مدعين بأن الله فقط يعذب بالنار. وقد أثبت الإمام بعقوبته ربويته! وهناك روايات تشير بأن علياً أبعدهم ولم يحرقهم لأنهم من محبيه! ورواية أخرى تشير بأنه نفاهم لأنهم كشفوا سره الرباني، وغيرها من السفسطات.

كما يذكر الكليني في الكافي رواية عن أبي عبد الله في باب ولادة النبي صلى الله عليه وسلم بأن الله تعالى قال: "يا محمد! إني خلقتك وعلياً قبل أن أخلق سماواتي وأرضي وعرشي وبحري، ثم جمعت روحيكما واحدة، ثم قسمتها ثنتين، وقسمت الثنتين ثنتين فصارت أربعة، محمد وعلي والحسن والحسين" لاحظ استخدام الثنتين! أشبه بكلامهم عن [المثنوي] الذي يرمز إلى قوى النور والظلام في الزرادشتية.

المتصوفة يحذون حذو الصفويين، فقد ذكر ابن خلدون بهذا الخصوص أنهم أخذوا فكرة الحلول من التشيع، أن هؤلاء المتأخرين من المتصوفة، المتكلمين في الكشف وفيما وراء الحس، توغلوا في ذلك فذهب الكثير منهم إلى الحلول والوحدة وملأوا الصحف من مثل الهروي في كتاب (المقامات) له وغيره، وتبعهم ابن عربي وابن سبعين وتلميذهما ابن العفيف، ابن الفارض والنجم الإسرائيلي في قصائدهم، وكان سلفهم مخالطين للإسماعيلية المتأخرين من الرافضة الدائنين أيضاً بالحلول وإلوهية الأئمة مذهباً لم يعرف لأولهم، فأشرب كل واحد من الفريقين مذهب الآخر، واختلط كلامهم وتشابهت عقائدهم" [مقدمة ابن خلدون/ 473].

ذكر الأشعري: "النساك من الصوفية من يقول بالحلول، وأن البارئ يحل في الأشخاص، وأنه جائز أن يحل في إنسان وسبع وغير ذلك من الأشخاص. وأصحاب هذه المقالة إذا أرادوا شيئاً يستحسنونه



قالوا: لا ندري لعل الله حالٌ فيه، ومالوا إلى اطراح الشرائع، وزعموا أن الإنسان ليس عليه فرض ولا يلزمه عبادة إذا وصل إلى معبوده" [مقالات الإسلاميين].

من الجدير بالذكر أن الحلاج قد صرح بهذا الحلول في الكثير شعره:

أنا من أهوى ومن أهوى أنا * * * نحن روحان حللنا بدنا

فـإذا أبصــرته أبصـرتني * * * وإذا أبصرته أبصرتنا

وهو نفس ما عبر عنه الشاعر أبو نواس:

رق الزجاج وراقت الخمر * * * فتشابها وتشاكل الأمر

كأنما خمر بلا قدح * * * وكأنما قدح بلا خمــر

وقد استشهد الحلاج في دعوته إلى الحلول على شاهدين عجيبين هما: إبليس وفرعون وسماهما "صاحبي وأستاذي" [كتاب أخبار الحلاج/100].

يذكر القاضي عياض في كتابه [الشفا 298/2] لقد "أجمع فقهاء بغداد أيام المقتدر على قتل الحلاج وصلبه لدعواه الإلهية والقول بالحلول" ورغم قول ابن عربي حسبما ذكر الشعراني: "من قال بالحلول فدينه معلول، وما قال بالاتحاد إلا أهل الإلحاد"، لكن كتب ابن عربي جميعها تتحدث عن عقيدة الحلول والاتحاد بشكل مباشر أو توريه. وما قوله السابق إلا تقية بعد أن اتهموه بالشرك، وشاهد بعينه مصير الحلاج القاتم، فقد نقل الشيخ محمود أبو الشامات [في كتابه الإلهمات الإلهية على الوظيفة اليشرطية] حديثاً لابن عربي جاء فيه: "يجب على المريد أن يعتقد في شيخه بأنه المتحكم في موته وحياته، وأن الله تجلى في صورته" فهل بقي أكثر من هذا الشرك؟



5) عقيدة الرجعة

يُعرف السكسكي عقيدة الرجعة بأنها "رجعة الأموات إلى الدنيا"، وهذه العقيدة مستمدة من التوراة والزرادشتية، فهي مذكورة [الإصحاح 5/4]. وقد استعارتها العقيدتين الصوفية والصفوية، فالمسيح والقائم وبعض الأولياء سيرجعون للحياة ثانية للانتقام من أعدائهم والقضاء على الجور والظلم. ووظفها المجوس كهدف سياسي يخدم طموحاتهم، ويبرر هزائمهم، ويجدد آمالهم بعودة نفوذهم التأريخي في المنطقة الذي يتجسد في النبوؤة الزرادشتية: "يزول الملك عن الفرس وينتقل إلى الروم واليونان ثم يعود إلى الفرس ثم ينتقل إلى العرب ثم يعود إلى الفرس" [موسوعة الفرق والجماعات والمذاهب الإسلامية/96].

وتشير الأخبار بأن "ابن سبأ اليهودي هو أول من قال ذلك بالرجعة" [البرهان في معرفة عقائد أهل الأديان/ 50]، كما ذكرت المصادر قول ابن سبأ: "العجب ممن يزعم أن عيسى يرجع! ويُكذب بأن محمداً يرجع، وقد قال الله: **﴿إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَى مَعَادٍ﴾** [القصص:85] ، فمحمد أحق بالرجوع من عيسى" [تاريخ الطبري 140/4].

صحيح محمد صلى الله عليه وسلم هو خاتم الأنبياء لكنه ليس أفضلهم! الله تعالى فقط هو الفيصل في هذا الأمر! فقد جاء في سورة القرة: **﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلى إبراهيم وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾**، وجاء أيضاً: **﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ وَآتَيْنَا عِيسَى ابن مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ﴾**، كما يذكر أحمد أمين: "فكرة الرجعة هذه أخذها ابن سبأ من اليهودية فعندهم أن النبي إلياس صعد إلى السماء وسيعود فيعيد الدين والقانون، ووجدت الفكرة في النصرانية أيضاً في عصورها الأولى" [فجر الإسلام/27].

بلا أدنى شك أن الله تعالى هو الذي يفضل بين رسله وأنبيائه، ولم يُعلم عباده بالمفضلين عنده من رسله وأنبيائه فهذا ليس شأنهم ولا هو شأننا، وقد نهى النبي محمد صلى الله عليه وسلم عن تفضيله على بقية الأنبياء بقوله: **«لا تفضلوا بين الأنبياء»** [أخرجه البخاري ومسلم]. فلماذا ندس أنوفنا في أمر لا يعنينا ولا لزوم له؟ وهل لهذه الأفضلية علاقة بحياتنا اليومية؟ إنها شأن رباني خالص لا داعي للخوض فيه.

يذكر الشيخ المفيد - الذي لم نلمس أية فائدة منه -: أن الشيعة الأمامية اتفقت "على وجوب رجعة كثير من الأموات إلى الدنيا يوم القيامة" [أوائل المقالات/51].

ولم يفسر لنا المفيد على أي أساس اتفقوا، ومن الذي أرسى هذا الأساس؟ أليس اليهودي ابن سبأ؟

وقال ابن بابويه في الاعتقادات: "واعتقادنا في الرجعة أنها حق" [الاعتقادات/90]، هذا قد يتفق مع رواياتهم التي تقول: "أول من تنشق الأرض عنه ويرجع إلى الدنيا، الحسين بن علي عليه السلام" [بحار الأنوار 39/53].



يذكر القمي عن جماعته الرافضة: "من لوازم هذه العقيدة عندهم الاعتقاد بأن علياً حياً لم يمت، ولهذا فالشيعة يقولون بأن علياً لم يقتل ولم يمت، ولا يموت حتى يملك الأرض، ويسوق العرب بعصاه" [المقالات والفرق/19].

أي تجنٍ ظالم على العرب! هل العرب حمير ليسوقهم الإمام بعصاه؟ إنه الدس الشعوبي، كأنك تقرأ حديثاً لفارسي شعوبي وليس لإمام عربي!

لاحظ أيضاً: لم يقل القمي مسلمين وإنما خص العرب فقط! هذه واحدة من أساليب الشعوبيين فلا عجب!

علقت في مدخل مرقد الإمام الحسين لوحة حجرية وردت من بلاد فارس كُتب عليها: "لعن الله أمة قتلتك"! لماذا الأمة؟ ومن هي الأمة؟ العرب هم من قتلوا الحسين، فصبوا الفرس اللعنة على أمة العرب كلها وليس على القتلة فحسب! والعجيب أن الغباء المعشعش في عقول أتباع أهل البيت حال دون فهم هذه الإساءة التي تمسهم قبل غيرهم.

جاء في خطبة منسوبة للإمام علي يذكر فيها: "أنا الذي أقتل مرتين، وأحيي مرتين، وأظهر كيف شئت" [بغية الطالب في معرفة علي بن أبي طالب/408].

الإمام على مزاجه يموت ويحيا!

وينسب الميرزا محمد بن دوست الحسيني الاسترابادي للإمام علي القول: "وإن لي الكرة بعد الكرة والرجعة بعد الرجعة، أنا صاحب الرجعات والكرات" [كتاب الرجعة للاسترابادي/65].

وما هو شأن الرب يا إمام؟!

وتشير المصادر الشيعية بأن القائم سيرجع لينتقم من أعداء آل البيت، ويملأ الأرض عدلاً ويحكم بشريعة النبي داوود وليس شريعة النبي محمد صلى الله عليه وسلم! تأثر واضح وصريح باليهودية والعداء الشعوبي للعرب.

ولكن أحفاد علي يدحضون هذا الادعاء! سأل عمران بن أبي عاصم الإمام الحسن: تزعم الشيعة أن علياً مبعوث قبل يوم القيامة؟ فقال الحسن: "كذبوا والله! لو علمنا أنه مبعوث ما زوجنا نساءه ولا قسمنا ماله" [تأريخ دمشق لابن عساكر4/435].

نفس العقيدة يؤمن بها المتصوفة، حيث يذكر الشيخ أبو العزايم جاد الكريم: "أن من ألوان تقديس الأموات والغلو فيهم أن يعتقد - وهذا ما يفعله المتصوفة - أن الميت ولي كان أم نبياً لا بد أن يرجع إلى الدنيا، وأنه متى ما أراد أن يعود إلى بيته عاد وكلم أهله وذويه، وتفقد أتباعه ومريديه، وربما أعطاهم أوراداً .. إلى غير ذلك مما يعبر عن عقيدة موغلة في الجهل بعيدة عن عقيدة الإسلام الصافية".

مظاهر عقيدة الرجعة عند الصوفية تتمثل في اعتقادهم أنهم بإمكانهم مقابلة الرسول صلى الله عليه وسلم بعد موته يقظة، وأنه صلى الله عليه وسلم يحضر بعض اجتماعات الصوفية، وأنه مازال يعطي بعض المعارف والتشريعات لمن يشاء من العباد" [صور من الصوفية/8].

ويذكر الشعراني نقلاً عن أحد مشايخ الصوفية قوله في الإمام علي: "لقد رُفع كما رُفع عيسى عليه السلام، وسينزل كما ينزل عيسى" ويضيف الشعراني بأنه سمع شيخه (علي الخواص) يذكر"أن



نوحاً عليه السلام أبقى من سفينته لوحاً عليه اسم علي بن أبي طالب رضي الله عنه يرفع عليه إلى السماء، فلم يزل محفوظاً في صيانة القدرة حتى رُفع علي بن أبي طالب" [كتاب طبقات الشعراني 44/2].

ويزعمون أن الشيخ علي الميرغيني قد قبض روح أحد مريده، من ثم أرجعه حياً، وتم ذلك بحضور النبي صلى الله عليه وسلم! [للمزيد راجع كتاب قبس من نور لمحمد عثمان البرهاني/56].

ونسب الشعراني للشيخ أحمد الرفاعي قوله: "لولا لطف ربي ما رجعت إليكم" [الطبقات143/1].

كما قال الحلاج بأنه سيرجع بعد موته بأربعين يوماً ولم يرجع؛ لأنه لا رجوع من جهنم! الطريف كما سيأتي ذكره لاحقاً أن الرجعة لا تشمل البشر فحسب بل الحيوانات أيضاً!



6) عقيدة المهدي المنتظر

ذكر ابن أبي الحديد "أن أصل الأكاذيب في أحاديث الفضائل كان من جهة الشيعة؛ فإنهم وضعوا في مبدأ الأمر أحاديث مختلفة في صاحبهم، وحملهم على وضعها عداوة خصومهم" [شرح نهج البلاغة49/11].
ويذكر أحمد أمين: "إن الصوفية اتصلت بالتشيع اتصالاً وثيقاً، وأخذت فيما أخذت عنه فكرة المهدي، وصاغتها صياغة جديدة وسمته (قطباً)، وكونت مملكة من الأرواح على نمط مملكة الأشباح، وعلى رأس هذه المملكة الروحية القطب، وهو نظير الإمام أو المهدي في التشيع، والقطب هو الذي "يدبر الأمر في كل عصر، وهو عماد السماء، ولولاه لوقعت على الأرض"، ويلي القطب النجباء، قال ابن عربي في الفتوحات المكية: هم اثنا عشر نقيباً في كل زمان، لا يزيدون ولا ينقصون، على عدد بروج الفلك الاثني عشر، كل نقيب عالم بخاصية كل برج وبما أودع الله تعالى في مقامه من الأسرار والتأثيرات" [كتاب ضحى الإسلام/245].
لاحظ أن عدد النقباء (12) هو نفس عدد الأئمة وهذه بالطبع ليست صدفة! الحقيقة أن أطروحة المهدي موجودة عند كل الشعوب التي ترهن تغيير أحوالها وإنهاء الظلم بواسطة السوبرمان الذي سيملأ الأرض عدلاً، قال الرابي عقيباً: "من الخير للإنسان أن يُبتلى، إذ أن معاناته تُكفر عن سيئاته" [التلمود/ 302].
تتناقض الروايات الصفوية بطريقة هزلية حول شخصية المنتظر، حتى يمكننا أن نجزم بأنه لا توجد شخصية في العالم فيها من التناقضات مثل شخصيته المهزوزة! وتناولنا هذا الموضع في ثماني مباحث يمكن الرجوع إليها على المواقع الإلكترونية.



ولإيجاز هذه الشخصية الأسطورية:

تقول طائفة بأنه لم يولد أصلاً، فقد كان أبوه عقيماً، ورغم كثرة أزواجه وجواريه لم تحمل أي منهن جنيناً، مما يؤكد هذا العقم. وقد ذكر الشيخ المفيد في كتابه الإرشاد: "لم يظهر له ولد في حياته ولا عرفه الجمهور بعد وفاته"، وهذا ما أكده أقرب الناس إليه وهو عمه جعفر الذي أكد بأن أخاه العسكري لم يخلف ولداً، فرفضت رواية ابن آل البيت من قبل الشيعة، في حين قبلوا رواية أحد مواليه الغرباء (عثمان بن سعيد) المستفيد من الخمس، بأن له ولدا اختفى وعمره (4) سنوات، وأنه- أي عثمان- وكيله باستلام الخمس والولاية حسب وصية المهدي، والغريب أن كليهما (جعفر وعثمان) غير معصومين لكن جعفراً محسوب على آل البيت على أقل تقدير! فلماذا قبلت رواية الغريب ورفضت رواية الأخ؟ كما أن رواية عثمان بن سعيد مستقاة من حكاية يتيمة انفردت بذكرها حكيمة (عمة الحسن العسكري وهي غير معصومة أيضاً) بقولها إن العسكري أخبرها "فإذا غَيب الله شخصي وتوفاني ورأيتِ شيعتي قد اختلفوا فأخبري الثقات منهم" الحديث مكذوب! وإلا كيف عرف بأن شيعته ستختلف بعده؟ والاختلاف حول ماذا؟ ولماذا لم يحل الخلاف في حياته ويحافظ على وحدة شيعته؟ ولماذا تخبر حكيمة الثقاة فقط؟ ومن هم الثقاة؟ ولماذا لم تخبر القاضي أبا الشوارب ليحفظ إرث الولد المزعوم؟ وعلى أساس أخذ العم والأم الإرث في ظل وجود وريث شرعي حي يرزق؟ ولماذا فضل الإمام العسكري حكيمة على أخيه؟ وأين أم المهدي من كل هذا الهراء؟ العمة تثرثر والأم صامتة لا حس ولا خبر!

في كتاب "غيبة للطوسي" يذكر بأن حكيمة رأته وفقدته "بعد 7 أيام من ولادته" وفي رواية أخرى أن حكيمة بعد (40) يوماً من ولادته رأته يمشي في دار أبيه وفقدته بعد ذلك. وفي رواية أخرى أنها كانت تزوره كل (40) يوماً، وآخر زيارة كانت بأيام قلائل قبل وفاة أبيه العسكري، وكان عمر المهدي آنذاك (5) سنوات. وفي رواية أغرب من روايات الخيال العلمي أنها رأته رجلاً ناضجاً في حياة أبيه وليس ابن أربعين يوماً! فقد جاء في كتاب إكمال الدين عنها: "رأيته رجلاً فلم أعرفه. فقلت لابن أخي: من هذا الذي تأمرني بالجلوس بين يديه؟ فأجاب: هو ابن نرجس خليفتي ومن بعدي".

والطريف أن مصادر الصفوية الرئيسة كإرشاد الشيخ المفيد وإعلام الورى للطبرسي وكشف الغمة للإربلي ومنتهى الآمال لعباس القمي وجلاء العيون للمجلسي وغيرهم .. تؤكد عقم العسكري: "فلما دفن العسكري طُلب ولده فلم يجدوا له ولداً! ثم تبين بطلان حمل جاريته، عندها وزع ميراثه بين أمه وأخيه جعفر وثبت ذلك عند القاضي" [قاضي سامراء ابن أبي الشوارب].

أما بالنسبة للصوفية، تذكر "آنا ماري شيمل" في كتابها "الأبعاد الصوفية في الإسلام" بأن هناك عدداً غير قليل من المتصوفة قدم نفسه على أنه المهدي المنتظر، الذي يظهر في آخر الزمان متجسداً في الإمام الغائب "ويلاحظ أنه رغم انفراد الإمامية وفرق قليلة بعقيدة المهدي واختفائه في الحفرة، لكن المتصوفة يأخذون بها زاعمين وجود ولد للحسن العسكري، وأنه سيخرج ليملأ الأرض عدلاً.

ومسلسل المهدي لا تنقطع حلقاته منذ الغيبة الكبرى ولحد الآن، المئات أعلنوا أنهم المهدي.

يذكر صديق الدملوجي بأن اليزيدية يقولون بأن شيخهم "يزيد بعد أن نشر الديانة اليزيدية صعد إلى السماء، وأنه سيعود مرة أخرى، ويملأ الأرض عدلاً بعد أن ملئت جوراً، ويرفع من شأن اليزيدية،



وينتقم لها من أعدائها" [اليزيدية/164] وهذا شأن معظم الفرق الشيعية. ففي عام 2013 ظهر حوالي عشرون شخصاً ادعوا بأنهم المهدي!

مثلما ربط الصفويون ظهور المهدي بوجود ثلاثمائة من أنصاره المخلصين. كذلك استعاروا المتصوفة نفس الرقم حيث يذكر روزبهان الصقلي بأن "ثلاثمائة شخص قلوبهم على آدم" يكتمل بهم عدد الأولياء بعد أن أضاف لهم الملائكة والأنبياء. و يذكر الشيخ علي الخواص "نترقب خروج المهدي عليه السلام، وهو من أولاد حسن العسكري، ومولده عليه السلام ليلة النصف من شعبان سنة 255 وهو باقٍ إلى أن يجتمع بعيسى ابن مريم عليه السلام، فيكون عمره إلى وقتنا هذا، وهو سنة ثمان وخمسين وتسعمائه سبعمائة سنة وست سنين. هكذا أخبرني الشيخ حسن العراقي المدفون فوق كوم الرئيس المطل على بركة الرطل بمصر المحروسة عن الإمام المهدي حين اجتمع به"! ونعم المصدر الموثوق يا شيخ الدجاجيل! كما ذكر نور الله التستري في كتابه "مجالس المؤمنين" بأن "الحلاج كان يدعو الناس ويبشرهم بالفرج وخروج صاحب الزمان من أرض طالقان عما قريب" شَدد على كلمة عما قريب. فلا خرج المهدي عن قريب ولا عاد الحلاج للحياة كما زعم لأصحابه!

من مؤلفات شيخ الصوفية أبو نعيم الأصبهاني كتاباً بعنوان "الأربعون في أحاديث المهدي"، وهذا دليل وثيق على إيمانهم بعقيدة المهدي. كما يذكر بهاء الدين محمد مهدي بأنه التقى النبي صلى الله عليه وسلم على شاطئ نهر وقال له: "تمسك بولدي أحمد الرفاعي، تصل إلى الله. فهو سيد أولياء أمتي وأعظمهم منزلة بعد أولياء القرون الثلاثة، ولا يجيء مثله إلى يوم القيامة غير المهدي العسكري" [بوارق الحقائق/212].

أما الشعراني فإنه حدثنا عن لقاء الشيخ حسن العراقي بالإمام المهدي في دمشق حيث ضيفه في منزله سبعة أيام وعلمه ورده كل ليلة خمسمائة ركعة وصيام الدهر [الأنور القدسية في الآداب5/1 طبع على هامش الطبقات]. لاحظ نفس الادعاء موجود عند الصفويين! فقد زعم إبراهيم بن سليمان البحراني بأنه التقى المهدي وعلمه وذاكره في مسائل العلم [روضات الجنات للخوانساري25/1].

كما يذكر الشيخ عمر بن سعيد الفوتي "إن جميع الأولياء يدخلون زمرتنا، ويأخذون أورادنا، ويتمسكون بطريقتنا من أول الوجود إلى يوم القيامة، حتى الإمام المهدي (رض) إذا قام آخر الزمان يأخذ عنا ويدخل زمرتنا" [رماح الحزب الرحيم]. **إذن** صار المهدي مريداً عند المتصوفة!

ويذكر ابن عربي "لا بد من خروج المهدي [ع] لكن لا يخرج حتى تمتلئ الأرض جوراً وظلماً، فيملؤها قسطاً وعدلاً، ولو لم يكن من الدنيا إلا يوم واحد طوّل الله تعالى ذلك اليوم حتى يلي ذلك الخليفة وهو من عترة رسول الله صلى الله عليه وسلم من ولد فاطمة رضي الله عنه جده الحسين بن علي بن أبي طالب، ووالده حسن العسكري بن الإمام النقي –بالنون- ابن محمد –التقي- بالتاء ابن الإمام على الرضا ابن الإمام موسى الكاظم ابن الإمام جعفر الصادق ابن الإمام محمد الباقر ابن الإمام زين العابدين علي بن الإمام الحسين ابن الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه" كتاب [اليواقيت والجواهر في بيان عقائد الأكابر ج143/2]. لكن ما هو مقياس الجور والظلم؟

يذكر الشعراني عن الشيخ حسن العراقي: "دخلت جامع بني أمية، فوجدت شخصاً يتكلم على الكرسي في شأن المهدي عليه السلام، فاشتقت إلى لقائه، فصرت لا أسجد سجدة إلا وسألت الله تعالى أن



يجمعني عليه، فبينما أنا ليلة بعد صلاة المغرب أصلي صلاة السنة، وإذا بشخص جلس خلفي، وحسس على كتفي، وقال لي: قد استجاب الله تعالى دعاءك يا ولدي ما لك أنا المهدي. فقلت: تذهب معي إلى الدار، فقال: نعم، فذهب معي، فقال: أخلِ لي مكاناً أنفرد فيه. فأخليت له مكاناً فأقام عندي سبعة أيام بلياليها، ولقنني الذكر، وقال: أعلمك ورعي تدوم عليه إن شاء الله تعالى تصوم يوماً، وتفطر يوماً، وتصلي كل ليلة خمسمائة ركعة، فقلت: نعم. فكنت أصلي خلفه كل ليلة خمسمائة ركعة، وكان شاباً أمرد حسن الصورة، فكان يقول: لا تجلس قط إلا ورائي فكنت أفعل، وكانت عمامته كعمامة العجم، وعليه جبة من وبر الجمال، فلما انقضت السبعة أيام خرج، فودعته، وقال لي: يا حسن! ما وقع لي قط مع أحد ما وقع معك فدم على ورعك حتى تعجز، فإنك ستعمر عمراً طويلاً. انتهى كلام المهدي. قال: فعمري الآن مائة وسبعة وعشرون سنة" [الطبقات الكبرى369/2]. لاحظ الدس: عمامته كعمامة العجم! والطريف أنه شاب أمرد!

ذكر محمد الصيادي الرفاعي: "لي أربعة أسانيد في المصافحة: **الأول:** عن ابن عمي السيد إبراهيم الرفاعي المفتي وسنده في المصافحة سنده في الإجازة إلى الإمام الأكبر سلطان الأولياء مولانا السيد أحمد الكبير الرفاعي رضي الله عنه وهو صافح جده يوم مد اليد والقصة أشهر من أن تذكر. **والثاني:** عن ابن عمي وشيخي السيد عبدالله الراوي الرفاعي وسنده أيضاً سند إجازته وهو يتصل بالإمام الكبير الرفاعي رضي الله عنه وعنا به وهو قد صافح جده عليه الصلاة والسلام. **والثالث:** عن حجة الله الإمام المهدي ابن الإمام العسكري رضوان الله وسلامه عليهما في طيبة الطيبة تجاه المرقد الأشرف المصطفوي وقال: صافحت رسول الله صلى الله عليه وسلم ودعا لي بخير. قال شيخنا رضي الله عنه ثم دعا لي الإمام المهدي رضوان الله عليه بخير. **والرابع:** عن الخضر عليه السلام صافحته سبعاً وثلاثين مرة آخر مرة منها في مقام الشيخ معروف الكرخي رضي الله عنه ببغداد عصر يوم جمعة فقال: صافحت رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقال لي: صافحت كفي هذه سرادقات عرش ربي عز وجل" انتهى [المجموعة النادرة/230].

ادعي الرئيس نجادي بأن له لقاءات مستمرة مع المهدي، وهو الذي يسير دفة حكومته بما فيها تعيين الوزراء الفاسدين! وأن المهدي كان موفداً معه في إحدى اجتماعات الأمم المتحدة ولم يشعر به أحد من الحضور! أما الخامنئي فيتصل بالمهدي عبر الموبايل حسب قول آية الله كاظم صديقي إمام جمعة طهران [مجلة باسدار إسلام]. ولا أعرف كيف يتم تأمين الاتصال مع الإمام في الحفرة وهي كما معروف خارج التغطية؟ ليس العتب على الملالي فحسب، بل العتب على الشعوب التي تقبل بهذه العقليات الطفيلية التي تحكمها. الشعب الذي يتقبل من زعاماته هذه التخاريف والشطط يعيش فعلاً مع إمام الحفرة وفي زمنه وليس في الألفية الثالثة!

من خلال هذا الانحطاط العقلي يمكنك الحكم على مستوى وعي وثقافة رافضة إيران والعراق! انظروا إلى أي مستوى من الضحالة الفكرية وصل لها الشعبين مع حكم المراجع الدينية.

في العراق على سبيل المثال: أفرز الاحتلال الأمريكي- الإيراني سبعة ملايين أمياً. وتتنافس جامعات العراق ليس على الارتقاء بالمستوى العلمي، وإنما على مستوى تمثيلها في مراسيم زيارة عاشوراء!



وتوزع على طلاب العلم (بناة مستقبل العراق) في الجامعة التكنلوجية صكوك محبة الإمام علي بن أبي طالب للدخول إلى الجنة! جواز سفر من الجامعة التكنلوجية للجنة!

إن الوعي الجماهيري والثقافة الشعبية والتسلح بالعلم والمعرفة من أشد أعداء المعممين، إنها تنهي نفوذهم وتسلطهم على فيالق الجهلة وفرق الحمقى وألوية السذج؛ لذلك فهم يحلون فريضة الجهاد ضد قوى النور المتمثلة بالمعارف والثقافة والعلوم لا غيرها. لنتذكر دائماً وأبداً بأن الطحالب والطفيليات والحشرات لا تعيش إلا في المياه الآسنة والضحلة، كذلك حال المعممين فهم يعيشون في مستنقع الجهل والتخلف والفقر والمرض.



الباب الثالث

(1) القدرة الإلهية صفة يشارك فيها الأئمة والشيوخ الذات الإلهية

هناك صفات منوطة بالذات الإلهية فقط، ومنها علم الغيب والشفاعة والمغفرة، وإحياء الموتى، وتوجيه الملائكة، وحديث الروح، وقضاء حاجات العباد ومعجزات الرسل والأنبياء وغيرها. إنها مميزات خاصة بالرب تبارك وتعالى، وضحت بشمل وافٍ وكافٍ وشافٍ في القرآن الكريم والسنة النبوية، لا تحتاج إلى تأويلات أو تفسيرات باطنية.

السر الرباني في أن يقول "للشيء يكن فيكن" يتجلى في قدرة وعظمة الرحمن، قدرة لم يمنحها لرسول ونبي إلا بمشيئته وفي حالات استثنائية اقتضتها الضرورة القصوى في حينها وغير قابلة للتكرار. فقد جاء في سورة النحل: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [النحل:40]، كما وردت بنفس المعنى في سورة غافر، يس، مريم، الأنعام، آل عمران، البقرة.

نسب الصفويون حديثاً قدسياً للرسول صلى الله عليه وسلم يقول فيه: "عبدي أطعني تكن عبداً ربانياً، يقول للشيء كن فيكون" أو بصيغة أخرى ذكرها علي بن يونس العاملي في كتابه [الصراط المستقيم169/1] أوردها الحر العاملي: "إن لله عباداً أطاعوا الله فأطاعهم، يقولون بأمره للشيء كن فيكون" [الجواهر السنية/361]. وذكر المحقق النراقي في كتابه مستند الشيعة: "إن الإنسان يرتفع حتى يعد بمنزلة الملائكة، بل بمنزلته تبارك وتعالى كما ورد في قوله تعالى: "عبدي أطعني تكن مثلي"! علماً أن اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد فندت هذا الحديث وكذبته.

فما لم يمنحه الله من قدرات للأنبياء لا يعقل أن يعطيها لخلفهم، أو لرجال لمجرد كونهم صالحين، ولم نشهد حديثاً للنبي صلى الله عليه وسلم بهذا المعنى أو قريباً له عن مثل تلك القدرات الخارقة؛ فكيف نشهدها مع شيوخ وأئمة لم تكن لهم منزلة كمنزلة النبي صلى الله عليه وسلم ولا يصلون إلى جزء يسير منها؟ وكيف نقبل أقوالهم على علتها دون أن نحللها بدقة وعقلانية؟ فقد جاء في بحار المجلسي: بأن "الله يقول في بعض كتبه [لاحظ عبارة بعض كتبه!]: يا ابن آدم! أنا أقول للشيء كُن فيكون. أطعني فيما أمرتك أجعلك تقول للشيء كن فيكون" [بنفس الصيغة وردت في مستدرك الوسائل258/11. الفوائد الرجالية 17/1 للسيد بحر العلوم]، وتلاعب الصفويون بهذا الكلام فنقلوه بصيغ أخرى منها: "عبدي أطعني أجعلك مثلي" [ورد في شجرة طوبى330/1 وهامش بحار الأنوار لمحمد مهدي الحائري 165/102]. وبصيغة أخرى "تكن مثلي" [وردت في مستند الشيعة للشيخ النراقي 6/1 والفوائد الرجالية 39/1].

فيما يتعلق بالمتصوفة، فقد نُسب للشيخ الرفاعي القول بأن الله جل جلاله "صرف الأولياء في الأكوان وجعلهم يقولون للشيء كن فيكون" [راجع كتاب البرهان المؤيد للرفاعي/ تحقيق عبد الله الحبشي]. ونقل الشعراني في كتابه [جامع كرامات الأولياء] عن الشيخ النبهاني قوله: "إن أحد الأولياء ترك قوله للشيء



كن فيكون، تأدّباً مع الله "يا سلام على هذا الأدب الرفيع! يعمل الكبائر ويتأدب في الصغائر! كما ادعى في نفس الكتاب بأن الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال لعمر النبتيني: أعط طاقيتي هذه للشيخ عبد الوهاب الشعراني وقل له أن يتصرف في الكون" بمعنى أعطى من لا يملك لمن لايستحق! كما نقل الصيادي عن السيد أحمد الرفاعي قوله: "وإذا صرف الله تعالى الولى فى الكون المطلق صار أمره بأمر الله. إذا قال للشيء كن فيكون" [راجع كتابي قلادة الجواهر والبرهان المؤيد]. ويضيف البنهاني بأن الغوث الأعظم (ابن عربي) كان يقول بأن "الأولياء يُنتقلون إلى مقام كريم يقولون فيه للشئ كن فيكون" [جامع كرامات الأولياء].

ويذكر الشيخ الكيلاني "أمري هو أمر الله أن قلت كُن يَكن" ويذكر علي نور الدين اليشرطي "يصل الفقير إلى مقام يقول فيه للشيء كن فيكن"، ونسبوا للشيخ أحمد الرفاعي قوله "أن الولي يحيي الموتى، وأنه إذا قال للشيء كن فيكون" [قلادة الجواهر/73]، كما قال صاحب المشرع عن الشيخ علوي بن الفقيه "حُكي أن الشيخ عبدالله باعباد سأل صاحب الترجمة عما ظهر له من المكاشفات بعد موت والده فقال: ظهر لي ثلاث أحيي وأميت بإذن الله، وأقول للشيء كن فيكون، وأعرف ما سيكون فقال الشيخ عبدالله: نرجو فيك أكثر من هذا" [المشرع الروي211/2].

كما ذكر الشيخ على بن محمد الدينوري "تركت قولي للشيء كن فيكون تأدبا مع الله" [جامع كرامات الأولياء158/2]. وذكر الشيخ عبد العزيز "إن تصريفي يصل حتى إلى الجنان، وإن الحور لا يفعلن شيئاً إلا بأمر مني" [كنوز السعادة الأبدية/128]، كما نقل أحمد الزبيدي عن إسماعيل بن محمد بن ميمون الحضرمي قوله: "وُضع الكون بين يديّ وقيل لي: يا إسماعيل اختر، فاخترت الآخرة على الدنيا، واخترت الله عوضاً عنها وعن نفسي" [طبقات الخواص/100]. كما يذكر أحمد البريلويي عن الشيخ عبد القادر "إنه متصرف في العالم، ومأذون ومختار، وهو المدبر لأمور العالم" [حقائق بخشش/26]. يذكر عبد الكريم الجيلي "كل واحد من الأفراد والأقطاب له التصرف في جميع المملكة الوجودية" [الإنسان الكامل/122]. لكن الإمام القرافي له رأي آخر "وقع ذلك لجماعة من جُهَّال الصوفية فيقولون: فلانٌ أُعطي كلمة "كن" ويَسْألون أن يُعْطَو كلمة كن التي في قوله تعالى: **﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾** [النحل:40] وما يعلمون معنى هذه الكلمة في كلام الله تعالى، ولا يعلمون ما معنى إعطائها، إن صحَّ أنها أُعطيت، وهذه أغوارٌ بعيدة الرَّوْم على العلماء المُحَصِّلين فضلاً عن الصوفيّة المُتَخَرِّصين فيهلكون من حيث لا يشعرون، ويعتقدون أنّهم إلى الله تعالى مُتَقَرِّبون، وهم عنه مُتَباعدون، عصَمَنا الله تعالى مِنَ الفتن وأسبابها، والجهالات وشُبُهها" [كتاب الفروق272/4].



2) إحياء الموتى

يخاطب رب العزة نبيه المصطفى بقوله: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ﴾ [الزمر:30]، وإحياء الموتى صفة إلهية محضة، ولم نشهد للنبي صلى الله عليه وسلم هكذا قدرة، ولو كانت له لأحيا عمه الحمزة لحبه الشديد له، وعمه أبي طالب عسى أن يهديه إلى دين الحق، بدلاً من أن يموت مشركاً! أو زوجته خديجة التي سمى عام موتها عام الحزن وبقية أحبابه، أو ابنه القاسم فلذة كبده.

أول من أشار إلى هذه الظاهرة هو ابن سبأ، فقد ذكر ابن حبان بأن ابن سبأ يقول "بألوهية علي وعلمه الغيب وقدرته على إحياء الموتى، وأنه كان راضياً عن ألوهيته ولكنه حرقهم بالنار؛ لأنهم أفشوا السر، ثم أحياهم بعد ذلك" [الضعفاء والمتروكون8/3]. لاحظ العبارة إنه كان راضياً عن تأليهه، لكنه سخط عنهم لأنهم أفشوا سره! نفس الحالة تتكرر مع الحلاج!

يذكر الصفويون بأن "الأئمة يُحيون ويُميتون" [الكافي436/1]. وقد سئل أبو جعفر: أنتم تقدرون على أن تحيوا الموتى وتبرئوا الأكمة والأبرص؟ أجاب: نعم بإذن الله" [الكافي391/1] وأنهم إن شاؤوا أن يحيبوا الموتى فإنهم يفعلون بسهولة، ومن الأدلة على ذلك: أن شاباً من بني مخزوم أتى الإمام علي رضي الله عنه يريد منه أن يحي أخاه الميت فخرج معه إلى قبره، فلما وصلوا خرج ذلك المخزومي من قبره وهو يتكلم بلسان الفرس، فلما سأله الإمام علي عن سبب تغير لسانه من العربي إلى الفارسي ذكر "أن هذه عقوبة من الله لأنه مات على سنة أبي بكر وعمر"! [بصائر الدرجات/76]، لاحظ الدس والإساءة إلى الصحابيين الجليلين الصديق والفاروق!

ومن جهة أخرى هل من عقوبات الله أن يجعل اللسان فارسي؟ أليس هذا طعن بلغتهم الفارسية كأنما أراد الله تعالى أن يفضحهم بلسانهم! وأيضاً "إن علياً أحيا موتى مقبرة الجبانة كلهم" [بحار الأنوار194/41] أي المؤمنين والكفار والمجرمين كلهم على حد سواء! وأن الإمام علي "لو أقسم على الله بإحياء الأولين والآخرين لأحياهم الله" [بحار الأنوار 201/41] هنا تغير المعنى وصار بأمر الله! ولكنه في حديث آخر يذكر "أنا أُحيي، وأنا أُميت، وأنا حيٌ لا أموت" [بصائر الدرجات/151]. ورووا عن الإمام الصادق "أنا أحي وأميت، وأخلق وأرزق، وأبرئ الأكمة والبرص، وأنبأكم بما تأكلون" [كتاب تأريخ الدعوة الإسلامية/ مصطفى غالب] هذا الصادق يُحيي ويُميت بدون أمر الله. وهناك العشرات من هذه الأحاديث الكاذبة المنسوبة للإمام علي وخلفه من ضحايا الشعوبيين.

فيما يتعلق بالمتصوفة فقد أحيا السيد أحمد البدوي ولداً لامرأة استغاثت به لإحياء ابنها "فمدّ السيد أحمد البدوي يده إليه ودعا له فأحياه الله" [كتاب الجواهر السنية]. وفي العراق قتل البدوي أعداءه عندما نطق كلمة موتوا! ثم أحياهم بعد موتهم بقوله "قوموا بإذن من يحيي ويميت" [للمزيد راجع كتاب السيد البدوي بين الحقيقة والخرافة/ د. أحمد صبحي منصور]. هل أرواح الناس لعبة يتسلى بها الشيخ؟ تارة يُميت وتارة يُحيي! وروى الصوفية عن الشيخ أحمد الرفاعي قوله "أن الولي يحيي الموتى، وأنه إذا قال للشيء كن فيكون" [المعارف المحمدية/ 47]. ولم يقتصر إحياؤهم على البشر فحسب! فهذا الشيخ عطار النيسابوري في كتابه [تذكرة الأولياء] يذكر بأن حمار رابعة العدوية "قد مات عند سفرها للحج، ثم عاد للحياة من جديد" كما أعاد أبو عبيد اليسري دابته الميتة إلى الحياة، وأحيا الشيخ مفرج الدماميني



فراخ مشوية! يذكر الشعراني "أن المتبولي نادى والد أحد المريدين فخرج الرجُل من القبر ينفض التراب عن رأسه حين ناداه الشيخ" [الطبقات الكبري78/2]. وحدث أن مات جمل يركبهُ مريد للشيخ [علي وفا] فأحيا الشيخ الجمل إلى أن حج عليه المريد ورجع عليه إلى مصر، يكمل المريد وهو بطل الأسطورة: فمن وصول الجمل إلى باب النصر وقع ميتاً فعلِمت أن مُحيي الموتي أبقاه للخدمة" [مناقب الوفائيه/77]. ويذكر الشطنوفي الصوفي "أن منصور البطائحي أحيا رجُلاً افترسه الأسد" [بهجة الأسرار19/2/ مخطوط]. ويذكر القشيري في رسالته بأن الشيخ ابن أبي عبيد اليسري ذكر عن أبيه بأنه "كان في غزوة فمات المهر الذي كان تحته فسأل الله أن يعيره إحياءه حتى يرجع إلى قريته، فإذا بالمهر قائم"، ولم يعلمنا فيما إذا مات المهر بعد الاستعارة أم بقي حياً؟!

كما ذكر الشعراني "كان سيدي عبد العزيز الدريني يزور سيدي علي المليجي كثيراً، فذبح له سيدي علي يوماً فرخاً، فأكله، وقال: لسيدي علي لا بد أن أكافئك، فاستضافه يوماً فذبح لسيدي علي فرخة، فتشوشت امرأته عليها، فلما حضرت قال لها سيدي علي: هش، فقامت الفرخة تجري، وقال: يكفينا المرق، ولا تتشوشي" [الطبقات212/1]. كما جاء في كرامات عبد الله بن أبي بكر بن عبد الرحمن العيدروس: "مما وقع له من إحياء الموتى، أن زوجته الشريفة عائشة بنت عمر المحضار مرضت مرضاً شديداً، وحركوها فإذا هي ميتة، فأتى إليها وناداها باسمها ثلاثة أصوات، فأجابته في الثالثة وعوفيت من المرض" [المشرع الروي136/2].

لكن لماذا لم يفعلها النبي محمد صلى الله عليه وسلم مع بناته زوجتي عثمان بن عفان أو زوجته خديجة؟ وجاء في ترجمة علوي بن الفقيه المقدم، قال صاحب المشرع: "وحُكي أن الشيخ عبد الله باعباد سأل صاحب الترجمة عما ظهر له من المكاشفات بعد موت والده فقال: ظهر لي ثلاث أحيي وأميت بإذن الله، وأقول للشيء كن فيكون، وأعرف ما سيكون فقال الشيخ عبدالله: نرجو فيك أكثر من هذا" [المشرع الروي211/2]. لا نفهم ماذا يريد بعد! وهل هناك أكثر من هذا؟ كما ادعى النقشبنديون بأن بهاء الدين نقشبند كان يقول للرجل: مُت" فيموت! ثم يقول له: قم حيّا! فيحيا مرة أخرى" [جامع كرامات الأولياء146/1].

وذكر أبي بكر بن عبد الله العيدروس: "أنه لما رجع من الحج دخل زيلع، وكان الحاكم بها يومئذٍ محمد بن عتيق، فاتفق أنه ماتت أم ولد للحاكم المذكور، وكان مشغوفاً بها فكاد عقله يذهب لموتها، فدخل عليه سيدي لما بلغه عنه من شدة الجزع ليعزيه ويأمره بالصبر والرضا بالقضاء، وهي مسجاة بين يدي الحاكم بثوب فعزاه وصبره، فلم يفد فيه ذلك، وأكب على قدم سيدي الشيخ يقبلها، وقال: يا سيدي، إن لم يحي الله هذه مت أنا أيضاً! ولم تبق لي عقيدة في أحد. فكشف سيدي وجهها وناداها باسمها فأجابته: لبيك، ورد الله روحها، وخرج الحاضرون ولم يخرج سيدي الشيخ حتى أكلت مع سيدها الهريسة وعاشت مدة طويلة" [النور السافر/79].

قال النبهاني: "خطف التمساح بنت مخيمر النقيب، فجاء وهو يبكي إلى الشيخ فقال له: اذهب إلى الموضع الذي خطفها منه ونادس بأعلى صوتك: يا تمساح! تعال كلم محمد بن أحمد الفرغل، فخرج التمساح من البحر وطلع المركب وهو ماشي والخلق بين يديه جارية يميناً وشمالاً إلى أن وقف على باب الدار، فأمر الشيخ الحداد بقلع جميع أسنانه وأمره بلفظها من بطنه، فلفظ البنت حية مدهوشة،



وأخذ على التمساح العهد أن لا يعود يخطف أحداً من بلده ما دام يعيش، ورجع التمساح ودموعه تسيل حتى نزل البحر" [جامع كرامات الأنبياء272/1].

الشيخ يحيي الميت ولكنه لا يعرف بأن التمساح لا يبكي لأنه ليس له غدة درقية .. سبحان الله!

قال النبهاني حول كرامات أحمد الرفاعي: "قال الشيخ الجليل أبو الفرج عبد الرحمن بن علي الرفاعي ابن أخته رضي الله عنه: كنت يوماً جالساً بحيث أرى الشيخ وأسمع كلامه وكان جالساً وحده فنزل عليه رجل من الهواء وجلس بين يديه فقال له الشيخ: مرحباً بوفد المشرف، فقال له: إن لي عشرين يوماً ما أكلت ولا شربت، وإني أريد أن تطعمني شهوتي. فقال له: وما شهوتك؟ قال: فنظر إلي وإذا خمس وزات طائرات، فقال: أريد إحدى هؤلاء مشوية ورغيفين من بروكوزا من ماء بارد، فقال له الشيخ: لك ذلك، ثم نظر إلى تلك الوزات وقال: عجل بشهوة الرجل، قال: فما تم كلامه حتى نزلت إحداهن بين يديه مشوية، ثم مد الشيخ يده إلى حجرين كانا إلى جانبه فوضعهما بين يديه، فإذا هما رغيفان ساخنان من أحسن الخبز منظراً، ثم مد يده إلى الهواء وإذا بيده كوز أحمر فيه ماء، قال: فأكل وشرب ثم ذهب في الهواء من حيث أتى، فقام الشيخ رضي الله عنه وأخذ تلك العظام ووضعها في يده اليسرى وأمر بيده اليمنى عليها وقال: أيتها العظام المتفرقة والأوصال المتقطعة اذهبي وطيري بأمر الله تعالى بسم الله الرحمن الرحيم، قال: فذهبت وزة سوية كما كانت وطارت في الجو حتى غابت عن منظري" [جامع كرامات الأنبياء495/1]. عجباً من الذي نزل هل كان ملاك أم ماذا؟ وهل الملائكة تجوع؟ وكيف ابن الأرض يُشبع بطن ابن السماء؟ سبق أن سمعنا العكس تماماً في حكايات فاطمة الزهراء وموائد هابطة من مطبخ السماء. وإن كان من جهنم وليس ملاك فكيف نزل إلى الأرض؟ وهل يوجد جوع في جهنم؟ حتى لو كان لدى الشيخ فرن لما استوت بهذه الطريقة، لربما لديه فرن نووي، أو نار استعارها من مقره في جهنم ليشوي بها؟ تباً لهم! هل يضحكون على أنفسهم أم على الجهلة والحمقى؟



3) التقليد والطاعة العمياء

ذكر محمد كرد علي "التقليد وما أدراك ما التقليد؟ التقليد هو قيد الأحرار وسجن العقول وهادم الأفكار، وعدو الشرائع، ومبيد الأمم وجيش الاستعباد" [مجلة المقتبس 50/40].

ووصف عبد المؤمن الأصفهاني المقلد بقوله: "ما المقلد إلا جمل مخشوش، له عمل مغشوش، قصاراه لوح منقوش، يقتنع بظواهر الكلمات، ولا يعرف النور من الظلمات، يركض خيول الخيال، في ظلال الضلال، شغله نقل النقل، عن نخبة العقل، واقعه رواية الرواية عن در الدراية، يروي في الدين عن شيخ هم، كمن يقود أعمى في ليل مدلهم" [أطباق الذهب].

يؤمن الصفويون والمتصوفة بضرورة وجود المرجع والشيخ الذي يقلده الأتباع، وجعلوا من هؤلاء أوصياء على المسلمين، يأمرون وينهون كيفما شاءوا. وأسبغوا عليهم جمهرة من الألقاب لم يحمل الرسول صلى الله عليه وسلم مثلها أو مايوازيها صفة وعدداً.

في الصفوية توجد مرتبة روح الله وآية الله وحجة الله. ويلاحظ أن لقب (آية الله) أول من ذكره المتصوفة وليس الصفويين، وهذا ما يجهله الكثير من الباحثين، فقد ورد اللقب عند العيدروسي في ذكر كرامات علوي بن محمد بن علي "وكان الشيخ علوي وهذا من آيات الله الكبرى، وهو من أمثال الشيخ ومن مناقبه أنه كان يعرف الشقي من السعيد، يحي ويميت بإذن الله تعالى ويقول للشيء كن فيكون بإذن الله. إلى غير ذلك من الكرامات العظيمة والخوارق العجيبة التي لا يشاركه فيها غيره" [تاريخ النور السافر عن أخبار القرن العاشر/281].

يقابل هذه الرتبة عند الصوفية القطب والغوث. ثم وضعوا سلماً بالمراتب كالأستاذ والمريد في التصوف، والمرجع والمقلد في الإمامية. والمريد والمقلد كالغنم يمشون بتوجيهات الرعاة دون أن يكون لهم حق المعارضة بل المناقشة! فعقولهم مغيبة وإرادتهم مسلوبة، لأنهم يعلمونهم بأن طاعة الشيخ هي طاعة الله، وغضبه هو غضب الله! فالمراجع والشيوخ أصبحوا نواباً للرب.

للقطب والمرجع قدسية كبيرة عند العوام من الجهلة والسذج حيث تُلتمس منهم البركة والمغفرة والرضا والشفاء والثواب والنجاح والزواج والأولاد وبقية الأماني. ولم تقتصر القدسية على الأحياء منهم فحسب بل الأموات أيضاً! فالأئمة والأقطاب لهم قدسية مفرطة عند أتباعهم. مثلاً زيارة قبر الأئمة تعتبر بركة ورحمة، حتى الله جل جلاله يزور قبورهم كما يدعي الصفويون. كذلك يشد مئات الألوف من أتباع المتصوفة الرحال إلى ضريح السيد البدوي والشاذلي ملتمسين البركة منهم، وفي الوقت الذي يقلد فيه أتباع المتصوفة الشيخ الكيلاني والرفاعي والنقشبندي والكسنزاني وغيرهم في العراق، يقلد المصريون السيد البدوي والشاذلي وغيرهم في مصر، كذلك يقلد الرافضة المراجع العليا كالسيستاني والخامنئي والحائري والنجفي والصخري والبشير ومعظمهم من غير العرب.

ولم يقتصر الأمر على الطاعة فحسب بل امتد إلى الشرك بالله من خلال القسم بالأئمة والشيوخ، وقد نهى الرسول صلى الله عليه وسلم عن الحلف بغير الله: **«من كان حالفاً فليحلِف بالله أو ليصمت»**، فالصفوين يقسمون بفاطمة الزهراء وعلي والعباس والحسين والكاظم، ويتسمون بأسماء وثنية كعبد الزهرة وعبد الأئمة وعبد الحسين وعبد الرسول وغيرها.



يذكر السيد محمد الشيرازي في كتابه "العباس والعصمة الصغرى" عن مشاهداته في كربلاء شدة الخوف من القسم بالعباس: "فبعضهم يهون عليه الحلف بالله سبحانه تعالى على الحلف بالعباس".
وأتباع الصوفية يقسمون بالشيخ الكيلاني والسيد البدوي والمرسي أبو العباس والعدوي. يقول الكيلاني: "من استغاث بي في كربة كشفت عنه. ومن ناداني في شدة فرجت عنه، ومن توسل بي في حاجة قضيت له" [للمزيد راجع كتاب الطرق الصوفية وإنتشار البدع/ د. احمد عبد الكريم نجيب]. ويذكر المجلسي: "لم يتوسل المتوسلون بوسيلة أعظم حقا وأوجب حرمة منكم أهل البيت" [بحار الأنوار226/98]. في حين قال الإمام علي بن أبي طالب: "أفضل ما توسل به المتوسلون الإيمان بالله ورسوله والجهاد في سبيله وكلمة الإخلاص. وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة" [نهج البلاغة/163]. لا تعرف أين الحقيقة مطلقاً؟ متاهات في متاهات، لا تخرج منها بطائل.
ثم تطور الأمر إلى وصف مخالفيهم بالمنحرفين، من ثم تكفير كل من يخالف توجهاتهم والتكفير يحل القتل والسلب وإنتهاك الحرمات. يذكر محمد الرضوي: "لو أن أدعياء الإسلام والسُنّة أحبوا أهل البيت عليهم السلام لاتبعوهم ولما أخذوا أحكام دينهم عن المنحرفين كأبي حنيفة والشافعي ومالك وابن حنبل" [كذبوا على الشيعة/279].

تصوروا أئمة السنة منحرفون، وأئمة الشيعة غير منحرفين!

كما يذكر نعمة الله الجزائري: "أقول هذا يكشف لك عن أمور كثيرة منها بطلان عبادة المخالفين وذلك أنهم وإن صاموا وصلوا وحجوا وزكوا وأتوا من العبادات والطاعات وزادوا على غيرهم إلا أنهم أتوا إلى الله تعالى من غير الأبواب التي أُمروا بالدخول منها! وقد جعلوا المذاهب الأربعة وسائط وأبواب بينهم وبين ربهم، وأخذوا الأحكام عنهم وهم أخذوها عن القياسات والآراء والاجتهاد الذي نهى الله عن أخذ الأحكام عنها، وطعن عليهم من دخل في الدين منها" [قصص الأنبياء/347].\
لاحظ الدس! فأهل السنة لا يتخذون من الأئمة وسطاء مع الله، كما يزعم الدجال، والعبد ليس بحاجة إلى وسيط مع خالقه. هذا ما يفعله الرافضة وما أكثر الشواهد عليه.
من الجدير بالإشارة: أنه رغم وجود المذاهب المعروفة عند أهل السنة، لكنهم أصحابها لا يعتبرونهم المراجع الوحيدة، فالليث بن سعد عاصر مالك واعتبره الشافعي أفقه من مالك، وكان سفيان الثوري في العراق بفقه يوازي فقه أبي حنيفه واعتبره الغزالي الفقيه الخامس، وكذلك في الشام برع الإمام الأوزاعي، علاوة على عطاء بن سعيد وطاووس والزهري والشعبي وابن سيرين والعشرات غيرهم.
وهؤلاء الفقهاء على خلاف أئمة الشيعة فهم لم يدعوا العصمة، وكانوا يؤمنون بأن من أفتى صواباً له أجرين، ومن أخطأ له أجر واحد. لهذا تراهم يختلفون في العديد من المسائل الفقهية، بل إن مذهب الشافعي في العراق يختلف عن مذهبه في مصر. وعندما يرى الإمام بأن هناك رأياً فقهياً أرجح من رأيه، كان يتنازل عنه برحابة صدر، ويأخذ بالأصوب. وهذا ما عبر عنه الشافعي بقوله: "إذا صح الحديث بخلاف قولي فاضربوا بقولي الحائط، وإذا رأيت الحجة موضوعة على الطريق فهي قولي" وكذلك قوله المنصف: "رأيي صواب يحتمل الخطأ، ورأي غيري خطأ يحتمل الصواب".
المثير في الأمر: أن أئمة أهل السنة نهوا المسلمين عن تقليدهم، وهذا ما عبر عنه الشافعي بقول أورده ابن القيم: "مثل الذي يطلب العلم بلا حجة، كمثل حاطب ليل، يحمل حزمة حطب وفيه أفعى،



تلدغه وهو لا يدري"، وكذلك قول أبو حنيفه عن الأئمة: "هم رجال ونحن رجال"، كما ذكر الإمام أحمد: "لا تقلدني! ولا تقلد مالكًا ولا الثوري ولا الأوزاعي! خذ من حيث هم أخذوا"، وقال أبو يوسف: "لا يحل لأحد أن يقول مقالتنا حتى يعلم من أين قلنا" [إعلام الموقعين139/2].

المصادر الرئيسة عند أهل السنة هي القرآن أولاً، وتليه السنة النبوية الصحيحة السند، وأخيراً آراء الفقهاء المبنية على الحجة دون أن تكون ملزمة، لذلك غالباً ما يختم الفقهاء رأيهم الفقهي بعبارة متواضعة "والله أعلم"، تيمناً بما جاء في سورة النساء: ﴿ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ﴾ [النساء:59].

قال الشيخ الإمام عز الدين بن عبد السلام: "لم يزل الناس يسألون من اتفق من العلماء من غير تقييد بمذهب"، بل إن بعض العلماء حرم التقليد كابن حزم بقوله: "إن التقليد حرام، ولا يحل لأحد أن يأخذ قول أحد غير رسول الله صلى الله عليه وسلم بلا برهان"، وفقاً لما جاء في سورة الأعراف: ﴿اتَّبِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلا تَتَّبِعُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ﴾ [الأعراف:3].

لكن الأمر يختلف عند المتصوفة والصفويين، كما نلاحظ.

الصفويون يعتبرون أئمتهم معصومين وهذا يعني بالنتيجة الأخذ بآرائهم رغم أن معظمها متناقضة ومخالفة للقرآن والسنة النبوية! حيث يذكر محمد رضا المظفر: "عقيدتنا في المجتهد الجامع للشروط، أنه نائب للإمام في حال غيبته، وهو الحاكم والرئيس المطلق، له ما للإمام في الفصل في القضايا، والحكومة بين الناس، والراد عليه راد على الله تعالى، وهو على حد الشرك بالله" أليس هذا هو الحلول بالمعنى الصوفي؟

يذكر علي شريعتي: "في التشيّع الصفوي يتعين على المرء أن يكون تابعاً ومقلداً أعمى في جميع الأمور والمجالات! (الروحاني) الذي يعيّن ـ عبر الفتاوى التي يصدرها على نحو دساتير مقتضبة وقاطعة ـ كل ما يتعلق بأفكار الناس وعقائدهم وأحاسيسهم وأمزجتهم وطبيعة حياتهم الفردية والاجتماعية والسياسية والأخلاقية والتربوية" [التشيع العلوي والتشيع الصفوي].

فالأئمة عند الصفويين هم كالرسل، بل أعظم مرتبة منهم مما يستوجب طاعتهم، ليس على البشر فحسب وإنما على كل الكائنات الحية والجماد والملائكة، قال أمير محمد الكاظمي القزويني: "الأئمة من أهل البيت عليهم السلام أفضل من الأنبياء" [الشيعة في عقائدهم وأحكامهم/73]. ولم يستثنِ من هذه القاعدة الشاذة سوى الذات الإلهية! يذكر ابن بابويه القمي "الأئمة كالرسل، قولهم قول الله، وأمرهم أمر الله وطاعتهم طاعة الله، ومعصيتهم معصية الله، ولا ينطقون إلا عن الله وعن وحيه. فهم "كلمات الله"! كما في قوله تعالى في سورة يونس: ﴿لا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ﴾ [للمزيد راجع تفسير القمي].

ويحدثنا رستم الطبري (الصفوي وليس صاحب التأريخ الشهور) بأن "طاعة الأئمة مفروضة أيضاً على كل مخلوقات الله من الجن والإنس والطير والوحوش والأنبياء والملائكة" [كتاب دلائل النبوة].

ويبدو أن هذا هو الغرض من قولهم بأن الأئمة تعرف لغة الحيوان والنبات والجماد!

ويزيد المجلسي في البحار: "لم يخلق الله آدم وينفخ فيه من روحه إلا بولاية علي، ولا كلم الله موسى تكليماً إلا بولاية علي. ولا أقام الله عيسى آية للعالمين إلا بالخضوع لعلي" ولم يوضح لنا لماذا الإمام



علي دون غيره شُمل بهذا التخصيص الإلهي؟ ونُسب للإمام علي القول: "أنا الواجب له من الله الطاعة. أنا سر الله المخزون. أنا العالم بما كان وما يكون" [إحقاق الحق للمرعشي351/22].
ويذكر القمي بأنه: "من خالف الأئمة في شيء من أمور الدين، كمن خالفهم في كل أمور الدين" [الاعتقادات/116].
وأضاف المجلسي: "طاعة الأئمة واجبة حتى على الكائنات الجامدة من سموات وأراضي وكواكب" [بحار الأنوار341/25].
ونسب الكليني للإمام الرضا القول: "الناس عبيد لنا في الطاعة"، والأدهى منها أنه في النزاع على الإمامة بين زيد بن الحسن والباقر حيث كان الحكم بينهما هذه المرة "سكين ناطقة" "فقد وثبت من يد زيد على الأرض، ثم قالت: يا زيد أنت ظالم! محمد أحق بك وأولى" وحذرته بقوة"ولئن لن تكف لألين قتلك" [الاختصاص للشيخ المفيد/210].
حجر يقاضي وسكينة إرهابية وقحة تهدد بالقتل! كأننا نرى الرسوم المتحركة وليس سيرة أئمة، أليس من الخجل بل والعار أن يصدق الإنسان العاقل اللبيب بهذا الهراء؟ أليس من العيب أن يتكلم واحد من كبار شيوخ الطائفة بمثل هذه التفاهات؟ هل هذا عالم دين أم مسخرة؟
يذكر محمد مهدي شمس الدين بشأن مصطلح التقليد عند الشيعة "مصطلح تقليد ومصطلح مرجعية هذان المصطلحان وما يرادفهما ويناسبهما غير موجودين في أي نص شرعي، وإنما هما مستحدثان، وليس لهما أساس من حيث كونهما تعبيران يدلان على مؤسسة تقليد هي مؤسسة ومرجعية هي مرجعية التقليد، يعني مؤسسة من حيث كونهما اثنين لمؤسسة، ليس لهما من الأخبار والآثار فضلاً عن الكتاب الكريم علماً ولا أثراً. كل ما هو موجود بالنسبة لمادة قلّد خبر ضعيف لا قيمة له من الناحية الاستنباطية إطلاقاً، وهو المرسل الشهير عن أبي الحسن، عن أبي محمد الحسن العسكري (رض)، ومتداول على ألسنة الناس: من كان من الفقهاء صائناً لدينه، مخالفاً لهواه، مطيعاً لأمر مولاه، فللعوام أن يقلدوه. مادة قلّد موجود فقط بهذا النص، ولكن لا يعتمد عليه إطلاقاً. هذا تقليد، ومقلّد ومُقلّد لا أساس له. ومرجع لا أساس له" [المرجعية والتقليد عند الشيعة/ محاضرة ألقيت في ذكرى مقتل محمد باقر الصدر عام 1994].
وفيما يتعلق بالصوفية، يذكر السهروردي: "لا بد للمريد من شيخ مرشد إلى الحق يرشده، ويلقنه الذكر، ويلقي في روعه النور" [عوارف المعارف]. وزعم بعضهم أن "المعترض على الشيخ متعرض لعطبه وهلاكه" [الغنية للجيلاني188/2]. ترهيب واضح للمريد، ليكون عبداً مطيعاً للشيخ وإلا يعطبه الشيخ. وقالوا للمريد بأن "تكون مثل الميت بين يدي الغاسل. وقالوا: من قال لأستاذه: لماذا؟ لا يفلح أبداً" [الاستغاثة في الرد على البكري426/1]. يذكر ابن كثير: "الجهلة من الأحبار والرهبان ومشايخ الضلال يدخلون في هذا الذم" [تفسير ابن كثير378/1].
كما جعلوا طاعة الشيخ أهم من طاعة الرب! فقد ذكر ذون النون المصري: "طاعة مريد شيخه هي فوق طاعته ربه" [تذكرة الأولياء 171/1]، فالشيخ أصبح أعلى منزلة من الله، نعوذ بالله من شر الخلق.
ويذكر الشعراني: "في أدب المريد مع شيخه فيلازمه ويصبر عليه، ويحبه ويسلم له حاله، ولا يعترض عليه، ولا يتزوج إلا بإذنه، ولا يكتمه شيئا ولا يقول له: لا" [كتاب الأنوار القدسية]. ويضيف



الكمشخانوي ما يُضمر في القلب أيضاً: "من شرط المريد أن لا يكون بقلبه اعتراض على شيخه" [جامع الأصول/ الكمشخانوي/2]. ويذكر الشعراني عن آداب المريدين بأن الشيخ "إذا مد يده لكم لتقبلوها، فقبلوا رجله" [الطبقات الكبرى/141]. حكمة أخلاقية وتعبدية فعلاً! ويعيد الشيخ الرفاعي نفس القول "من تمشيخ عليكم فتتلمذوا له، فإن مد يده لكم لتقبلوها فقبلوا رجله! ومن تقدم عليكم فقدموه وكونوا آخر شعرة في الذنب، فإن الضربة الأولى تقع في الرأس" [الطبقات الكبرى/141]. بمعنى الذل والعار أيها المريدون. ويذكر الشيخ يوسف العجمي: "من أدب المريد أن يقف عند كلام شيخه ولا يؤوله، وليفعل ما أمره به شيخه وإن ظهر أن شيخه أخطأ"! [الأنوار القدسية36/2]! هل هذا أدب أم قلة أدب؟ أليس من الأجدى بالمريد أن ينبه شيخه على خطئه بدلاً من أن يتركه على عماه؟ والخطأ من سجايا البشر، فسبحانه من لايخطأ فقط.

يضيف القشيري: "وأن لا يخالف المريد شيخه في كل ما يشير عليه؛ لأن الخلاف للمريد في ابتداء حاله دليل على جميع عمره" [القشيرية/182]. هنا يذكر القشيري المزيد من الاستعباد، ولا حتى في القلب تجوز المخالفة "من شروطه أن لا يكون بقلبه اعتراض على شيخه" [القشيرية/182]. وينقل شيخ الأزهر عبد الحليم محمود عن الشيخ الدردير قوله في أدب المريد "أن لا يعترض على أي شيء فعله شيخه ولو كان في ظاهره كفر، وإذا قال له وهو صائم أفطر! وجب عليه الفطر"! [كتاب سيدي أحمد الدردير لشيخ الازهر عبد الحليم محمود/119].عجباً لشيخ الأزهر فهو يتجاهل قاعدة إيمانية صارمة تتمثل بحديث النبي صلى الله عليه وسلم: **«السمع والطاعة حق ما لم يؤمر بمعصية، فإذا أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة»** [صحيح البخاري/2735]، ولا طاعة لمخلوق في معصية الخالق، فإذا كان شيخ الأزهر يقبل تلك الطاعة المنحرفة ولا يعلق عليها فلا عتب على الآخرين!

قال محمد بن حامد: "من لم ترضه أوامر المشايخ وتأديبهم فإنه لايتأدب بكتاب ولا سنَّة" [طبقات الصوفية/85]. ويوضح الشعراني بأن محبة وطاعة الشيخ من قبل أتباعه تعني محبة الأشياء من أجله، أو كرهها من أجله، وينطبق نفس الشيء على طاعة المراجع من قبل أتباعهم، فقد روجوا بين أتباعهم بأن منفعتهم لهم وأن أخطأوا، أكبر من منفعة الفرد في صواب نفسه!

كما يذكر ابن عجيبة: "نحن مطالبون بالتصديق للشيوخ في كل ما نطقوا به، فهم ورثة الأنبياء" [إيقاظ الهمم في شرح الحكم/27]. ويذكر القشيري بأن الشيوخ قالوا: "عقوق الأستاذين لا توبة عنها" [الرسالة القشيرية633/2]. إذن الله تعالى يغفر للعبد ويقبل توبته، والشيخ الصوفي لايقبلها! عرفنا أن عقوق الأبوين غير جائزة في الإسلام وليس عقوق الأستاذين، وإن كان للمريد أستاذ واحد فرضاً فمن أين يأتي بالآخر؟ ومن الذي يقرر التوبة الرب أن العبد؟ ولكن لشهاب الدين السهروردي رأي أدهى: "إذا دخل المريد الصادق تحت حكم الشيخ وصحبته وتأدب بأدبه، يسري من باطن الشيخ حال إلى باطن المريد كسراج يقتبس من سراج، وكلام الشيخ يلقح باطن المريد" المسألة إذن تحولت إلى تلقيح نوراني! ومحذراً المريدين من مخالفة شيوخهم ومعارضتهم لأنه "السم القاتل للمريدين" [عوارف المعارف/93]. وينقل القشيري عن الشيخ عبد القادر الكيلاني القول"الواجب علي المريد ترك مخالفة شيخه في الظاهر، وترك الاعتراض عليه في الباطن، فصاحب العصيان بظاهره تارك لأدبه. وصاحب الاعتراض بسره متعرض لعطبه، بل يكون خصما على نفسه لشيخه" [الرسالة



القشيرية732/2]. أما تاج الدين السبكي فيحدثنا بعواقب عدم الطاعة "ما رأينا أحداً مبتلى بالإنكار إلا وكانت خاتمته خاتمة سوء" [الأنوار القدسية في بيان آداب العبودية126/1]. ويوجه الشعراني المريدين: "الزم الأدب مع الذاكرين وغيرهم، فهو في الحقيقة أدب مع الله تعالى" [الطبقات الكبري188/1]. هنا حل المخلوق محل الخالق! إنه هذيان يُنزه الله عنه.

يذكر ابن عربي:

ما حرمة الشيخ إلا حرمة الله * * * فقم بها أدبا لله بالله
هم الأدلاء والقربى تؤيدهم * * * على الدلالة تأييداً على الله
كالأنبياء تراهم في محاربهم * * * لا يسألون من الله سوى الله
فإن بدا منهم حال تولههم * * * عن الشريعة فاتركهم مع الله

الكبريت الأحمر لا يرى حرجاً في اتباعهم حتى لو ضلوا؛ لأن شأنهم مع الله. ولكن أليس الشرع يقول لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق؟ أليس العقل هو حجة الله على عباده ويحاسبهم عليه؟ وقد تضمن الذكر الحكيم إشارات واضحة منها ألا يعقلون؟ ألا يعلمون؟ ألا يتفكرون، ألا يبصرون، لدينا عقل هو هبة من الله تعالى لعباده، يميزون به الخير عن الشر، والإيمان عن الضلال. فلا طاعة للشيوخ والأقطاب وآيات الله وحججه على العباد إن حادوا شيوخهم وأئمتهم عن الطريق القويم، هكذا علمنا الإسلام. إنه توجيهات ربانية، وهي فقط التي تستوجب الإمتثال لها.

لا نرى بداً من إبداء ملاحظة جديرة بالذكر وهي: أن الطاعة العمياء لأتباع المراجع والمشايخ تعتبر أمضى سلاح بيد الغزاة والطامعين؛ لذا كان الاستعمار يتحرك بشكل فعال على المراجع والمشايخ لكسب ودهم وإستمالتهم لصفهم؛ لأن المستعمرين يدركون جيداً قوة تأثير المراجع والشيوخ المغناطيسي على أتباعهم سيما العوام؛ لذا فإن كسب شيخ أو مرجع ديني لصف المحتل يضمن تجميد قوى وطنية تبلغ الآلاف وأحياناً الملايين من المواطنين. وهذا ما حصل في العراق عندما جند الأمريكان والإنكليز المرجع الشيعي علي السيستاني لخدمة مشاريعهم الاستعمارية، فتعطلت لغة الجهاد، وارتفع صوت التخاذل والاستسلام والتعاون مع الغزاة.

وسنناقش هذا الموضع في مبحث مستقل بعنوان الجهاد في المنظور الصفوي والصوفي.



4) معرفة الظاهر والباطن

فكرة الظاهر والباطن ناجمة عن تلاقح العقيدتين الصفوية والصوفية، وهو تلاقح مقصود وليس عفوياً، تكاملت ملامح وليده المسخ في أواخر القرن الثالث ومطلع القرن الرابع الهجري. وتتخذ الفكرة عند الصفويين اسم (الظاهر والباطن) وعند المتصوفة (الحقيقة والشريعة). وقد اعتبر الأئمة والمشايخ أن الباطن خاص بهم والظاهر لعامة الناس.

قال أبو الحسن البوشنجي: "الناس على منازل: الأولياء، وهم الذين باطنهم أفضل من ظاهرهم. والعلماء وهم الذين سرهم وعلانيتهم سواء" [طبقات الصوفية/123]، فأولوا آيات القرآن الكريم وطوعوها بما يخدم عقائدهم، من البديهي أن يدعي الأئمة والمشايخ بأنهم أعلم من الأنبياء طالما لديهم من المعجزات والكرامات ما لم يتصف به خاتم الأنبياء نفسه. كمعرفة ملايين اللغات وإحياء الموتى وعلم الغيب والمشي على الماء والطيران في الهواء وطي المسافات. ولا نعرف ما الذي قدمته معارفهم تلك للمسلمين والبشرية؟ فالعلوم التي تركها لنا المتصوفة لم تزد عن الاوراد والأذكار وحلقات الذكر والدروشة، وخرافات وأساطير لا علاقة لها بالعلم والدين، بل تتقاطع معهما تماماً.

كذلك العلوم والمعارف التي تركها لنا آل البيت (ع) لم تزد عن الأدعية وأحاديث الولاية والتمتع والسحر والقرعات وقرآن فاطمة. أما علوم الباطن فهذه مسائل بإمكان أي كان أن يدعيها لنفسه دون أن يثبت صحتها. ويعتبر المتصوفة العلوم الظاهرة هي العبادات والمعاملات أما الباطنة فتتجلى في مفردات التفويض والرضا والشوق والإجلال واليقين والذكر والتسليم والحزن والندم والإعتبار وغيرها. ويعتبرون أن القرآن الكريم والأحاديث النبوية لهما ظاهر وباطن، ويسخر الفيلسوف ولتر ترنس ستيس من دعواهم متسائلاً "هناك صعوبة تتمثل في أن المتصوفة عادة، يقولون أن تجاربهم لا يمكن النطق بها، ولا نقلها إلى الآخرين؛ لأنها فوق الوصف. ثم يبدءون بعد ذلك - وتلك خاصية مشتركة بينهم - في وصفها، فماذا نفعل إزاء ذلك"؟ [التصوف والفلسفة/78]، لا نفعل شيئاً أكثر من فضحهم أمام الناس، أخزاهم الله.

في العقيدتين هناك ادعاءات بأن الشيخ والإمام يعرفان الظاهر والباطن، في حين الأنبياء يعرفون الظاهر فقط! والظاهر يعني ما نزل به الوحي ليشاع بين العباد؛ لذا فهو عادي وغير مهم لأنه لا يحوي أسراراً إلهية! أما العلم اللدني فهو علم الأئمة والشيوخ حصرياً ماركة تجارية مسجلة باسمهم، ويؤخذ من الذات الإلهية مباشرة بلا وحي أو وساطة، وهذه الفكرة في الحقيقة مستوحاة من الديانة اليهودية (الكبالة) التي تعني التفسير الباطني للتوراة. حيث يذكر المتصوفة بأن أي حرف في القرآن له معنى باطني يعرفه الصوفي فقط. يذكر الأستاذ أبو العلا العفيفي في مقدمة تحقيق كتاب ابن عربي (فصوص الحكم) بأن عبارات ابن عربي ذات معنين أحدهما ظاهر: وهو ما يشير به ظاهر الشرع خشية من اتهامه بالخروج عن الشرع. والآخر باطن: وهو ما يشير به إلى مذهبه. وينسب الإمام الغزالي للإمام زين العابدين بن علي أبيات الشعر:

يا رب جوهر علم لو أبوح بـه * * * لقيل لي أنت ممن يعبد الوثنا

ولاستحل رجال مسلمون دمي * * * يرون أقبـح ما يأتونه حسنا



يقول محيي الدين بن العربي: "ديننا هذا قسمان ظاهر علم، وباطن حقيقة. فظاهره مضبوط بالأصول، والنقول، وباطنه مضبوط بأنوار القلوب. فمن أتاك بشيء منه، فاستشهد عليه بما هو منه فالظاهر بشواهده، والباطن بشواهده، فمن قبل شيئاً من ظاهر بغير نقل ثقة زل، ومن قبل شيئاً من باطن بغير شهود قلب ضل" [الطبقات الكبرى207/1].

الطريف أنهم يناقضون أنفسهم، مثلاً يقول أبو سعيدٍ الخَرَّازَ: "كلُّ باطن يخالِفُ ظاهراً فهو باطل" [طبقات الصوفية/74]. فأي مشكل هذا! لاحظ الشخص نفسه يناقض نفسه بالافتراء على الله تعالى بقوله: "إن الله تعالى عَجَّلَ لأَرواح أوليائه التلذُّذَ بِذِكْره، والوصولَ إلى قُرْبه؛ وعَجَّل لأبدانهم النِّعْمةَ بما نالوه من مصالحهم؛ وأَجْزَل نصيبَهم من كلِّ كائن. فَعَيْشُ أبدانهم عَيْش الجِنانِيِّين، وعيْشُ أرواحهم عَيْشُ الرَّبَّانِيِّين. ولهم لسانان: لسانٌ في الباطن، يُعَرَّفُهم صنعَ الصانع في المصنوع، ولِسان في الظاهر يُعلِّمُهم عِلْم المخلوقين، فلِسانُ الظاهر يكلِّم أجسامَهم، ولِسان الباطنُ يُناجِي أرواحَه" [طبقات الصوفية/73].

كذلك يؤمن الصفويون بالباطن فقد أسسوا لهم قاعدة نبوية انطلق منها الأئمة للقول بالظاهر والباطن وهو حديث كاذب منسوب إلى النبي صلى الله عليه وسلم يذكر فيه: "ما نزلت علي آية إلا ولها ظهر وبطن، ولكل حرف حد، ولكل حد مطلع"، وزعموا أن الدين ظاهره شريعة وصاحبها النبي محمد، وباطنه الحقيقة وصاحبها علي وخلفه. ونسبوا حديثاً للإمام علي يزعم فيه أن النبي صلى الله عليه وسلم علمه ألف باب من العلم، وكل باب يفتح ألف باب، مع أن الإمام علي سئل فيما أسره النبي صلى الله عليه وسلم بشيء من العلم قبل موته فغضب من كلامهم.

ونسبوا للإمام علي القول: "هو الظاهر عليها بسلطانه وعظمته، وهو الباطن لها بعلمه ومعرفته، والعالي على كل شيء منه بجلاله وعزته" [نهج البلاغة147/2]، وينسبون للإمام جعفر بن محمد الصادق القول: "من عاش في ظاهر الرسول فهو سني، ومن عاش في باطن الرسول فهو صوفي" [حلية الأولياء لأبي نعيم ج20/1]، ويدعون كذلك: "كل ما أحل الله هو الظاهر لكن الباطل في ذلك أئمة الحق" [الكافي للكليني والغيبة للنعماني وتفسير العياشي]، ويزيدون من إفكهم: "لكل بطن في القرآن، سبعة أبطن إلى سبعين بطناً" [تفسير الصافي ومرآة الأنوار لأبي الحسن الشريف]. وإن "ظاهر القرآن هو التوحيد والنبوة والرسالة، لكن باطنه في الدعوة للإمامة والولاية" [كتاب مرآة الأنوار]! كذلك زعمهم: "جل القرآن نزل فيهم - أي الأئمة- وفي أعدائهم" [تفسير الصافي]. يذكر الكليني: "قال رجل لأبي جعفر: يا ابن رسول الله هل أمير المؤمنين أعلم أم بعض النبيين؟ فقال أبو جعفر: اسمعوا ما يقول؟ أن الله يفتح مسامع من يشاء، إني حدثته أن الله جمع لمحمدٍ صلى الله عليه وسلم علم النبيين، وأنه جمع ذلك كله عند أمير المؤمنين، وهو يسألني أهو أعلم أم بعض النبيين"؟ [الكافي223/1].

وهناك الكثير من الشواهد المماثلة في مراجعهم يمكن الرجوع إليها بيسر. وعن محمد بن منصور قال: سألت عبداً صالحاً (موسى الكاظم) عن قول الله عز وجل: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ﴾ [الأعراف:33]، قال: إن القرآن له ظهر وبطن، فجميع ما حرم الله في القرآن هو الظاهر والباطن من ذلك أئمة الجور، وجميع ما أحل الله تعالى في الكتاب هو الظاهر والباطن من ذلك أئمة الحق" [أصول الكافي 374/1]. وعن جابر الجعفي قال: سألت أبا جعفر عن شيء من تفسير



القرآن؟ فأجابني: ثم سألت ثانية فأجابني بجواب آخر فقلت: جعلت فداك كنت قد أُجبت في هذه المسألة بجواب غير هذا قبل اليوم، فقال لي: يا جابر! أن للقرآن بطناً، وللبطن بطناً وظهراً، وللظهر ظهراً يا جابر!" [تفسير العياشي 11/1].



5) علم الغيب عند الأئمة والشيوخ

قال تعالى: ﴿قُلْ لا أَقُولُ لَكُمْ عِندِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلا أَعْلَمُ الْغَيْبَ﴾ [الأنعام:50]، كما أن الملائكة لا تعلم الغيب فقد خاطبهم الله تعالى: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلاءِ إِنْ كُنتُمْ صَادِقِينَ * قَالُوا سُبْحَانَكَ لا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ [البقرة:31-32]، وفي سورة آل عمران: ﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَجْتَبِي مِنْ رُسُلِهِ مَنْ يَشَاءُ﴾ [آل عمران:179]، وفي سورة الجن: ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ فَلا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا * إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا﴾ [الجن:26-27].

تتوارد الحوادث المدونة في السيرة النبوية الشريفة التي تنفي معرفة المصطفى بعلم الغيب. منها: أنه لم يعرف شيئاً عن تأخر زوجه السيدة عائشة عن الركب، ولو علم لما صار ما صار في حادثة الإفك! ولم يعلم ببرائتها حتى برأها الرحمن في كتابه العزيز. وفي بئر معونة قتل وجرح عدد من الصحابة ولم يعلم بذلك! فكيف يعلم الأئمة والشيوخ علم الغيب؟ وإن كان الإمام علي يعلم الغيب فلماذا كان يرسل العيون لتنقل له أخبار المسلمين ليتابعها؟!

من الحوادث أنه عندما مات الصحابي عثمان بن مظعون، سمع الرسول صلى الله عليه وسلم الصحابية الجليلة أم العلاء تقول: شهادتي عليك أبا السائب أن الله قد أكرمك. فرد الرسول صلى الله عليه وسلم قائلاً: «**وما يدريك أن الله قد أكرمه**»؟ فردت قائلة: سبحان الله يا رسول الله! ومن يكرم الله إذا لم يكرمه؟ فقال لها: «**والله إني لرسول الله لا أدري ما يفعل بي غداً**»! فقالت أم العلاء: والله لا أزكي بعده أحداً أبداً" [رواه البخاري3/358].

إن الأحاديث المنسوبة لآل البيت معظمها صنيعة شعوبية بامتياز، وهي تكشف لنا مدى الحقد على الأئمة من خلال إظهار الأئمة كأنهم آلهة وليسوا بشراً.

ومن جملة ما أسبغ الشعوبيون على الأئمة من صفات هي علم الغيب! أي أنهم يشاركون الله سبحانه تعالى في واحدة من أهم صفاته! وعهدنا بهم كرجال عاديين لا أرباب، سواء هم أو الأنبياء. بل حتى الأنبياء لم ينالوا هذه السمة الربوية إلا بعضهم، وبما أوحى الله لهم به كما قرأنا. أي لا فضل لهم به وإنما الفضل لله تعالى.

سنستعرض عدداً من الأحاديث المنسوبة للأئمة من قبل أحبائهم الصفويين باعتبارهم أخطر حلقة في سلسلة الشعوبية، فقد جاء في الكافي حديثاً منسوباً للإمام الرضا: "نحن أمناء الله في أرضه، عندنا علم البلايا، والمنايا، وأنساب العرب، ومولد الإسلام"، وذكر رجب البريسي في كتابه [مشارق أنوار اليقين في أسرار أمير المؤمنين] حديثاً نسبه للإمام علي رضي الله عنه يذكر فيه: "أنا عندي مفاتيح الغيب لا يعلمها بعد رسول الله إلا أنا"، كما عَنون الكليني في الكافي باباً بعنوان: "إن الأئمة يعلمون علم ما كان وما يكون، وإنه لايخفى عليهم شيء"، وهذا قسم للإمام علي: "ورب الكعبة ورب البنية (3 مرات) لو كنت بين موسى والخضر لأخبرتهما أني أعلم منهما، ولأنبأتهما بما ليس في أيديهما"، تواضع يا إمام فإنك لا تعرف المذي وطلبت من الصحابي أن يسألوا النبي صلى الله عليه وسلم عنه!



وتمادى الصفويون في كفرهم بأن الوحي يُعلم الأئمة بالغيب كما ذكر لنا الكليني: "أن الوحي بإرادة الإمام، فإذا أراد أن يعلم شيئاً من أمور الغيب علمه"، وأحياناً لا يحتاجون لواسطة كما ذكر المازداني في شرحه: "أن العلم أحياناً يحدث للأئمة من الله مباشرة بلا واسطة".
ذكر الكليني: "قلت لأبي جعفر عليه السلام: أنتم تقدرون على أن تحيوا الموتى، وتبرؤا الأكمه والأبرص؟ قال: نعم بإذن الله، ثم قال لي: ادن مني يا أبا محمد! فدنوت منه، فمسح على وجهي وعلى عيني فأبصرت الشمس والسماء والأرض والبيوت وكل شيء في البلد، ثم قال لي: أتحب أن تكون هكذا أو بك ما للناس وعليك ما عليهم يوم القيامة، أو تعود كما كنت ولك الجنة خالصاً؟ قلت: أعود كما كنت، فمسح على عيني، فعدت كما كنت" [الكافي470/1]، لاحظ الإمام يدخل الجنة على كيفه كأنها داره! ولا نفهم ما يقصده بأنه رأى الشمس كلنا نراها يا رجل! ونقل الإربلي عن دلائل الحميري، عن مالك الجهني قال: كنتُ قاعداً عند أبي جعفر [الباقر] عليه السّلام فنظرتُ إليه وجعلتُ أفكّر في نفسي وأقول: لقد عظّمك الله وكرّمك، وجعلك حُجّةً على خَلْقه فالتفَتَ إلى وقال: يا مالك، الأمر أعظم ممّا تذهب إليه" [كشف الغمّة للإربليّ350/2]، لكن عندما نطلع على كتاب نهج البلاغة الذي ألفه الشريف الرضي ونسبه للإمام علي، وهو من أوثق الكتب عند الشيعة، نجد ما يخالف ذلك ففي دعائه في حرب صفين قبل أن يرفع معاوية المصاحف على السيوف قال: "فإذا كان ما لا بد منه الموت فاجعل منيّتي قتلاً في سبيلك"، وكذلك في دعائه في صفين: "وإن أظفرتهم علينا فارزقنا الشهادة"، والعشرات غيرها.
ومثله في رجال الكشي حيث سئل عنه أن أبا الخطاب - أحد تلامذته - يقول: إنك تعلم الغيب وأنت قلت له هذا؟ فقال جعفر: وأما قوله: إني كنت أعلم الغيب فوالله الذي لا إله إلا هو ما أعلم الغيب، ولا آجرني الله في أمواتي ولا بارك لي في أحيائي أن كنت قلت له، قال [أي الراوي] وقدامه جويرية سوداء تدرج قال [أي جعفر]: لقد كان مني إلى أم هذه بخطة القلم فأتتني هذه فلو كنت أعلم الغيب ما كانت تأتيني، ولقد قاسمت مع عبد الله حائطاً بيني وبينه، فأصابه السهل والشرب وأصابني الجبل، فلو كنت أعلم الغيب لأصابني السهل والشرب وأصابه الجبل" [رجال الكشي/248].
أحاديث متناقضة يتشابك فيها الحق مع الباطل فلا تستطيع أن تميز أحدهما عن الآخر! وهذا التشابك ليس عفوياً، وإنما هو مقصود لغرض التشويش وهم من متطلبات عقيدة التقية.
تستلزم الحقيقة معرفة الموقف الصريح للأئمة من هذا الزيف والافتراء عليهم، فهؤلاء الأطهار أبعد ما يكونوا عن معرفة الغيب، سيما أنهم أعرف من غيرهم بحدود الله وشرعه فلا يمكنهم تجاوزها، فهذا الإمام علي كما نقل لنا الطبرسي في كتابه الاحتجاج يتبرأ ممن ينسب هذه الدعاوى الباطلة له: "أنا بريء إلى الله وإلى رسولِه، ممّن يقول إنّا نعلم الغيب، ونشاركُه في مُلكِه، أو يُحِلُّنا محلاً سوى المحلَ الذي رضيه الله لنا"، وهذا الشيخ المفيد في كتابه (أوائل المقالات) ينكر هذا الأمر جملة وتفصيلاً بقوله: إن "إطلاق القول عليهم [الأئمة] بأنهم يعلمون الغيب هو منكر بيّن الفساد؛ لأن الوصف بذلك إنما يستحقه من علم الأشياء بنفسه لا بعلم مستفاد وهذا لا يكون إلا لله عز وجل"، ويناقض المجلسي نفسه في الأحاديث التي أوردها بشأن علم الأئمة بالغيب قائلاً: "اعلم أن الغلو في النبي والأئمة إنما يكون بالقول بألوهيتهم أو بكونهم شركاء لله تعالى في العبودية أو في الخلق



والرزق، أو أن الله تعالى حل فيهم، أو اتحد بهم، أو أنهم يعلمون الغيب بغير وحي أو إلهام من الله تعالى".

كما ذكر المجلسيّ هذه الحادثة: "سُئِلَ الشيخُ المفيد قدَّسَ الله رُوحَهُ في المسائل العكبرية: الإمام عندنا مجمعٌ على أنه يعلم ما يكون، فما بالُ أمير المؤمنين عليه السلام خرج إلى المسجد وهو يعلم أنه مقتول وقد عرف قاتله والوقت والزمان؟ وما بالُ الحسين بن علي عليهما السلام سار إلى الكوفة وقد علم أنهم يخذلونه ولا ينصرونه وأنه مقتول في سفرته تلك؟ وَلِمَ لَمَّا حُصِرُوا وعرف أن الماء قد مُنِعَ منه وأنه إن حفر أذرعاً قريبةً نبع الماء لم يحفر وأعان على نفسه حتى تلف عطشاً؟ والحسنُ وادَعَ معاويةَ وَهَادَنَهُ وهو يعلم أنه ينكث ولا يفي ويقتل شيعة أبيه؟ فأجاب الشيخ المفيد: "وأما الجواب عن قوله: "إن الإمام يعلم ما يكون" فإجماعنا أن الأمر على خلاف ما قال، وما أجمعت الشيعة على هذا القول، وإنما إجماعهم ثابت على أن الإمام يعلم الحُكْمَ في كلِّ ما يكون دون أن يكون عالماً بأعيان ما يحدث ويكون على التفصيل والتمييز، وهذا يسقط الأصل الذي بنى عليه الأسئلة بأجمعها، ولسنا نمنع أن يعلم الإمام أعيان ما يحدث، ويكون بإعلام الله تعالى ذلك له، فأمّا القول بأنه يعلم كلَّ ما يكون فلسنا نُطلقه ولا نصوِّب قائله، لدعواه فيه من غير حجَّة ولا بيان. والقول: بأن أمير المؤمنين كان يعلم قاتِلَه والوقت الذي كان يُقْتَلُ فيه فقد جاء الخبر متظاهراً أنه كان يعلم في الجملة أنه مقتول، وجاء أيضاً بأنه يعلم قاتله على التفصيل، فأمّا علمه بوقت قَتْلِهِ فلم يأتِ عليه أثرٌ على التحصيل، ولو جاء به أثرٌ لم يلزم فيه ما يظنُّه المعترضون، إذْ كان لا يمتنع أن يتعبَّدَه الله تعالى بالصبر على الشهادة والاستسلام للقتل، ليبلغه بذلك علوّ الدرجات مالا يبلغه إلا به، ولعلمه بأنه يطيعه في ذلك طاعةً لو كلَّفها سواه لم يردَّها، ولا يكون بذلك أمير المؤمنين؟ ملقياً بيده إلى التهلكة، ولا مُعيناً على نفسه معونةً تُسْتَقْبَحُ في العقول. وأما علم الحسين بأن أهل الكوفة خاذلوه، فلسنا نقطع على ذلك، إذْ لا حُجَّةَ عليه من عَقْلٍ ولا سَمْعٍ" [بحار الأنوار257/42].

نقل الكليني عن الإمام علي قوله: "أنا أعلم متى أموت"، وجاء في نهج البلاغة ما يفند هذا الكلام في خطبة رقم (741) قبل موته: "أيها الناس! كل امرئ ملاقٍ ما يفر منه في فراره، والأجل مساق النفس والهرب منه موافاته. كم أطردت الأيام أبحثها عن مكنون هذا الأمر فأبى الله إلا إخفاءه. هيهات علم مخزون".

كذلك في رسالته رقم (32) بعد أن جرحه ابن ملجم حيث لا علم له بموته: "إن أبق فأنا وليُّ دمي وإن أفن فالفناء ميعادي"، وفي رسالته المعروفة لمالك الأشتر النخعي: "وأنا أسأل الله سعة رحمته أن يختم لي ولك بالسعادة والشهادة"، بل هو لم يكن متأكد حتى من دخوله الجنة بعد أن سفح دماء آلاف المسلمين في حروبه ضد المسلمين، حتى جاءته الشهادة، فقال: "فزت وربِّ الكعبة"، الشهادة هي التي جعلته يطمئن بالفوز، وليس خلافته للمسلمين أو قرابته من النبي صلى الله عليه وسلم.

لا نرى بداً من إبداء ملاحظة بأن الصفوية تأخذ بمبدأ البداء الذي يعني علم ما لم يكن يعلمه الله في حين يعلمه أئمتهم. وقد حاولوا فيه تبرير إخفاق الإمام جعفر الصادق [ع] عندما نص على ولاية ابنه إسماعيل لكن الله قبض روح إسماعيل قبله، وعندما سألوه عن هذا الأمر الغريب الذي يتنافى مع علم الأئمة بالغيب، وأن الإمام يعرف متى يموت؟ لم يجد الإمام منفذاً للخروج من هذا المأزق سوى القول



بالبداء، حيث أجابهم: "إن الله بدا له في إمامة اسماعيل" بمعنى تغيرت مشيئة الله لعدم علمه بموت اسماعيل! [كتاب فرق الشيعة للنوبختي]، وهذا ا يتنافى مع ما جاء في سورة الطلاق: ﴿وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ [الطلاق:12]. واستشهد ابن عربي بالحديث القدسي: "أن الله تعالى قال: كنت كنزاً لم أعرف، فأحببت أن أعرف، فخلقت الخلق وتعرفت إليهم" [الفتوحات المكية322/2]، ولا يوجد مثل هذا الحديث لا في الصحاح ولا السنن! فضحهم الله تعالى وأخزاهم في الدنيا قبل الآخرة.

مشايخ الصوفية لا يختلفون عن الصفويين في رؤية مشايخهم وامتلاكهم علم الغيب وعلوم ربانية أخرى.

على سبيل المثال يذكر ابن المبارك بأنه سأل شيخه "عبد العزيز الدباغ" عن علماء الظاهر من المحدثين وغيرهم الذين اختلفوا فيما إذا كان النبي صلى الله عليه وسلم يعلم الخمس المذكورات في قوله تعالى ﴿إِنَّ الله عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ أن الله عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [سورة لقمان/34] أم لا يعلم؟ فأفحمه بالقول: كيف يخفى أمر الخَمس عليه والواحد من أهل التصوف من أمته الشريفة لا يمكنه التصرف إلا بمعرفة هذه الخمس" [كتاب الإبريز/167]. ومنهم الشيخ أحمد الرفاعي الذي قال: "إن العبد ما يزال يرتقي من سماء إلى سماء حتى يصل إلى محل الغوث، ثم ترتفع صفته إلى أن تصير صفة من صفات الحق، فيطلعه على غيبه حتى لا تنبت شجرة، ولا تحضر ورقة إلا بنظره، ويتكلم هناك عن الله بكلام لا تسعة عقول الخلائق" [قلادة الجواهر في ذكرى الرفاع وأتباعه الأكابر/148].

ونسبوا للشبلي القول: "لو دبت نملة سوداء، على صخرة صماء، في ليلة ظلماء، ولم أشعر بها أو لم أعلم بها لقلت أنه ممكور بيّ" [الإنسان الكامل للجيلي122/1]، مع أن العقل البشري له طاقة استيعابية محدودة.

كما نسب الشيخ السرهندي إلى ابن عربي قوله: "الله تعالى ليس عالماً للغيب" [كتاب المكتوبات الربانية للسرهندي]. وهذا يتعارض مع قول تعالى: ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلا رَطْبٍ وَلا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ [سورةالأنعام:59]، وقوله تعالى آمراً النبي صلى الله عليه وسلم: ﴿قُلْ لا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ الله وَلا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ أن أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَى إلى قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَفَلا تَتَفَكَّرُونَ﴾ [سورة الأنعام:50]، لكنهم لا يفكرون! ذكر السلمي هذه الحادثة التي تشير إلى معرفة البسطامي بعلم الغيب: "أَذَّنَ أبو يَزيدَ البسطامي مرةً، ثم أرادَ أن يُقيم، فَنَظَر في الصَّفِّ، فرأى رجلاً عليهِ أثرُ سَفرٍ، فَتَقَدَّمَ إليه، فكلّمه بشيءٍ، فقامَ الرَّجُل، وخرجَ من المَسْجِدِ، فسأَلَهُ بعضُ مَن حَضَرَ، فقال الرَّجُل: "كنتُ في السَّفَر، فلمْ أَجِدِ الماءَ، فَتَيَمَّمْتُ، ونَسِيتُ ودَخَلْتُ المسجدَ، فقال لي أبو يزيدَ: لا يجوزُ التيمُّمُ في الحَضَرِ، فَذَكَرْتُ ذَلكَ، وخَرَجْتُ" [طبقات الصوفية/36].

كما نقل المنوفي الحسيني عن إبراهيم الدسوقي قوله: "إن للأولياء الاطلاع على ما هو مكتوب على أوراق الشجر والماء والهواء وما في البر والبحر وما هو مكتوب على صفحة قبة خيمة السماء، وما في جباه الإنس والجان مما يقع لهم في الدنيا والآخرة" [جمهرة الأولياء/242].



وذكر ابن عربي: "يرتقي الوليّ إلى عالم الغيب فيشاهد اليمين ماسكة قلمها وهي تخطط في اللوح" [مواقع النجوم/82].

ويذكر شهاب الدين السهروردي: "الأنبياء والفضلاء المتألهون يتيسر لهم الاطلاع على المغيبات؛ لأن نفوسهم إما قوية بالفطرة أو تتقوى بطرائقهم وعلومهم، فينتقشون بالمغيبات؛ لأن نفوسهم كالمرايا المصقولة تتجلى فيها نقوش من الملكوت، فقد يسري شبح إلى الحس المشترك، يخاطبهم ألدّ مخاطبة وهو في أشرف صورة، وربما يرون الغيب بالحس المشترك ومشاهدة، وربما يسمعون صوت هاتف، أو يقرؤن من مسطور" [للمزيد راجع الألواح العمادية للسهروردي/64].

ويبدو أن المتصوفة كي لا يقعوا في مواقف محرجة من قبل المريدين أو العلماء عند طلبهم إثبات معرفتهم بالغيب؛ لذا فإنهم يقولون بضرورة عدم إفشاء أسرار علومهم الكاذبة للغير، يقول الجنيد يقول للشبلي: "نحن حبرنا هذا العلم تحبيراً، ثم خبأناه في السراديب، فجئت أنت فأظهرته على رؤوس الملأ، فرد عليه الشبلي بقوله:أنا أقول وأنا أسمع فهل في الدارين غيري" [التعرف لمذهب أهل التصوف/145].

الطريف في الأمر: أنهم يوهمون المريدين بخزعبلاتهم، ويعتبرون من يصدقها ينال بركات التصوف! يذكر الشيخ أبو القاسم الرازى: "أوائل بركة الدخول فى التصوف أن تصدق الصادقين فى الأخبار عن أنفسهم، وعن مشايخهم" [طبقات الصوفية/131].

هم لا يريدون مريدين يفكرون ويتعقلون، وأنما مطايا يقودونها كما يشاءوا.



6) علوم الله وملائكته

ورد في القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة ما يؤكد بأن العلم المطلق عند الله وحده، بما في ذلك علم ما سيكون كما ورد في سورة طه:﴿وَلا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْماً﴾، لكن الصفويين نسبوا للأئمة أحاديث مختلقة تشير إلى أنهم يعرفون ما في خزائن الله من معارف، فقد ذكر المجلسي: "أن الإمام جعفر الصادق يعلم ما في السموات وما في الأرضين وما في الجنة وما في النار وما كان وما يكون"، ويضيف في بحاره المظلمة: وإنه "لا يحجب عنهم علم السماء والأرض" بل يصل إلى درجة من الغلو بقوله: "الإمام من الأئمة يعلم ما في أقطار الأرض وهو في بيته مرخى عليه ستره؛ بل ينظر في ملكوت السموات والأرض فلا يخفى عليه شيء ولا همهمة؛ فهم يعلمون جميع العلوم التي أوتيت الملائكة والأنبياء والرسل"، وفي كتاب الكافي للكليني هناك عدة أحاديث تتعلق بهذا الشأن منها: "إن الأئمة إذا شاءوا أن يعلموا علموا"، و"الأئمة يستطيعون إخبار كل أحد بما له وما عليه"، و"الملائكة تأتيهم بالأخبار وتدخل بيوتهم وتطأ بسطهم"، كذلك: "عندهم وصية الحسين فيها كل ما يحتاجه الناس إلى يوم القيامة"، و"أن الوحي بإرادة الإمام فإذا أراد أن يعلم شيئاً من أمور الغيب علمه"، و"لا يحجب عنهم شيء من أحوال شيعتهم وما تحتاج إليه الأئمة من جميع العلوم، وأنهم يعلمون ما يصيبهم من البلايا ويصبرون عليها، ولو دعوا الله في دفعها لأجيبوا، وأنهم يعلمون ما في الضمائر وعلم المنايا والبلايا وفصل الخطاب والمواليد"، وكذلك: "أن العلم أحياناً يحدث للأئمة من الله مباشرة بلا واسطة" [المازنداني في شرحه 44/6]. والطامة الكبري في هذه المعضلة هذا الحديث البائس: "أن النبي صلى الله عليه وسلم علم علياً علوماً بعد وفاته وتكفينه" [بحار الأنوار 213/40].

مع أن الإمام علياً يجهل الكثير من الأمور، منها: ما ذكره أبو بكر الحسين بن علي بن بزدانيار: "إن حياء الحشمة كقول علي رضي الله عنه للمقدادين الأسود سَل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن المذي فإن ابنته عندي، وأنا أستحي أن أسأله لمكانها مني" [الطبقات الكبرى114/1]، ذكر محمد عبده قول الإمام علي لعثمان بن عفان: "ما أعرف شيئاً تجهله، ولا أدلك على أمر لا تعرفه، إنك لتعلم ما نعلم، وما سبقناك إلى شيء فنخبرك عنه، ولا خلونا بشيء فنبلغكه، وقد رأيت ما رأينا وسمعت ما سمعنا، وصحبت كما صحبنا" [نهج البلاغة/291].

ونسبوا للنبي صلى الله عليه وسلم أنه قال للإمام علي: "يا علي إذا مت فغسلني وكفني، ثم أقعدني وسلني واكتب"! [الكافي 297/1]. عجباً! لماذا لا يسأله وهو حي! ويسأله وهو ميت؟ وإن كان الإمام يحمل كل تلك المعارف والعلوم وخزائن العلم ويعلم حتى ما في الضمائر! فلماذا يسأل النبي صلى الله عليه وسلم؟ وعن ماذا يعلمه؟ وكيف نعلل وصية النبي صلى الله عليه وسلم له عندما بعثه إلى اليمن بقوله: **«يا علي! ما خاب من استخار، ولا ندم من استشار»** [وسائل الشيعة 216/3]؛ فهل يحتاج من يحمل خزائن الله من المعارف لاستشارة الآخرين؟ وهذا ابن سعد يحدثنا عن الإمام زين العابدين الذي أشار إلى سعيد بن جبير بقوله: "هذا رجل كان يمر بنا فنسأله عن الفرائض وأشياء مما ينفعنا



الله بها. إنه ليس لدينا ما يرمينا به هؤلاء. وأشار بيده إلى العراق" [الطبقات الكبرى 136/8]. الإمام الذي يعرف حديث الحيوان والنبات والجماد بل الهمهمة يسأل عن الفرائض وهي من صلب الدين؛ فكيف بأمور الدنيا؟!

كما ذكر ابن شهرآشوب: "عن أبي بصير، عن أبي جعفر عليه السّلام قال لرجلٍ من أهل خراسان: كيف أبوك؟ قال: صالح، قال: قد مات أبوك بعدما خرجتَ حيث سِرْتَ إلى جُرجان. ثمّ قال له: كيف أخوك؟ قال: تركته صالحاً، قال: قد قتله جار له يقال له صالح يوم كذا في ساعة كذا. فبكى الرجل وقال: إنّا لله وإنّا إليه راجعون ممّا أُصِبت! فقال أبوجعفر عليه السّلام: اسكنْ؛ فقد صارا إلى الجنّة، والجنّة خيرٌ لهما ممّا كانا فيه. فقال الرجل: إنّي خلّفتُ ابني وَجِعاً شديد الوجع، ولم تسألني عنه؟! قال: قد بَرِئ، وقد زوّجه عمُّه ابنته وأنت تَقْدِم عليه وقد وُلِد له غلام واسمه عليّ، وهو لنا شيعة، وأمّا ابنك فليس لنا شيعة بل هو لنا عدوّ! [مناقب آل أبي طالب192/4]. ولو حسبنا فترة خروج الرجل من خراسان إلى جرجان ووصوله لمقر الإمام، مع زواج إبنه من ابنة عمته، وولادة ولدين أحدهما شيعي والآخر سني [عدو] لكانت المدة حوالي عشر سنوات على أقل تقدير طالما أن الولدين بلغا وصار أحدهما معتقداً بالإمامية! فأي دجل هذا!

كما جاء في خطبة للإمام علي بن أبي طالب، نقلها الكليني تنسف كل هذه التخاريف والأباطيل بقوله: "فإني لست في نفسي بفوق ما أن أخطئ ولا آمن ذلك من فعلي، إلا أن يكفي الله من نفسي ما هو أملك به مني"، وفي سؤال أبي الطفيل للإمام علي فيما إذا أسره النبي صلى الله عليه وسلم بشيء ما لم يعلنه؟ غضب الإمام علي رضي الله عنه وقال: ما كان النبي صلى الله عليه وسلم يُسر إلى بشيء يكتمه عن الناس، غير أنه حدثني بكلمات أربع هي: **«لعن الله من لعن والده، ولعن الله من ذبح لغير الله، ولعن الله من آوى محدثاً، ولعن الله من غير منار الأرض»** [صحيح مسلم 1567/3]. عجباً هل يقرأ من يذبح الذبائح لوجه الحسين! وهب يعرفون أنهم ملعونون.

المتصوفة بالغوا في علوم شيوخهم أيضاً فقد نبذوا الاستدلال العقلي والبرهان المنطقي كطريقة للحصول على الحقيقة والمعارف، على اعتبار أن الأفضلية تكون بالإيحاء وما يختلج النفس والقلب، فهم يدعون بأن لديهم ثلاثة أنواع من العلوم:

أولهما: الوهبية (اللدنية أو الكشف والفيض الرباني) أي العلوم التي يهبها الله لهم مباشرة للكشف عن الحقائق العلوية وهي مستمدة من قوله تعالى: **﴿وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا﴾** [الكهف:65]، وقد شرحه ابن عربي في رسالته إلى فخر الدين الرازي - صاحب التفسير المشهور- التي جاء فيها: "اعلم أن الرجل لا يكتمل عندنا في مقام العلم حتى يكون علمه عن الله عز وجل بلا واسطة من نقل أو شيخ"، ويدعي ابن عطاء الله السكندري: "أن من الكرامات الاستماع من الله والفهم عنه" [لطائف المنن]، ويذكر الشيخ التيجاني: "أن الله يكرم القطب بعلم ما قبل وجود الكون وما وراءه وما لانهاية له، وجميع الأسماء التي يسير بها نظام كل ذرة من جميع الموجودات" [الموسوعة الصوفية/ 914]. وفي [فصوص الحكم 129/1]. كما يذكر أبو السعود نقلاً عن الشيخ المهتدي عبد الرحمن الوكيل: "إن الله أعطاني التصرف في الكون منذ [15] عاماً وتركناه تظرفاً"، ويعلق ابن عربي على هذا الكلام: "أما نحن فما تركناه تظرفاً، وإنما تركناه لكمال المعرفة"، مزايدات كونية قد تنفعهم في جهنم!



النوع الثاني: العلوم الكسبية (المكتسبة) وهي العلوم التي يأخذونها عن شيوخهم في حلقات الدروس أو من خلال قراءة كتب أقطابهم المعروفة. ويذكر ابن عطاء الله السكندري في [لطائف المنن] عن المرسي أبو العباس: "ما من ولي كان أو هو كائن إلا وقد أطلعني الله عليه وعلى اسمه ونسبه وكم حظه من الله"!

ويضع الشيخ التيجاني إشارات على طريق أخذهم العلوم بقوله: "ما يظهره الله سبحانه وتعالى للذاكر من المؤانسة في نومه ويقظته، حتى يرى الأنوار طالعة ونازلة، ثم ينتهي بها حتى يراها تحوم حول قلبه داخلة في صدره، ثم ينتهي إلى أن يراها حلت في قلبه وجالت فيه، فإذا وقعت فيه هكذا أكسبته من العلوم، حتى يعبر عما يعجز عنه أهل الدراسة، ولا يعلم من أين دخلت عليه تلك العلوم" [جواهر المعاني/ علي حرازم]. علوم لا يعرف الشيخ مصدرها! لربما مصدرها الشيطان!

ويُنسب للشيخ الكيلاني القول: "أعلم كم هو نبات الارض، وأعلم رمل الارض كم رملة، وأعلم موج البحر كم موجة، وأعلم علم الله، أحصي حروفه" [كتاب الفيوضات الربانية في المآثر والاوراد القادرية/ 36]. حسناً وما هي فائدة هذه العلوم للناس؟!

النوع الثالث: علوم نبوية مستمدة من النبي صلى الله عليه وسلم، حيث يدعون أن القطب والغوث يأخذون العلم من النبي مباشرة حياً كان أم ميتاً! فهو يأتيهم صحواً أو نوماً ليعلمهم الأذكار والأوراد، ويستشهدون بحديث السيد أحمد الإدريسي- مؤسس الطريقة الإدريسية -: "اجتمعت بالنبي صلى الله عليه وسلم اجتماعاً صورياً، وكان معه الخضر عليه السلام، فأمر النبي الخضر بأن يلقنني أذكار الطريقة الشاذلية، فلقنني إياها بحضرته" [كتاب تفنيد الصوفية/ لعبد الرحمن عبد الخالق].

وسبق أن تحدثنا عن كتاب فصوص الحكم، حيث أمر النبي صلى الله عليه وسلم ابن عربي بنشر ما جاء فيه على الناس. إساءة واضحة للنبي صلى الله عليه وسلم من الذي ترك القرآن وانشغل بتعليم الأوراد والأذكار!

لنقرأ هذه الباقة المنوعة من أشواك المتصوفة!

يذكر الشيخ العارف بالله تعالى سيدي إبراهيم المسوقي القرشي: "إذا كمل العارف في مقام العرفان أورثه الله علماً بلا واسطة، وأخذ العلوم المكتوبة في ألواح المعاني ففهم رموزها وعرف كنوزها، وفك طلسماتها، وعلم اسمها، ورسمها، وأطلعه الله تعالى على العلوم المودعة في النقط، ولولا خوف الإنكار لنطقوا بما يبهر العقول. وكذلك لهم من إشارات العبارات عبارات معجمة، وألسن مختلفة، وكذلك لهم في معاني الحروف، والقطع، والوصل والهمز، والشكل، والنصب، والرفع ما لا يحصر، ولا يطلع عليه إلا هم، وكذلك لهم الاطلاع على ما هو مكتوب على أوراق الشجر، والماء، والهواء، وما في البر، والبحر، وما هو مكتوب على صفحة قبة خيمة السماء، وما في جباه الإنس، والجان مما يقع لهم في الدنيا، والآخرة، وكذلك لهم الاطلاع على ما هو مكتوب بلا كتابة من جميع ما فوق الفوق، وما تحت التحت" [الطبقات الكبرى174/1]. لاحظ لولا خوف الإنكار! لأنه لا توجد دلائل على خرافاتهم؛ فمن المؤكد أن ينكرها الناس. ثم ما هو "تحت التحت"؟ هل هو نقيض "فوق الفوق"؟ أم مجرد هراء؟



ويذكر أبو سعيد الخراز: "العارفون خزائن الله أوح الله تعالى فيها علوم غريبة وأخبار عجيبة يتكلمون فيها بلسان الأبدية، ويخبرون عنها بعبارات أزلية" [الطبقات الكبرى91/1]. كلام منمق لا دلالة له، ولا عليه! وليطلع القارئ على لسان الأبدية وما يتحدث عنه الشيوخ بالعبارات الأولية التي ذكرها الأشعري: "كتب الشيخ العارف بالله تعالى سيدي إبراهيم المسوقي القرشي رضي الله عنه إلى بعص مريديه بعد السلام وإنني أحب الولد، وباطني خلى من الحقد، ولا بباطني شظاً، ولا حريق لظى، ولا جوى من مضى، ولا مضض غضاً، ولا نكص نصاً، ولا سقط نطاً، ولا ثطب غظاً، ولا عطل حظاً، ولا شنب سرى، ولا سلب سباً، ولا عتب فجاً، ولا سمداد حداً، ولا بدع رضاً، ولا شطف جواً، ولا حتف حراً، ولا خمش خيش، ولا حفص عفص، ولا خفض خنس، ولا حولد كنس، ولا عنس كنس، ولا عسعس خمس، ولا جيقل خندس، ولا سطاريس، ولا عيطافيس، ولا هطا مرش، ولا سطا مريش، ولا شوش أريش، ولا ركاش قوش، ولا سملادنوس، ولا كتباً سمطلول الروس، ولا بوس عكمسوس، ولا انفداد أفاد، ولا قمداد انكاد، ولا بهداد، ولا شهداد" [الطبقات الكبرى172/1].

إنهم فعلاً خزائن العلم! وهذا الكلام الذي تنتحر علوم البلاغة على عتبته أكبر دليل على علمهم الغزير! بربكم أهذا كلام عقلاء أم مجانين؟!

ثم يزيدنا الشيخ معرفة بقوله الحكيم: "وبعد فإن شجرة القلوب: إذا هزت فاح منها شذاً يغذي الروح فيستنشق من لا عنده زكم فتبدو له أنوار، وعلوم مختلفة مانعة محجوبة معلومة لا معلومة معروفة لا معروفة غريبة عجيبة سهلة شطة فائقة طعم، ورائحة، وشم يم محل جميل جهد راب علوب نغط نبوط هوبط سهبط جرموا غميطا غلب عمن عسب غلب عرماد علمود على عروس علماس مسرود قدقد فرسم صباع صبع صبوغ نبوب جهمل جما يدحر بوعس قنبود سماع بناع سرنوع ختلوف كداف كروف كمتوف شهدا سهنبيل ختلولف ختوف رصص مامن قمن قرفنيود سعى طبوطا طابرطا كمط، كهرجة جهد بيد قيلودات كهلودات كيكل كلوب فافهم مبرم وقرم منعم وأخبر سهدم سوس سفيوس كلا فيدلا تهتر عن عنيلا سعسد سج تزيد، ولا تتكوكع زند حدام هدام سكهدل، وقد سطرنا لك يا ولدي تحفة سنية، ودرة مضية ربانية سريانية شمسية قمرية كواكب درية، وأنجم خفية علوية، وإنما تصفح المبهم المغلق المغرب الذي سره مغطى بالرموز". المصيبة أن الشعراني نقل لنا الرموز ولم يفهمها ويفك لنا أسرارها فكيف سيكون حالنا معها؟ لو وقف خطيب في جامع وتكلم بمثل هذا الهراء، كيف سيكون موقف المستمعين منه! نترك تخيل المشهد لقريحة القارئ.

الأعجب من هذا كله أنه كتب سلاماً إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأرسله مع الحجاج يقول فيه: "سلام على أمير حي المحيا جميل المعنى سخي المراشف أرخى المعاطف كريم الخلق سني الصدق عرفوط الوقت، وردساني الفهم ثاقب المرحب محبول الرحب قطابة النفل قيدوح النماطة ليدوح النباطة سرسا مع الوحب بهدياني الوعب بهبساني الحداقة سهبري النساقة موز الرموز عموز النهوز سلاحات أفق فردفانية أمق شوامق اليرامق حيد وفرقيد، وفرغاط الأسباط، ومبيط البساط الكرقولية، والقدد القيلولية أن حدول شذول وإن عرذل خردل السبل السبل يبط العقود النماحة النياحة جاجوي نبا كلكوي سبا مقطعات حم، ومحكمات حكيم بدايه لوايع أن شدت أنشدت عنيقبات رسمانية ناتوتية نابهتنية بابلية أرس أرسون كمين كبيوت ناتون نون، وجيم ونقطة تنعيم ازمح همدج تنسج هيج دهبر



رعبوت قيداف قيدوف عرائش مجليات شعشانية على قطط النبط لا النمط، والبعد لا الشطط فلاق القندم خلاق الزيدم، وأبقى الهندم أن طاطا فطاوما، وإن تعاطى فاستبرق يسمع عنين النبك، وعنين التبك من أوباح فوائد، وأدراح قلائد ليش من لفظ قس الأيادي، ولا له بها أيادي نهدبانية البهاسبهانية الربا قل تيشلقت بالنباهة أبيا، وتعطرفت بالسياحة عبيا طرايقا عجنبا عرائفها جبا أن تمادى تمدى، وإن بعد أعدد لفظة بارق لحظة حاذق أن ينشد فردقوينة قد أعدت بالرشطاط من قرورباان، وحرموزان كروم المرتبلاه، ولا أشباه ألم تك، والدتك، والدتك" [المصدر السابق172/1].

الأجمل من هذا كله ينصحنا الشيخ "عليك بالعمل، وإياك، وشقشقة اللسان بالكلام"! حقاً ينصحون الناس وينسون أنفسهم؟

يذكر الشعراني: "كان الجنيد رضي الله عنه لا يتكلم قط في علم التوحيد، إلا في قعر بيته بعد أن يغلق أبواب داره، ويأخذ مفاتيحها تحت وركه ويقول: أتحبون أن يكذب الناس أولياء الله تعالى، وخاصته، ويرمونهم بالزندقة، والكفر" [الطبقات الكبرى10/1]

ولكن النبي صلى الله عليه وسلم تحدث عن التوحيد علنا بين الناس!

ويذكر الشعراني عن عبد الله القرشي: "أن أصحابه طلبوا منه أن يسمعهم شيئاً من علم الحقائق، فقال لهم: كم أصحابي اليوم قالوا ستمائة رجل، فقال الشيخ: اختاروا لكم منهم مائة، فاختاروا، فقال: اختاروا من المائة عشرين، فاختاروا فقال: اختاروا من العشرين أربعة، فاختاروا قلت: وكان هؤلاء الأربعة أصحاب كشوفات، ومعارف فقال الشيخ: لو تكلمت عليكم في علم الحقائق، والأسرار لكان أول من يفتي بكفري هؤلاء الأربعة" [الطبقات الكبرى10/1].

حجة ذكية للهروب من الحقيقة وهي التكفير! وكان علي بن إبراهيم الأرموي يقول: "سمعت أبو بكر ابن بزدانيار يقول: تراني تكلمت في الصوفية بما تكلمت به إنكاراً على التصوف، والصوفية؟ والله ما تكلمت به إلا غيرة عليهم حيث أفشوا أسرار الحق، وأظهروها بين من ليس من أهلها، وإلا فهم السادة بمحبتهم أتقرب إلى الله تعالى" [الطبقات الكبرى114/1].

يذكر الشعراني عن الشيخ علي الخواص: "كان رضي الله عنه يعرف أصحاب النوبة في سائر أقطار الأرض، ويعرف من تولى منهم ساعة، ولايته ومن عزل ساعة عزله" [الطبقات الكبرى381/2].

ثم ماذا إن عرف أو لم يعرف!

ويذكر الشعراني عن شمس الدين الديروطي: "أخبر زوجته أن ولدها حمزة يقتل شهيداً، وأنه يأتيه مدفع فيطير رأسه معه، فكان كما قال، وأخبر أن ولده سرياً يعيش صالحاً، ويموت على ذلك، ولما حضرته الوفاة أخبر والدته أنه يموت في تلك الرقدة، فقالت له: من أين لك علم هذا؟ فقال: أخبرني بذلك الخضر عليه السلام فكان كما قال فكانت" [الطبقات الكبرى4189/2].

بربكم! هل هناك مسلم عاقل يقوم بمثل هذا الفعل ينبئ امرأة بأن قذيفة مدفع ستطير رأس ابنها؟ شيخ كله شؤوم! أعوذ بالله.

كما: "كان الشيخ محمد الحضري يقول: الأرض بين يدي كالإناء الذي آكل منه، وأجساد الخلائق كالفوارير أرى ما في بواطنهم" [الطبقات الكبرى334/1].



ويضيف الشعراني: "كان علي الدويب رضي الله عنه يقول: فلان مات في الهند أو في الشام أو في الحجاز فبعد مدة يأتي الخبر كما قال: الشيخ" [الطبقات الكبرى366/2].

كذلك الأمر عند الصفويين:

عن معلى بن خنيس قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: "يا معلى اكتم أمرنا ولا تذعه، فإنه من كتم أمرنا ولم يذعه أعزَّه الله به في الدنيا، وجعله نوراً بين عينيه في الآخرة، يقوده إلى الجنة، يا معلى من أذاع أمرنا ولم يكتمه أذلَّه الله به في الدنيا، ونزع النور من بين عينيه في الآخرة، وجعله ظلمة تقوده إلى النار، يا معلى إن التقية من ديني ودين آبائي، ولا دين لمن لا تقية له، يا معلى إن الله يحب أن يُعبد في السِّر كما يحب أن يُعبد في العلانية، يا معلى إن المذيع لأمرنا كالجاحد له"، ربما هي علوم نووية لا يجوز إفشاءها!

حدثنا محمد بن الحسين عن محمد بن سنان عن عمار بن مروان عن جابر عن أبي عبد الله، قال: "إن أمرنا سر في سر، وسر مستسر، وسر لا يفيد إلا سر، وسر على سر، وسر مقنع بسر" [بصائر الدراجات].

فيما يتعلق الجفر ومعرفة الماضي والحاضر والمستقبل. عن الحسين ابن أبي العلاء قال: سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول: "إن عندي الجفر الأبيض، قال: قلت: فأي شئ فيه؟ قال: زبور داود، وتوراة موسى، وإنجيل عيسى، وصحف إبراهيم عليهم السلام والحلال والحرام، ومصحف فاطمة، ما أزعم أن فيه قرآناً، وفيه ما يحتاج الناس إلينا ولا نحتاج إلى أحد حتى فيه الجلدة، ونصف الجلدة، وربع الجلدة وأرش الخدش" [أصول الكافي 496/1].

لكن الزبور والتوراة والإنجيل متوفرة عند الناس، والحلال والحرام معروف عند جميع المسلمين، فأي فخر لهم بمعرفته؟ المهم هو تطبيق وصايا الله تعالى وليس معرفتها فقط.

وعن إسماعيل بن جابر عن أبي عبد الله عليه الصلاة والسلام أنه قال: كتاب الله، فيه نبأ ما قبلكم، وخبر ما بعدكم، وفصل ما بينكم، ونحن نعلمه" [بصائر الدرجات].

ربما يقصد مصحف فاطمة وليس كتاب الله! وذكر الكليني عن عبد الأعلى بن أعين، قال: سمعت أبا عبد الله عليه الصلاة والسلام يقول: قد ولدني رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وأنا أعلم كتاب الله، وفيه بدء الخلق، وما هو كائن إلى يوم القيامة، وفيه خبر السماء وخبر الأرض، وخبر الجنة، وخبر النار، وخبر ما كان وخبر ما هو كائن، أعلم ذلك كما أنظر إلى كفي أن الله يقول "فيه تبيان كل شيء" [أصول الكافي61/1]. كيف ولدني رسول الله! هل الرسول صلى الله عليه وسلم - حاشاه - قابلة مأذونة ليولده! وهل ولد الإمام بحياة الرسول ليقول ولدني. وان كان المقصودة الولادة المعنوية فالنبي لا ولد له، وهذا ما حسمه القرآن الكريم، وربما لم تسنح الفرصة للإمام ليطلع على كلام الله!

فيما يتعلق بالجنة في مخيلة الأئمة والمتصوفة: يذكر الشعراني عن الشيخ أبو الفضل الأحمدي: "كان رضي الله عنه يقول: ليس لأهل الجنة دبر مطلقاً لا الرجل ولا المرأة؛ لأن الله تعالى إنما جعل الدبر في دار الدنيا مخرجاً للغائط، ولا غائط هناك، وإنما يخرج الأكل، والشرب رشحاً من أبدانهم، ولولا أن ذكر الرجل وقبل المرأة محتاج إليهما في جماع أهل الجنة ما كان وجدا في الجنة لعدم البول هناك. وكان رضي الله عنه يقول: لذة جماع أهل الجنة تكون من خروج الريح لا من خروج المني إذ



لا مني هناك فيخرج من كل الزوجين ريح مثيرة كرائحة المسك فتلقى في الرحم فتتكون من حينه فيها ولداً وتكمل نشأته ما بين الدفعتين، فيخرج ولد مصور مع النفس الخارج من المرأة، ويشاهد الأبوان كل من ولدا لهما من ذلك النكاح في كل دفعة، ثم يذهب ذلك الولد فلا يعود إليهما أبداً كالملائكة المتطورين من أنفاس بني آدم في دار الدنيا، وكالملائكة الذين يدخلون البيت المعمور" [الطبقات الكبرى415/2].

من أين استقى الشيخ المعلومات عن الجنة وطرق النكاح فيها، طالما هي غير مذكورة في القرآن الكريم والسنة النبوية؟ هل كان الشيخ في الجنة وعاد إلى الأرض ليحكي لنا مشاهداته؟ أم كان يعانى من الحمى فهذر؟ وكيف يكون الريح بدلاً عن المني؟ كأن الشيخ يتحدث عن منفاخ دراجات.

قال الشيخ المفيد: "عن أبي جعفر عليه السلام قال: إن أهل الجنة جُرْدٌ مُرْدٌ، مكحلين، مكللين، مطوقين، مسورين مختمين، ناعمين، محبورين، مكرمين. يعطى أحدهم قوة مائة رجل في الطعام والشراب والشهوة والجماع، ويجد لذة غذائه مقدار أربعين سنة، ولذة عشائه مقدار أربعين سنة، قد ألبس الله وجوههم النور، وأجسادهم الحرير، بيض الألوان، صفر الحلي، خضر الثياب. يحيون فلا يموتون أبداً، ويستيقظون فلا ينامون أبداً، ويستغنون فلا يفتقرون أبداً، ويفرحون فلا يحزنون أبداً، ويضحكون فلا يبكون أبداً، ويكرمون فلا يهانون أبداً، ويفكهون ولا يقطبون أبداً، ويحبرون ويسرون أبداً، ويأكلون فلا يجوعون أبداً، ويروون فلا يظمؤون أبداً، ويُكْسَوْنَ فلا يَعْرُون أبداً، ويركبون ويتزاورون أبداً. يسلم عليهم الولدان المخلدون أبداً، بأيديهم أباريق الفضة وآنية الذهب أبداً، متكئين على سرر أبداً، على الأرائك ينظرون أبداً، تأتيهم التحية والتسليم من الله أبداً. نسأل الله الجنة برحمته إنه على كل شئ قدير" [الاختصاص/358].

نفس المصيبة! مزجوا ما ذكر في القرآن والسنة النبوية بالأوهام التي تداعب مخيلاتهم المريضة، وأنتجوا لنا جنة طوباوية.

قال الصدوق: "اعتقادنا في الجنة أنها دار البقاء، ودار السلامة. لا موت فيها، ولا هرم، ولا سقم، ولا مرض، ولا آفة، ولا زوال، ولا زمانة، ولا غم، ولا هم، ولا حاجة، ولا فقر. وأنها دار الغنى والسعادة، ودار المقامة والكرامة، ولا يمس أهلها فيها نَصَب، ولا يمسهم فيها لغوب. وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الاعْيُنُ وَأَنْتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ. وأقل المؤمنين منزلة في الجنة من له مثل ملك الدنيا عشر مرات" [الاعتقادات/76]. وهل يريد الشيخ في الجنة موت وهرم ومرض وآفات وذل وفقر؟

قال الإمام علي: "فلو رميت ببصر قلبك نحو ما يوصف لك منها، لعزفت نفسك عن بدائع ما أخرج إلى الدنيا، من شهواتها ولذاتها وزخارف مناظرها، ولذهلت بالفكر في اصطفاق أشجار، غيبت عروقها في كثبان المسك، على سواحل أنهارها، وفي تعليق كبائس اللؤلؤ الرطب في عساليجه وأفنانها، وطلوع تلك الثمار مختلفة في غلف أكمامها، تُحنى من غير تكلف فتأتي على منية مجتنيها، ويطاف على نزالها في أفنية قصورها بالأعسال المصفقة، والخمور المروقة. قومٌ لم تزل الكرامة تتمادى بهم حتى حلوا دار القرار، وأمنوا نقلة الأسفار. فلو شغلت قلبك أيها المستمع بالوصول إلى ما يهجم عليك من تلك المناظر المونقة، لزهقت نفسك شوقاً إليها، ولتحملت من مجلسي هذا إلى مجاورة



أهل القبور استعجالاً بها. جعلنا الله وإياكم ممن سعى بقلبه إلى منازل الأبرار برحمته" [نهج البلاغة75/2].



الباب الرابع

1) الدعاء في العقيدتين الصوفية والصفوية

جاء في سورة البقرة: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ [البقرة:186]، وورد في سورة غافر: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر:60]، وفي الحديث النبوي الشريف: «ألا أنبِّئُكم بخير أعمالِكم، وأزكاها عند مَليكِكم، وأرفعها في درَجاتِكم، وخيرٌ لكم من إنفاق الذهبِ والورِق، وخيرٌ لكم من أن تلقَوا عدوَّكم فتضرِبوا أعناقَهم ويضربوا أعناقَكم؟ قالوا: بلى يا رسول الله، قال: ذكر الله" [أخرجه الترمذي/3377].

يتبين مما ورد: أن الدعاء يوجه للذات الإلهية فقط، فهو الذي يستجيب لدعاء عباده لا غيره وإن كانوا أنبياء ورُسلاً، ولم يدع الرسل والأنبياء من قبل بأنهم يستجيبون للدعاء، فهم أعرف بحدود مسؤولياتهم وصلاحياتهم، ولا يمكن أن يتجاوزوها.

ذكر الشيخ ابن تيمية: "لا ريبَ أن الأذكار والدعوات من أفضل العبادات، والعبادات مبناها على التوقيف والاتباع، لا على الهوى والابتداع، فالأدعية والأذكار النبوية هي أفضل ما يتحرّاه المتحرّي من الذِّكر والدعاء، وسالكها على سبيل أمان وسلامة، والفوائد والنتائج التي تحصل لا يعبِّر عنه لسان، ولا يحيط به إنسان، وما سواها من الأذكار قد يكون محرَّماً، وقد يكون مكروهاً، وقد يكون فيه شرك ممَّا لا يهتدي إليه أكثر الناس، وهي جملة يطول تفصيلها" [مجموع الفتاوى510/22].

وقال ابن القيم: "أفضل الذِّكر وأنفعُه ما واطأ القلبُ اللسانَ، وكان من الأذكار النبوية، وشهد الذَّاكر معانيه ومقاصده" [كتاب الفوائد/247].

تحدث العلماء المسلمون عن أهمية الأدعية، وتعمقوا في دراستها وذكروا الكثير من فوائدها، ومنها على سبيل المثال وليس الحصر: طرد الشيطان، فقد جاء في سورة الزحرف: ﴿وَمَن يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَاناً فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ﴾. ومنها: اطمئنان النفس البشرية، وراحة القلب، كما جاء في سورة الرعد بقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ الله أَلاَ بِذِكْرِ الله تَطْمَئِنُّ القُلُوبُ﴾. ومنها: حط الذنوب حيث ورد في الحديث النبوي الشريف: «من قال سبحان الله وبحمده في يومٍ مائة مرّة حُطَّت خطاياه وإن كانت مثل زَبَدِ البحر» [أخرجه البخاري/6405]. ومنها: غرس النفس البشرية في الجنة كما ورد في الحديث النبوي الشريف: **«من قال سبحان الله وبحمده، غُرِست له نخلةٌ في الجنّة»** [أخرجه الترمذي/3465]. ومنها: الابتعاد عن ظاهرة النفاق والدجل والكذب فقد جاء في سورة النساء: ﴿وَلاَ يَذْكُرُونَ الله إِلاَّ قَلِيلاً﴾. والأهم من هذا وذاك إرضاء الله تعالى من خلال



تنفيذ وصيته الواردة في سورة الأحزاب: **﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا الله ذِكْراً كَثِيراً * وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلاً * هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلاَئِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إلى النُّورِ وَكَانَ بِالمُؤْمِنِينَ رَحِيماً تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلاَمٌ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْراً كَرِيماً﴾** [الأحزاب:41-43].

ذكر عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر: "بيَّن النبيُّ صلى الله عليه وسلم لأمّته ما ينبغي لهم أن يقولوه من ذِكر ودعاء في الصباح والمساء، وفي الصلوات وأعقابها، وعند دخول المسجد، وعند النوم، وعند الانتباه منه، وعند الفزع فيه، وعند تناول الطعام وبعده، وعند ركوب الدابَّة، وعند السفر، وعند رؤية ما يحبّه المرء، وعند رؤية ما يكره، وعند المصيبة، وعند الهمّ والحزن، أو غير ذلك من أحوال المسلم وأوقاته المختلفة" [فقه الأدعية والأذكار/7]. فمن دعاء الليل للنبي صلى الله عليه وسلم عن عبد الله بن عبّاس رضي الله، قال: كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول في دعائه: **«اللهمّ اجعلْ في قلبي نوراً، وفي بصري نوراً، وفي سمعي نوراً، وعن يميني نوراً، وعن يساري نوراً، وفوقي نوراً، وتحتي نوراً، وأمامي نوراً، وخَلْفي نوراً، وعظِّم لي نوراً»** [أخرجه مسلم/763].

بلا شك أن الدعاء الذي مصدره غير القرآن والسنة النبوية مهما بلغ من قوة وفصاحة وبلاغة وعمقاً فإنه لا يرتقِ إلى كلام الله تعالى بالدرجة الأساس ولا بأدعية النبي صلى الله عليه وسلم من بعده. فالقرآن الكريم يضم عدداً هائلاً من الأدعية، ومنها أدعية الأنبياء والرسول، وطرق استغاثتهم بالله تعالى كدعاء النبي أيوب والنبي يونس. كما أن قراءة القرآن بشكل عام هي أهم بكثير من الأدعية؛ لأن الذكر الكريم يضم الأدعية وغيرها من الوصايا والتوجيهات، فقد ذكر عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر: "إن تلاوة القرآن الكريم هي أفضل الأذكار، ومقدَّمة على التسبيح والتحميد والتكبير والتهليل والدعاء والاستغفار وغير ذلك من الأدعية والأذكار" [فقه الأدعية والأذكار/102]، مستنداً في رأيه على ماورد في سورة المزمل: **﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَى مِن ثُلُثَيِ اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ وَثُلُثَهُ وَطَائِفَةٌ مِنَ الَّذِينَ مَعَكَ وَاللهُ يُقَدِّرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ عَلِمَ أن لَن تُحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ فَاقْرَؤُا مَا تَيَسَّرَ مِنَ القُرْآنِ﴾**، وهذا الكلام له صلة، فقد روى القرطبي عن عمرو بن أبي سلمة، قال: "سألتُ الأوزاعي عن قراءة القرآن أعْجَبُ إليك أم الذكر؟ فقال: سل أبا محمّد - أي سعيد بن المسيّب -! فسألته؟ فقال: بل القرآن! فقال الأوزاعي: إنَّه ليس شيء يعدل القرآن" [التذكار في أفضل الأذكار/59]. وروى مسلم عن سمرة بن جندب رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **«أحب الكلام إلى الله تعالى أربع، لا يضرك بأيّهن بدأت: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر»** [صحيح مسلم/2137]. كما رواه الطيالسي في مسنده: **«أربع هنَّ من أطيب الكلام، وهنّ من القرآن، لا يضرك بأيّهنَّ بدأت: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر»** [مسند الطيالسي/122].

هناك فرق أن يعجبك دعاء ما، وأن تسأل الله تعالى به، يوجد الكثير من الأدعية الجميلة عند المسلمين وغير المسلمين تحتوي على كلمات ومضامين طيبة، وهي موجهة للذات الإلهية وليس للبشر. انظر مثلاً دعاء يا رب للفيلسوف الهندي روبندرونات طاغور، كم هو جميل، ورغم أن طاغور من البراهما، لكنه يوجه دعائه للرب وليس للبشر، على العكس من الأئمة والشيوخ.

يسأل طاغور الله تعالى: "يا رب! لا تجعلني جزاراً يذبح الخراف، ولا شاة يذبحها الجزارون. يا رب! ساعدني على أن أقول كلمة الحق في وجهه الأقوياء، وساعدني على أن لا أقول الباطل لأكسب



تصفيق الضعفاء. يا رب! إذا أعطيتني مالاً، لا تأخذ سعادتي، وإذ أعطيتني قوة فلا تأخذ عقلي، وإذ أعطيتني نجاحاً فلا تأخذ تواضعي، وإذا أعطيتني تواضعاً فلا تأخذ اعتزاي بكرامتي. يا رب! علمني أن أحب الناس كما أحب نفسي، وعلمني أن أحاسب نفسي كما أحاسب الناس. يا رب! ساعدني على أن أرى الناحيه الأخرى من الصورة، ولا تتركني أتهم خصومي بأنهم خونه؛ لأنهم اختلفوا معي في الرأي. يا رب! علمني أن التسامح هو أكبر مراتب القوه، وأن حب الانتقام هو أول مظاهر الضعف. يا رب! لا تدعني أصاب بالغرور إذا نجحت، ولا أصاب باليأس إذا فشلت، بل ذكرني دائماً بأن الفشل هو التجارب التي تسبق النجاح. يا رب! إذا جردتني من المال، فاترك لي الأمل، وإذا جردتني من النجاح فاترك لي قوة العناد حتى أتغلب على الفشل، وإذا جردتني من نعمة الصحة، فاترك لي نعمة الإيمان. يا رب! إذا أسأت إلى الناس فأعطني شجاعة الاعتذار، وأذا أساء إلي الناس أعطني شجاعة العفو والغفران. يا رب! إذا نسيتك لا تنساني".



أ) الدعاء في العقيدة الصفوية

اهتم الصفويون بأدعية الأئمة أو المنسوبة لهم ـ على الأرجح ـ أكثر من اهتمامهم بالقرآن الكريم، وسبق أن رأيت في الحضرة الحسينية أحد الأشخاص وهو يقرأ مفاتيح الجنان ويحفظها ـ كما قال جميعها على ظهر قلب ـ وعندما سألته عن حفظهِ القرآن الكريم أدار وجهه ساخطاً وذهبّ.

الأدعية الصفوية صيدلية كبيرة تضم كل ما تحتاجه من أدوية لأمراضك الجسدية والعائلية والبيتية والنفسية والجنسية والاقتصادية والاجتماعية. الدعاء هو البلسم الشافي والعلاج الوافي والمضمون لمشاكل البشرية، ولغزارة الإنتاج الدعائي أصبح لدينا آلاف الأدعية، تُتلى كل يوم، ولا فائدة ترتجى منها، فالحال نفس الحال، وربما أسوأ! لأن القول شيء والفعل شيء آخر. النوايا شيء والظاهر شيء. أصبحنا بحمد الله (شعب الدعاء) فهو وسيلتنا الوحيدة للنصر، وسلاحنا الفتاك ضد الطغاة والظالمين والمعتدين والمستعمرين، وهو أملنا في الرزق والنعيم والسعادة والرفاه، وهو طريقنا للصحة والجنس والإنجاب ومعالجة العقم والأمراض الجنسية وتحديد جنس المولود. وهو وسيلتنا أيضاً في الحرب والسلام والتنظيم لدحر الغزاة والمعتدين وهزيمتهم، وفي السلم أيضاً لتعمير ما دمرته الحرب والبناء والتقدم والتنمية. وهو وسيلتنا الاجتماعية لمحاربة الفقر والجوع والذل والجهل والأمية. وهو وسيلتنا الاقتصادية لإيجاد فرص العمل والثراء والتجارة والربح ومواجهة الركود والكساد والتضخم، وهو وسيلتنا الطبيعية للسقي واستزادة المطر والزرع ومواجهة خطر الفياضانات والزلازل والبراكين والأعاصير والأوبئة.

لازمنا الدعاء كظلنا، واحتضناه بكل حرارة وحب، ولكنه يبقى بلا نفع؛ لأنه لا يوجه للرب عز وجل، بل للأئمة والشيوخ لقضاء الحاجة، وأنى للعباد أن يستجيبوا لحاجات عباد مثلهم؟ هل استجابوا وهم أحياء لنأمل استجابتهم وهم أمواتاً؟ كان الأولى بهم أن ينفعوا أنفسهم بالدعاء وتجنب الضرر الذي أصاب البعض منهم، لو كانوا حقاً يملكون مثل هذه القدرة الربانية، أو يستجيبون للدعاء.

تفنن الشعوبيون بالأدعية، قبل أن تنام دعاء، وبعد أن تستيقظ دعاء، دعاء الفجر والظهر والعصر والمغرب والعشاء، دعاء قبل شرب الماء وتناول الطعام وبعدهما، دعاء قبل الوضوء وبعده وقبل الصلاة وبعدها، قبل المباشرة في العمل وبعد الانتهاء منه. دعاء قبل مضاجعة الزوجة وبعدها وعند الحمل وبعد الولادة. دعاء قبل السياقة وبعدها، دعاء عند المرض وعند العافية، دعاء عند لسفر والترحال والعودة بأمان، أدعية عند الدخول على مسئول كبير وطاب الحاجة منه، وللاستخارة وتجنب الحوادث، وللإيقاع بالآخرين، وأدعية لكل الحوائج .. صحيح أن الدعاء والتضرع إيمان وراحة للنفس واطمئنان من العواقب، لكنه ليس كل شيء، والا لاكتفى الرسول الأعظم بالدعاء فقط دون أن يكلف نفسه عناء الغزو والهجرة والجهاد والعمل.

ألفوا مئات الكتب في الأدعية، واعتبروها مفاتيح الجنان، ورياض الصالحين، ودلائل الخيرات، وختموها بعبارة "المستجابة" كأنهم وكلاء للذات الإلهية المقدسة يقررون ما يُستجاب وما لا يُستجاب!



المشكلة تكمن في أن الأدعية الصفوية لا تخاطب الله تعالى بل الأئمة؛ لأنهم خزائن الله، ويتصرفون بالكون حسبما يشاءون، سواء كانوا على قيد الحياة أو أمواتاً فالأمر سيان! والأدعية ليست مهذبة وتتوافق مع القيم الإسلامية والأخلاق العربية والآداب العامة، فهي تتضمن السب والشتم واللعن، وسوء الظن بالآخرين، وهتك الأعراض، وكل الموبقات التي نهى عنها الإسلام؛ بل إنها تتضمن الشرك بالله من خلال طلب الحاجة من الأئمة والجماد. أي مثل عبادة الإصنام تماماً! كأننا رجعنا إلى الجاهلية الأولى.

يذكر الخميني: "لهذا لو طلب أحد حاجته من الحجر والمدر لا يكون شركاً، مع أنه قد فعل فعلاً باطلاً، ومن ناحية أخرى نحن نستمد من أرواح الأنبياء المقدسة والأئمة الذين أعطاهم الله قدرة. لقد ثبت بالبراهين القطعية والأدلة النقلية المحكمة حياة الروح بعد الموت، والإحاطة الكاملة للأرواح على هذا العالم" [كشف الأسرار/30].

بالطبع هذا الكلام فيه تشويش والغرض منه تجنب الطعن في طلب الحاجة من الأئمة، وإلا كيف يعتبر الشرك بالله باطلاً وليس كفراً. الباطل يعني الخلو من الفائدة واللغو والعبث، ومن معانيه الكذب والظلم، وربما لم يفطن الخميني بأن من معاني الباطل الكفر! ويكون بذلك قد فسر الماء بعد الجهد بالماء. فقد جاء في سورة الأنفال: ﴿لِيُحِقَّ الْحَقَّ وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ﴾ [الأنفال:8]، وفسر محمد بن جرير الطبري معنى الباطل بأنه يعني "عبادة الألهة والأوثان والكفر" [تفسير الطبري].

الكارثة الكبرى، إنهم يطلبون الحاجة من الأموات وهي عظام رميم لا تنفع! يذكر المجلسي دعاءا عند حضور قبر الحسين تخاطب به القبر: "بك يتوسل المتوسلون في جميع حوائجهم" [بحار الأنوار84/98]، بحجة أن أعمال أتباعهم تعرض على أهل البيت يومياً، وذكر حجتهم الكليني عن الإمام الرضا أن رجلاً قال له: ادع الله لي، ولأهل بيتي! فقال: أولست أفعل؟ والله إن أعمالكم لتُعرض عليّ في كل يومٍ وليلةٍ" [أصول الكافي219/1]، ويصل بهم الجهل إلى مدى غير معقول! فهذا سلطان الصفوية المجلسي يذكر: "إذا كان لك حاجة إلى الله عز وجل فاكتب رقعة على بركة الله، واطرحها على قبرٍ من قبور الأئمة إن شئت، أو فشدها واختمها، واعجن طيناً نظيفاً واجعلها فيه، واطرحها في نهرٍ جارٍ، أو بئرٍ عميقة، أو غدير ماء، فإنها تصل إلى السيد عليه السلام، وهو يتولى قضاء حاجتك بنفسه" [بحار الأنوار24/94].

إنهم ينصحون أتباعهم أن لا يولوا شطرهم للسماء للدعاء من الله تبارك وإنما من القبور، فمن يدعو من الله لا يفلح، ودليلهم في ذلك أن الأنبياء فشلوا في دعائهم لولا توسط الأئمة! يذكر الحر العاملي "ومن دعا الله بهم أفلح، وبغيرهم هلك؛ لأنه حتى الأنبياء إنما استجيب دعاؤهم بسبب توسلهم بأئمة أهل البيت" [وسائل الشيعة1142/4]، ولم نعثر على نص واحد في الكتب السماوية يؤيد كلام الشيخ.

وذكر المجلسي: "من دعا الله بنا أفلح، ومن دعا بغيرنا هلك واستهلك" [في البحار 103/23]، ولفقوا من خيالهم المريض روايات ما أنزل الله بها من سلطان، يذكر الحر العاملي: "لما أشرف نوح عليه السلام على الغرق دعا الله بحقنا فدفع الله عنه الغرق، ولما رمي إبراهيم عليه السلام في النار دعا الله بحقنا فجعل الله النار عليه برداً وسلاماً، وإن موسى عليه السلام لما ضرب طريقاً في البحر دعا الله



بحقنا فجعله يبساً، وإن عيسى عليه السلام لما أراد اليهود قتله دعا الله بحقنا فنجي من القتل فرفعه الله" [وسائل الشيعة 1143/4].

لا نفهم سبب توسل الرسل والأنبياء بالأئمة طالما أن الله تعالى يخاطبهم: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر:60]، ثم كيف يتوسل النبي إبراهيم ونوح وغيرهم بمن ولد بعدهم بعدهم بعدة قرون؟ حدث العاقل بما لا يعقل فإن صدق فلا عقل به، ولترويج سلع أدعيتهم الصفراء في سوق الحمقى والجهلة نسبوا أحاديث للنبي صلى الله عليه وسلم بأن الدعاء أفضل من بقية العبادات! بالرغم من أن الدعاء ملحق بها، فقد نسب المجلسي للنبي صلى الله عليه وسلم الحديث: "الدعاء مخُّ العبادة، ولا يهلك مع الدعاء أحد" [بحار الأنوار93/ 300]، وحديث آخر: "أفضل العبادة الدعاء" [عدة الداعي/35]، ولأبي جعفر: "إن أفضل العبادة الدعاء"! وهو حديث مكرر ومسروق من الحديث النبوي السابق. حسناً ما شأن بقية الفرائض؟ هل نتركها ونقرأ الأدعية فقط؟ وكيف يكون الدعاء أفضل من العبادة ولم يُذكر كأحد الفرائض؟

اقرأ الشرك والأفك واللسان البذيء وحقيقة الشعوبية في دعاء الشعوبي الزنديق عباس القمي، وهو ما يسمى بدعاء صنمي قريش ويقصد بهما الصديق والفاروق: "اللهم العن صنمي قريش وجبتيها وطاغوتيها وإفكيها وابنتيها، اللذين خالفا أمرك، وأنكرا وحيك، وجحدا نعامك، وعصيا رسولك، وقلبا دينك، وحرفا كتابك، وأحبا أعداءك، وجحدا آلاءك، وعطلا أحكامك، وأبطلا فرائضك، وألحدا في آياتك، وعاديا أوليائك، ووإليا أعدائك، وخربا بلادك، وأفسد عبادك. اللهم العنهما وأتباعهما وأولياءهم وأشياعهم وحمبيها فقد أخربا بيت النبوة، وردما بابه، ونقضا سقفه، وألحقا سماءه بأرضه، وعاليه بسافله، وظاهره بباطنه، واستأصلا أهله، وأباد أنصاره، وقتلا أطفاله، وأخليا منبره من وصيته ووارث علمه وجحدا إمامته، وأشركا بربهما، فعظم ذنبهما وخلدهما في سقر، وما أدراك ما سقر، لا تبقي ولا تذر. اللهم العنهم بعدد كل منكر أتوه، وحق أخفوه، ومنبر علوه، ومؤمن أرجوه، ومنافق ولوه، وولي آذوه، وطريد أووه، وصادق طرده، وكافر نصوه، وإمام قهروه، وفرض غيروه، وكفر نصبوه، وكذب دلسوه، وإرث نصبوه، وفيء اقتطعوه، وسحت أكلوه، وخمس استحلوه، وباطل أسسوه، وجور بسطوه، ونفاق أسروه، وغدر أضمروه، وظلم نشروه، ووعد أخلفوه، وأمانة خانوه، وعهد نقضوه، وحلال حرموه، وحرام أحلوه، وبطن فتقوه، وجنين أسقطوه، وضلع دقوه، وصك مزقوه، وشمل بددوه، وعزيز أذلوه، وذليل أعزوه، وحق منعوه، وكذب دلسوه، وحكم قسبوه، وأمام خالفوه. اللهم العنهم بعدد كل آية حرفوها، وفريضة تركوها، وسنة غيروهان وأحكام عطلوها، ورسوم قطعوها، ووصية بدلوها، وأمور ضيعوها، وبيعة نكثوها، وشهادات كتموها، ودعواء أبطلوها، وبينة أنكروها، وحيلة أحدثوها، وخيانة أوردوها، وعقبة أرتقوها، ودباب دحرجوها، وأزيان لزموها.اللهم العنهم في مكنون السر، وظاهر العلانية لعناً كثيراً أبداً دائماً سرمداً لا انقطاع لعدده، ولا نفاذ لأمده، لعناً قيود أوله ولا ينقطع آخره، لهم ولأعوانهم وأنصارهم، ومحبيهم ومواليهم، والمسلمين لهم والسائلين إليهم، والناهقين باحتجاجهم والناهضين بأجنحتهم والمقتدين بكلامهم والمصدقين بأحكامهم. (قل أربع مرات): اللهم عذبهم عذاباً يستغيث منه أهل النار، آمين رب العالمين. (ثم تقول أربع مرات): اللهم العنهم جميعاً، اللهم صل على محمد وآل محمد فأغنني بحلالك



عن حرامك وأعذني من الفقر، رب أني أسأت وظلمت نفسي واعترفت بذنوبي وها أنا بين يديك فخذ لنفسك رضاها، لك العتبى لا أعود فإن عدت فعد علي بالمغفرة والعفو لك بفضلك وجودك ومغفرتك وكرمك يا ارحم الراحمين. وصلى الله على سيد المرسلين وخاتم النبيين وآله الطيبين الطاهرين برحمتك يا أرحم الراحمين" [مفاتيح الجنان/114].

بربكم! هل هذا الدعاء الخبيث هو مفتاح للجنة أم مفتاح مضبوط لباب جهنم وبئس المصير؟ ولكن لا عجب عندما تعرف بأن كاتبه من "قم" موطن الشعوبية والدس والشرك والافتراء.

يذكر د. علي شريعتي عن طبيعة الدعاء بأنه ينحو منحيين مختلفين عند الشيعة، فالدعاء في التشيع العلوي: "هو نصٌّ تعليمي تربويّ يربّي الإنسان على الفضائل، وهو ممارسة عملية تكسب الروح صفاءً ومعنوية وتعرج بها إلى مقامات القرب الإلهي الدنيا والآخرة. أما التشيع الصفوي فالدعاء هو مجموعة من الأوراد والأذكار، إذا حملها الإنسان أو تلاها تكفيه مؤونة السعي وراء رزقه وتحمل مسؤولياته، وتمنحه ثواباً وعطاء في الدنيا والآخرة دون الحاجة إلى العمل" [التشيع العلوي والتشيع الصفوي]. لاحظ عبارة [الأوراد والأذكار] إنه ينطبق تماماً على المتصوفة!

ويضيف شريعتي: "الأدعية الصفوية جميعها تدور في هذا الفلك وتنحصر في هذا الإطار الضيق المحدود؛ إنها وسيلة للتخلص من المسؤولية والهرب منها، وهي وسيلة للحصول مجاناً على ما يحتاج تحصيله إلى بذل جهد وتحمل مشقة وعناء. لقد جعلت الذهنية الصفوية الدعاءَ بديلاً عن العمل، بينما كان النبي صلى الله عليه وسلم يجهد نفسه بالعمل، ومن ثَم يدعو! يذهب إلى الجهاد ويقاتل ببسالة ويصاب ويصيب، ومن ثَم يدعو. لقد تحمل النبي صلى الله عليه وسلم عناء شهر كامل من المرابطة في الخندق، وفي أُحد جهّز المهاجرين والأنصار، وكان على رأسهم حمزة ومصعب بن عمير وأبي دجانة، وأعطى اللواء لعليّ بن أبي طالب، وتولى القيادة بنفسه، ولكنّه خسر المعركة! لماذا؟ فقط لأن ثلّة من مقاتليه لم يعملوا على تطبيق ما أمرهم به، نعم عصيان أمر واحد تسبّب في تلك الخسارة الجسيمة! بينما يريد صاحبنا هنا أن يحقق بالدعاء وحده جميع آمال وتطلعات المسلمين" [التشيع العلوي والتشيع الصفوي].

في حين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر بالتزام النص النبوي في الدعاء، كما جاء عن البراء بن عازب قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: **«إذا أتيت مضجعك فتوضأ للصلاة، ثم اضطجع على شقك الأيمن، ثم قل: اللهم أسلمت وجهي إليك، وفوضت أمري إليك، وألجأت ظهري إليك رغبة ورهبة إليك، لا ملجأ ولا منجى منك إلا إليك. اللهم آمنت بكتابك الذي أنزلت، وبنبيك الذي أرسلت، فإن مت من ليلتك فأنت على الفطرة، واجعلهن آخر ما تتكلم به، قال: فرددتها على النبي صلى الله عليه وسلم فلما بلغت: اللهم آمنت بكتابك الذي أنزلت قلت: ورسولك، قال: لا. ونبيك الذي أرسلت»** [أخرجه البخاري97/1]. وقال الرسول صلى الله عليه وسلم خير الدعاء هو **«الحمد لله»**، إذن هو يكفينا عن بقية الأدعية، وفي الزيادة لا بأس، على أن لا تخرج عن نطاق الأدعية الموجودة في القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، ففيهما المئات من الأدعية ولجميع المناسبات.

وقد اشترط العلماء عدة شروط يجب توفرها في الأدعية، أهمها: أن لا تخرج عن الإطار العام للقرآن الكريم والأحاديث النبوية، وأن تتسم بالتهذيب والقيم الإسلامية النبيلة، وأن تكون مفهومة وواضحة



العبارة، ولا تضم عبارات غريبة ومبهمة، وأن لا يكون الغرض منها الإساءة للغير وسوء الظن بالآخرين، أو يترتب عليها الظلم والأذى، وأن لا تضم عبارات السب واللعن، وأن توجه لله وحده فقط وليس لغيره، وشروط أخرى معروفة للمسلم.

والحقيقة أنه طالما توجد أدعية قرآنية ونبوية فليس هناك من حاجة إلى ابتكار أدعية وأذكار وأوراد، وطالما أن الأدعية موجهة لله تعالى فالإنسان لا يحتاج إلى تزويق الألفاظ، ولا علوم البلاغة من جناس وبديع وطباق وغيرها ليخاطب بها ربَّه. الله جل جلاله أدرى بحاجات عباده، وهو أقرب إليهم من حبل الوريد.



ب) الدعاء في العقيدة الصوفية

إن الأوراد التي يرددها المتصوفة والشعوبيون إنما المراد منها إبعاد الناس عن الأدعية المذكورة في القرآن الكريم والسنة النبوية، وإلا فما الغرض منها؟

وأيهما أفضل للعباد: أن يدعوا بما هو موجود في القرآن والسنة، أم بما هو موجود في كتب المتصوفة والشعوبيين؟

المتصوفة يرجعون معظم أورادهم للخضر المفترى عليه، والشعوبيون يرجعون أدعيتهم للأئمة المفترى عليهم. والحقيقة أن لا الخضر ولا الأئمة هم مراجع للأدعية الضالة، وإنما هي من وسوسة الشيطان.

وخير دليل على ذلك: الأدعية الموجودة في مفاتيح الجنان، وضياء الصالحين، عند الشعوبيين وما تتضمه بين سطورها من كفر ولعن وسب وضلال، وكذلك الموجودة في كتاب الشيخ الصوفي أبي طالب المكي، وهي مفبركة ونسب بعضها إلى النبي صلى الله عليه وسلم، وتتضمن رموزاً وطلاسم وأسماء أعجمية لا معرفة للمسلمين بها، على الرغم من محاولة الغزالي تهذيبها وجمعها في كتابه (الدعوات من الإحياء) مصنفاً الأدعية حسب الرواة [إحياء علوم الدين476/1]، لكن ما تزال هناك مجموعة كبيرة من الأدعية غير الصحيحة فاتت الغزالي، أو غض النظر عنها لغاية ما.

يذكر د. محمد الهلالي عن أحد التيجانية يقول في شيخه:

فعليك بالجد الهمام المنتقي * * * غوث الورى أعني أبا العباس

واهتف بـــــــه مستعطفاً ومنادياً * * * إني ببابك يا أبا العباس

[الهدية الهادية إلى الطائفة التيجانية/140].

لاحظ العبارات الغريبة في الأوراد القادرية الآتية، كأنها من كلام الشيطان وليس البشر! "يا طهلفوش انقطع الرجاء إلا منك، وسدت الطرق إلا إليك"، ومنها: "ايتنوخ يا ملوخ ... يا مهباش" [الطرق الصوفية/179]. كما جاء في أوراد الشاذلية: "أحون، قاف، أدم، حم، ها، آمين، كهيعص" [لطائف المنن/257]. كذلك: "قاف جيم سران مع سرك، وكلاهما دالان على غيرك" [المصدر السابق/261]. وفي أوراد الدسوقي جاء الدعاء الغريب: "اللهم اخضع لي من يراني من الجن والإنس، طهور بدعق محببة، صورة محببة، سقاطيم أحون" [المصدر السابق/169].

يذكر الدكتور عامر النجار: "يقول الصوفية إن هذه الأسماء من لغة الأرواح، وبها يتخاطب أهل الفتح الكبير" [الطرق الصوفية/180]. لغة الأرواح هي لغة جديدة ابتكرها المتصوفة/ ولا يعرفها غيرهم! والمشكلة لم يؤلف أي من الشيوخ قاموساً لمصطلحات الأرواح ليعيننا على فهمها!

لكن العجب كل العجب في هذا الطهلفوش والأيتونخ والملوخ والمهباش، يا دجاجيل يا أوباش؟ إنهم شياطين بالتأكيد وليسوا ملائكة، فأسماء الملائكة معروفة للجميع. ثم كيف يقولون: "طهلفوش انقطع الرجاء إلا منك، وسدت الطرق إلا إليك"! إنهم يستعينون بالشياطين كما يتضح من العبارة، وربما هم



على حق في مطلبهم هذا، طالما أن باب الله تعالى مغلقة في وجوههم المشركة، ولا أمل لهم بأن تفتح أمامهم؛ لذا توجهوا لمعلمهم وأستاذهم الشيطان كما ذكر الحلاج!

يقول أبو الحسن الشاذلي في دعاء له: "وسخر لي كما سخرت الريح والإنس والجن والحش والطير لنبيك سليمان بن داود عليهما السلام، وبأهيا شراهيا أدرناي أصباؤت آل شداي يا من أمره بين الكاف والنون" [السر الجليل في خواص حسبنا الله ونعم الوكيل/6]. طلاسم تافهة لا معنى لها ألبتة.

يذكر ابن الحاج التلمساني دعاء باسم [المكنون المخزون] الذي إذا دعي به أجاب، وإذا سئل به أعطى وبالأسماء السريانية: "عنجر يدياه كرير طوران نموشلخ أهيا شراهيا أصباؤت، وبالاسم الذي يحيي به الموتى عيسى بن مريم عليه السلام ابن دخيبلة وذبيلة ورانة ويا بوشيبة انزلوا يا بنات ملوك الجن واهبطوا وافتحوا كل قفل وسلسلة، وقد أضمرت به عليكم وما أمرنا إلا واحدة كلمح بالبصر إلى قدير. أين يعقوب الأزرق؟ أين أبو يعقوب؟ أين الأحمر وخدامه؟ أين برقان وعساكره وقواده؟ أين شمهروش وأهل طاعته؟ أين الأبيض الأمير وأهل مملكته؟ أين ميمون الأمير وأهل بساطه؟ أقبلوا أيها الملوك السبعة أنتم وجنودكم ورماتكم وبنوكم أحراركم وعبيدكم ذكوركم وإناثكم صغيركم وكبيركم، وافتحوا كل قفل أضمرت به عليكم. إن كانت إلا صحية واحدة، فإذا هم جميع لدينا محضرون. أين الأجناد القوية؟ افتحوا كل قفل أضمرت به عليكم من أي رهط كان من حديد أو من عود أو قيد أو أغلال. العجل العجل أيها الخدام، افعلوا ما أمرتكم به ووكلتكم عليه بحق هذه الأسماء عليكم شروهطاه ينوخ كيدور منيلة كريود نموشلخ هالوه يشربون شبرة فارودة صوطاة شاش. أين صاحب السلسلة؟ أين العفاريت الكبار الذين يطيرون بين السماء والأرض؟ أين الجائلون في أقطار الأرض؟ أين الراكبون على خيول شهب؟ أين أصحاب الزعيق والعويق؟ افعلوا ما أمرتكم به من فتح كل قفل غليق وقيد. وما أمرنا إلا واحدة كلمح بالبصر في فتح هذه المغاليق أو هو أقرب. افتحوا الأقفال والأغلال بسرعة يا جماعة العفاريت أصحاب الفعل والسر. خذوا بقوتكم وبسرعتكم وإجابتكم وأجيبوا لما دعوتكم إليه ووكلتكم عليه ابن البرد، قال صاحب الأقفال والأغلال افتح افتح وعجل عجل الوحا الوحا الساعة، أين بنو النعمان؟ افتحوا ما أغلقته اليدان بحق شيطاه فاش وكوز بنودهارس، يا جماعة الأرواح العلوية الطاهرة سألتكم بالذي خلقكم من الأنوار، وجعلكم خزائن الأسرار إلا ما فتحتم هذه القيود بحق العهود؛ فإن لم تفعلوا ما أمرتكم به فلتزمكم العقوبة والنكال، أين السيد ميططرون أمام الملوك العلوية والسفلية الذي إذا أحد منكم أسماء الله وأبى أن لا يجيب في الفعل أرسل إليه روحانية غلاظاً شداداً لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون، أمدوهم بالسياط وأنواع العذاب على من عصى منكم هذه الأسماء شمالوخ بيروخ نوخ أهيا شراهيا فإني أقسمت عليكم بالأسماء السريانية، وبكل اسم في التوراة والانجيل والزبور والفرقان إلا ما فتحتم كل قفل بحق كل اسم من أسماء الله تعالى علمه نبيه آدم عليه السلام، وكل واحد من الرسل دعاك بكل اسم سخر لي خدام هذه الأسماء ليقضوا حاجتي، ويشرعوا في طلب بغيتي، وتحصيل إرادتي، وهو حسبنا ونعم الوكيل" [كتاب شموس الأنوار وكنوز الأسرار/45].

يذكر محمد عثمان الميرغني دعوة البرهتية المأخوذة من سيدي محمد الحسن ميرغني: "أيتها الأرواح الروحانية العلوية والسفلية وخُدام العهد الكبير بحق ما تلوتُه عليكم وما أتلوه عليكم وهو



برهتية2 كرير2 تتلية2 طوران2 مزجل2 بزجل2 ترقب، 2 برهش2 غلمش2 خوطير2، قلنهود2 برشان2 كطهير2 نوشلخ2 برهيولا2 بشكليخ قزمز أنغلاليط، قبرات غياهاكيدهولا شماخير شماهير شماهير هو ربُّ النور الأعلا غيطال غيطل ... ياهٍ هيوة بقطريال أجب يا شرنطيائيل بكهطهطهونية كهطهطهونية ياهٍ واهٍ نموهٍ بلطشغاويل أمويل ايل شطياشطيال ياروخ اروخ ناروخ بعزة ياروخ. ايملخ مرعج البحار كشطريخ منير الأفلاك طيلغ مُنشئ الأشجار شطكيك مزعج العفاريت. أجب أيها السيد طحيطمغيليال هيا الواح يا ميططرون السيد سمسمائيل الملك الموكل بفبك المريخ وازجر لي أبا محرز الأحمر صرفيائيل الملك الموكل بفلك المشترى وأزجر لي الوليد شمهروش خادم يوم الخميس شميا شميا كغيثا كيكغيثا. أجب يا مورشطيث ويا طهيوج أسألك يا من هو احون قاف أدُمَّ حُمَّ هاء آمين بحق مالخ مليخ امليخوم أجب يا طثكتئيل وأنت يا أسطيس" [مجموع الأوراد الكبير/116].

عجباً هل أجاب طحيطمغيليال ومورشطيث وطثكتئيل هذا الشيخ المخبول؟!

أكيد لم يفهم القارئ اللبيب شيئاً من هذه الترهات! ولا أنا ولا أظن قائلها أيضاً! تفاهات يضحكون بها على الجهلة والسذج لا غير. ومن يعارض ليجرب بنفسه قول هذا الكفر ويوافينا بالنتيجة المعروفة سلفاً.

يشير عبد الله أحمد زينة إلى أحد أدعية الصوفية: "يا باسط يا غني بمهبوب ذي لطف خفي بصعصع بسهسهوب ذي العز الشامخ، الذي له العظمة والكبرياء، بطهطهوب لهوب ذي القدرة والبرهان، والعظمة والسلطان"، ثم يستطرد قائلاً: "بحق سورة الواقعة، وبحق فقج مخمت مفتاح جبار فرد معطي خير الرازقين" [ذكر ودعاء/53].

وآخر لأصحاب الطريقة الدسوقية جاء فيه: "الحزب الكبير" ما نصه: "اللهم آمني من كل خوف، وهم وغم، وكرب كدكد كردد كردد كردد كردد كرده كرده كرده ده ده ده ده الله رب العزة" [ذكر ودعاء/117].

المشكلة أنهم لا يفكون لنا هذه الطلاسم الغريبة! لأنهم لا يعرفونها، حتى المجانين لا تتفوه بمثل هذه الأقوال.

اقرأ هذا الهراءّ في أوراد السيد البدوي هل تفهم منه شيئاً مهما كنت ضليعاً باللغة العربية والسريانية؟ "احمي حميثاً طميثاً" [بالطرق الصوفية/168]. وهذا الدعاء الغريب للدسوفي "بدعق محببة، صورة محببة، سقفاطيس أحون" [المصدر السابق/169]. وهذا "أحون" واحد من جماعة الطهلفوش والأيتونخ والملوخ والمهباش.

هل هذه عقيدة يقبلها الإسلام والعقل والمنطق السليم ونحن نعيش الألفية الثالثة؟ أليست هي إساءة للدين والعبث به كما يفعل بعض المستشرقين المعادين للإسلام؟ الأغرب منه أن الشيخ بشر الحافي يقول: "الدُّعاءُ تركُ الذُّنوب" [طبقات الصوفية/29]! هل هذه الأدعية والطلاسم الغرض منها ترك الذنوب أم التمسك بها؟ أليس لدينا الأدعية الرائعة التي تضمنها القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة وهي تسد حاجة المسلم وتزيد.

اقرأ هذه القصة لترى المدى الواسع الذي تشمله مغفرة الرب تبارك وتعالى دون الحاجة إلى أدعية كثيرة! جملة واحدة فقط وليس دعاء طويلاً تغنيك عن كل الأدعية، قالها المصطفى صلى الله عليه



وسلم، والعجيب أنها مذكورة في أهم مصادر الصوفية! لكنهم لا يقتدون بها، ويستبدلونها بسفسطة لا معنى لها.

عن جابر رضي الله عنه: "أن فتًى من الأنصار يقالُ له ثعلبةُ بن عبد الرحمن، كان يحفُّ برسولِ الله صلى الله عليه وسلم ويخدمه. ثم إنه مرَّ بباب رجل من الأنصار، فاطَّلعَ فيه، فوجد امرأَة الأنصاريِّ تغتسلُ. فكرر النظر؛ ثم خاف أن ينزل الوحيُ على رسول صلى الله عليه وسلم، بما صنعَ؛ فخرج هارباً من المدينة، استحياء من رسول الله صلى الله عليه وسلم، حتى أتى جبالاً بين مكة والمدينة، فولجها. سأل عنه رسول الله أربعين يوماً، وهي الأيامُ التي قالوا "ودَّعه ربه و قلاه" فنزل جبريل عليه السلام، فقال: إن ربك يقرئك السلام، ويخبرك أن الهارب من أمتك بين هذه الجبال، يعوذ بيٌ من ناري. فبعث رسولُ الله عمرَ بن الخطاب وسلمان وقال: **«انطلقا، فأتياني بثعلبة بن عبد الرحمن»**، فخرجا في أنقاب المدينة، فلقيهما راعٍ من رعاة المدينة يقال له ذُفافة. قال له عمر: يا ذفافةُ! هل لك علمٌ بشباب بين هذه الجبال؟! فقال ذفافَة: لعلك تريدُ الهاربَ من جهنم؟ فقال له عمر: ما عَلَّمك أنه هارب من جهنم؟ قال: إنه إذا كان نصف الليل خرج علينا من هذا الشِّعْب، واضعاً يده على أم رأسه يبكي وينادي: ياليتك قبضت روحي في الأرواح وجسدي في الأجساد، ولا تجرِّدني لفصل القضاءِ! فقال عمرُ: إياه نريد. قال: فانطلق بهما ذُفافَة، حتى إذا كان في بعض الليل خرج عليهم وهو ينادي: ياليتك قبضت روحي في الأرواح وجسدي في الأجساد! فعدا عليه عمرُ فأخذه؛ فلما سمعَ حِسَّهُ، قال: الأمانَ! الأمانَ! متى الخلاصُ من النار؟ قال لهُ: أنا عمرُ بن الخطابِ. فقال له ثعلبةُ: أَعَلِم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم وسلم بذنبي؟ قال عمر: لا علمَ لي! إلا أنه ذكرك بالأمس فينا، وأرسلني إليك. فقال: يا عمرُ! لا تدخلني عليه إلا وهو يصلي، أو عندما يقول بلال: قد قامت الصلاةُ! قال عمر: سأَفعلُ. قال: فلما أتى به عمر المدينةَ، ثم وافاه المسجدَ وكان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم يصلي؛ فلما سمع قراءةَ رسول الله خرَّ مغشياً عليه. فدخل عمرُ وسلمانُ في الصلاةِ وهو صريعٌ. فلما سلم رسولُ اللهِ، قال: **«يا عمرُ! ويا سلمانُ! ما فعلَ ثعلبةُ بن عبد الرحمن»**؟ قالا: هو ذا يا رسول الله. فأتاه رسولُ الله صلى الله عليه و سلم، فحركه ونبهه؛ ثم قال: **«ما الذي غيَّبَك عني»**؟ قال: ذنبي. قال: **«أفلا أعلمك آية تمحو الذنوبَ والخطايا»**؟ قال: بلَى يا رسولَ اللهِ! قال: قُلْ اللَّهُمَّ: **﴿آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآْخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾**. قال: إن ذنبي أعظمُ من ذاكَ! قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **«بل كلامُ الله تعالى أعظمُ»** [طبقات الصوفية/51].

خذ العبرة الرائعة من هذا الرواية واترك البدع جانباً لأهلها من أصحاب الضلال!



2) الملائكة في القرآن والكتب السماوية والعقيدتين

لم ترد أسماء جميع الملائكة في القرآن الكريم، وإنما وردت أسماء بعض منهم كجبريل وميكال في سورة البقرة: ﴿مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ﴾ [البقرة:98]، والملك جبريل هو القائم بتبليغ الرسالة السماوية للنبي محمد صلى الله عليه وسلم، كما ورد اسما الملكان هاروت وماروت: ﴿ وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ﴾ [البقرة:102]، كذلك ورد اسم مالك خازن النار: ﴿وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُمْ مَاكِثُونَ﴾ [الزخرف:77]، ولم ترد أسماء ملائكة غيرهم بالاسم، وإنما بصفة الخدمة والطاعة لأوامر لله تعالى، كملك الموت: ﴿قُلْ يَتَوَفَّاكُمْ مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾ [السجدة:11]؛ لذلك لا يوجد اسم لملك يدعى عزرائيل لا في القرآن ولا في الأحاديث النبوية، فهو اسم وهمي تداولته العوام على وزن جبرائيل للإشارة إلى ملك الموت، وأخذ به الصفويون والمتصوفة في غفلة من أمرهم. كذلك وردت في بعض السور الكريمة أسماء ملائكة حسب صفاتهم مثل حملة العرش والزبانية والحفظة والكرام الكاتبون.

أما في السنة النبوية فقد ورد اسم الملك إسرافيل بأحاديث أخرجها أحمد والترمذي ولم تذكر في الصحاح وبقية السنن والمساند. منها الحديث النبوي: «**إن الله خلق إسرافيل منذ يوم خلقه صافاً قدميه لا يرفع بصره**»، كذلك: «**اللهم رب جبرائيل وميكائيل ورب إسرافيل أعوذ بك من حر النار وعذاب القبر**»، وكذلك: «**اللهم رب جبرائيل وميكائيل، ورب إسرافيل فاطر السموات والأرض، عالم الغيب والشهادة، أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون، اهدني لما اختلف فيه من الحق بإذنك، إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم**»، قال ابن القيم: "جبريل موكل بالوحي الذي به حياة القلوب والأرواح، وميكائيل موكل بالقطر الذي فيه حياة الأرض والنبات والحيوان، وإسرافيل موكل في النفخ في الصور الذي به حياة الخلق بعد مماتهم" كما ورد اسما [المنكر والنكير] وهما موكلان بسؤال العبد في قبره: «**إذا قبر أحدكم أتاه ملكان أسودان أزرقان يقال لأحدهما المنكر والآخر النكير**» [أخرجه الترمذي].

للملائكة مهام عدة: منها: التسبيح لله تعالى كما جاء في سورة الأنبياء: ﴿يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لا يَفْتُرُونَ﴾ [الأنبياء:20]، والسجود لله عز وجل: ﴿ وَيُسَبِّحُونَهُ وَلَهُ يَسْجُدُونَ﴾ [الأعراف:206]، والطاعة لله تعالى: ﴿عَلَيْهَا مَلائِكَةٌ غِلاظٌ شِدَادٌ لا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التحريم:6]، وتبليغ ما يأمرهم به الله: ﴿جَاعِلِ الْمَلائِكَةِ رُسُلًا أُولِي أَجْنِحَةٍ مَثْنَى وَثُلاثَ وَرُبَاعَ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [فاطر:1]، والعروج بين السماء والأرض: ﴿تَعْرُجُ الْمَلائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ [المعارج:4]، وهم حملة العرش وأهل الاستغفار: ﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا، علاوة على كتابتهم أعمال العباد: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ * كِرَامًا كَاتِبِينَ * يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ﴾ [الانفطار:10-12] ، وهم المبشرون: ﴿قَالُوا بَشَّرْنَاكَ بِالْحَقِّ فَلا تَكُنْ مِنَ الْقَانِطِينَ﴾ [الحجر:55]، والتمثيل بصوة بشر:



﴿فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا﴾ [مريم:17]، وغيرها من المهام الموكلة لهم من قبل الذات الإلهية المقدسة.



الملائكة في الكتاب المقدس

جاء في أسفار الكتاب المقدس ذكر أسماء (7) من الملائكة فقط. قال النبي زكريا: "فتفرح أولئك السبعة" [زكريا10/4]. قال يوحنا الرائني: "رأيت السبعة ملائكة الذين يقفون أمام الله" [زكريا10/4]. وقد سمى منهم ثلاثة:

جبرائيل: ومعناه جبروت الله، وقد بشر السيدة العذراء بولادة السيد المسيح [سفر الرؤيا16/8 و21/9، كذلك ورد في لوقا19/1 و26/1].

ميخائيل: ويعني لا أحد مثيل للرب، وقد ورد اسمه في ثلاثة أسفار [دانيال13/10 ورسالة يهوذا/9 وسفر الرؤيا7/12].

رافائيل: ومعناه رأفة الله على عباده، حيث ورد: "أنا رافائيل الملاك أحد السبعة الواقفين أمام الرب" [سفر طوبيا12!15].

وهناك ملائكة آخرون أشير إليهم عن خدمات محددة أدوها دون ذكر أسمائهم الصريحة مثلما لاحظنا في القرآن الكريم، منهم ملاك ظهر في حلم، يخبر يوسف النجار بأن السيدة العذراء تحمل من روح القدس [متى/20]. وآخر أخبره بأن يُرحل السيدة العذراء وطفلها يسوع عليه السلام إلى مصر [متى2-913]. وملك آخر أمرهم بالعودة من مصر لإسرائيل [متى 19/2]. وملاك ظهر للرعاة يبشرهم بمولد السيد المسيح [لوقا2-128]. وظهور ملك أيضاً للنبي زكريا [لوقا11/1].

وتجدر الإشارة إلى أن التقليد الكنسي سمى الملائكة الأربعة الآخرين الذين لم تُذكر أسماؤهم في الكتاب المقدس وهم: (سوريائيل، سداكائيل، سراتيائيل، انانيائيل). وهناك تسميات أخرى وردت بصيغة أخرى (شامونيل، جوفانيل، أورنل، سداكانيل).

هؤلاء هم الملائكة الذين ذكروا في القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة والكتاب المقدس. وفي الوقت الذي سمى التقليد الكنسي أسماء الملائكة الأربع ممن لم تُذكر أسماؤهم في الكتاب المقدس، فإنهم لم يخرجوا عن الرقم المحدد المشار إليه في الكتاب المقدس فالتزموا بالرقم (7). وهذه نقطة إيجابية تُسجل لهم لاحترامهم الإنجيل.

على النقيض منهم لم يلتزم الصفويون والمتصوفة باحترام القرآن الكريم والسنة النبوية، فعبثوا بالملائكة وبأسمائهم ووظائفهم وعلومهم إلى حد الاستخفاف والسخرية، فقد أطلقوا أسماء تثير العجب - كما ستلاحظ لاحقاً - ووضعوا لكل حرف ملاكاً خادماً له، وجعلوا لهم طلاسم ورموزاً لا علاقة لها بديننا الإسلامي، ولا بلغتنا العربية الجميلة. ولترويج كذبهم المفضوح أدمغوا أسماءهم بأحرف تنتهي بـ[ئيل/يل] على وزن إسرافيل وميكائيل على أساس أنهما ملكا الحرف [ج] وهما طلقطيائيل وكلكائيل، ولم يكتفوا بذكر أسماء (28) ملكاً ممن جادت بهم قرائحهم المريضة، بل أضافوا أسماء غريبة غيرها وصفات أغرب.

في العقيدة الصفوية نسبوا للإمام زين العابدين حديثاً عن ملك يقال له (خرقائيل) على وزن خرقة، له (18000) جناح، ما بين الجناح إلى الجناح إلى الجناح (500) عام [البرهان327/2]. ولا نعرف من أين استقى الإمام هذه القياسات؟ ويلاحظ أن اسم الملك خرقائيل لم يرد ضمن مجموعة [خدام الحروف]!



وهناك ملاك مأذون يدعى (صرصائيل) على وزن صرصر، يرفع شعاراً خاصاً، بين جناحيه تم العمل به منذ (14) قرناً وما زال يحمله لسبب نجهله؟ حيث كُتب على كتفه "تزويج النور من النور" أي علي من فاطمة!

وهناك ملاك مكسور الجناح والخاطر يدعى (فطرس) عصى الرب فطرده، لكنه تمرغ بتربة قبر الإمام الحسين! فعفا عنه الله وأعاده إلى وضعه السابق.

وهناك الملاك الضيف (منصور) الذي استوطن تطوعاً في كربلاء تاركاً صحبه من الملائكة، وهو زائر مواظب لقبر الحسين، كما يخبرنا الكليني [الكافي583/4]!

واعتدوا على حرمة واجبات الملائكة المنصوص عليها في القرآن الكريم فجعلوهم خدماً لأئمتهم بدلاً من التسبيح لخالقهم الواحد الأحد. فقد أفرد الكليني أبواباً في كتابه الكافي بعنوان: [أن أسماءهم عليهم السلام مكتوبة على العرش والكرسي واللوح وجباه الملائكة وباب الجنة وغيرها]. وباب آخر: [أن الجن خدامهم، يظهرون لهم ويسألونهم عن معالم دينهم]. وباب: [أن الملائكة تأتيهم وتطأ فرشهم، وأنهم يرونهم صلوات الله عليهم أجمعين]. واعتبروا الأئمة "مختلف الملائكة" [الكافي278/1]. وجعلوا الأئمة في منزلة أعلى من الملائكة كما يظهر في قول الخميني: "إن من ضروريات مذهبنا أن لأئمتنا مقاماً لا يبلغه ملك مقرب، ولا نبي مرسل" [الحكومة الإسلامية]. كما ذكر ابن بابويه: "لولا الأئمة ما خلق الله السموات ولا الأرض ولا الجن ولا النار ولا آدم ولا حواء ولا الملائكة ولا شيئاً مما خلق" [الاعتقادات/106].

وروى نعمة الله الجزائري [الحق هو نقمة وليس نعمة] عن البرسي قوله: "أن جبرئيل جاء إلى رسول الله فقال: يا رسول الله! إن علياً لما رفع السيف ليضرب به مرحباً، أمر الله سبحانه إسرافيل وميكائيل أن يقبضا عضده في الهواء حتى لا يضرب بكل قوته، ومع هذا قسمه نصفين وكذا ما عليه من الحديد وكذا فرسه ووصل السيف إلى طبقات الأرض، فقال لي الله سبحانه: يا جبرئيل! بادر إلى تحت الأرض، وامنع سيف علي عن الوصول إلى ثور الأرض حتى لا تقلب الأرض، فمضيت فأمسكته، فكان على جناحي أثقل من مدائن قوم لوط، وهي سبع مدائن، قلعتها من الأرض السابعة، ورفعتها فوق ريشة واحدة من جناحي إلى قرب السماء، وبقيت منتظراً الأمر إلى وقت السحر حتى أمرني الله بقلبها، فما وجدت لها ثقلاً كثقل سيف علي! وفي ذلك اليوم أيضاً لما فتح الحصن وأسروا نساءهم كانت فيهم صفية بنت ملك الحصن فأتت النبي وفي وجهها أثر شجة، فسألها النبي عنها، فقالت: إن علياً لما أتى الحصن وتعسر عليه أخذه، أتى إلى برج من بروجه، فنهزه فاهتز الحصن كله وكل من كان فوق مرتفع سقط منه، وأنا كنت جالسة فوق سريري فهويت من عليه فأصابني السرير، فقال لها النبي: يا صفية! إن علياً لما غضب وهز الحصن غضب الله لغضب علي فزلزل السماوات كلها حتى خافت الملائكة ووقعوا على وجوههم" [الأنوار النعمانية].



وظائف الملائكة في العقيدة الصفوية

1) الاستغفار:

وهي نفس الخدمة المثبتة في القرآن الكريم لكنهم خصصوها لأتباعهم فقط! "أن الملائكة ليس لهم طعام ولا شراب إلا الصلاة على علي بن أبي طالب والاستغفار لشيعته" [بحار الأنوار 349/26].

2) الطاعة:

وقد تلاعبوا بها رغم أنها مثبتة في القرآن الكريم، لكنهم أشركوا طاعتهم الأئمة جنباً مع طاعة الله! بقولهم: "إن طاعة الأئمة مفروضة أيضاً على كل مخلوقات الله من الجن والإنس والطير والوحوش والأنبياء والملائكة" [دلائل النبوة للطبري/27].

3) تعلم الغيب:

حيث جعلوا الملائكة يعلمون الأئمة علم الغيب: "أن الوحي بإرادة الإمام، فإذا أراد أن يعلم شيئاً من أمور الغيب علمه" [أصول الكافي 258/1]. والطريف أنهم ناقضوا أنفسهم بقولهم إن الإمام علي هو من يعلم الملائكة! ويناقضون أنفسهم أيضاً بقولهم: "إن العلم أحياناً يحدث للأئمة من الله مباشرة بلا واسطة" [المازنداني في شرحه 44/6]. ويناقضون أنفسهم مرة أخرى بقولهم: "وأنهم يعلمون جميع العلوم التي خرجت إلى الملائكة والأنبياء" [الكافي 255/1].

4) هبوط الملائكة بأمر الأئمة:

وتلاعبوا به أيضاً وجعلوا هبوط الملائكة على الأئمة! عن أبي الحسن قال: "ما من ملك يُهبطه الله في أمر، ما يُهبطه إلا بدأ بالإمام، فعرض ذلك عليه" [الكافي 394/1].

5) أداء مراسم حسينية خاصة:

أفرد لها الشيخ محمد حسن الأصطهبناتي أبوابا في كتابه [نور العين في المشي إلى زيارة قبر الحسين] منها باب: (الملائكة يسألون الله عز وجل أن يأذن لهم في زيارة قبر الحسين). و(باب ما من ليلة تمضي إلا وجبرائيل وميكائيل يزورانه صلوات الله عليه). و(باب أن الله تعالى يباهي بزائر الحسين ملائكة السماء وحملة العرش). تصوروا الرحمن يباهي الملائكة بالحسين! طيب عن ماذا؟ وما الذي قدمه الحسين للإسلام؟ من جهة أخرى، أليس جميع الملائكة والإنس من خلقه؟ ولماذا لا يباهي بالرسل الأنبياء؟ إنه هذيان يُنزه الله عنه.

6) وكالة خاصة للشيعي وحضور تكفينه:

"يُوكل به ملك كريم، وإن مات سنته، حضرته الملائكة ويحضرون معهم أكفانه، ويشيعونه إلى قبره، ويفسح له في قبره من بصره، ويؤمن من ضغطة القبر ومن منكر ونكير، ويعطى كتابه بيمينه، ويعطى يوم القيامة نور يضيء ما بين المشرق والمغرب" [وسائل الشيعة 353/1]. أشبه بصك الغفران!

7) مزاحمة علي في فراشه:

حيث نُسب له القول في خطبة: "أنا الذي تزدحم الملائكة على فراشي" [مشارق أنوار اليقين في أسرار أمير المؤمنين لرجب البرسي/170]! ولم نفهم سبب الزحمة، ولماذا على فراشه؟ هل بسبب فوضى زيارة



الملائكة؟ ولماذا لم يخصص ملاكاً ليفك الزحمة؟ سيما هم في خدمة الإمام؟ وهل تتوقف الزحمة في حال الاختلاء بزوجاته وجواريه؟

8) طلب الشفاعة عند عصيان الملائكة الرب:

فقد ذكروا "أن أحد الملائكة رفض ولاية أمير المؤمنين فعوقب بكسر جناحه، لكنه شفي بعد أن تمرغ بمهد الحسين" [بصائر الدرجات/20]. لاحظ ملاك يتمرغ بالتراب! وا خجلتاه! واعاراه!

9) إعلان الولاية للأئمة:

يقسم الكليني: "والله إن في السماء لسبعين صفاً من الملائكة وإنهم ليدينون بولايتنا" [الكافي362/1]. هو مسؤول عن قسمه في الآخرة!

10) مهام إضافية:

حيث يشارك الأئمة الملائكة في بعض المهام مما يدل على تواضعهم! منها حمل العرش: "وأنهم حملة العرش والسفرة الكرام البررة" [بحار الأنوار87/91]. ويحلون محل الأئمة لأنهم هم أنفسهم ملائكة! "الأئمة هم الملائكة أيضاً في بعض الآيات وخاصة حملة العرش" [مرآة الأنوار].

أما الملائكة عند المتصوفة:

فقد اعتبروهم (أقل منزلة من الشيوخ)، حذو النعل بالنعل كالصفويين، فقد نُسب للقطب عبد القادر الكيلاني: "من الأولياء من تسجد الملائكة له، وتُكتف أيديها ورائها" [الفتح الرباني/3] قمة الأدب والنظام مثل العساكر عند الاصطفاف! كما وظفوا الملائكة لخدمة طلاسم سحرهم وشعوذتهم، ويمكن الرجوع إليها في كتاب [منبع أصول الحكمة لأبي العباس البوني/222]. حيث أفرد الشيخ لكل ملك باباً وإضماراً! مثلاً حرف الألف خادمه رئيس الملائكة، وهو ليس جبريل كما نعلم بل ملك آخر يدعى [هطمهطلقيائيل وإضماره هدهيون شلهميد طمخللش بهليليخ]! لاحظ السفسطة واللغو الذي لا أصل له في الدين، ولا ينسجم مع اللغة العربية. ولا تجد له وجوداً أو معنى قريب في الشعر القديم أو عند المشتغلين بعلوم اللغة. وسَخروا من الملائكة، فقد جاء في كتاب [نفحات الأنس/379] بأنه تمكن أحد المشايخ بقوة دعائه من إعادة ملكاً هابطاً من السماء إلى مكانه في مقامات السماء! هل الملاك تزحلق أم ماذا؟ وهل قوة دعائه صاروخية؟ ويذكر الهجويري بأن الإنسان أفضل من الملائكة معللاً فكرته العجيبة، بأن الله جعل آدم خليفته في الأرض، وأمر الملائكة أن يسجدوا له. وهم - أي الملائكة - ليس بأيديهم إلا السمع والطاعة، بينما الإنسان يتمتع بحرية الاختيار. وعند الصوفية أسماء لملائكة لم ترد في جدول البوني مثل [طهلفوش] الذي يرد اسمه في الأوراد القادرية: "يا طهلفوش انقطع الرجاء إلا منك، وسُدت الطرق إلا إليك" [خطورة التصوف لعبد الله بن سعيد الحساني/19].

اقرأ هذه الطرفة من غوثهم أبو القاسم الجنيد: "لقيت إبليس يمشي في السوق عرياناً وبيده كسرة خبز يأكلها فقلت له: أما تستحي من الناس، فقال: يا أبا القاسم وهل بقي على وجه الأرض أحد يستحيا منه، من كان يستحي منهم تحت التراب قد أكلهم الثرى" [الطبقات الكبرى84/1]! ربما يقصد بكلامه المتصوفة!



تشير المستشرقة آنا ماري شيمل في كتابها (الأبعاد الصوفية في الإسلام) إلى أهمية الحروف عند المتصوفة بقولها: "في زمن مبكر اكتشف المتصوفة المعاني المخفية وراء الحروف ومجاميعها المذكورة في سور القرآن، وقد ألهمتهم الفكرة فأنتجوا تفسيرات مجازية مثيرة، فقد كانوا يشعرون بأن كل حرف يسبح في لغة ماء.

ويعرف طاش كبرى زاده هذا العلم بأنه: "علم باحث عن كيفية تمزيج الأعداد، أو الحروف على التناسب والتعادل، بحيث يتعلق بواسطة هذا التعديل أرواح متصرفة تؤثر في القلوب، حسب ما يراد ويقصد من ترتيب الأعداد والحروف وكيفياتها" [مفتاح السعادة 418/2].

مع أن بعض المتصوفة يستنكر هذه الظاهرة الشاذة، مثلاً يذكر أبو محمد عبد الله بن محمد الراسبي: "استعمل النصابون الرياضات لاستخدام الجان، ليخبروهم بالمغيبات حين عدموا الصدق" [الطبقات الكبرى125/1].

من الجدير بالذكر: أن فكرة الحروف وخواصها ورمزيتها أخذها المتصوفة من ما يسمى بالجفر والقرعة في العقيدة الصفوية ونُسبت أصولها للإمام علي رضي الله عنه وجعفر الصادق. والجفر يعني استخدام الحروف للخروج بتنبؤات عن الحاضر والمستقبل. وقد وظفوا النتائج بالطبع لخدمة المذهب. الحقيقة أن بعضها مثيرة للسخرية. وهذا ما سنناقشه في مبحث مستقل بعد الانتهاء من هذا الباب.

قدس المتصوفة رموز الحروف باعتبارها أرقى منازل التجلي الإلهي، وقد أسس الصوفي الفارسي فضل الله بن عبد الرحمن الحسيني الاسترابادي طريقة صوفية تسمى (الحروفية) التي اندمجت فيما بعد مع البكتاشية، مهمتها الاشتغال بالحروف والطلاسم والزايرجات والتنجيم. وقد قتله ميران شاه ابن تيمورلنك بتهمة الهرطقة سنة804هـ. حيث ادعى بأن آدم منح معرفة (9) حروف، والنبي إبراهيم (14) حرفاً، والنبي محمد (28) حرفاً، في حين مُنح الشيخ (32) حرفاً- لاحظ الحروف الفارسية عددها (32) حرفاً. وله ثلاثة كتب يعتبرها الفرس مقدسة وهي [الجاردان نامة] و[محبة نامة] و[عرش نامة]. وانتهى الأمر مع الفرقة بالاندماج مع البكتاشية، فاجتمع الكفر بالكفر.

اعتبر المتصوفة حرف (الألف) من أعظم الحروف وسموه (الحرف الإلهي)، ويعني الله في إشارة إلى الألفة التي ابتدعها في مخلوقاته. وبعض المتصوفة يعارض هذا الرأي معتبراً حرف (الألف) حرفاً شيطانياً! وهذا ما يتجلى بقول ابن الرومي: "لا تكن عنيداً كالألف! ولا تكن كالباء برأسين! وكن كالجيم" [الديوان/1744]. عجيب أمر هؤلاء الحمقى كيف يجمعون بين الله تعالى والشيطان؟

بل نجد الشيخ السنائي الفارسي اعتبر بداية القرآن الكريم بحرف (الباء) وانتهاؤه بحرف (السين) وهو يغمز بالمدلول الفارسي لكلمة (بس) تعنى بالفارسية [كفى]. باعتبار أن القرآن يكفي الإنسان للإيمان بالله. [الديوان/309].

وتلاعب المتصوفة بالحروف كما شاءوا لكنهم لم يستطيعوا أن يثبتوا دعاويهم الباطلة. وقد كتب حجة الإسلام الغزالي مصنفات في خواص الحروف التي وصفها بقوله: "الحروف خزانة الله، وفيها أسراره" ربما هذا جزء من مهمته الجسيمة لإحياء علوم الدين!



للمتصوفة ملائكتهم الخاصين بهم، يذكر منهم البسطامي ملك "يسمى (توحائيل)، وملك آخر يسمى (عبدالله) و(النون) و(القلم) وآخر عزرائيل" ويضيف في عروجه: "رأيت ملائكة هذه السماء مخلوقة على سائر أنواع الحيوانات، فمنهم من خلقه الله تعالى على هيئة الطائر وله أجنحة لا تنحصر للحاصر، وعبادة هذا النوع خدمة الأسرار ورفعها من حضيض الظلمة إلى عالم الأنوار، ومنهم من خلقه الله تعالى على هيئة الخيول المسومة، وعبادة هذه الطائفة المكرمة رفع القلوب من سجن الشهادة إلى فضاء الغيوب، ومنهم من خلقه الله تعالى على هيئة النجائب وفي صورة الركائب، وعبادة هذا النوع رفع النفوس إلى عالم المعاني من عالم المحسوس، ومنه من خلقه الله تعالى على هيئة البغال والحمير" [الإنسان الكامل/105]. ملائكة على هيئة حمير وبغال! أي بغل وحمار يصدق هذا الفشار؟

ذكر عبد الكريم الجيلي: "اعلم أن الله تعالى لما خلق النفس المحمدية من ذاته، وذاتُ الحق جامعة للضدين، خلق الملائكة العالين من حيث صفات الجمال والنور والهدى من نفس محمد صلى الله عليه وسلم كما سبق بيانه، وخلق إبليس وأتباعه من حيث صفات الجلال والظلمة والضلال من نفس محمد صلى الله عليه وسلم، وكان اسمه (عزرائيل)، وقد عبدَ الله تعالى قبل أن يخلق الخلق بكذا كذا ألف سنة، وكان الحق قد قال له: يا عزازيل! لا تعبد غيري، فلما خلق الله آدم عليه السلام وأمر الملائكة بالسجود له، التبس الأمر على إبليس، فظن أنه لو سجد لآدم كان عابداً لغير الله، ولم يعلم أن من سجد بأمر فقد سجد لله، فلهذا امتنع، وما سمي إبليس إلا لنكتة هذا التلبس الذي وقع فيه، فافهم وإلا فاسمه قبل ذلك عزازيل وكنيته أبو مرة" [الإنسان الكامل/61]. هذا الذي يطوف في السماء ويعرف أكثر من الأنبياء، لا يعلم بأنه لا يوجد ملك باسم عزرائيل!

نختتم هذا الجزء بجدول ملائكة الحروف عند الصفويين والمتصوفة. وستهز رأسك أسفاً من أن يصل الأئمة والمشايخ لهذا المستوى الضحل من الجهل والسذاجة والتخريف! لا نرى بداً من استذكار قول علي عزت بيك: "لقد أقام الإسلام حرباً على الشرك، وقضى عليه بحركة واحدة في مناطق شاسعةً من العالم؛ لأنه وضع حداً فاصلاً بين الإيمان والخرافة، ولكنَّ الخرافة وجدت لها مرتعاً خصباً في بيوت وقلوب كثيرٍ من المسلمين، ثم ظهرت في صورة التمائم والطلاسم، وما شابه ذلك، لتمهد الطريق لتجارة الدين المربحة؛ لأنه إذا لم يقض الدين على الخرافة قضت الخرافة على الدين".

ملحق خاص بملائكة الحروف [راجع كتاب الجفر للسيد حيدر الحسيني/88، وكتاب منبع أصول الحكمة لأبي العباس البوني/222].

الحرف	الحرف كتابة	اسم الملك عند الصفويين	اسم الملك عند المتصوفة
أ	ألف	إسرافيل	هطمهطلقيائيل
ب	باء	جبرائيل	جرمهيائيل
ت	التاء	عزرائيل	مرعويل
ث	الثاء	ميكائيل	جشيائيل
ج	الجيم	كلكائيل	طلقطيائيل
ح	الحاء	تنكائيل	طفيائيل



الحرف	الحرف كتابة	اسم الملك عند الصفويين	اسم الملك عند المتصوفة
خ	الخاء	مهكائيل	همليل
د	الدال	دردائيل	سكمهيائيل
ذ	الذال	امصراطيل	رفعيائيل
ر	الراء	امواكيل	دهرائيل
ز	الزاي	شرقائيل	علمشيائيل
س	السين	همواكيل	هطغيل
ش	الشين	همرائيل	خرديائيل
ص	الصاد	اهجمائيل	هرديال
ض	الضاد	عطكائيل	كلغبائيل
ط	الطاء	اسماعيل	عصطيائيل
ظ	الظاء	لوزائيل	طرخيائيل
ع	العين	لومائيل	سلكفيل
غ	الغين	لوخائيل	شرهيل
ف	الفاء	سرهماكيل	شطاطيل
ق	القاف	عطرائيل	عزقيل
ك	الكاف	حرزائيل	اشمهيائيل
ل	اللام	طاطائيل	طهطيائيل
م	الميم	رومائيل	شراخيل
ن	النون	حولائيل	صعريائيل
و	الواو	رفتمائيل	طونيائيل
ه	الهاء	دوريائيل	عفريائيل
ي	الياء	سراكطائيل	هردقيل



3) العلاقة مع إبليس والجان

توجد علاقة مثيرة للحيرة بين الأئمة من جهة وإبليس والشياطين من جهة أخرى، ونفس العلاقة المثيرة للريبة بين شيوخ المتصوفة من جهة وإبليس والشياطين من جهة أخرى. فإبليس من محبي آل البيت، وصرح بمحبة علي بن أبي طالب، ويبدو أنه قد تشيع قبل خلافة علي! وإبليس نفسه يعتبر شيخ الموحدين عند المتصوفة، وأستاذاً للحجاج، والشياطين يحملون وجهين متناقضين، فتارة هم أعوان للأئمة والشيوخ، وتارة هم أعداء لهم.

وفي النصوص التالية ستجد ما يحيرك مثلما حيرنا:

يذكر صاحب [كتاب المحاسن] بإسناده عن عمر بن يزيد قال: "ضللنا سنة من السنين - ونحن في طريق مكة - فأقمنا ثلاثة أيام نطلب الطريق فلم نجده، فلما أن كان في اليوم الثالث وقد نفد ما كان معنا، فتحنطنا وتكفنا بأزرنا، فقام رجل منا فنادى: يا صالح يا أبا الحسن! فأجابه مجيب من بعد، فقلنا: من أنت يرحمك الله؟ فقال: أنا من النفر الذين قال الله تعالى في كتابه: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ﴾ [الأحقاف:29]، ولم يبقَ منهم غيري، وأنا مرشد الضلال من الطريق. قال: فلم نزل نتبع الصوت حتى خرجنا إلى الطريق" حسناً! كم نفر من الناس ضاع في الصحراء ولم يجد هذا الجن الصالح ليدله على الطريق؟

وذكروا أن جنياً كان عند النبي صلى الله عليه وسلم، فلما رأى علياً ارتعد من الخوف، واستغاث بالنبي قائلاً: "أجرني يا رسول الله من هذا الشاب المقبل علي! فقال: له ما بك؟ قال: تمردت على سليمان فأرسل إلي نفراً من الجن، فطلت عليهم. فجاءني هذا الفارس فأسرني وجرحني، وهذا مكان الضربة إلى الآن لم تندمل" [كتاب مدينة المعاجز/ السيد هاشم البحراني 142/1]. كأنك تقرأ إحدى الأساطير اليونانية، أو قصة من قصص ألف ليلة وليلة. جني يستنجد بالنبي صلى الله عليه وسلم خوفاً من علي! سبحان الله! أخزاكم الله من جهلكم يا من تزعمون العلم!

وانظر إلى هذه الترهات المنسوبة للإمام علي من قبل حفيده: "عدوت خلف ذلك اللعين [يعني إبليس] حتى لحقته وصرعته إلى الأرض وجلست على صدره! ووضعت يدي على حلقه لأخنقه! فقال: لا تفعل يا أبا الحسن! فإني من المنظرين إلى يوم الوقت المعلوم، والله يا علي إني لأحبك جداً، وما أبغضك أحد إلاّ شاركت أباه في أمه، فصار ولد زنا؛ فضحكت وخلّيت سبيله" [عيون أخبار الرضا77/1]. ضحك الإمام لأنه وجد في إبليس محباً به ومعاوناً لشيعته! إنه فعلاً ضحك لكن على الذقون! ويدعون محبة علي!

ونسبوا لإبراهيم بن أبي يحيى عن جعفر بن محمد أنه قال: "إما من مولود يولد إلا وإبليس من الأبالسة بحضرته، فإن علم الله أن المولود من شيعتنا حجبه من ذلك الشيطان، وإن لم يكن المولود من شيعتنا أثبت الشيطان إصبعه في دبر الغلام فكان مأبوناً، وفي فرج الجارية فكانت فاجرة" [تفسير العياشى218/2]. هذه هي أخلاق الأئمة كما يصورها الصفويون! فهل يصلح من ينضح حقداً وكراهية كهؤلاء لقيادة الأمة الإسلامية؟ الغريب أن أكثر الأئمة هم من أولاد الجواري!



لاحظ أصل هذا الحديث وكيف تلاعبوا به! عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه: أن رَسُولَ الله صلى الله عليه وسلم قَالَ: «مَا مِنْ مَوْلُودٍ يُولَدُ إِلاَّ نَخَسَهُ الشَّيْطَانُ فَيَسْتَهِلُّ صَارِخًا مِنْ نَخْسَةِ الشَّيْطَانِ إِلاَّ ابن مَرْيَمَ وَأُمَّهُ» ثُمَّ قَالَ أبو هُرَيْرَةَ: اقْرَءُوا أن شِئْتُم ﴿وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾ [سورة آل عمران:36] [أخرجه مسلم/6282]. يسرقون الكلام ويحرفونه!

ومن أحاديثهم ما جاء عن أبي عبد الله قال: "من قرأ عند منامه آية الكرسي ثلاث مرات، والآية التي في آل عمران ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلائِكَةُ﴾ [آل عمران:18]، وآية السخرة وآية السجدة وُكِّل به شيطانان يحميانه من مردة الشياطين" [الكافي 392/2]. كيف شيطانان يحميان من مردة الشياطين! قل ملائكة يا إمام يرحمك الله وارحم عقولنا! كي يُعقل ويُقبل حديثك، ويتوافق مع المنطق السليم.

كما نسب ابن بابويه القمي للإمام علي القول السابق: "من ضَلَّ منكم في سفر، وخاف على نفسه فليناد: يا صالح أغثني، فإن في إخوانكم من الجن جنياً يُسمَّى صالح" [الخصال618/2]. وهذا ربما الجن صالح السابق الذكر الذي شغله مرشد سياحي في الفيافي ولأتباع آل البيت فقط.

وجاء أيضاً: "لعلي خليفة من الجن المسلمين، وهو جني واسمه درجان بن مالك، وهذا درجان يتصور بصورة ثعبان عظيم، بينما النبي صلى الله عليه وسلم لم يكن له خليفة على الجن" [مدينة المعاجز52/1]، هذا الذي تلبسه الجن يفاضل بين النبي صلى الله عليه وسلم وعلي ويتحفنا بواحدة من أسباب تفضيل علي بن أبي طالب على النبي صلى الله عليه وسلم. هنيئا لصهر النبي صلى الله عليه وسلم على جنيه درجان! إنه ليس درجاً واحداً بل درجان. لا حول ولا قوة إلا بالله العظيم!

يذكر الكليني: "بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وحين تقررت البيعة لأبي بكر في سقيفة بني ساعدة، وبعد وصول أبي بكر إلى المسجد النبوي، واعتلائه منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم، بدأ الناس يبايعونه، ورأى سلمان الفارسي هذا المنظر فذهب إلى علي رضي الله عنه، وأبلغه بالأمر، فسأل علي سلمان الفارسي: أتعرف من أول من بايع أبا بكر ووضع يده في يده؟ فقال الفارسي: لا! لا أعرف ذلك الرجل، لكني رأيت شيخاً عجوزاً يتوكأ على عصاه، وعلى جبينه علامة السجود، كان ذلك هو الشيخ الذي تقدم أولاً إلى أبي بكر، وأخذ يبكي ويقول: الحمد لله الذي لم يمتني حتى رأيتك في هذا المكان، ابسط يدك فبسط يده فبايعه، فسمع علي كلام سلمان وقال: هل تدري من هذا؟ فقال سلمان: لا أدري، فقال علي: ذاك إبليس لعنه الله" [الروضة/159]. لا تستغرب كيف علم الإمام علي بأنه إبليس، فهو على صداقة معه كما سبق أن وضحنا، فلا غرابة في القصة سوى أن يلعن الإمام صاحبه إبليس؛ سيما وأنه تشيع!

أما المتصوفة فيعتبرون إبليس هو شيخ الموحدين؛ لأنه رفض أن يسجد لآدم، ولم يسجد إلا لله! ويليه فرعون لأنه قال: ﴿أَنَا رَبُّكُمُ الأَعْلَى﴾ [النازعات:24]، هم لا يحسبون أن إبليس خالف إرادة الرب وخرج عن طاعته، بل يعتبرونه موحداً! وقد ألف [سيد سلطان] في القرن السابع عشر كتاباً بعنوان [إبليس نامة] مجد فيه إبليس، مذكراً بأن الله أمر الملائكة باحترام إبليس حتى بعد أن طرده ولعنه؛ لأنه كان من كبار المعلمين. ولم يخبرنا صاحب النامات من أي مصدر استقى معلوماته هذه؟ ووصلت بهم الصلافة بالقول: "من لم يتعلم التوحيد من إبليس فهو كافر" ومن المعروف أن الحلاج يشيد باثنين من الموحدين فقط هما (محمد وإبليس)، معتبراً النبي أمين سر الرحمة الإلهية، وإبليس أمين سر الغضب الربوي، ويذكر بهذا الشأن "وما كان في أهل السماء موحد مثل إبليس" [كتاب الطواسين/طاسين الأزل والإلتباس]. وفي مكان آخر يقول: "صاحبي



وإستاذي إبليس وفرعون، إبليس هدد بالنار، وما رجع عن دعواه. وفرعون أغرق في اليم، وما رجع عن دعواه. إن قتلت أو صلبت، ما رجعت عن دعواي" [كتاب الطواسين/100]. لا ترجع عن دعواك فإلى جهنم وبئس المصير.

كما أنشد الشيخ سرمد هذه الأبيات قبل أن يعدم عام1661:

اذهب وتعلم من الشيطان كيف تعبد * * * واختر قبلة واحدة لسواها لا تسجد

ذكر د. محمد جميل غازي: "رووا أن سفيان الثوري سأل رابعة العدوية: يا رابعة هل تكرهين الشيطان؟ فقالت: إن حبي لله لم يترك في قلبي كراهية لأحد" [الصوفية والوجه الآخر/46]. فهي تحب الله وتحب الشيطان أيضاً أي حب النقائض.

كما ذكر الشيخ عبد الكريم الجيلي في كتابه (الإنسان الكامل) بأن "إبليس مخلوق من نفس محمد"، رغم أن إبليس خلق قبل آدم! ويضيف بأن رفض إبليس السجود لآدم إنما يدل على "أن إبليس من أعلم الخلق بآداب الحضرة، وأعرفهم بالسؤال، وما يقتضيه من الجواب" [راجع كتاب الإنسان الكامل]. إبليس في نظر هذا الفارسي أستاذ البروتوكول السماوي.

وذكر السلمي عن حاتم الأصم قوله: ما من صباح إلا ويقول لي الشيطان: ما تأكل؟ ما تلبس؟ أين تسكن؟ فأجيبه: آكل الموت، وألبس الموت، وأسكن القبر" [كتاب طبقات السلمي/23]. طالما الشيطان يصبح كل يوم في وجهه، ومقيم في بيته ويراه، فلماذا يسأله عن أكله ولبسه ومسكنه؟

ويذكر عبد المحمود نور الدائم وهو من أصحاب الطريقة السمانية: "إن الشيخ أحمد الطيب وهب الشيخ حسيب وهو من تلاميذه ألفين وخمسمائة من الجن ليخدمونه فيما يريد" [الإطاحة بعرش أكبر الدجالين في الساحة، تأليف هاشم الحسين رجب/116]. الملوك والرؤساء ليس لديهم هذا الحشد من الخدم، فماذا يفعل بهم الشيخ في صومعته الحقيرة؟ وقيل بأنه "عطش الشيخ عبد القادر الجيلاني عطشاً شديداً، فإذا سحابة قد أقبلت وأمطرت مطراً شبه الرذاذ حتى شرب، ثم نودي من قبل السحابة: أنا ربك وقد أحللت لك المحرمات، فقال: اذهب يالعين فاضمحلت السحابة، ثم قيل له: بم عرفت أنه إبليس؟ فقال الشيخ: بقوله: قد أحللت لك المحرمات" [شذرات الذهب200/4].

حكى الشعراني عن كرامات محمد بن حسن المعلم باعلوي: "اشتهر أن الشيطان تعرض بالأذى، فأمسكه واستخدمه في أموره، حتى أنه غرس نخلاً، وجعله يسوق الماء إليه، وكان له اطلاع على أهل البرزخ، ويجتمع بجماعة منهم" [الأجوبة المرضية261/1]. إذن فقد لقى الشيطان أخيراً مهنة فلاح عند الشيخ، بدلاً من شغلته الرئيسة الوسوسة!

ونسب للشيخ الرفاعي قوله: "قال لي الشيخ يعقوب: رأيت الشيطان واقفاً على باب داري، فهممت بضربه. فقال لي: أي يعقوب أنتم أهل الإنصاف، أن في بيتكم الأحمر والأصفر وهما لي. فكيف لا أجيء إلى بيتكم؟ [قلادة الجوهر، لمحمد أبي الهدى الرفاعي/135]. من أين لهم الذهب والفضة وهم يستجدون الناس على إطعامهم؟!

ويزعم المتصوفة: "كان الجن يحضرون دروس الشعراني ويعابثونه ويزعجون أولاده، و دخل مرة إلى الحمام أحد الجان، فتمكن الشيخ من الركوب عليه وأزهق روحه"! حيا الله الشيوخ الأبطال! لكن كيف تمكن الشيخ من ركوبه وأزهق روحه؟ ويزعمون كذلك بأن بعض الجان استعصى عليها فهم بعض المسائل!



فوجهت للشعراني مجموعة من الأسئلة فأجاب عنها في كتابه [كشف الحجاب والران عن وجه أسئلة الجان] وقد حقق المخطوطة محمد عبد الله عبد [راجع الفهرس للحصول على المخطوطة بسهولة].

ومن الغرائب ما ذكر الشعراني عن الشيخ محمد الحضري الذي خطب خطبة الجمعة، فطلع المنبر وحمد الله ورسوله، واستطرد قائلاً: "أشهد أن لا إله لكم إلا إبليس عليه الصلاة والسلام" فصرخ السامعون وقالوا: قد كفر! فما كان من الشيخ المعتوه إلا أن يسل سيفه ويهجم عليهم، فهرب الناس كلهم من الجامع"! هل هذا شيخ أم شيطان بلباس شيخ؟

لاحظ قول قال الغزالي المريب عن الله: "قرَّبَ الملائكةَ مِن غيرِ وسيلةٍ سابقةٍ، وأبعدَ إبليس مِن غيرِ جريمةٍ سالفةٍ" [الإحياء4/168]. الغزالي يقر براءة إبليس من الجريمة، بمعنى إضفاء صفة الظلم على الذات الإلهية!

كما أنهم يعلمون المريد كيفية استخدام الجان، وتسليطهم على الغير لعرض الأذى، حيث يذكر ابن الحاج التلمساني: "تسليط الجن: تكتب سورة الجن في إناء وتمحوها بماء عنب الذئب، ثم تأخذ من زريعة السيكران ما وجدت منها، وتسحقها وأنت تقرأ عليها عند السحق سورة الجن. وتقول عند ختمها: سلطتكم يا جماعة الجن على من آل ... من هذه العشبة، ثم تمزجها بذلك الماء وتجعلها في الشمس حتى تيبسها، وأطعمها في طعام لمن أردت أن تسلط عليه الجن. وتقول عند الطعم: خذوه أخذاً وبيلاً، وتذكر المقدار الذي أردت شهراً أو أقل أو أكثر؛ فإنك ترى ما يسرك. وقليل أن تجد في كتاب غير هذا من يكشف الغطاء" [كتاب شموس الأنوار/57].

حتى في مبايعتهم للمريد فإنهم بستعينون بالجان، تتم المبايعة وأخذ العهود بالطريقة الختمية الميرغنية، بأن يضع الشيخ يده في يد المريد ويقول، ويردد معه المريد: بسم الله الرحمن الرحيم. الحمد لله رب العلمين، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم، اللهم إني تبت إليك، ورضيت بسيدي السيد محمد عثمان الميرغني شيخاً في الدنيا والآخرة، فثبتني اللهم على محبته وعلى طريقته في الدنيا والآخرة بحق سيدنا محمد بن عبد الله بن عدنان، وبحق بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العلمين .. إلى آخر السورة. بشرط أن تكون البسملة والفاتحة في نفس واحد. ثم تقرأ سورة العصر إلى آخرها، ثم يقول الشيخ للمريد سراً: ثبتك الله على الحق، وعلى الصبر، وعلى الطريقة المحمدية المستقيمة بحق أهم سقك حلع يص، وبحق أحون قاف أدم حم هاء آمين، ويقول الشيخ:

أهيم بطه مذ أعيش وإن أمت * * * سأوكل طه من يهيم به دهري

ثم يقول الشيخ للمريد: اتخذتك مريداً لسيدي السيد محمد عثمان الميرغني الختم رضيت. فيقول له المريد: قبلت. وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم" [مجموع الأوراد الكبير/125].

لنطلع على الحديث المشين لمن أراد إحياء علوم الدين فأرداه قتيلاً بسيف لعين! قال الغزالي: "ومن أراد أن يبصر الجن مشاهدة ومصادقة ومخاطبة، ويسمع كلامهم ويعينونه على ما يريد فليقرأ سورة الجن في بيت خالٍ، من يوم بطالة في أحد أو أربعاء وبين يديه بخور اللبان، ويخط له مندلاً يقعد فيه، ولا ينقطع عنه البخور وهو يقرأ: ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا﴾ [الجن:1]، أربعين مرة وهو يمثلهم ويحدث إليهم، فإذا خرجوا إليه لا يخافهم، ويستخدم منهم من شاء على ما يشاء من سحر وطلسم وهياج وتسخير وإظهار كنوز وحب وتبغيض" [مجموعة رسائل الغزالي/519].



4) الخرافات والأساطير

الأسطورة:

يطلق على الإسطورة اصطلاحاً (الميثولوجيا) ومعناها العام: ملحمة أو قصة تدور حول تأريخ الشعوب القديمة وعقائدهم الدينية وعاداتهم وتقاليدهم وأمجادهم. أو تتحدث عن شخصيات تأريخية حقيقية كانت أو وهمية لها أثر مباشر في توجهاتهم الاجتماعية والثقافية. وتنسب لهم عادة صفات مميزة، وأعمالاً بطولية، وقوى خارقة من وحي الخيال الخصب، لا تتوافق مع منطق العلم أو الحقائق التأريخية. وقد تتخذ أحياناً شكل حكايات شعبية وفلكلورية يستمتع بها الناس، وتترك فيهم أثراً طيباً. تتضمن بعض الأساطير كذلك بعداً وعمقاً فلسفياً أو أدبياً أو دينياً أو إجتماعياً.

يمكن تقسيم الأساطير من ناحية المضمون إلى:

1) أساطير دينية:

وهي تتعلق بالآلهة مثلما موجود في الأساطير اليونانية والإغريقية والهندية والصينية. كالإلياذة والأوذيسة وأفروديت آلهة الحب، وبعضها قد استمد أحداثه من الكتاب المقدس كالطوفان، وقصة الخليقة، ثم ألحقت به إضافات أخرى على مر الزمان.

2) أساطير سياسية:

وتضفي هالة من البطولات على الملوك والأمراء، والسلالات الحاكمة، والشخصيات الوطنية، كأسطورة شمشون وسمير أميس، والأساطير الفارسية بشكل عام التي تعظم الملوك، وتعتبرهم من سلالة السماء.

3) أساطيرشعبية:

الغرض منها حث الناس على التحلي بالقيم والمثل العليا، كالشجاعة والكرم والتضحية والأمانة والصدق. مثل سيف بن ذي يزن، وعنترة بن شداد، وأبو زيد الهلالي. وقصص ألف ليلة وليلة. وعلي الزيبق.

يلاحظ أن الشخصية أحياناً تكون حقيقية، ولكن الرواة يسبغون عليها مسحة من الخيال؛ لغرض التشويق والإسهاب، وأحياناً التشويه والإساءة من قبل الشعوبيين، وغالبا ما تُزين بالأغاني والأناشيد، وتطرز بالأمثال والأشعار، بهدف ترسيخ قيم الشجاعة، والمفاخرة بالأنساب، وزرع بذورها في مخيلة الأجيال والناشئة.

4) أساطير فلسفية:

هي محاولات بدائية لتفسير ظواهر الطبيعة وألغازها، أو محاولات التغلب عليها كأسطورة جلجامش، التكوين، سيزيف، حي بن يقظان، أسطورة ميدوزا آلهة الحكمة، بروثيوس، وهي تتضمن عادة جمهرة من الحكم والمواعظ، وتفسح الطريق أم العقل للتوسع والاستزادة من المعارف.

5) أساطير ذات بعد نفسي واجتماعي:



تحاول تفسير دواخل النفس البشرية، وما يختلجها من مشاعر بجانبيها الإيجابي والسلبي. كما تصف الأوضاع الاجتماعية والسياسية لفترة محدودة، كأسطورة أوديت، وحكايات ألف ليلة وليلة، وأبو القاسم البغدادي.

لذا يمكن استنتاج محاور الأساطير:

(الآلهة): كما هو الحال في أساطير اليونان.

(الملوك): كأسطورة سمير آميس.

(الحيوانات): كما في كليلة ودمنة، وبيجاسوس، الحصان المجنح، والسنتو، نصفه بشر والنصف الآخر حصان، وحوريات البحر، نصف بشر ونصف سمكة.

(شخصيات شعبية): كعنترة وعلي الزيبق وأبو زيد الهلالي.

الخرافة:

هي أحاديث وقصص تُسرد للصبيان، وهي من نسج الخيال الواسع، تمتاز بالإيجاز، وتلاحق الأحداث، مع استخدام السحر، الطلاسم، العفاريت، الغول، السعلوة، الطنطل، فريج الأقرع، الجنيات. وهي غالباً ما تمثل الصراع بين قوى الخير والشر، وتكون خارج البعدين الزماني والمكاني، فتبدأ مثلاً بجملة "كان ياما كان في قديم الزمان"، وتنتهي بجملة "وعاشوا عيشة سعيدة ورزقوا بالصبيان والبنات، أو توته توته وخلصت الحتوته".

وترتبط كلمة الخرافة بشخص يدعى خرافة من بني عذرة، فقد غاب عن قومه لفترة طويلة مدعياً بأن الجن اختطفته! وكان يروي لقومه أحاديث مملحة عما جرى له مع الجان وهم يستهوون حكاياته. وهناك خرافات أخرى تتعلق بتقاليد اجتماعية هي خارج مبحثنا.

من خلال هذا العرض المبسط نجد أن الخرافات والأساطير تنبع من رافد واحد وهو اللاعقلانية، ورغم أنهما ممتعتان من ناحية التشويق والإثارة، لكنهما مدمرتان إذا اجتمع فيهما الدين أو السياسة، بحيث يُسخر الأول لخدمة الثاني، وذلك لشدة تأثيرهما على الناس سيما العوام والأطفال، ولأنها تتناقل بين الأجيال تاركة أثراً قوياً في نفسية المستمع، وبالتالي المجتمع.

خطورة تسخير الدين لأغراض سياسية أو مزايا دنيوية تتعارض مع الدين نفسه، وتتجلى بوضوح في العقيدتين الصفوية والصوفية، حيث تضم أمهات مراجعهم عدداً هائلاً من القصص والأساطير والخرافات، ولأن الحكايات الخرافية تخص الأطفال وليس لها هدفاً سياسياً أو دينياً؛ لذا لا مندوحة لنا من وصف الأحاديث الصفوية والصوفية بوصف آخر. ربما الدجل والتدليس والكذب ينطبق عليها أكثر من كلمة الخرافة!

ومن المؤسف أن يكون من ضحايا الدجل والتدليس الذات الإلهية المقدسة والنبي صلى الله عليه وسلم والصحابة والأئمة والشيوخ أنفسهم، فقد نُسبت لهم خوارق ومعاجز تصلح كقصص للأطفال وليس كمناهج لعقيدة سماوية. صدق سفيان الثوري بقوله: "إذا فسد العلماء فمن يصلحهم؟ إذا لم يكن تحت الحنك من العمامة شيء فهي عمامة إبليس".

إنك لا تجد مبرراً لسرد الخرافات ذات الصلة بالدين أكثر من محاولات للانحراف بالعقيدة الرئيسة إلى منحدرات وعرة يصعب اجتيازها والخروج منها بسلامة وأمان. وإلا فما حاجتنا إلى معجزات



تنسب للأئمة والشيوخ؟ أليس إضفاء هذه الأكاذيب على الأئمة والشيوخ يؤكد فساد العقيدتين؟ وأن هناك وراء الأكمة أهدافاً خفية لا يمكن تفسيرها إيجابياً. مثلاً: هل طيران الشيوخ، وطي المسافات، والمشي على النار، وثقب الأجساد، وعروج الأئمة للسماء، وعلمهم ما كان وسيكون، قد أفادت المسلمين بشيء في دنياهم؟ وهل احترامنا وإعجابنا بهم يعتمد على تلك الخوارق والمعاجز؟ هل كانوا يعانون من مركب النقص في شخصياتهم مما استدعى فبركة تلك الأحاديث؟ ما الداعي إلى الإصرار على إبقائها في أمهات كتبهم المطبوعة حديثاً، وعدم وجود محاولات جادة لتشذيب وتطهير تلك المراجع من تلك الشوائب؟ ألا يعني هذا أنهم يضمرون شراً للإسلام؟ وأن نواياهم غير سليمة البتة؟!

الأنكى من هذا وذاك أن الصفويين والمتصوفة عند محاججتهم حول هذه الأكاذيب يدعون أنها مدسوسة على الأئمة والشيوخ، ويتنصل البعض منها مدعياً بأنها من أحاديث القدماء ولا يؤخذ بها حالياً. لكن مع هذا تراهم يستشهدون بها عند الضرورة، ولا يشطبوها من كتبهم المطبوعة جديداً! وعندما تأتيهم بأحاديث أئمتهم وأقطابهم التي لا تتوافق مع الدين، ولا مع العلوم، ولا حتى المنطق السليم. سيجيبون أنهم لا يعنون ذلك! ويتخذون من التقية والتأويل مخرجاً من الحرج، ويبررون زلات الأئمة والشيوخ على أنها شطحات، أو حالة السكر والوجد للمتصوفة، وتقية للأئمة.

الحقيقة: أن بعض الأحاديث والروايات في أمهات مراجعهم حري إدخالها في باب الطرائف والطرف والملح، وأحياناً المهازل؛ فهي مهزلة لمن رواها، ومهزلة لمن دونها وطبعها، ومهزلة لمن قرأها وآمن بها .. أكاذيب يمكن أن تُنسب بجدارة إلى أشهر الكذابين القدامى كمسيلمة وسجاح والأسود العنسي، ومنها ما يمكن إدخالها في باب النوادر كنوادر الخواجة نصر الدين وبهلول.

ذكر الشيخ محمد رشيد رضا عن الخرافات: "أن هذه الخرافات جرأت أهل الإلحاد على الدعوة إلى إلحادهم جهاراً، وإلى ترك العقيدة احتقاراً، زاعمين أن الإسلام دين خرافات وأوهام، وأنه لا يمكن أن يرتقي بالأمة، ويستدلون بالضلالات والخرافات على فاشية في الأمة" [مجلة المنار507/24].

وهذا ما نلاحظه في تخاريف الصفويين؛ فقد ذكر الكليني نقلاً عن يحيى بن أكثم: "أنه بينما كان يطوف بقبر النبي صلى الله عليه وسلم رأى الإمام الرضا، فناظره وأراد أن يسأل الإمام عن أمر ما، لكنه خجل! فإذا بالإمام يمارس فن الباراسيكولوجي ويفاجئه بالقول: أردت سؤالي عن الإمام؟ قال يحيى: والله هو هذا! فأجابه الإمام: أنا هو. فقال له: ما العلامة فيك؟ فإذا بعصا الإمام تحدثه بفضول: إنه مولاي إمام هذا الزمان، وهو الحجة" [راجع أصول الكافي353/1] إذن العصا تتحدث! سبحان الله! إنها أفضل من عصا موسى.

كما ورد [في تفسير الفرات/13] بأن "سبب إخراج آدم من الجنة لم يكن الأكل من الشجرة المحرمة! وإنما لأنه حسد النبي صلى الله عليه وسلم وعلياً والحسن والحسين" عجباً! آدم عليه السلام أبو الأنبياء والبشرية يحسد النبي صلى الله عليه وسلم، وعلى ماذا؟ لأنه نبي مثله مع أنه ابنه! حسنا سنبلعها! لكن على ماذا يحسد علي والحسن والحسين؟



أولاً: هو نبي وهما أئمة، والنبوة أعلى درجة من الإمامة! ثانياً: هم من خلفه؛ فهل يحسد الأب أبناءه؟ فإن كان يحسدهما في الدنيا، فإنهما لم يحققا حلمهما في الخلافة، وإن كان في الآخرة فآدم نبي والأنبياء مصيرهم الجنة، أما الأئمة فمصيرهم غير معلوم، لأنه علم يخص الله تعالى فقط.

ويذكر الكليني: "قالت امرأة من شيعة علي بن الحسين، جئت إلى علي بن الحسين وقد بلغت من العمر عتياً، وقد بلغ بي العمر الكبر إلى أن أرعشت، وأنا أعد يومئذٍ مائة وثلاث عشرة سنة، فرأيته راكعاً وساجداً أو مشغولاً بالعبادة، فيئست من الدلالة، فأومأ إلى بالسبابة، فعاد إلى شبابي" [الكافي347/1]. وهناك مئات القصص الخرافية على هذه الشاكلة. حقاً مسكين الشاعر أبو العتاهية عندما أنشد:

بكَيْتُ على الشّبابِ بدمعِ عيني * * * فلم يُغنِ البُكاءُ ولا النّحيبُ
فَيا أسَفاً أسِفْتُ على شَبابٍ * * * نَعاهُ الشّيبُ والرّأسُ الخَضِيبُ
عريتُ منَ الشّبابِ وكنتُ غضاً * * * كمَا يَعرَى منَ الوَرَقِ القَضيبُ
فيَا لَيتَ الشّبابَ يَعُودُ يَوْماً * * * فأُخبرَهُ بمَا فَعَلَ المَشيبُ

لم يدرك شاعرنا المسكين بأن علاج المشيب متوفر في صيدلية زين العابدين الذي لم يعد الشباب لنفسه.

ننتقل من عودة الشباب إلى فيل الباقر الطائر. ولدينا طرفة عراقية مفادها: أن معلماً سأل تلميذاً: هل الفيل يطير؟ فأجابه: نعم. قال المعلم: أي حمار قال لك هذا؟ قال التلميذ أبي، وهو مسئول كبير في جهاز أمن الدولة! فرد المعلم متلعثماً: هذا صحيح جداً! لكنه يطير واطئاً لكبر حجمه وثقل وزنه!

في الرواية الصفوية عن شاذان بن عمر، أخبره جابر الجعفي بأنه رأى مولاه الباقر يصنع فيلاً من الطين، وبعد إكماله ركبه ـ أي الباقر ـ وطار به إلى مكة ثم عادا، فانبهر شاذان ولم يصدق ما ذكره الجعفي حتى رأى الباقر فسأله عن صحة طيرانه بالفيل؟ فإذا بالإمام يصنع فيلاً ثانياً ويصحب معه شاذان في رحلة طيران ممتعة لم نجدها إلا في أفلام والت دزني [مدينة العجائز10/5].

نتساءل بعجب: ألا يستحي هؤلاء الحمقى من رجال الدين ليروجوا مثل هذه الأكاذيب؟ ألا يدل ذلك على حماقة أتباعهم الذين تنطلي عليهم هذه الأكاذيب؟ هل نحتاج لفيل طائر لنحب شخص الباقر؟ لماذا لم يصنع جده الإمام الحسين فيلاً ويطير به إلى كربلاء ويقاتل به بدلاً من إلتماس الرحمة والعفو من أعدائه؟ ولماذا لم يركب الرضا الفيل الطائر في هروبه إلى طوس؟ ولماذا كان النبي صلى الله عليه وسلم يرحل ماشياً أو راكباً دابة وليس فيلاً طائراً؟ أخزاكم الله! كم افتريتم على هؤلاء الأئمة الأجلاء، والويل لكم من عذاب الله وسخطه.

ومن الفيل الطائر ننتقل إلى الحمار النسابة! ومصيبة هذه الخرافة أنها نسبت للإمام علي، وهذا أمر شائن لا يقبله محب للنبي صلى الله عليه وسلم ولا لصهره. حيث ادعى الإمام علياً بأن عفيراً خاطب النبي صلى الله عليه وسلم ـ لم يحدد هل تحدث الحمار باللغة العربية أم بالسريانية أم بالنهيق وفهمه الرسول حاشاه من هذا الإفك ـ قال الحمار: بأبي أنت وأمي (قسم) إن أبي حدثني عن أبيه عن جده عن أبيه أنه كان مع نوح في السفينة. فقام إليه نوح فمسح على كفله ثم قال: يخرج من صلب هذا الحمار



حمار يركبه سيد النبيين وخاتمهم، الحمد لله الذي جعلني ذلك الحمار" [الكافي237/1]. هل للحمار كفل؟!

وقصة المفتاح الذي تحول إلى أسد تحير الألباب فعلاً: "عن أبي الصامت قال: قلت لأبي عبد الله: اعطني شيئاً أزداد به يقيناً، وأنفي به الشك عن قلبي، فقال لي: هات ما معك، وكان في كمي مفتاح، فناولته، فإذا المفتاح أسد! ففزعت منه، ثم قال: نحِ وجهك عني ففعلت، فعاد مفتاحاً" [الثاقب في المناقب/422]. هذا سحر وليس معجزة من الإمام!

ومن طريف ما يحكى في مثل هذه الواقعة، كطريفة بأن رجلاً كان يسوق حماره وهو يحمل القش إلى مكان بعيد ويصحبه كلبه، وبعد مشي ساعتين تكلم معه حماره قائلاً: هل المسير طويل يا سيدي؟ فانبهر الرجل من حمار يتكلم العربية وفر هارباً هو وكلبه، ولم يتوقفا إلا بعد أن أخذ منهما التعب. فقال الكلب لاهثاً: يا له من حمار حقير كم أرعبنا؟

استمع إلى هذه المهزلة التي تصلح قصتها لأفلام الكارتون المخصصة للأطفال، وأعجب لمن يسمون أنفسهم علماء ومراجع عليا وآيات وحجج أن يفبركوا ويتحدثوا بمثل هذه المهازل التي تجعلهم أضحوكة أمام الناس، وينسبونها للأئمة الأطهار.

"كنا مع أمير المؤمنين عليه السلام ذات يوم على باب الرحبة؛ إذ اجتاز بنا يهودي ومعه حوتان، فناداه أمير المؤمنين عليه السلام فقال لليهودي: بكم اشتريت أبويك من بني إسرائيل؟ فصاح اليهودي صيحة عظيمة وقال: أما تسمعون كلام علي بن أبي طالب، يذكر أنه يعلم الغيب، وأني قد اشتريت أبي وأمي من بني إسرائيل! فاجتمع عليه خلق كثير من الناس، وقد سمعوا كلام أمير المؤمنين عليه السلام وكلام اليهودي، وكنت أنظر إلى أمير المؤمنين عليه السلام وقد تكلم بكلام لا أفهمه. فأقبل على أحد الحوتين وقال: أقسمت عليك أن تتكلمي وتقولي من أنا؟ ومن كان أبوه؟ فنطقت السمكة بلسان فصيح وقالت: أنت أمير المؤمنين ووصي رسول رب العالمين، علي بن أبي طالب عليه السلام، وقالت لليهودي: يا فلان! أنا أبوك فلان بن فلان مت في سنة كذا، وخلفت عليك من المال كذا وكذا، والعلامة في يدك كذا وكذا. وأقبل عليه السلام على الأخرى، وقال لها: أقسمت عليك أن تتكلمي وتقولي: من أنا؟ ومن كانت أمه؟ فنطقت بلسان فصيح وقالت: أنت أمير المؤمنين، وسيد الوصيين علي بن أبي طالب، ثم قالت: يا فلان وأنا أمك فلانة بنت فلان مت في سنة كذا، والعلامة في يدك كذا وكذا. فقال القوم: نشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، وأن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب حقاً. فعادت الحوتتان إلى ما كانتا عليه، وآمن اليهودي وقال: أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، وأنك أمير المؤمنين، وانصرف القوم" [نوادر المعجزات/ 25].

الطريف أن الصياد صاد الأب والأم معاً، والرجل اشترى أباه وأمه دون غيرهما، والحوتان يتكلمان بلسان عربي فصيح! يعني أفضل من مراجع الشيعة في النجف كالسيستاني والفيضي والبشير، فهم غير قادرين على قراءة سورة قصيرة من القرآن الكريم بلسان عربي فصيح، والحوتان - وهذا هو المهم - من الشيعة! فهما يؤمنان بالولاية.



وكذلك حال المتصوفة، فقد فسروا تخريفات شيوخهم على أنها كرامات، ونسبوا حديثاً كاذباً للنبي صلى الله عليه وسلم يقول فيه: "حيض الرجال الكرامات"، حتى الحيض صار من سمات الرجال! الله أكبر من سفهاء الأمة!

يذكر محمود شكري الألوسي بهذا الصدد: "وأما الجواب عن مسألة الكرامات فيقال: إن كرامات الأولياء حق لا شبهة فيه، وهي ثابتة بالكتاب والسنة، ولشيخ الإسلام قدّس الله روحه كتاب جليل في ذلك سماه (الفرقان بين أولياء الشيطان وأولياء الرحمن)".

عن أبي عمرو الدمشقي قال: "إن الله تعالى افترض- يقصد فرض - على الأولياء كتمان الكرامات لئلا يفتتن بها الخلق، وأوجب على الأنبياء عليهم الصلاة والسلام إظهارها بياناً، وبرهاناً بالحق" [الطبقات الكبرى86/1]. لكنهم لم يكتموها بل حكوها للناس! ولم تفتن الخلق بل أضحكتهم يا شيخ!

ويعلمنا الشيخ عبد الكريم الجيلي الطرق التي تمكن الشيوخ من المشي على الماء والطيران في الهواء وبقية الكرامات بقوله: "إن مداومة المرء على الكفر الصريح، وإقلال الطعام والمنام والكلام، وغير ذلك من الرياضيات الصوفية هي سبب حصول هذه الكرامات" [الإنسان الكامل14/2]. إذن الكفر الصريح أحد أسبابها! ويتحدثون عن الإيمان بالله ورسالة نبيه المصطفى!

برر الشيخ أبو سعيد بن أبي الخير هذه الكرامات لجماعته عندما سئل عنها بطريقة طريفة "فالمشي على الماء علله بأن الضفادع والطير تمشي على الماء أيضاً. وطيران الشيوخ في الهواء برره بأن ذلك ما تفعله الطيور والحشرات. وذهاب المتصوفة من طرف الأرض للطرف الآخر، برره بأن الشيطان في لحظة يفعل نفس الشيء! فهل الشيوخ من فصيلة الشياطين؟ حسناً الأفاعي والعقارب تلدغ فهل الشيوخ تلدغ أيضاً؟ في الحقيقة أن سمومهم أشد من سموم الأفاعي! وماذا عن أكل الجمر والجلوس في النار؟ هل هي مقدمة للعيش لاحقاً في جهنم؟

يتحفنا (إبراهيم الرقي) برواية يذكر فيها بأنه ذهب للنهر لغرض الطهارة، فرأى أسداً نائماً في طريقه، فرجع خائفاً، لكن أسداً آخر اعترضه فبدأ بالصراخ. فإذا بشيخ يخرج من صومعته فجأة ويتواضع أمامه الأسدان بذل وخنوع، فأمسك بأذن كل منهما وعركهما بقوة ووبخهما بقوله: "يا كلاب الله! ألم أقل لكم لا تتعرضوا لضيوفي" [كشف المحجوب/233].

ويلاحظ أن بعض حكايات الأولياء والأئمة مع الحيوانات مستقاة من الحكايات البوذية، كما توجد شبيهات لها في أساطير القديسين في العصور الوسطى، وهي تتجسد في المنحوتات والرسوم الفارسية والهندية القديمة التي عُثر عليها.

كما ذكر الشعراوي عن الشيخ الرفاعي عند التجلي: "يذوب حتى يكون بقعة ماء، ثم يتداركه اللطف فيجمد شيئاً فشيئاً حتى يرد إلى جسمه المعتاد" [الطبقات/143]. هل الشيخ مجمدة؟ والحمد لله الذي لم يحوله إلى حالة غازية كأن يصبح سحابة مثلاً!

جاء في في ترجمة تاج الدين النخال: "كان الشيخ رضي الله عنه إذا دخل الخلوة وذكر الله سبحانه وتعالى يتجلى عليه الحق، فيذوب كما يذوب الملح في الماء، ويفنى حتى لم يبق منه إلا النطفة" [طبقات الشاذلية/113].



وآخر: "كان يذيب الثلج من حوله؛ لأن تأملاته ملتهبة" [نفحات الأنس/138]، يعني مثل ديناصور الأساطير ينفث ناراً!

وذكروا عن الشيخ إبراهيم الجعبري بأنه: "كان في مصر وله مريدة تسمع وعظه وهي في السودان" في وقت لم تخترع فيه الأقمار الصناعية بعد!

وذكر محمد أفندي عز الدين عربي، عن الشيخ أبي العباس أحمد بن قدامة صاحب الكرامات والأحوال الظاهرة أنه: "مشى على نهر يزيد بقبقاب في رجليه فلم تبتلا، فطلع ليلة فكدرت عليه الضفادع بأصواتها، فقال: أيتها الضفدع قد آذيتمونا بأصواتكم! فإما أن ترحلنَّ عنا، وإما أن نرحلن عنكن! فأصبح وليس في النهر شيء من الضفادع، ومن ثم لم يسكن نهر يزيد ضفادع إلى الآن" [الروضة البهية في فضائل دمشق المحمية].

لقد آذى الشيخ الصفادع، لكن الرافعي وبخ أحد المريدين لأنه قتل قملة! والضفادع تأوي إلى البرك والسواقي ليس الأنهار يا شيخ!

وهذا النموذج الضرغامي أبو الخير الأقطع التيناتي تخصصه الأسود فقط، يذكر عنه الشعراني: "كان أوحد أهل زمانه في التوكل، كانت السباع والهوام تأنس به، وله فراسة حادة. ودخل عليه جماعة من البغداديين يتكلمون بشطحهم فضاق صدره من كلامهم فخرج عنهم، فجاء السبع فدخل البيت فانضم بعضهم إلى بعض، وسكتوا وتغيرت أحوالهم وألوانهم، وخافوا منه خوفاً شديداً، فدخل عليهم أبو الخير، وقال: يا إخواني! أين تلك الدعاوى؟ ثم طرد السبع عنهم! وكان إبراهيم الرقي يقول قصدت أبا الخير التيناتي مسلماً عليه، فصلى المغرب، فما قرأ الفاتحة مستوياً، قلت في نفسي: ضاعت سفرتي! فلما سلمت خرجت للطهارة، فقصدني السبع فعدت إليه، وقلت له: إن الأسد قصدني فخرج، وصاح عليه، وقال: ألم أقل لك لا تتعرض لضيفاني! فتنحى الأسد، ومضيت أنا، وتطهرت، فلما رجعت قال لي: اشتغلتم بتقويم الظواهر فخفتم الأسد، واشتغلنا بتقويم البواطن فخافنا الأسد" [الطبقات الكبرى109/1].

لدينا نموذج فريد وهو الشيخ البهلوان، المتقلب بين صورة بشر وحيوان! أحياناً تجده"جندياً، ثم تدخل عليه فتجده سبعاً، ثم تدخل عليه فتجده فيلاً" [الطبقات87/2]. وهذا الفيل الصوفي يذكرنا بفيل الباقر الصفوي، ولدى المتصوفة أيضاً الشيخ أبو العباس الملثم، وقد اختلف القوم في عمر الملثم، فادعى البعض أنه من قوم يونس! ثم سألوه أخيراً بدلاً عن الحيرة في أمره فأجاب: "عمري الآن نحو[400] سنة" [الطبقات157/1] يعني ينطبق عليه قول أشقاؤنا في الخليج: "يا طويل العمر"، ولا نعرف عن أي عمر مات الشيخ؟ بعد أن قطع حوالي نصف عمر نبينا نوح، هذا إذا لم يزل حياً لحد الآن كمهدي الرافضة!

ويذكر جلال الدين الرومي بأن تلاميذ البسطامي أرادو قتله بعد قوله: "ما في الجبة إلا الله"، فَرُدت طعنات سكاكينهم إليهم" [المثنوي2102/4]، مبرراً الأمر بأن العابد الكامل مرآة تعكس صفات الآخرين!



ويحدثنا شيخهم تقي الدين السبكي عن شيخه "الإعصار" أرسلان بأنه "كان يثب في الهواء ويدور دورات ثم ينزل إلى الأرض على مهل. وما إن يستقر حتى يتكئ على شجرة تين يابسة، فتورق وتخضر وتثمر بعدها تيناً" [الطبقات154/1].
وجاء عن شيخهم "الطرزان" إبراهيم بن عصيفير بأنه "كان يأتي البلد وهو راكب الذئب أو الضبع" [المصدر السابق]. ويتحدثون عن ولي "السيرك" المروض للأسود حيث كانت زوجته تعامله بقسوة وجفاء، وفي يوم كان غائباً عن بيته، فجاء أحد مريديه إلى البيت، فتحدثت زوجته بسوء على الشيخ أمام المريد، فرجع المريد قانطاً وخائباً من وليه السيء، وفي طريقه رأى الولي نفسه ممتطياً أسداً وبيده أفعى يستخدمها كسوط، وعرف المريد بأن ما رآه كان مكرمة للشيخ بسبب صبره على قساوة زوجته!
يوجد فيلم كارتون يشابه طريقة الشيخ!
وهناك الشيخ صاحب الكلب الحكيم "يوسف العجمي الكوراني" كان ببصره يجعل الكلاب تستمد منه القوة والحكمة "يعني حكمة من أول نظرة" فقد أبصر يوماً كلباً فانقادت له - أي للكلب - جميع كلاب المدينة خاضعة لأوامره الرشيدة، وصار الناس يهرعون للكلب الصوفي الحكيم قدس سره لقضاء حوائجهم. ولما مرض الكلب كانت الكلاب تجتمع للبكاء والعويل عليه، وعندما دفنه الناس كانت الكلاب تزور قبره المقدس وتستمد منه البركة! [جامع النبهاني535/2]. يعني لو حذفت كلمة "كلب" ووضعت محلها كلمة "شيخ أو آية الله" لما اختلف الحال!
والشيخ أبو العباس أحمد بن أبي الخير كُشفت له الشمس، حيث رأى ملكين عظيمين لهما مخالب يجران الشمس على عربة من المشرق إلى المغرب والعكس! [نشر المحاسن الغالية/76]، نظرية جديدة في علم الفلك ربما تنفع العلماء في تفسير ظاهرتي الشروق والغروب.
مما ذكر عن الشيخ "سانت كلوز" أحمد بن عبد الله البلخي أن البعض رآه في مكة عام315 راكباً عجلة من الذهب، والملائكة يجرون العربة في الهواء بسلاسل من ذهب! فقالوا له: إلى أين تمضي؟ فأجاب: إلى أخ من إخواني اشتقت إليه! رجل خير يحترم مراسم الصداقة حياه الله!
وآخر يضمن الجنة بثلاثين ديناراً فقط! يا لرخص جنة الله عند الشيوخ والأئمة؛ فهي سلعة تباع وتشترى! ذكر الشعراني في طبقاته عن الشيخ مدين بن أحمد الأشموني "وكيل عقارات الجنة" بأن امرأة أعطته ثلاثين ديناراً ليضمن لها الجنة؛ فأجابها الشيخ أن المبلغ غير كافٍ. لكن المرأة ذكرت له بأنها لا تملك غيره. فجعل الشيخ لها خصماً ورضى بالمقسوم، بعد موت المرأة جاء أولادها للشيخ مطالبين برد المبلغ؛ لأن دخول أمهم الجنة غير مضمون، فجاءتهم الأم في الحلم "حلم موحد لجميع أولادها كما يبدو" وقالت لهم: اشكروا لي فضل الشيخ! فإني دخلت الجنة. مبروك عليك الجنة أيتها البائسة! في العراق دخول الجنة مجاني، يكفي حب الإمام علي عليه السلام لدخولها! حيث تُوزع في جامعات العراق صكوك الإمام علي لدخول الجنة بلا ثمن! وليس أي جامعات بل العلمية كالجامعة التكنلوجية!
الشيخ الشعراني يتحفنا برواية أخرى عن الشيخ الكاتب العدلي "ابن أبي حاتم" فقد أعلموه بأن سور طرطوس قد تهدم أحد جوانبه، ويحتاج إلى ترميم بكلفة "1000" دينار. فقال الشيخ لأتباعه: من



يعمر السور وأضمن الجنة له؟ فوافق رجل أعجمي مشترطاً ورقة ضامنة من الشيخ لدخول الجنة. فكتب الشيخ الورقة وقدمها له. ومات الرجل الأعجمي ودفنت ورقة الضمان معه. لكن الريح أخرجتها "لا نعرف كيف أخرجتها سالمة من هذا العمق ولم تتلف؟" وحملتها إلى حضن الشيخ متضمنة هامشا يقول: "قد وفينا ما ضمنته"!

كما يذكر الشعراني: "أخرجوا الحكيم الترمذي رضي الله عنه إلى بلخ حين صنف كتاب علل الشريعة، وكتاب ختم الأولياء، وأنكروا عليه بسبب هذين الكتابين وقالوا: فضلت الأولياء على الأنبياء، وأغلظوا عليه، فجمع كتبه كلها، وألقاها في البحر، فابتلعتها سمكة سنين، ثم لفظتها، وانتفع الناس بها" [الطبقات الكبرى14/1] سمكة حكيمة كالكلب الحكيم السابق ذكره.

وهذا الترمذي من الكفار، ويكفي أن كتابه علل الشرائع يقصد به الشريعة الإسلامية.

يذكر الشعراني عن عون بن عبد الله بن عتبة: "خرج أصحابه يوماً إلى البرية، فرأوه نائماً في الحر والغمامة تظله، فلما انتبه أخذ عليهم أن لا يخبروا بذلك أحداً حتى يموت" [الطبقات الكبرى39/1].

ويذكر الشعراني عن أبي بشر صالح المري: "كان يمكث مبهوتاً إذا رأى المقبرة اليومين والثلاثة لا يعقل ولا يتكلم ولا يأكل ولا يشرب، وكان يسمع كلام الموتى ويكلمهم ويكلمونه بالمواعظ" [الطبقات الكبرى43/1].

أي تناقض هذا، يبهت ولا يعقل عند رؤية المقبرة، ومع هذا يتحادث مع الأموات!

وذكر التفليسي: "كان أبو الحسين أحمد بن محمد النوري إذا دخل مسجد الشونيزية انقطع ضوء السراج من ضياء وجهه، فلذلك سمي النوري، وكان إذا حضر معنا لا تؤذينا البراغيث" [الطبقات الكبرى86/1]. مناعة ضد البراغيث! فعلاً كرامة كبيرة، سيما في الصيف وأثناء الحر.

وجاءت امرأة من همدان إلى أبي يعقوب يوسف بن أيوب الهمداني باكية فقالت له: إن ابني أسره الإفرنج، فصبرها فلم تصبر، فقال: اللهم فك أسره، وعجل فرجه، ثم قال لها: اذهبي إلى دارك تجديه بها فذهبت المرأة فإذا ولدها في الدار فتعجبت وسألته؟ فقال: إني كنت الساعة في القسطنطينية العظمى، والقيود في رجلي، والحرس علي، فأتاني شخص فاحتملني وأتى بي إلى هنا كلمح البصر" [الطبقات الكبرى137/1]. كلمح البصر! كأنك تقرأ قصة من قصص سوبرمان.

يذكر الشعراني: "دعي الشيخ أبو سعيد القلوري مرة إلى طعام هو وأصحابه، فمنعهم من أكل ذلك الطعام، وأكله وحده، فلما خرجوا قال لهم: إنما منعتكم من أكله لأنه كان حراماً! ثم تنفس فخرج من أنفه دخان أسود عظيم كالعمود، وتصاعد في الجو حتى غاب عن أبصار الناس، ثم خرج من فمه عمود نار، وصعد إلى الجو حتى غاب عن النظر، ثم قال: هذا الذي رأيتموه هو الطعام الذي أكلته عنكم" [الطبقات الكبرى147/1].

تحول الشيخ إلى تنين ينفث النار!

يذكر الشعراني: "جاء رجل يودع الشيخ أبو محمد ماجد الكردي، وهو يريد الحج على قدم التجريد والوحدة، ولا يستصحب زاداً ولا أحداً، فأخرج له الشيخ ماجد ركوته، وأعطاها له، وقال: إنك تجد فيها ماء إن أردت الوضوء، ولبناً إن عطشت، وسويقاً إن جعت. فكان الرجل من طول سفره من جبل حمرين بالعراف إلى مكة، وفي مدة إقامته في الحجاز، وفي رجوعه من الحجاز إلى العراق إذا أراد



الوضوء توضأ منها ماء مالحاً، وإذا أراد الشرب شرب منها ماء حلواً، وإذا أراد الغذاء شرب لبناً، وعسلا وسويقاً أحلى من السكر" [الطبقات الكبرى149/1]. إنها الجنة المصغرة في ركوة الشيخ.

ويذكر الشعراني: "إذا خرج الشيخ أبو محمد القاسم بن عبد الله البصري من خلوته لا يمر على شجرة يابسة إلا أورقت، ولا بذي عاهة إلا عوفي" [الطبقات الكبرى150/1]. كرامة خارقة فعلاً لا يتمتع بها الأنبياء!

ويذكر الشعراني: "مر الشيخ أبو مدين المغربي يوماً على حمار، والسبع قد أكل نصفه، وصاحبه ينظر إليه عن بعد لا يستطيع أن يقرب منه، فقال لصاحب الحمار: تعال فذهب به إلى الأسد، وقال له أمسك بأذن الأسد، واستعمله مكان حمارك فأخذ بأذنه، وركبه وصار يستعمله سنين موضع حماره حتى مات" [الطبقات الكبرى153/1]. يا للعار! أسد يشتغل حمار! لله درك يا شيخ أضحكتنا!

ويذكر الشعراني: "عقد العلماء للشيخ إبراهيم الجعبري مجلساً، وأفتوا بتعزيره، فحبس الشيخ بولهم وبول السلطان، فعجزوا عن إطلاقه بكل حيلة، فنزلوا إليه واستغفروا، فأمرهم بالاستنجاء من إبريقه، فأطلق بولهم" [الطبقات الكبرى212/1]. لا عجب!

يذكر السلمي عن أبي عمرو الزجاجي "قيل أنه لم يبل، ولم يتغوط فى الحرم أربعين سنة، وهو مقيم به" [طبقات الصوفية/117].

يذكر الشعراني أيضاً: "كان سيدي يوسف العجمي الكوراني رضي الله عنه إذا خرج من الخلوة يخرج وعيناه كأنهما قطعة جمر تتوقد، فكل من وقع نظره عليه انقلبت عينه ذهباً خالصاً" [الطبقات الكبرى2869/1]. لينظر صاغة الذهب إلى العيون الذهبية! مع أن الشيخ لم يعلمنا مدى نقاوة الذهب، لكن أكيد 24 قيراط! ولم يفصح الشيخ هل معنى كلامه أنهم أصبحوا عميان؟

كما يذكر الشعراني عن الشيخ حسن التستري: "كان السلطان ينزل إلى زيارته، فلم يزل الحاسدون من أرباب الدولة وغيرهم بالسلطان حتى غيروا اعتقاده فيه، وهم بحبسه أو نفيه، فأرسل الوزير إلى زاويته ليسد بابها، وكان الشيخ خارج مصر، في المطرية هو والفقراء، فرجعوا فوجدوا الباب مسدوداً! فقال: الشيخ من سد هذا الباب؟ فقالوا: سده الوزير فلان بأمر السلطان. فقال: ونحن نسد أبواب بدنه وطيقانه، فعمى الوزير، وطرش، وخرس، وانسد أنفه عن خروج النفس، وقبله ودبره عن البول والغائط، فمات الوزير في الحال فبلغ ذلك السلطان، فنزل إليه، وصالحه" [الطبقات الكبرى287/1].

كما يذكر الشعراني عن الشيخ العارف بالله تعالى سيدي علي المحلي: "إذا أتاه فقير يستعين به في شيء من الدنيا يقول له: هات لي ما تقدر عليه من الرصاص، فإذا جاء به يقول له: ذوبه بالنار. فإذا أذابه يأخذ الشيخ بإصبعه شيئاً يسيراً من التراب ثم يقول: عليه باسم الله، ويحركه فإذا هو ذهب لوقته" [الطبقات الكبرى337/1].

يقول اليافعي في كتابه روض الرياحين: "العجب كل العجب ممن ينكر كرامات الأولياء، وقد جاءت في الآيات الكريمات، والأحاديث الصحيحات، والآثار المشهورات والحكايات المستفيضات، حتى بلغت في الكثرة مبلغاً يخرج عن الحصر" لم يعجب الشيخ من الكرامات الخارقة! بل يعجب بمن ينكرها! إنهم يحسبون أنفسهم الضالة أنبياء وليس أولياء، وليتهم أولياء الله! لكنهم أولياء الشيطان.



كل هذه السخافات والترهات التي ولدت في ظلام عقولهم الداكنة، وعشعشت فيها، يريدون منا أن نصدقها، وقد صدق أبو يعقوب يوسف بن الحسين الرازي بقوله: "إذا أردت أن تعرف العاقل من الأحمق فحدثه بالمحال؛ فإن قبله فاعلم أنه أحمق" [الطبقات الكبرى89/1]، نقول: صدقت والله يا شيخ!

من طريف ما ذكر حول فضائحهم: ما ذكره شيخهم أبو بكر الشبلي بقوله: "كل صِديق لا يكون له معجزة فهو كذاب! فلما دخل البيمارستان دخل الوزير، فقال: أين قولك كل صِديق بلا معجزة كذاب، فأين معجزتك أنت؟ فقال: معجزتي موافقة الله في أوامره، ونواهيه" [الطبقات الكبرى102/1]. **هل هذه معجزة أم تقوى يا شيخ؟**

ربما يحاججنا البعض بأننا تحدثنا عن الصفوية باعتبارها عقيدة واحدة، وهنا لا مجال للاعتراض، لكن الصوفية ينتمون إلى طرق مختلفة كالملوية والشاذلية والقادرية والتيجانية وغيرها، وفي إعمامنا الكلام على جميع الفرق تجنٍ وظلم!

لعلهم محقين في ذلك!

ولكننا نرد على هذا القول بكلام شيوخهم وليس كلامنا، لغرض إنصاف الحقيقة وخدمتها ليس إلا. فقد ذكر قطبهم الأعظم الجنيد بن أحمد ويعتبر إمام الطائفة بأن "الصوفية أهل بيت واحد، ولا يدخل فيه غيرهم".

ويذكر ابن البنا السرقسطي:

مذاهب الناس على اختلاف * * * ومذاهب القوم على ائتلاف

[راجع الفتوحات الإلهية/101]

ويذكر الشيخ عبد القادر عيسى بأن الطريق واحدة وإن تعددت المناهج العملية، وتنوعت أساليب السير والسلوك، تبعاً للاجتهاد وتغير الزمان والمكان فأدى ذلك إلى تعدد الطرق، لكنها في حقيقتها وجوهرها واحدة.

إذنً برأت ذمتنا، والحمد لله.



5) الكهانة والسحر والتنجيم

السحر من أعمال الشيطان، وهذا متفق عليه بين العلماء.
وصفه ابن منظور بأنه: "صرف الشيء عن حقيقته إلى غيره" [لسان العرب348/3].
وذكر الإمام الأزهري بأن: "السحر عمل تقرب فيه الشيطان وبمعونة منه".
ويضيف الإمام القرطبي في تفسيره [ج272/2] بأن السحر "أصله التمويه بالحيل والتخاييل".
وفي عيون المعاني وصفه الغرنوي الحنفي بأنه "تعظيم الشياطين ليسهلوا للساحر ما عسر".
ويضيف راجي الأسمر: السحر "تعود معانيه اللغوية إلى الخفاء واللطافة، وإلى الخداع والتمويه والتلهية والتعليل، وإلى الصرف والاستمالة" [السحر حقيقته وأنواعه/7].
ويعرفه أحمد عطية بأنه: "تصوير الباطل بصورة الحق".
الخلاصة: حكموا عليه بأنه باطل وشيطاني، وحيل وخداع وتمويه، وهي جميعاً مؤثرات سلبية حتى لو كان الغرض منها الفائدة كما يتصور البغض.
حكم السحر في الإسلام واضح وليس فيه لبس، فقد وجهنا الباري بالتعوذ منه في سورة الفلق: **﴿وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ﴾** [الفلق:4].
وهناك العديد من الآيات والأحاديث التي تنهى عن السحر والكهانة باعتباره من الموبقات السبع، كما جاء في الحديث النبوي الشريف عن النبي صلى الله عليه وسلم عن الموبقات: **«الشرك بالله، والسحر، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم، والتولي يوم الزحف، وقذف المحصنات المؤمنات»**.
وعن الإمام مالك: "الساحر كافر، يقتل بالسحر ولا يستتاب، بل يتحتم قتله كالزنديق" [فتح الباري224/10].
روجت العقيدتان الصوفية والصفوية الكهانة والسحر والتنجيم بين أتباعها، والكهانة كما هو معرف تعني الادعاء بمعرفة بالغيب من خلال حركة الكواكب، أو رمي الحصى والطيرة والرمل، ويمارسها العرافون والكهنة عادة، وقد نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن الاتصال بهم: **«من أتى عرافاً فسأله عن شيء لم تقبل له صلاة أربعين ليلة»** [أخرجه مسلم]، وفي حديث آخر: **«من أتى كاهناً فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد»** [المصدر السابق].
مع هذا نجد العديد من الرسائل والكتب التي تتضمن طلاسماً سحرية وأرقاما وألغازاً لايعقلها رشيد في كتب المتصوفة الصفوية، تُنسب إلى شيوخهم وأئمتهم، بعضها يتعلق بالتنجيم كقرعة الإمام الصادق وقرعة ابن عربي، وبعضها بالجفر كجفر الإمام علي، وأخرى بالأوفاق ككتاب العزالي، والطلاسم كشمس المعارف الكبرى، والحرز والزايرجات والجنجلوتيات والطيرة.
يذكر ابن عربي عن بعض المتصوفة: "منهم الساحرون، والسحر صفة مذمومة، وحظ الأولياء منها ما أطلعهم الله عليه من حروف، وهو علم الأولياء، فيتعلمون ما أودع الله في الحروف والأسماء من الخواص العجيبة" [الفتوحات المكية201/3]، ثم يقلب رأيه في السحر رأساً على عقب بقوله: "السحر وإن كان مذموماً فهو محمود التقييد، وهو من باب الكرامات" مضيفاً: "اعلم يا بنيّ أن العبد المحقق



الصوفي إذا صفا وتحقق صار كعبة لجميع الأسرار الإلهية من كل حضرة وموقف، ويرد عليه في كل يوم جمعة ما دام في ذلك المقام ستمائة ألف سرّ ملكوتي، واحد منها إلهي، وخمسة أسرار ربانية، ليس لها في حضرة الكون مدخل" [مواقع النجوم ومطالع أهلة الأسرار لابن عربي].

من أشهر سحرة المتصوفة هو شيخ الطريقة البونية الشيخ أحمد بن علي البوني القرشي صاحب كتاب "منبع أصول الحكمة" و"شمس المعارف الكبرى".

كما يضيف نيكلسون الشيخ ذي النون بقوله: "كان من أصحاب الكيمياء والسحر، ولأن الإسلام حرم السحر؛ لذا فقد ألبسه جلباب الكرامات"، ويؤكد القشيري هذه الحقيقة في رسالته: "كان ذو النون يستخدم الأدعية السحرية، ونسب للإمام الغزالي مصنفات عديدة في السحر منها "الطب الروحاني"، "رسالة تنزيل الوفق المثلث" و"شرح الدعوة الجلجلوتية" و"مجربات الغزالي" و"مجموعة الرسائل للغزالي".

ويذكر الترمذي الملقب بالحكيم "إن الأولياء لهم علامات وعلوم، وأما ما يعرفونه من العلوم فهي "علم البدء، وعلم الميثاق، وعلم المقادير، وعلم الحروف، فهذه أصول الحكمة، وهي الحكمة العلمية، وإنما يظهر هذا العلم عن كبراء الأولياء ويقبله من له حظ في الولاية" [ختم الولاية للحكيم الترمذي/362].

من طلاسم الصوفية الواردة في أورادهم: "يا معشر الجن والإنس أن استطعتم أن تنفذوا من أقطار السماوات والأرض فانفذوا لا لا آلا إلا آلاؤك يالله. كدكد كردد كرده كرده ده ده الله رب العزة. طهور بدعق محببة صورة محببة سقاطيم أحوق ق أدم حم هاء أمين" [للمزيد راجع الطرق الصوفية في مصر/عامر النجار].

ويوصي الشاذلي أتباعه بحفظ طلسم "حزب البحر" وقراءته بعد العصر حصرياً، مدعياً أنه يتضمن اسم الله الأعظم وهو: "كهيعص كهيعص كهيعص انصرنا فإنك خير الناصرين. شاهت الوجوه شاهت الوجوه شاهت الوجوه. طس حمعسق مرج البحرين يلتقيان. بينهما برزخ لايبغيان حم حم حم حم حم حم حم وجاء النصر فعلينا لا ينصرون".

ومن الطريف أن الصفوية تفسر البرزخين "علي وفاطمة بينهما برزخ لا يبغيان، أي لايبغي "علي" على "فاطمة"، ولا تبغي فاطمة على علي. مع أنه بغى عليها عندما أراد الزواج من ابنة عدو رسول الله أبي جهل. ويخرج منهما اللؤلؤ والمرجان أي الحسن والحسين عليهم السلام" [بحار الأنوار للمجلسي].

ويردد الصوفيون الدعوة البرهتية وهي: "بسم الله الرحمن الرحيم وصلى على سيدنا برهتيه، تبتليه طارك، مزحل، برهشب، خوطر، قلينهود، برشا كطهير، بانموا شلخ، شماهير، شمها حيرحورب النور الأعلى عبطال، فلا إله إلا هو، رب العرش العظيم" [للمزيد راجع كتاب مجمع الاوراد الكبير/ للسيد محمد الحسن المرغيني].

ومن أورادهم التي تضمنها كتاب [الفيوضات الربانية والأوراد القادرية] هذا الطلسم العجيب: "يا الله بصعع، والباب بهبوب هبوب أو النور السام بسهسوب سهسوب ذي الفر الشامخ مطهطوب هطوب يالله يالله كهوب كهوب كهوب بي"، ومنها للتفريق من الفاسدين الذين تخشاهم "تأخذ أفراداً من شعير



حزام وتذكر هذه الكلمات عليه"هاطاش ماطاش هطاشنة ﴿وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾، وترميه من حيث لا يشعرون" [مجموعة الرسائل للغزالي/ 516].

وللحصول على العلم والحكمة والوجاهة والقبول عند الغير يكتب الحرز التالي ويحمل مع طالبه: "بيارِبخ بيروخ ويا نوخ برانيخ برخر يسمخ... إلى نهاية الحرز" [شرح الدعوة الجلجلوتية/ 18].

وذكر الغزالي عملاً لتفريق جماعة فاسدة تخافهم: "تأخذ أفراداً من شعير حزام وتقول عليه أربع مرات: ها طاش ما طاش هطاشه، وألقينا بينهم العداوة والبغضاء إلى يوم القيامة، وترميه من حيث لا يشعرون وتنظر ما يصنع الله" [سر العالمين65/2]. عليكم اللعنة وما شأن الله تعالى بالسحر ليصنع ما يسر الساحر وطالب السحر؟ أين أنتم مما جاء في سورة البقرة: ﴿وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلا يَنفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الآخِرَةِ مِنْ خَلاقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة:102].

كما يذكر الشيخ البوني: "تكتب هذه الأسماء في وسادة للمتباغضين من الزوجين، وهي أسماء أم موسى يوم الجمعة عند جلوس الإمام على المنبر، أو شرع في الآذان الأول، بالزعفران وماء الورد والطيب والقرنفل مفروكاً في ماء ورد، ثم اطوِ الكتاب وتصمغه بالغالية، وتجعل الكتابة في جوف الوسادة التي ينامان عليها فإنهما يتحابان، وهذا ما تكتب: طسوم، عيسوم، علوم، كلوم، حيوم، قيوم، ديوم" [شمس المعارف الكبرى/213].

أول من اشتهر من الشيعة بالسحر بعد الإمام علي صاحب كتاب الجفر الجامع والنور اللامع، هو جعفر الصادق صاحب كتابي "المدخل في علم الجفر والطلاسم" و"القرعة" الذي علم جابر بن حيان فنون السحر، بمعنى أن جعفر الصادق هو كبير سحرة الإمامية كما يروجون له وينسبون له من طلاسم وأحاجي. فقد ذكر الخوانساري عن جابر بن حيان بأن "من مؤلفاته علوم السر والجفر الجامع" [روضات الجنات وأحوال العلماء والسادات218/2].

ويذكر جابر بن حيان في رسائله: "بعدما سمعت كلام جعفر الصادق في الكيمياء والطلسم خررت ساجداً"، وعند الصفوية توجد آلاف الطلاسم السحرية [مختارات من رسائل جابر بن حيان/78].

ومنها ما جاء ذكره في بحار الأنوار عن الإمام الصادق: "إذا كانت لك حاجة إلى الله، وضقت بها ذرعًا، فصلّ ركعتين، فإ ذا سلّمت كبّر الله ثلاثًا، وسبّح تسبيح فاطمة ثمّ اسجد وقل مائة مرّة: يا مولاتي فاطمة أغيثيني. ثمّ ضع خدّك الأيمن على الأرض وقل مثل ذلك، ثمّ عد إلى السجود وقل ذلك مائة مرّة وعشر مرّات، واذكر حاجتك، فإنّ الله يقضيها"، كما يذكر الكليني: "أن الكواكب والنجوم لها تأثير في السعادة والشقاوة، وفي دخول الجنة والنار" [روضة الكافي210/8].

وعن أبي جعفر قال: "من نفرت به دابة، يقول يا عباد الله الصالحين أمسكوا علي رحمكم الله، يا نارفي ع ح ويا ه ا ه ح. فإن البر موكل به ارع ح والبحر موكل به ه و م ح"، وذكر ابن طاووس [في كتاب المعادات] حرزاً عجيباً ضد السهام نسبه المفتري إلى الإمام علي مشترطاً كتابته بالمِسك



والزعفران على جلد غزال وهو: "آهيا أدوناي. سوماه بع مالح. هملو حيم ساهويرا. أديالو اساماي ألوهي. الشهيا سر عارام أوراب. صفوات صوصو بواره لا" فإن كان للإمام علي هكذا حرز فلماذا لم يحميه من قاتله ابن ملجم؟ لاحظ كأن العبارات باللغة الصينية!

وفي كتاب "ضياء الصالحين"يوجد حرزان مهمان تكتبهما وتشدهما على ساقك فلا تعجز عن المشي: "يا اينكج يا كينكج يا نينكج" أو الآخر: "يا طيعوا علجح الذي يعفوا عن المدبري" ربما يفيدان في مراسيم عاشوراء بالمشي على الأقدام مئات الكيلومترات لزيارة الأئمة، وربما يفيدان في ما يسمى "ركضة طويريج".

أستحلفكم بالله! أليست قراءة القرآن الكريم أفضل من قراءة هذه الهرطقات؟ أليس الغرض منها كما يبدو للعقلاء أبعاد المسلم عن تلاوة الذكر الحكيم والأحاديث النبوية الشريفة، وإقحامه في متاهات وترهات وهرطقات لا يفقه الفرد منها شيئاً؟ لأنها أصلاً لا شيء! ومن السحرة الجدد هو مرجعهم محمد حسن صادق آل طعمة صاحب كتاب [مدينة الطلاسم والأشكال المكرمة النافعة].

وهذه بعض من الخرافات التي نسبوها للنبي صلى الله عليه وسلم.

ذكر عبد الكريم بن محمد بن المظفر السمعاني في كتابه أن جبرئيل نزل على النبي صلى الله عليه وسلم فرآه مغتماً فسأله عن غمه؟ فقال له: إن الحسنين أصابتهما عين. فقال له: يا محمد العين حق! فعوذهما بهذه العوذة: اللهم ياذا السلطان العظيم، والمن القديم، والوجه الكريم، ذا الكلمات التامات والدعوات المستجابات، عاف الحسن والحسين من أنفس الجن وأعين الإنس" [بحار الأنوار134/92].

وعن أبي بصير عن أبي عبدالله عليه السلام قال: رأت فاطمة عليها السلام في النوم كأن الحسن والحسين ذبحا أو قتلا فأحزنها ذلك، فأخبرت به رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا رؤيا فتمثلت بين يديه. قال: أنت أريت فاطمة هذا البلاء؟ قالت رؤيا: كلا! فقال: يا أصغاث! أنت أريت فاطمة هذا البلاد؟ قالت: نعم يارسول الله قال: فما أردت بذلك؟ قالت: أردت أن أحزنها، فقال لفاطمة: اسمعي ليس هذا بشيء" [بحار الأنوار100/43].



الباب الخامس

1) الرحلات المكوكية إلى السماء (العروج)

بلا شك أن دمج العقيدة الإسلامية مع عقائد أخرى كاليهودية والنصرانية والمجوسية والبوذية والزرادشتية والمانوية وأديان الهند القديمة والأفلاطونية الحديثة في بوتقة واحدة، سيتفاعل لينتج عقيدة هجينة تُفقد العقيدة الأصلية خواصها وجوهرها الأصلي. وتتبلور في أفكار جديدة بعيداً كل البعد عن الإسلام نفسه، وكذلك بقية الأديان التي تفاعلت معه. هكذا كان حال الصفوية والصوفية، فقد أخذتا من كل دين سماوي ووضعي ما يناسبهما من أفكار لينتجوا لنا عقيدة ممسوخة غير مستساغة. ومن يظن أن التلاقح بين العقائد السماوية والوضعية حالة صحية فإنه على وهم كبير، ربما التلاقح الحضاري والثقافي مهمان ومرغوب بهما، لكن التلاقح الديني لا يجوز البتة؛ لأن الإسلام هو خاتمة الأديان والنسخة الأخيرة المعدلة من الأديان السماوية التي تمحي ما قبلها. ومثال على ذلك: لو اشتريت نسخة من كتاب ما الطبعة الأولى، ونقح المؤلف كتابه وأصدر طبعة ثانية، ونقحه مرة أخرى وأصدر طبعة ثالثة، وهكذا دواليك، بلا شك ستكون الطبعة الأخيرة المهذبة هي الأنقى والأصح من الطبعات السابقة، فكيف سيكون الأمر مع كتاب الله تعالى الذي يعتبر مسخ لكل الديانات والعقائد السابقة؛ لأنه خاتمة الكتب السماوية، والذي حفظه الله تعالى بقدرته؟
اعتبر الصفويون مسألة عروج الأئمة إلى السماء واحدة من مميزات المذهب، ونسبوا لضحيتهم الدائمة جعفر الصادق الحديث: "ليس من شيعتنا من أنكر ثلاثة أشياء: المعراج والمساءلة في القبر والشفاعة" [أمالي الصدوق/177]. وهذا الصادق المزعوم هو ليس الإمام الصادق الذي نعرفه إنما هو شيطان حمل اسمه ووسوس لجماعته، تشير المصادر الصفوية ومنها تفسير القمي لـ"سورة النجم" بأن الإمام علي بن أبي طالب كان مع الرسول صلى الله عليه وسلم أثناء عروجه إلى السماء، فهو ينقل رواية كاذبة عن أبي بردة الأسلمي: "سمعت رسول الله يقول لعلي: إن الله أشهدك معي في سبعة مواطن. أولها ليلة أسري بي إلى السماء، حيث قال لي جبرائيل: أين أخوك؟ فقلت: خلفته ورائي: قال: ادع الله فليأتيك به، فدعوت الله" ويستمر في زعمه الكاذب "كانت الملائكة تسلم على محمد في كل سماء، وتسأل عن علي"، يبدو أن الملائكة لا تعرف أحوال علي! وإلا لماذا تسأل عنه؟
لكن المولى محسن الكاشاني [في علم اليقين في أصول الدين] يذكر بأن الإمام علياً لم يكن مع النبي صلى الله عليه وسلم في الرحلة السماوية! بل سألت الملائكة عن أحواله فقط وحيته! "سلمت الملائكة على محمد وقالت: يا محمد كيف أخوك؟ إذا انزلت فأقرأه السلام"، والغريب أن النبي صلى الله عليه وسلم يسألهم متعجباً: أفتعرفونه؟ فيجيبون: كيف لا نعرفه؟ وقد أخذ ميثاقك وميثاقه منا. حسناً! إذا كانت الملائكة تعرف كل شيء فلماذا تسأل النبي صلى الله عليه وسلم عن الإمام؟ كما أن المصادر الصفوية



تذكر بأن الملائكة تلتقي بالأئمة يومياً؛ فعلام تطلب من النبي صلى الله عليه وسلم نقل تحياتهم إلى الإمام؟ كما أن علياً ليس بأخ للنبي، وإنما ابن عمه وصهره! فهل تجهل الملائكة هذه المعلومة لتسأله عن أخيه؟

كما تذكر مصادرهم بأن النبي صلى الله عليه وسلم "عُرج به إلى السماء (120) مرة! ما من مرة إلا أوصي فيها بالولاية لعلي والأئمة، أكثر مما أوصاه الله بالفرائض" [الخصال لابن بابويه/60]، إنها محاولة سقيمة لتغليب عقيدة الإمامة على الفرائض الخمسة.

وقسموا عدد مرات عروج النبي على (10) فحصلوا على عدد مرات عروج الإمام علي! حيث ذكروا إيفاداته في [تفسير الفرات/67] "وفدت إلى ربي (12) مرة فعرفني نفسه وأعطاني مفاتيح الغيب"!

ومن أطرف ما رُوي في هذا الصدد: "أن مريم بنت عمران حضرت مع ألف وصيفة زواج أم الحسن العسكري من أبيه، مع إنها جارية تباع وتشترى! وأن المهدي لما نزل من بطن أمه نزل جاثياً على ركبتيه وعطس وحمد الله وصلى على النبي وآله وتكلم، ثم عرج به إلى السماء" [الغيبة للطوسي].

ونسب عميد الصفوية رجب البرسي للإمام القول: "أنا الذي أجوز السماوات السبع والأرضين السبع في طرفة عين" [مشارق أنوار اليقين في أسرار أمير المؤمنين].

واختلقوا هذه المحاورة بين ابن مسعود وفاطمة عندما سألها: أين بعلك؟ فأجابته: عرج به جبريل إلى السماء؛ لأن "نفراً من الملائكة تشاجروا، فسألوا حكماً من الآدميين. فأوحى الله تعالى إليهم أن تخيروا، فاختاروا علي بن أبي طالب" [بصائر الدرجات/213].

كأنك تقرأ عن أساطير الأغريق وليس عن تأريخ الإسلام، والغريب أنهم يستشهدون بابن مسعود في حكاياتهم الخرافية عن فاطمة، كأن ابن مسعود ملازم لها لا يبارحها!

وذكروا عن الإمام علي بن الحسين قال: "دخلت في أربعة عشر عالماً، كل عالم أكبر من الدنيا ثلاث مرات" [بصائر الدرجات الكبرى/320]، والطريف أن هذه العوالم تباينت بين مؤرخيهم فهي (12) عند أبي جعفر الصفار، و(14) عند الشيخ المفيد، ووصلت عند بعضهم آلاف العوالم!.

ويحدثنا الكليني بأن "موضع قبر الحسين روضة من رياض الجنة. ومنه معراج يعرج منه بأعمال زواره إلى السماء. ولا نبي في السماوات إلا ويسأل الله الإذن في زيارة قبره. فوج ينزل، فوج يعرج" [الكافي4/588]، يعني صار قبر الحسين قاعدة جوية للأنبياء هبوطاً وصعوداً! الغريب في الحديث أن الكليني أدخله في باب النوادر؟ فهل استسخفه أم ماذا؟ مع العلم أن كربلاء مدينة قذرة جداً، ولا تصلح أن تكون رياض في الدنيا، وليس جنة في الآخرة من باب أولى.

يروي هاشم البحراني عن الإمام علي رضي الله عنه أنه ركب السحاب فدارت به سبع أرضين [مدينة المعاجز1/542]، وأن جماعة يزيد بن معاوية أتوا إلى علي بن الحسين ليقتلوه، فوجدوه ركب السحاب [مدينة المعاجز4/256]. عجباً لمَ لمْ يركب الحسين السحاب وينفذ بجلده بدلاً من أن يطلب الرحمة من أعدائه؟ ألا يعلمون أن السحاب ليس سوى بخار لا يحمل زنبور؟!

وذكروا عن الإمام علي بأنه "ركب السحاب فطار" [تفسير فرات510]، وروي مرجعهم الطباطبائي بدون سند كالعادة "أن الله سخر لعلي السحاب، فكان يسير في الأرض شرقاً وغرباً" [تفسير



الميزان372/13 للطباطبائي]. حسناً إذا سُخر له السحاب فلماذا يسير ولا يطير؟ ثم ماذا استفاد من هذا التسخير الإلهي؟

كذلك حال المتصوفة: ومن الجير بالذكر أن المتصوف الفارسي أبو يزيد البسطامي كان أول من تحدث عن ظاهرة عروج الشيوخ إلى السماء التي استوحاها من عروج النبي صلى الله عليه وسلم، وقد وصف عروجه عبر السماء بطريقة مملة ومبتذلة للغاية، بل تعافها النفس ويزدرأها العقل، وربما استند المتصوفة على ما جاء في سورة الإسراء: **﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّه هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾** [الإسراء:1]، مدعين بأن ما ورد هو "عبده" وليس رسوله! أي يمكن أن يكون أيٍ من عبيده. وقد أشار الشعراني في كتابه الطبقات بأن معراج الصوفية، وخرقهم السماوات، ومكالمتهم الرب، ومخاطبته إياهم جائز شرعاً ونقلاً! وهو المنقول عن الشاذلي وابن عطاء ومحمد السنوسي وغيرهم. فقد ادعى العديد منهم بالعروج إلى السماء كالشيخ عبد الكريم الجيلي الذي زعم أنه التقى بالرسل والأنبياء والأولياء والفلاسفة وناقشهم في قضايا العلم والمعرفة ودونها في كتابه "الإنسان الكامل".

ويصف الشيخ إسماعيل بن عبد الله السوداني [في كتابه مشارق شموس الأنوار/135] مشاهداته الحسية في السماء السابعة حيث احتفل الرسل والأنبياء والملائكة بزيارته الميمونة! ويصف لقائه بالنبي إبراهيم عليه السلام، حيث وجده جالساً على منبر من نور أحمر، ومتكئ على نمارق من نور أخضر "سلمت عليه فرد السلام وأكرمني بالقيام، عرفني ورحب بي وبشرني ببلوغ مطلبي"، لكنه لم يفصح لنا عن مطلبه؟ وهل تحقيق مطلبه من اختصاص النبي إبراهيم؟

يحدثنا عبد الوهاب الشعراني عن معراج يزيد بن إبراهيم الدسوقي: "رأيت المشرقين والمغربين وما تحت النجوم وصافحت جبريل عليه السلام" [الطبقات الكبرى].

ويدعي الشيخ أحمد الفاروقي: "كثيراً ما كان يعرج بي فوق العرش، وأرتفع بمقدار ما بين مركز الأرض وبينه، واعلم أني كلما رغبت العروج تيسر ذلك لي" [المواهب السرمدية/ ص184]. الشيخ محظوظ حقاً! كلما رغب يُسر له كأنه عنده بطاقة سفر لا ينفذ مفعولها!

ونُسب للشيخ أحمد بن الجعد القول: "لا يكون الشيخ شيخاً حتى يمحو سيئات مريده من اللوح المحفوظ" أما كيف يتم ذلك؟ فهذا ما يوضحه الرفاعي عند حديثه عن الشيخ عثمان أبادي عند صعوده يومياً إلى ديوان الربوبية بغد غروب الشمس حيث "ينظر في ديوان ذريته فما يجد من سيئة يمحوها، ويكتب عوضها بلا معارضة" [قلادة الجوهر/193]. يعني أن الشيخ يمارس الغش المزدوج، يمحي السيئات من جهة، ويضع بدلاً عنها الحسنات! والملائكة مرتشون لأنهم لا يعارضون هذا العمل الذي يقوم به الشيخ الغشاش! هل نحن في الجنة أم في قاعة امتحان بلا مراقب؟

وهذا قطبهم الأعظم عبد القادر الكيلاني يزعم بأنه عُرج به إلى السماء مع النبي صلى الله عليه وسلم في ليلة الاسراء والمعراج، ويذكر أبو صالح سيدي عبد القادر الجيلي: "طرقتني مرة الأحوال حتى مت، وجاءوا بالكفن، والغاسل، وجعلوني على المغتسل ليغسلوني، ثم سري عني وقمت" [الطبقات الكبرى125/1].



وكذلك أحمد التيجاني - مؤسس الطريقة التيجانية - وأحمد هلال الحساني ونجم الدين كبري وأبو الحسن الخرقاني والنفزي الرندي والجيلي وعزيز الدين النسفي وصالح بن بأن ودفع الله الكاهلي وفتح الله القيرواني المرسي أبو العباس. ولكثرتهم سوف نستعرض بعضاً من النماذج.

أولها عروج الغيث الأعظم ابن عربي، ولندعه يصف لنا مشاهداته وتخاريفه:

"بينما أنا نائم وسر وجودي متهجد قائم جاءني رسول التوفيق، ليهديني سواء الطريق، ومعه براق الإخلاص، عليه لبد الفوز ولجام الإخلاص، فكشف عن سقف محلي، وأخذ في نقضي وحليّ، وشق صدري بسكين السكينة، وقيل لي: تأهب لارتقاء الرتبة المكينة، وأخرج قلبي في منديل، لآمن من التبديل، وألقى في طست الرضا، بموارد القضا، ورمى منه حظ الشيطان، وغسل بماء: أن عبادي ليس لك عليهم سلطان. ثم أتيت بالخمر واللبن، فشربت ميراث تمام اللبن، وتركت الخمر حذراً أن أكشف السر بالسكر. استفتح لي سماء الأجسام فرأيت سر روحانية آدم عليه السلام. فاستفتح الرسول الوضاح سماء الأرواح" [رسائل ابن عربي/18].

ومنها [ما جاء في كتاب الوصية الكبري لشيخ العروسية عبد السلام الفيتري] بأن الشيخ بوراس ذكر "في السماء السابعة شاهدت ربي وكلمته. وفوق العرش والكرسي قد ناداني وخاطبته. وما في اللوح المحفوظ من الآي والأمر والنهي قد حفظته. وبيدي باب الجنان قد فتحته ودخلته" فتح الشيخ باب الجنان بنفسه ودخل، بمعنى لا توجد مراسم لدخول الجنة. تاره بيده المفاتيح، وتارة بيد علي بن أبي طالب، وتارة بيد بقية الأئمة والشيوخ"، لقد ملأتم قلوبنا قيحاً وعقولنا صدءاً. رحمة بديننا الحنيف!

ويصف ابن البان عروجه إلى السماء: "أوقفني الحق على بساط الأسرار، وارتقيت إلى السماء الأولى ثم ارتقينا إلى السماء الثانية، ثم انتهينا إلى السماء السابعة وفيها ملك على كرسي من نور، وفي هذه السماء رضوان خازن الجنان، وأجمل الملائكة من جنده، وفيها إسرافيل رئيس عالم الجبروت، وهو الذي بشرني بالقرب والمنزلة الكريمة عند ربي، وبالسعادة في الآخرة والشفاعة في أمة محمد صلى الله عليه وسلم، وفي هذه السماء رأينا إبراهيم الخليل مسنداً إلى البيت المعمور. ثم انتهينا إلى سبعين حجاباً آخر، حتى انتهيت إلى آخر حجاب هناك، وإذا بكرسي من اللؤلؤ منصبة قوائمه من الجوهر والياقوت الأحمر والزبرجد الأخضر، فأخذ آخذ بيدي وأجلسني عليه، ثم نزّل عليّ شيء ودخل جوفي من حيث لا أعلم، فقال لي شيئاً في قلبي: ها قد أكرمك مولاك بالسكينة الربانية" [كتاب المواقف الإلهية لابن الباز/164]. لاحظ أنه ليس عروجاً، ولكن أفكار من أناس مرضى يعيشون الخيال ويحسبونه حقيقة.

يذكر ابن الفارض شاعرهم عن عروجه:

ومن أنا إياها إلى حيث لا إلى * * * عرجت وعطرت الوجود برجعتي

الشاعر مغرور جداً بحيث عطر الوجود بعودته الزكية.

وقال الشيخ محمد السروي: بينما أنا ذات يوم في منارة جامع فارسكور ليلة من الليالي إذ مر علي جماعة طيارة، فدعوني إلى مكة فطرت معهم، فحصل عندي عجب بحالي فسقطت في بحر دمياط،



فلولا كنت قريباً من البر وإلا كنت غرقت" [الطبقات الكبرى356/2]. جماعة طيارة مروا بالشيخ يعني طاقم وكابتن! لله درك يا شيخ!
قال الشيخ أكرم عصبان [في كتابه سياحة في التصوف الحضرمي] "لقد زعم صوفية حضرموت المعراج إلى السماء بل وإلى سدرة المنتهى بالتحديد إلى بعض أقطاب الطريقة، ونسبوا ذلك إلى رائد التصوف الفقيه المقدم محمد بن علي قوله كما في الجوهر الشفاف وشرح العينية: عرج بي إلى سدرة المنتهى سبع مرات، وفي رواية أخرى سبعاً وعشرين مرة، وفي رواية أخرى سبعين مرة" [الجوهر الشفاف79/1]. وترك الشيخ حرية الاختيار للقارئ الفاضل بأيهما يقنع!
وصل بهم الاستخفاف بعقولنا شأواً كبيراً، فقد ذكر الشيخ أحمد بن محمد الحبشي: "دابتي تعرف طرق السماء" [الكوكب الدري/6]! ويبدو أن دابة الشيخ لا تختلف عنه فكلاهما من صنف المتصوفة.
ويدعي إبراهيم الخواص: "رأيت شيخاً من أهل المعرفة عرج بعد سبعة عشر يوماً على سبب فى البرية، فنهاه شيخ كان معه، فأبى أن يقبل، فسقط ولم يرتفع عن حدود الأسباب" [طبقات الصوفية/86].
لكن هل مات الشيخ يا شيخ وفق حدود الأسباب؟
أما جذور هذه الرحلات السماوية، فيبدو أن الفرس وراءها أيضاً! تذكر آنا ماري شيمل بأن "الشعراء والفنانين الفرس والأتراك قاموا بأعمال فنية راقية لزخرفة جسدت رحلة المعراج، واستخدم الشعراء الفرس على مستوى راقٍ من الخيال، الرحلة على متن البراق والذيل الطاووسي! وتكاد أن لا تخلوا ملحمة فارسية منها" [الأبعاد الصوفية في الإسلام].
من الصعب تفسير وفهم معراج الأئمة والشيوخ للسماء؛ فإن كان المقصود بالجسد فالعلم والمنطق يفنده، وإن المقصود به عروج الروح فهذا ما لا يمكن إثباته والتحقق منه، وإن كانت رؤية فربما ربما يكون مبعثها الوسواس، والله أعلم.



2) معرفة اسم الله الأعظم

جاء في سورة الأعراف: ﴿وَلِلَّهِ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف:180].

من البديهي أن العقيدة التي تشكك بالذات المقدسة، والرسالة النبوية، وتفرغ الفرائض الإسلامية من معانيها الجوهرية، وتأخذ القشور وتترك اللب، وتشيع الخمول والكسل والتقاعس عن أداء فريضة الجهاد، وتبتدع شعائر ما أنزل الله بها من سلطان، وتجعل من الأوراد بديلاً عن القرآن، ومن كلام الشيوخ بديلاً عن الأحاديث النبوية، هكذا عقيدة لا يمكن أن تَمت للإسلام بصلة، بل إنها تناصبه العداء، حتى لو لم تسفر عن وجهها البشع، وتغطت بعباءة الدين؛ فهي تشكل عن سابق قصد وإصرار أحد أذرع الأخطبوط الشعوبي المعادي للعرب والإسلام، والذي لا يمل ولا يكلُ عن الركض وراء هدفه العدائي منذ أربعة عشر قرناً.

لقد جعل الشعوبيون والمتصوفة من اسم الله الأعظم مسألة ذات أبعاد غيبية لا يعرفها إلا هم! مع أن المسألة لا تستحق كل هذا الإعجاز! فأسماء الله الحسنى معروفة، وكلها بلا استثناء تمثل اسم الله الأعظم، كلمة الله بحد ذاتها هي الكلمة التي تغني عن بقية الإسماء وهي الأجمل مع أن جميع أسمائه الحسنى جميلة ومعبرة. قال الإمام الفاضل أبو عبد الله بن مندة: "فاسم الله معرفة ذاته، منع الله عز وجل خلقَه أن يتسمّى به أحدٌ من خلقه، أو يدعى باسمه إله من دونه، جعله أول الإيمان وعمود الإسلام، وكلمة الحق والإخلاص، ومخالفة الأضداد والإشراك فيه، يحتجز القائل من القتل، وبه تفتتح الفرائض وتنعقد الأيمان، ويُستعاذ من الشيطان، وباسمه يفتتح ويُختم الأشياء، تبارك اسمه ولا إله غيره" [كتاب التوحيد21/2]. وروى الحاكم عن أبي أمامة رضي الله عنه، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "اسم الله الأعظم الذي إذا دُعي به أجاب في ثلاث سور من القرآن، في البقرة، وآل عمران، وطه» [مستدرك الحاكم506/1]. كما روى أبو داود عن أسماء بنت يزيد قولها: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «**اسم الله الأعظم في هاتين الآيتين: ﴿وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾، وفاتحة آل عمران: ﴿الم الله لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الحَيُّ القَيُّومُ﴾**[أخرجه أبو داود/1496]. **وروى ابن حبان عن بريدة قال: سمع النبي صلى الله عليه وسلم رجلاً يقول: اللهمّ إنّي أسألك بأنّي أشهد أنّك أنت الله لا إله أنت الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لقد سأل الله باسمه الأعظم»!**

قال عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر: "لم يذكر السيوطي في كتابه الذي أفرده في ذلك والذي أسماه "الدر المنظم في الاسم الأعظم" سوى عشرين قولاً، وكثيرٌ منها ظاهرٌ ضعفُه، لعدم قيام دليلٍ صحيحٍ صريحٍ على صحته وثبوته. وبعض المتصوفة لهم في هذا الباب أباطيل كثيرةٌ لا يلتفت إلى شيءٍ منها، ويروون في ذلك أحاديثَ موضوعةً وآثارًا مخترعةً، وقصصاً منكرةً يخدعون بها عوام المسلمين ويغرون بها جهالهم، والواجب على كلِّ مسلم أن يكون في دينه على حيطة وحذر من الوقوع في إفك هؤلاء وباطلهم، فكم غرّ هؤلاء من عوام المسلمين، وكم خدعوا من جهالهم، وكم من



ضلال وشر وباطل انتشر بسببهم، والله المستعان. إن أشهر الأقوال في تعيين الاسم الأعظم وأولاها بالصواب وأقربها للأدلة هو أن اسم الله الأعظم هو "الله"، وإلى هذا القول ذهب جمعٌ كبيرٌ من أهل العلم" [فقه الأدعية والأذكار/153].

يدعي الصفويون أن الإمام علي بن أبي طالب والأئمة يعرفون اسم الله الأعظم! ونسبوا حديثاً كاذباً للرسول يقول فيه: "سألت جبرائيل عن الاسم الأعظم؟ فأجابني: عليك بآخر سورة الحشر فأكثر قرائتها" [كتاب ألف حرزوحرز لمحمد إبراهيم البرجوردي45/1]، بمعنى أن النبي صلى الله عليه وسلم يعرف النص وليس الاسم بالتحديد، ونسبوا لابن عباس رواية عن النبي صلى الله عليه وسلم: "الاسم الأعظم في آخر آيات سورة الحشر" [المصدر السابق]. لاحظ أنهم ينفون عن النبي صلى الله عليه وسلم معرفة الاسم بصورة دقيقة، في حين يدعون معرفته من قبل الأئمة والشيوخ! ونسبوا للإمام المفترى عليه الباقر القول: "اسم الله الأعظم اثنان وسبعون حرفاً، وبحرف واحد استطاع صاحب سليمان أن يجلب بلقيس وليس معه غير هذا الحرف. أما الأئمة فعندهم كل الاثنين والسبعين حرفاً، ولم يبق عند الله إلا حرف واحد فقط" [بحار الأنوار37/27]. لا توجد كلمة في اللغة العربية وأية لغة في العالم تتكون من (72) حرفاً. فأطول كلمة وردت في القرآن الكريم هي "فأسقيناكموه"، بينما أطول كلمة عربية مركبة هي "أفإستسقيناكموها" وتتكون من 15 حرفًا. و[Antidisestablishmentarianism] في اللغة الأنكليزية التي تعني فصل الدين عن الدولة. وأطول كلمة في لغات العالم "الماورية" اسم تل في نيوزلندا

Taumatawhakatangihangakoauauotamateaturipukakapikomaungahoronukupokaiwhenuakitanatahu.

ونسبوا للإمام الصادق القول: "إن عيسى ابن مريم أعطي حرفين، وأعطي موسى أربعة حروف، وأعطي إبراهيم ثمانية حروف، وأعطي نوح خمسة عشر حرفاً، وأعطي آدم خمسة وعشرين حرفاً، وأعطي محمد اثنين وسبعون حرفاً" لا نعرف مصدر هذه التخريفات، ومن أين يأتون بها؟ ومن وزع على الأنبياء هذه الحروف؟ ولماذا لا توجد نصوص قرآنية وأحاديث نبوية تشير إليها. وهل استطاع الإنسان لحد الآن فك رموز قليلة من الأحرف في القرآن الكريم مثل [كهيعص]؟ لاحظوا الحمقى كيف يفسروها.

الكاف: اسم كربلاء.

والهاء: هلاك العترة.

والياء: يزيد.

والعين: عطش الحسين.

والصاد: صبر الحسين

ونرد عليهم بطريقتهم الضالة؟ ـ مستغفرين الله ـ الغرض أن أي إنسان يمكنه أن يفسرها كما يرغب، ولكنها تبقى رموزاً إلهية حفظها الله تعالى ولم يفسرها حتى للنبي صلى الله عليه وسلم.

الكاف. كافي لغو.

الهاء: هتكتوا الحرمات.



الياء: يا كفار يا دجاجلة.
العين: عماكم الشيطان.
الصاد: صدكم واجب.
كما ذكر محمد بن عمر بن عبد العزيز الكشي حديثا للباقر: "عند أمير المؤمنين اسم الله الأعظم، لو تكلم به لأخذتهم الأرض"، ولا نفهم لماذا تأخذهم الأرض؟ وإلى أين تأخذهم؟ وكيف؟ وأين دور الله تعالى في هذا الأمر الذي يهدد مصير البشرية؟ وإن كان عنده الاسم فلماذا لم يستفد منه في حروبه ضد المسلمين؟!
ويذكر الخميني: "إن الإنسان مظهر اسم الله الأعظم الجامع لجميع مراتب الأسماء والصفات على نحو أحدية الجمع والعقل" [كتاب مصباح الهداية/121] سفسطة لا معنى لها. ويضيف السيد علي خان الشيرازي [في كتابه الكلمة الطيبة] بأن "اسم الله الأعظم يبدأ بكلمة "الله" وينتهي بكلمة (هو)" هل هي حزورة؟ الف لام لام هاء... هاء واو وتملأ الفراغات واحصل على اسم الله الأعظم! تستخفون بالله خالق الكون! يا ويلكم من عذابه!
ذكر ابن شهرآشوب "عن الحسن بن عليّ بن فضّال، عن داود بن أبي يزيد، عن بعض الأصحاب، عن عمر بن حنظلة قال: قلت لأبي جعفر عليه السّلام: إنّي أظنّ أن لي عندك منزلة. قال: أجل. قلت: فإن لي إليك حاجة! قال: وما هي؟ قلت: تعلّمني الاسم الأعظم. قال: وتُطيقه؟ قلت: نعم! قال: فادخل البيت! فدخلت. فوضع أبو جعفر عليه السّلام يده على الأرض فاظْلمّ البيت، فأُرعِدتْ فرائصي، فقال: ما تقول أُعلِّمُك؟ فقلت: لا! فرفع يده، فرجع البيت كما كان" [مناقب آل أبي طالب4/188]. عجباً! أن الله نور السماوات والأرض، وليس ظلام يعم المكان، الظلام في عقولكم وقلوبكم يا أعداء الإسلام!
كذلك يدعي عدد كبير من شيوخ الصوفية بأنهم يعرفون اسم الله الأعظم، ويعطون لهذه المعرفة أهمية كبيرة باعتبارها نقطة الانطلاق للكرامات التي يروجونها، ويساعدهم الاسم في التصرف بالكون على حد زعمهم. إنهم يضعون حدوداً حول تداول الاسم وضرورة إعطائه لمن يستأهل ويأخذون تعهداً منه أن لا يذيعه. وصنف الحكيم الترمذي العارفين باسم الله الأعظم صنفين من الشيوخ هم "المقربون والصديقون".
تذكر المستشرقة الألمانية آنا ماري شيمل: "لقد أصبح الأمل في اكتشاف اسم الله الأعظم مطمع المتصوفة لنيل أعلى درجات السعادة في الدنيا والآخرة" [الأبعاد الصوفية في الإسلام/ 33]**. وهذا صحيح كما سيتبين من النصوص التالية:**
فقد أورد أبو نعيم بأن كبير شيوخهم ويدعى إبراهيم بن أدهم يعرف اسم الله الأعظم وقد كشفه له شيخه داود البلخي. وقد سأله أحد الشيوخ عنه فأجابه "إنه لكبير على قلبي أن أنطق به" [حلية الأولياء10/44]. لكن في رواية أخرى يذكرها الهجويري عن إبراهيم بن أدهم نفسه يقول: "اتفق لي صحبة الخضر عليه السلام وعلمني اسم الله الأعظم" [كشف المحجوب/316] حيرونا في من علمه اسم الله الأعظم؟



وذكر أبو نعيم كذلك عن الشيخ يوسف بن الحسين قوله: "بلغني أن ذا النون يعلم اسم الله الأعظم، فخرجت قاصداً له" [حلية الأولياء 386/9]. وأضاف أبو نعيم بأن أبو يزيد البسطامي يعرف أيضاً اسم الله الأعظم [39/10].

كما أن القطب الأعظم ابن عربي يحدثنا عن المفعول السحري لهذا الاسم بقوله: "بالإسم الأعظم أحيا أبو يزيد البسطامي نملة. وأحيا ذو النون ابن المرأة الذي ابتلعه التمساح" [الفتوحات المكية329/3].

إحياء نملة! أهذا ما سعى إليه البسطامي؟ ولماذا أحياها؟ هل النملة متصوفة أيضاً؟

يذكر لنا الشعراني طريقة الحصول على هذا الاسم "منَّ الله تعالى عليَّ معرفتي باسم الله الأعظم الذي إذا دُعي به أجاب. ولا يطلع أحد عليه إلا عن طريق الكشف" [لطائف المنن/166]. إذن عن طريق الكشف فقط وليس عن طريق التعلم والتلقين! من الصادق منكم ومن الكاذب؟

أما الشيخ أحمد البوني فقد أدخلنا في متاهات غريبة، منها: أن تتلو الحروف(ب، أ، ج، و) في الثلث الأخير من الليل (6666) مرة بعدها تصلي ركعتين. ومن ثم تقرأ الآية الكريمة (70) مرة وهي: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾، ثم تستغفر الله (70) مرة، وتقرأ البسملة (786) مرة، ثم تصلي على النبي صلى الله عليه وسلم وآله وسلم (132) مرة. ثم تقول الله الجليل القديم الأولي (488) مرة. وبعد صلاة الصبح تستغفر الله (70) مرة، وتذكر البسملة (70) مرة، وتصلي على النبي (70) مرة. وأخيراً تذكر هذه الطلاسم التالية (70) مرة وهي: "اللهم أهلل بكمد جينج وكيل الله يامور شطيئاً يا طهوج يا مبطظروش أجب يا زهزيائيل وأنت يا أهدكيل بحق الهاء الدائرة اللهم يا من هو أحون قاف آدم حم هاء آمين"، كلام سخيف غير مفهوم، صادر عن مجذوب وليس عن شيخ يعرف الله حقاً. ولو أتيت بحاسوب معك، سوف تخطئ في الحساب أو العد!

ذكروا عن ثوبن بن إبراهيم الملقب "ذون النون" بأنه كان يعرف اسم الله الأعظم. وقد سأله أحد مريديه أن يعلمه أياه. فقال له: أرني أولاً اسمه الأصغر؟ [لواقح الأنوار للشعراني/144] حجة لطيفة للتهرب من الجواب.

ويذكر أبو الحسن الشاذلي بأنه كان يوماً جالساً عند شيخه "أبو مشيش" وفكر أن يسأله عن اسم الله الأعظم. وكان في حجر الشيخ طفله، فقام الطفل فجأة وطوق بيديه رقبة الشاذلي وقال له: يا أبا الحسن! لقد أردت أن تسأل الشيخ عن اسم الله الأعظم! ليس الشأن أن تسأل عن اسم الله الأعظم، إنما الشأن أن تكون أنت اسم الله الأعظم" [أبو الحسن الشاذلي لعبد الحليم محمود/25]، إنه الطفل المعجزة الذي ينافس المهدي المنتظر!

ومن الطرائف أن الشيخ محمد بهاء الدين العطار سأل شيخه عن اسم الله الأعظم؟ فجاوبه الشيخ بضربه حصاة! وهو يعني: إنك أنت اسم الله الأعظم. [النفحات الأقدسية/6]. يتلاعب السفهاء باسم الله كيفما شاءوا. ينطبق عليهم ما جاء في الذكر الحكيم: ﴿الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا﴾ [الأعراف:51].

نتساءل نحن بدورنا: هل الإنسان بحاجة إلى معرفة "اسم الله الأعظم"؟ ألا يكفينا اسم الله فقط؟ ألا تكيفنا الأسماء الحسنى؟ فعلامَ هذا اللغو الفارغ والادعاء الكاذب؟

يذكر الشعراني عن الشيخ سيدي الإمام أحمد أبو العباس المرسي: "كان رضي الله عنه أكثر ما يتكلم في مجالسه في العقل الأكبر، والاسم الأعظم، وشعبه الأربع، والأسماء والحروف، ودوائر الأولياء،



ومقامات الموقنين، والأملاك المقربين عند العرش، وعلوم الأسرار، وأمداد الأذكار، ويوم المقادير، وشأن التدبير، وعلم البدء، وعلم المشيئة وشأن القبضة، ورجال القبضة، وعلم الأفراد، وما سيكون يوم القيامة من أفعال الله تعالى مع عباده من حلمه، وإنعامه، وجوده، وانتقامه" [الطبقات الكبرى228/1]! هذا ليس رجلاً بل موسوعة تضم معلومات غيبية لم تتسير للنبي المصطفى صلى الله عليه وسلم لكنها تيسرت للدجاجلة!

كما ذكر إبراهيم ابن أدهم: "توجهت إلى مكة، فبينما أنا في البادية، إذا أنا برجل يسير، ليس معه إناءٌ، ولا زادٌ. فلما أَمْسَى، وصلّى المغربَ، حرَّكَ شفتيه، بكلامٍ لم أفْهَمه؛ فإذا أنا بإناءٍ، فيه طعامٌ، وإناءٍ فيه شرابٌ؛ فأكلتُ، وشربتُ. وكنتُ معه على هذا أيَّاماً؛ وعلمني "اسمَ الله الأعظَمَ"، ثم غاب عني، وبقيتُ وحدي. فبينما أنا مُستَوْحش من الوحدة، دعوتُ الله به؛ فإذا أنا بشخص آخِذٍ بحُجْزَتي؛ وقال: سَلْ تُعْطَهْ. فَراعَني قولُه. فقال: لا رَوْعَ عليك! ولا بَأْسَ عليك! أنا أخوك الخَضْر. إن أخي داود، علّمك "اسمَ الله الأعظم" فلا تَدْعُ به على أحد بينك وبينه شَحْنَاء، فتُهْلِكه هَلاكَ الدنيا والآخرة؛ ولكن ادْعُ الله أن يُشَجِّع به جُبْنَك، ويُقوّيَ به ضَعفَك، ويُؤْنِسَ به وَحْشتَك، ويجدِّدَ به، في كل ساعة، رَغبتَك. ثم انصرف وتركني" [طبقات الصوفية/27].

كما ذكر ابن حزم: "رأيت لرجلٍ منهم يعرف بابن شمعون كلاماً نصه: أن لله تعالى مائة اسم، وأن الموفي مائة هو ستة وثلاثون حرفاً ليس منها في حروف الهجاء شيء إلا واحد فقط، وبذلك الواحد يصل أهل المقامات إلى الحق" [الفصل في الملل والنحل226/4].

نختم الحديث بالرأي الحثيث لآية الله البرقعي: "أما هؤلاء الكذابون فلم يدركوا أن أسماء الله في اللغة العربية، وما ورد في الوحي إلا ثلاثي أو رباعي أو خماسي ولا يوجد أصلاً في العربية اسم أكثر من خمسة أحرف، وإذا زاد فيه حرف أو حرفان يقال له مزيد فيه، إذن الاسم الذي من ثلاثة وسبعين حرفاً اسم وهمي لا وجود له في الخارج. ثم حرف من اسم لا تعني ذلك الاسم، مثلاً خذوا حرف الألف من أحمد هل هذا الحرف هو ذلك الاسم أي معنى الاسم نفسه؟ قطعاً لا! إذن كيف أتى لنا هؤلاء الجهلة بعقائد مذهبية دون أن يفهموها، وصنعوا لنا إماماً من أوهامهم لا وجود له في السماء ولا في الأرض" [كسر الصنم/112].

الجدير بالإشارة أن الاسم الأعظم لله لا يحق لليهود أن يتلفظوا به إلا مرة واحدة في السنة وهو "يوم كبور"، وكانوا يستعيضون عنه بقية الأيام باسم آخر هو "أدوناي".



3) العرش الإلهي عند الصفويين والمتصوفة

جاء في سورة غافر: ﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ * رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُم وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ * وَقِهِمُ السَّيِّئَاتِ وَمَنْ تَقِ السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [غافر:7-9].

يغالي الصفويون في هذا الباب بقولهم: "إن الأئمة يجلسون يوم القيامة على العرش، وأنهم يعلمون ما كان وما يكون"، ووصف المجلسي الأئمة بأنهم: "حملة العرش والسفرة الكرام البررة، وأنهم الأئمة يذهبون إلى عرش الرحمن كل يوم جمعة ليطوفون به ويأخذون من العلوم ما شاؤوا" [بحار الأنوار26/88]. وزاد صاحب [مرآة الأنوار] بقوله: "الأئمة هم "الملائكة" أيضاً في بعض الآيات وخاصة حملة العرش"، ويذكر السيد هاشم البحراني: "من معاجز الأئمة كتابة أسمائهم على ساق العرش والحجب والشمس والقمر" [مدينة المعاجز41/1]، وقد وصل الإنسان للقمر وبان كذبهم.

وذكر الكليني عن الأئمة: "يأتيهم الملك في المنام واليقظة، وفي البيوت والمجالس، وأن الله أمدهم بخمسة أرواح منها روح القدس، وأنهم بروح القدس يعلمون ما تحت العرش، وما تحت الثرى" [أصول الكافي 272/1]! لكن هل يحتاج البشر إلى خمسة أرواح؟ يقال في الأمثال إن القط له سبعة أرواح.

ومن طريف ما ذكر عن العرش: جاء عن أبي عبد الله الصفوي: "من عطس ثم وضع يده على قصبة أنفه ثم قال: الحمد لله رب العالمين، الحمد لله حمداً كثيراً كما هو أهله، وصلى الله على محمد النبي الأمي وآله وسلم. خرج من منخره الأيسر طائر أصغر من الجراد وأكبر من الذباب حتى يسير تحت العرش يستغفر الله له إلى يوم القيامة" [الكافي 481/2].

طائر أصغر من الجراد وأكبر من الذباب يستغفر للبشر! أعطسوا أيها المؤمنون بطريقة أبي عبد الله! أخرجوا طيوركم لتسير إلى العرش مستغفرة لكم! لله درك يا أبا عبد الله على هذه الفرية التي نسبها الأوغاد لك! أين العلماء من هذا الطائر المستغفر؟

ونسبوا للإمام علي رضي الله عنه كلاماً كله شرك لا يمكن أن يعقله لبيب، أو أن يظن مجرد ظن أنه يصدر عن الإمام المفترى عليه من المهد إلى اللحد. فقد زعموا أن علياً خطب على منبر الكوفة يوماً، فقال: أيها الناس سلوني قبل أن تفقدوني سلوني عن طرق السموات، فإني أعرف بها مني بطرق الأرض، فقام رجل فقال: يا أمير المؤمنين، أين جبريل الآن؟ فقال علي: دعني أنظر، فنظر إلى فوق وإلى الأرض، ويمنة ويسرة، فقال: أنت جبريل. فطار الرجل من بين القوم وشق سقف المسجد بجناحه، فكبر الناس وقالوا: الله أكبر! يا أمير المؤمنين، من أين علمت أن هذا جبريل؟ فقال: إني لما نظرت إلى السماء بلغ نظري إلى فوق العرش والحجب، ولما نظرت إلى الأرض خرق بصري طباق الأرض إلى الثرى، ولما نظرت يمنة ويسرة، رأيت ما خلق، ولم أر جبريل في هذه المخلوقات



فعلمت أنه هو" [سلوني قبل أن تفقدوني للحكيمي45/1]. لاحظ نفس صفات شخصية سوبرمان الخيالية، حيث النظر الخارق.
ونسب حافظ رجب البرسي لعلي بن أبي طالب قوله: "أنا نور الأنوار. أنا حامل العرش مع الأبرار" [مشارق أنوار اليقين في أسرار أمير المؤمنين لرجب البرسي/170].
ونسبوا له كذلك القول: "أنا اللوح، أنا القلم، أنا العرش، أنا الكرسي" [شرح إحقاق الحق للسيد المرعشي].

حسناً! لنقارن ما ورد عن الإمام في أحاديث المتصوفة لنشهد تطابقا عجيباً.

روى الشعراني والرفاعي عن الإمام: "أنا جنب الله الذي فرطتم به، أنا القلم واللوح المحفوظ، أنا العرش والكرسي.
أما البهلوان الصفوي حسين الفهد فقد ذكر بأن "العرش بعظمته وبجلاله وبفيوضاته كلها مكرمة من أبي عبد الله الحسين؛ لأن العرش مخلوق والكرسي مخلوق. وليس هناك مخلوق أشرف من آل البيت" لا تعليق!
وذكر المجلسي عن أم سلمة الشيعية أنها قالت: "قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما أسري بي إلى السماء، نظرت فإذا مكتوب على العرش لا إله إلا الله، محمد رسول الله، أيدته بعلي، ونصرته بعلي ورأيت أنواراً، نور علي وفاطمه والحسن والحسين وعلي بن الحسين ومحمد بن علي وجعفر بن محمد وموسى بن جعفر وعلي بن موسى ومحمد بن علي وعلي بن محمد والحسن بن علي ورأيت نور الحجة يتلألأ من بينهم كأنه كوكب دري، فقلت: يا رب! من هذا؟ ومن هؤلاء؟ فنوديت: يا محمد! هذا نور علي وفاطمة، وهذا نور سبطيك الحسن والحسين، وهذا نور الأئمة بعدك من ولد الحسين مطهرون معصومون، وهذا الحجة الذى يملأ الدنيا قسطاً وعدلاً" [البحار175/3] لا نقول سوى اللعنة على من افترى على الرسول صلى الله عليه وسلم، وهنيئاً له مقعده في النار.
كما يذكر العياشي كيف يخر النبي صلى الله عليه وسلم ساجداً تحت العرش طالباً الشفاعة من الله ولكن بحياء، مع أنهم ينسبون الشفاعة إلى أئمتهم بلا حياء من الله: "إن الناس يأتون يوم الموقف رسول الله فيذهب فيخر ساجداً تحت العرش، فيقول الله: يا محمد ارفع رأسك! وقل يُسمع قولك! واشفع تشفع! وسَل تُعطه!" [تفسير العياشي310/2].
كالعادة افتروا على النبي صلى الله عليه وسلم بأحاديث مكذوبة ومفضوحة منها: "يا عليّ! أنت وشيعتك تطلبون في الموقف! وأنتم في الجنانِ تنعمون، يا عليّ! إن الملائكة والخزّان يشتاقونَ إليكم، وإن حملة العرش والملائكة المقربين ليخصونكم بالدعاء! ويسألون الله لمحبيكم، ويفرحونَ لمن قدم عليهم منكم، كما يفرح الأهل بالغائب القادم بعد طول الغيبة" [بحار الأنوار44/65].
ونسب الصدوق حديثاً مكذوب للنبي صلى الله عليه وسلم يقول فيه: "يا عليّ أنت وشيعتك على الحوض تسقون من أحببتم وتمنعون من كرهتم، وأنتم الآمنون يوم الفزع الأكبر في ظل العرش" [أمالي الصدوق/ 450].
ونسب الإمام الرضا حديثاً كاذباً للنبي صلى الله عليه وسلم قال فيه: "قال رسول الله صلّى الله عليه وآله: توضعُ يوم القيامة منابر حول العرش لشيعتي وشيعة أهل بيتي المخلصين في ولايتنا" [عيون أخبار الرضا60/2].



ولا أحد يجهل أن مفهوم الشيعة كحزب لعلي بن أبي طالب لم يكن موجوداً إلا بعد حربه مع معاوية، وهناك من يربطة بفتنة الإمام الحسين في كربلاء.

كذلك فبركوا قولاً لأنس بن مالك قال فيه: "قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أن الله تبارك وتعالى يبعث أناساً وجوههم من نور على كراسي من نور، عليهم ثياب من نور، في ظل العرش بمنـزلة الأنبياء وليسوا بالأنبياء، وبمنـزلة الشهداء وليسوا بالشهداء. فقال رجل: أنا منهم يا رسول الله؟ قال: لا، قال آخر: أنا منهم يا رسول الله؟ قال: لا، قيل: من هم يا رسول الله؟ فوضع يده على رأس عليّ عليه السلام وقال: هذا وشيعته" [بحار الأنوار 8/65].

العجيب! أن الإمام مالك له كتاب معروف هو الموطأ ولا يوجد فيه مثل هذا الهراء! فهل نسي مالك أن يدون هذا الحديث، وتذكره المجلسي بعد قرون؟

نستعرض الآن بعض ما يذكره الصوفية حول العرش:

وأولهم البسطامي الذي قال: "ضربت خيمتي بإزاء العرش" [اللمع/464]. يعني هو الأقرب للملائكة من غيره، ويذكر عن جيرانه الملائكة في كتابه الإنسان الكامل: "ثم استقبلني ملك يقال له: نيائيل، فمد يده وأقعدني على كرسي له موضوع على شاطئ بحر عجاج، ثم رأيت كأني عرجت إلى السماء السابعة، فإذا بمائة ألف صف من الملائكة استقبلني. كل صف مثل الثقلين ألف ألف مرة، مع كل ملك لواء من نور، تحت كل لواء ألف ألف ملك، طول كل ملك مسيرة خمسمائة عام، وكل على مقدمتهم ملك اسمه بريائيل، فسلموا علي بلسانهم ولغتهم، فرددت عليهم السلام بلسانهم فتعجبوا من ذلك، فإذا منادٍ ينادي: يا أبا يزيد! قف قف؛ فإنك قد وصلت إلى المنتهى" ولكن البسطامي في حديث آخر يذكر لنا: "أنا العرش والكرسي" [تذكرة الأولياء/ فريد الدين العطار/99]، وهو نفس الحديث المنسوب للإمام علي الذي سبق ذكره، فتزداد حيرتنا! المهم أضاف لنا البسطامي أسماء ملاكين جدد هما بريائيل ونيائيل، فهنيئاً لك يا بسطامي!

يذكر الشيخ عبد المحمود ابن الشيخ نور الدائم بأن سيدي أحمد بن محمد الفرغلي تحدث عن نفسه قائلاً: "كنت أمشي بين يدي الله تعالى تحت العرش، وقال لي كذا وقلت له كذا، فكذبه شخص من القضاة فدعا عليه بالخرس، فخرس القاضي حتى مات" [للمزيد راجع النصرة العلمية لأهل الطرق الصوفية/319]. يعني إما أن تصدق تخاريف الشيخ أو يخرسك!

كما نسب أبو طالب المكي حديثاً مكذوباً للرسول صلى الله عليه وسلم جاء فيه: "من صلى يوم السبت أربع ركعات، يقرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب مرة، وقل يا أيها الكافرون، ثلاث مرات، فإذا فرغ قرأ آية الكرسي، كتب الله له بكل حرف حجة وعمرة، ورفع له بكل حرف أجر سنة صيام نهارها وقيام ليلها، وأعطاه الله عز وجل بكل حرف ثواب شهيد، وكان تحت ظل عرش الله مع النبيين والشهداء" [قوت القلوب1/43]. ولم يرد هذا الحديث في الصحاح والسنن والمسانـد.

ونسب د. عبد الحليم محمود لأبي الحسن الشاذلي القول: "من عَبد الله باسمه الحيّ المحيي وأكثر منه، ولا حد لأكثره، شاهد حياة كل شيء ومحييه. ومن ذكر بهم جميعاً صعدت روحه إلى الملأ الأعلى، وصعدت روحه إلى العرش، ليكتب عند الله من الكاملين الصديقين" [أبو الحسن الشاذلي/614].



وقال الشيخ أفضل الدين: "لا يعطى أحد القطبية حتى يعرف جميع عوالم هذه العروش والكراسي والسموات والأرضين بأسمائهم وأنسابهم وأعمارهم وأعمالهم" [الأخلاق المتبولية للشعراني99/1].

ونُسب للشيخ الرفاعي مخاطباً الفقراء: "إن الشيخ عثمان السالم أبادي يصعد كل يوم عند غروب الشمس إلى ديوان الربوبية" [قلادة الجوهر/193].

كما يذكر أبو يزيد البسطامي: "غبت في الجبروت، وخضت بحار الملكوت وحجب اللاهوت، حتى ولت إلى العرش فإذا هو خالي"! يا للفاشل! قد خاب ظنك!

يستطرد المجذوب البسطامي بتخاريفه: "فرميت نفسي عليه قائلاً: سيدي أين طلبك؟ فكشف ورأيت أني أنا" ويسخر الشبلي من العرش والكرسي عندما أخذ كسرة من رغيف وأكلها قائلاً: أن نفسي تطلب مني كسرة رغيف، ولو التفت سري إلى العش والكرسي لاحترق" [اللمع/479].

ويذكر أحمد بن خضْرَوَيه: "القلوبُ جَوَّالةٌ: إما أن تجولَ حول العَرْش، وأما أن تَجولَ حول الحُشِّ" [طبقات الصوفية/43].

ويذكر الدباغ: "إني أرى السموات السبع والأرضين السبع، والعرش داخلة وسط ذاتي، وكذا ما فوق العرش من السبعين حجاباً" [الإبريز72/2].

وقال البسطامي: "لو أن العرش وما حواه مائة ألف مرة ألف مرة في زاوية من زوايا قلب العارف لما أحس به، فقلب العبد الخصوصي بيت الله، وموضع نظره، ومعدن علومه، وحضرة أسراره، ومهبط ملائكته، وخزانة أنواره، وكعبته المقصودة، وعرفاته المشهودة" [فصوص الحكم120/2].

الخاتمة مع أبي طالب المكي الذي حدثنا بأن صوفياً قال: "أدخلني في الفلك الأسفل، فدورني في الملكوت السفلي، فأراني الأرضين، وما تحتها إلى الثرى، ثم أدخلني في الفلك العلوي، فطوف بي في السماوات، وأراني ما فيها من الجنان إلى العرش، ثم أوقفني بين يديه، فقال لي: سلني أي شئ رأيت حتى أهبه لك، فقلت: يا سيدي ما رأيت شيئاً أستحسنه، فأسألك إياه" [قوت القلوب/103]. الشيخ لا يعجبه شيء في السماء ليطلبه! والمصيبة أنه لم يجد له مرشداً سياحياً في سياحته سوى الذات الإلهية المقدسة ـ استغفر الله العلي العظيم ـ يا ويل من يفتري على الله!



4) الاطلاع على اللوح المحفوظ

اللوح المحفوظ يقصد به العلم الإلهي، أي: المناط بالذات الإلهية المقدسة، ويسمى بأم الكتاب، أو خزينة علوم الله وأسراره، ويتضمن علم ما كان وما يكون وما سيكون.

العقيدتان تدعيان بأن الشيوخ والأئمة يعرفون اللوح المحفوظ، ويتصرفون به كيفما شاءوا.

فقد نقل الكوثري عن أبي حسن الشاذلي قوله: "أطلعني الله على اللوح المحفوظ" [كتاب إرغام المريد في شرح النظم العتيد]. لاحظ علاقة مباشرة مع الله تعالى بدون وسيط، وهذه حالة فريدة لم تحصل مع الأنبياء والرسل!

وعن أبي بكر العيدروس عندما تعسرت بأمه ولادته قال أبوه: هذا ولدي ما إن يُولد حتى يقرأ اللوح المحفوظ" [كتاب كنوز السعادة الأبدية]، حالة قريبة من المهدي المنتظر.

كما جاء في سيرة الشيخ إسماعيل الأنبابي بأنه: "كان مطلعاً على اللوح المحفوظ، يقول كذا وكذا فلا يخطيء" [للمزيد راجع كتب جامع كرامات الأولياء للنبهاني].

ونقل الشعراني في كتابه الطبقات قولاً عن الشيخ نفسه: "ما أخذت العهد على مريد حتى رأيت اسمه مكتوباً في اللوح المحفوظ"، وادعى ابن عربي بأنه يعرف ما في اللوح المحفوظ. كما ادعى الشعراني بأن "شيخه الخواص" يعلم ما في اللوح المحفوظ ساعة بساعة. وكذلك ادعى أحمد بن المبارك بأن شيخه "عبد العزيز الدباغ" يعلم ما في اللوح المحفوظ، وهو مكتوب بالسريانية.

يقول علي الجفري: "قالوا إن بعض الصالحين عَبَدَ الله في صومعته عبادة كثيرة كبيرة من بني إسرائيل وكان مجتهداً ليله ونهاره، ونظر جبريلُ عليه السلام فوجد الرجل شقياً في اللوح المحفوظ، فاستأذن من الله بعد أن تعجب من هذا الأمر أن يخبر الرجل! فأذن له الله فنزل، وقال: يا فلان! إني جبريل. فرد عليه السلام، قال: إني وجدت اسمك في اللوح المحفوظ فلان بن فلان شقي، فأحببت أن أخبرك ما دمت شقياً ستذهب إلى النار تمتع قليلاً بالدنيا بدل أن تضيع حياتك! قال: الحمد لله على ذلك، إنا لله وإنا إليه راجعون، لا حول ولا قوة إلا بالله العظيم، وعاد إلى عبادته لم ينقص مما سبق شيئاً. تعجب جبريل أكثر. ونزل قال: أنا قلت لك أنك شقي! قال: نعم إنا لله وإنا إليه راجعون، ولله المراد. قال: فما لك لازلت في عبادتك وإعراضك عن الدنيا وعدم التمتع بها؟ قال: يا هذا! خلقني وأمرني بعبادته ولم يُوكل إلي أكون شقياً أو سعيداً، مهمتي أن أعبده والأمر إليه بعد ذلك، فازداد تعجب جبريل فصعد ووجد في اللوح المحفوظ: سعيد سعيد سعيد ﴿**يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ**﴾ [الرعد:39]" [معالم السلوك للمرأة المسلمة/104]. كأنك تطالع الكوميديا الإلهية، وفيها الملاك يطلب من العبد أن يترك الآخرة ويتوجه للدنيا! إن كان هذا فعل الملاك فما هو فعل الشيطان؟ هل هو تبادل أدوار أم ماذا؟

كما ادعى بعض المتصوفة بأنهم هم أنفسهم اللوح المحفوظ! فقد ذكر أبو زيد البسطامي: "سبحاني سبحاني. أنا ربي الأعلى. أنا اللوح المحفوظ".



وذكروا عن الشيخ "جاكير الكردي" قوله: "ما أخذت العهد قط على مريد حتى رأيت اسمه مكتوباً في اللوح المحفوظ" [جامع النبهاني3/2].

وذكر السلجماسي مبيناً مراتب الأولياء الذين يحضرون الديوان الصوفي: "ليس كل من يحضر الديوان من الأولياء يقدر على النظر في اللوح المحفوظ، بل منهم من يقدر على النظر فيه، ومنهم من يتوجه إليه ببصيرته ويعرف ما فيه، ومنهم من لا يتوجه إليه لعلمه بأنه ليس من أهل النظر إليه، قال رضي الله عنه: كالهلال فإن رؤية الناس إليه مخالفة" [الإبريز/169].

كما قال أبو الحسن الشاذلي: "أطلعني الله على اللوح المحفوظ، فلولا التأدب مع جدي رسول الله، لقلت هذا سعيد وهذا شقي" [المواهب السرمدية/142]، مع أن النبي محمد صلى الله عليه وسلم لا يعرف مصيره في الآخرة، كما أشرنا سابقاً.

ويذكر الشعراني: "أجرى الله على يدي سيدي إسماعيل سيدي الإنبابي الكرامات، وكلمته البهائم، وكان يخبر أنه يرى اللوح المحفوظ، ويقول: يقع كذا، وكذا لفلان فيجيء الأمر كما قال: فأنكر عليه شخص من علماء المالكية، وأفتى بتعزيره فبلغ ذلك سيدي إسماعيل، فقال: ومما رأيته في اللوح المحفوظ أن هذا القاضي يغرق في بحر الفرات. فأرسله ملك مصر إلى ملك الإفرنج ليجادل القسيسين عندهم، فإنه وعد بإسلامه أن قطعهم عالم المسلمين بالحجة، فلم يجدوا في مصر أكثر كلاماً، ولا جدلاً من هذا القاضي، فأرسلوه فغرق في بحر الفرات" [الطبقات الكبرى193/1].

يبدو أن معلومات الشيخ الجغرافية هزيلة، الفرات نهر وليس بحراً! ولا توجد رابطة بحرية أو نهرية بين النيل والفرات! ثم كيف أرسله الملك المصري المجهول للإفرنج عن طريق الفرات؟

كما ذكروا بأن "الشيخ عبد القادر الجيلاني رأى شخصاً يطوف بالكعبة على رجل واحدة، فقال: من هذا الطائف على رجل في هذه الساعة؟ فقالت له: أمة من بغداد جئت أطوف بالبيت وتركت بنتي نائمة على الرجل الأخرى، فتعجب من كونها من بغداد ولم يعلم بها، فقال لها: أنا أتصفح اللوح المحفوظ كل يوم كذا كذا مرة وما رأيتك فيه! فقالت له: اللوح المحفوظ لك ولأمثالك وأما أنا فقبلك في أم الكتاب" [كنوز الساعة الأبدية/207].

ومنها ما ذكره أبو بكر العيدروس عن تعسر ولادته: "قال أبوه سيدنا عبد الله بن أبي بكر العيدروس: هذا ولدي لا يخرج حتى يقرأ اللوح المحفوظ، باقي معه أسطر يتمها ويخرج" [كنوز الساعة الأبدية/227].

يلاحظ أن معنى اللوح المحفوظ هو نفس ما ينطبق على جفر الأئمة باعتباره يتضمن معرفة ما كان وما يكون وما سيكون.

يدعي الصفويون كذلك بأن الأئمة مطلعين على اللوح المحفوظ. ونسبوا إلى جعفر بن محمد قوله: "قال الإمام علي: أعطيت تسعاً لم يعطها أحد قبلي سوى النبي، فعلمت المنايا والبلايا والأنساب وفصل الخطاب، ولقد نظرت في الملكوت بإذن ربي، فما غاب عني ما كان قبلي ولا ما يأتي بعدي" إذن كيف رضا الإمام بالتحكيم مع معاوية وهو يعرف مصير التحكيم؟ وكيف يندم على حروبه وسفك دماء مئات الآلاف من المسلمين، ويتمنى لو أنه مات قبل ذاك؟ ويذكر الشيخ غلام رضا بأن الذين



طهرهم الله يقصد الأئمة: "قادرون على الاطلاع على اللوح المحفوظ وحقائقه، وهي غيب السماوات والأرض" [راجع كتاب الرد على شبهات الوهابية/ غلام رضا كاردان].

وذكر الكليني على لسان الإمام علي: "إن عندنا الجفر، وما يدريهم ما الجفر؟ قال: قلت: وما الجفر؟ قال: وعاء من أدم فيه علم النبيين والوصيين، وعلم العلماء الذين مضوا من بني إسرائيل، وما يحدث بالليل والنهار، الأمر من بعد الأمر، والشيء بعد الشيء إلى يوم القيامة" [الكافي238/1].

كما يذكر ابن أبي الحديد الرافضي بيت الشعر في علي بن أبي طالب: "علام أسرار الغيوب ومن له خلق الزمان ودارت الأفلاك" [السبع العلويات/47].

تحدث ابن خلدون عن أصول هذا العلم المكذوب بقوله: "اعلم أن كتاب الجفر كان أصله أن هارون ابن سعيد العجلي وهو رأس الزيدية كان له كتاب يرويه عن جعفر الصادق، وكان مكتوباً عند جعفر في جلد ثور صغير؛ فرواه عنه هارون العجلي، وكتبه وسماه الجفر باسم الجلد الذي كتب فيه؛ لأن الجفر في اللغة هو الصغير، وصار هذا الاسم علماً على هذا الكتاب عندهم، وكان فيه تفسير القرآن وما في باطنه من غرائب المعاني مروية عن جعفر الصادق، وهذا الكتاب لم تتصل روايته ولا عرف عينه، وإنما يظهر منه شواذ من الكلمات لا يصحبها دليل، ولو صح السند إلى جعفر الصادق؛ لكان فيه نعم المستند من نفسه، أو من رجال قومه" [المقدمة/334].

كما ذكر صديق حسن خان: "هذا الكتاب لا تصح نسبته إلى علي ولا إلى جعفر الصادق، والذين نسبوه إليها من أجهل الناس بمعرفة المنقولات والأحاديث والآثار، والتمييز بين صحيحها وسقيمها، وعمدتهم في المنقولات التواريخ المنقطعة الإسناد، وكثير منها من وضع من عرف بالكذب والاختلاق، وغير خاف على طلبة العلم أن ما لا يعلم إلا من طريق النقل، لا يمكن الحكم بثبوته إلا بالرواية صحيحة السند، فإذا لم توجد؛ فلا يسوغ لنا شرعاً وعقلاً أن نقول بثبوته" [أبجد العلوم214/2].

ذكر السيد محمد رشيد رضا: "لا يعرف له سند إلى أمير المؤمنين، وليس على النافي دليل، وإنما يطلب الدليل من مدَّعي الشيء، ولا دليل لمدّعي هذا الجفر" [مجلة المنار60/4].



5) معرفة كل اللغات بما فيها لغة الحيوانات والجماد!

الإسلام دين واضح المعالم والمبادئ. ونحن كعرب لا نجد صعوبة في فهم القرآن الكريم والسنة النبوية؛ لأنهما كُتبا بلغتنا العربية الجميلة، وإذا استعصى علينا فهم كلمة لم تعد في التداول حالياً فبإمكاننا الرجوع إلى أحد التفاسير أو القواميس لفهمها، وأحياناً تُعرف الكلمة من سياق الجملة.
إن حجة الله تبارك على الإنسان هي العقل الذي بواسطته يمكن أن نميز بين الخير والشر، بين ما ينفعنا وبين ما يضرنا، بين ما يرضي الله وما يغضبه، وبين ما معقول ولا معقول، ولسنا بحاجة إلى من يصعب علينا الدين فيجعل له باطن وظاهر، ويربط من آياته عقداً يَصعب فكها، أو يحتكر لنفسه المعرفة بالآيات حصراً ويُخطئ غيره، أو يفسرها على مرامه بما يتوافق ورؤيته الشخصية وميوله وأهوائه، حتى كبار المفسرين نجدهم في قمة التواضع عندما يفسرون آية ما، فهم ينهون كلامهم بعبارة "والله أعلم"؛ لأن اليقين عند رب العالمين.
من القواسم المشتركة الطريفة بين العقيدتين، والتي تدخل في باب النوادر بما لا يسع دماغ البشر استيعابها إلا كطرائف وملح:
هي معرفة الأئمة والشيوخ بكل لغات البشرية، ولا يوجد دماغ بشري يستوعب لغات أكثر من عدد أصابع اليد بصورة متقنة، لا يوجد مليون لغة في العالم منذ فجر البشرية لحد الآن. اللغات العالمية بحدود (33) لغة يتحدث بها البشر كلغات رئيسة. ولا تزيد اللغات واللهجات المحلية في العالم عن (7000) ممن يتحدث بها ما لا يقل عن (1000) فرد. والعقل البشري محدود ولا يتحمل فوق طاقته، وللتبسيط كأن يُحمِل الفرد سيارة حمولة طن واحد بألف طن ويريدنا أن نصدق بأنها ستسير بشكل طبيعي ومتوازن.
والأطرف منه أن اللغات لم تقتصر على البشرية فحسب بل ضمت بين جوانحها لغات الحيوان بما فيها لغة البهائم البرية والطائرة والسابحة كالحيتان، وليتهم توقفوا عند هذا الحد من التخريف، بل تمادوا في ذلك بمعرفتهم لغة الجماد. وبلا شك أن الحديث مع الجماد يقتصر على المجاذيب وليس العقلاء.
يذكر المجلسي بأن: "من فضلهم [يقصد الأئمة] أنهم يعلمون منطق الطيور والبهائم وما كتب على جناح الهدهد" [بحار الأنوار261/27]، لماذا خصص الهدهد؛ فهل يحمل سبورة معه؟ وما الذي كُتب على جناح الهدهد؟ فقد درس العلماء حياة كل الحيوانات وشرحوها تشريحاً، ولم يجد أياً منهم كلمات على جناح الهدهد!
وعن الحسن بن علي بن النعمان عن يحيى بن زكريا عن عمرو الزيات عن محمد بن سماعة عن النضر بن شعيب عن محمد بن مسلم قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: "إنا علمنا منطق الطير وأوتينا من كل شيء"، هنا يتحدث الإمام عن منطق الطير فقط! ويروي الصفار عن جعفر بن الباقر أنه قال: "قال الحسن بن علي أن لله مدينتين، إحداهما بالمشرق، والأخرى بالمغرب، عليهما سوران من حديد، وعلى كل مدينة ألف ألف مصراع من ذهب، وفيها سبعون ألف ألف لغة، يتكلم كل لغة



بخلاف لغة صاحبه، وأنا أعرف جميع اللغات وما فيهما وما بينهما وما عليهما حجة غيري والحسين أخي" [كتاب بصائر الدرجات/ 359] لا نقول سوى لعن الله الكاذب! فقد اكتشفت الأرض كاملة وبدأوا باكتشاف الكواكب، ولم يعثروا على هاتين المدينتين الخياليتين، ولا على مليون مصراع من الذهب، ولا شعب له سبعون ألف ألف لغة! لكنه الدجل لا غيره، لعن الله من يفتري على الله.

كذلك يروي عن محمد الباقر قوله: "علمنا منطق الطير"، ونُسب للإمام علي القول: "علمنا منطق الطير وأوتينا من كل شيء، إن هذا لهو الفضل العظيم" [كتاب إثبات الوصية لأبو الحسن بن علي الهذلي/ 160]. وكذلك قوله: "أنا أعلم هماهم البهائم، ومنطق الطير" [مشارق أنوار اليقين في أسرار أمير المؤمنين لرجب البرسي/170]. هنا منطق الطير والبهائم أي لغة الحمير والبغال والدواب! وأيضاً: "لا يخفى عليهم كلام أحد من الناس ولا طير ولا بهيمة ولا شيء فيه الروح، فمن لم يكن هذه الخصال فيه فليس هو بإمام" [الكافي 225/1 كتاب الحجة]. لاحظ لقد أضاف الإمام علي شرطاً جديداً للإمامة وهو معرفة كل اللغات بما فيها لغة البهائم! وهذا الشرط يحتاج إلى بحث خاص لأنه العلماء لم يناقشوه سابقاً كشرط من شروط الإمامة.

وذكر الكليني: "عندهم صلوات الله عليهم كتب الأنبياء عليهم السلام يقرؤنها على اختلاف لغاتها" وأفرد الكليني باباً في الكافي سماه: "أنهم عليهم السلام يعلمون الألسن واللغات ويتكلمون بها"! وهذه بعض النماذج الطريفة المنسوبة للأئمة افتراءً. جاء في كافي الكليني [الحديث/18] بأن الإمام الهادي: "وضع حفنة من الرمل في فمه ثم مصه ورماه لأبي هاشم فوضعه هذا في فمه ولم يبرح مكانه فإذا به تعلم (73) لغة" تعلم بالمص! والمشكلة أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يكن يعرف العبرية مع كثرة اليهود في المدينة، وأوصى زيد بن ثابت أن يتعلم لغتهم" [كسر الصنم لأبي الفضل البرقعي/50].

عن أبي حمزة نصير الخادم قال: "سمعت أبا محمد غير مرة يكلم غلمانه بلغاتهم: تُركٍ ورومٍ وصقالبة. فأقبل علي فقال: إن الله تبارك وتعالى يعطيه [أي الإمام الحجة] اللغات ومعرفة الأنساب والحوادث" [الكافي 426/1].

ويشير قطب الدين الراوندي: "رُوي أن جماعة استأذنوا على أبي جعفر، وقالوا: فلمّا صرنا في الدهليز إذا قراءة سريانيّة بصوتٍ حسن، يقرأ ويبكي حتّى أبكى بعضنا وما نفهم ما يقول، فظننّا أن عنده بعضَ أهل الكتاب استقرأه. فلمّا انقطع الصوت دخَلْنا عليه فلم نَرَ عنده أحداً، قلنا: يا ابن رسول الله! لقد سمعنا قراءةً سريانيّة بصوتٍ حسن! قال: ذكرتُ مناجاة إليا [وفي نسخة: إلياس] فأبكَتْني" [الخرائج والجرائح286/1].

لاحظ النفاق يبكون دون أن يعرفوا معنى ما يقول! كما أن اسم إليا له شأن عندهم، فقد نسبوا للنبي صلى الله عليه وسلم أنه قال لعلي بأن اسمه مذكور في التوراة وإليا هو الاقرب لعلي.

ذكر رستم الطبري: "كان أبو جعفر محمّد بن علي الباقر عليه السّلام في طريق مكّة ومعه أبو أُميّة الأنصاريّ وهو زميله في محمله، فنظر إلى زوج ورشان في جانب المحمل معه، فرفع أبو أُميّة يدَه ليُنحّيَه، فقال له أبو جعفر: مهلاً؛ فإن هذا الطير جاء يستخفر بنا أهلَ البيت؛ لأنّ حيّةً تُؤذيه وتأكل فراخه كلَّ سنة، وقد دعوت الله له أن يدفع عنه، وقد فعل" [دلائل الإمامة/98]، لكن كيف عرف أن الله تعالى قد فعل؟



وذكر ابن شهرآشوب: "وروى الحضينيّ بإسناده عن محمّد بن مسلم الثقفيّ، عن أبي جعفر الباقر، قال محمّد بن مسلم: كنتُ عنده ذات يوم إذ وقع عليه ورشان وهَدَلا هديلَهما، فردّ عليهما أبو جعفر عليه السّلام بمِثله، فلمّا طارا على الحائط هدل الذَّكَر على الأُنثى، فردّ عليه أبو جعفر عليه السّلام هديلاً لا يعرفه الناس. ثمّ نهضا، فقلت: جُعلتُ فداك، ما قال هذا الطائر؟ قال: يا ابن مسلم، كلُّ شيءٍ خلَقَه الله مِن بهيمةٍ أو طائر وما فيه الروح، أسمعُ لنا وأطوع من بني آدم، أن هذا الورشان أتاني وشكا لي مِن زوجته، وقد كان ظنّ بها ظنَّ سوء، فحلَفتْ له فلم يقبل، فقالت له: بمَن ترضى؟ فقال: بمحمّد بن عليّ، فقال: رضيت. فأقبلا إلى فأخبراني بقصتهما، فسألتها عمّا ذكر، فحلفَتْ لي بالولاية أنّها ما خانَتْه، فصدّقتُها فنهيتُه عن تهمة زوجته، وأعلمته أنّه ظالمٌ لها؛ فإنّه ليس من بهيمةٍ ولا طائرٍ يحلف بولايتنا إلاّ أبَرّ، إلا بني آدم، فإنّه حلافٌ مهين، لا يعرفنا حقَّ معرفتنا إذا حلف بحقّنا كاذباً" [مناقب آل أبي طالب191/4]. عجباً! برأ الرحمن أم المسلمين وحبيبة رسول الله صلى الله عليه وسلم السيدة عائشة أم المؤمنين بآية البراءة والتطهير، ولم يبرئها أئمة وشيعة آل البيت، لكنهم يبرأون طيراً بحديث مثير للسخرية وليس للعجب! ألا لعنة الله على الظالمين.

وعن محمد بن علي بن عمر التنوخي: "رأيت محمد بن علي وهو يكلم ثوراً فحرك الثور رأسه. فقلت: لا. ولكن تأمر الثور أن يكلمك. فقال: عُلِّمْنَا مَنْطِقَ الطَّيْرِ، وَأُوتِينَا مِنْ كُلِّ شَئٍ. ثم قال للثور: قل لا إله إلا الله وحده لا شريك له، فقال! ثم مسح بكفه على رأسه" [نوادر المعجزات/181].

لكن هل كان محمد بن علي يتحدث بلغة الثور أم العكس؟ بمعنى هل هي اللغة العربية أم لغة الثيران التي تفاهما بها؟

كما جاء عن عبد الله بن محمد بن عبدالوهاب عن منصور بن عبدالله عن المنذر بن محمد عن الحسين بن محمد عن سليمان بن جعفر عن الرضا عن آبائه عن علي عليه السلام قال: "في جناح كل هدهد خلقه الله عزَّ وجلّ مكتوب بالسريانية: آل محمد خير البرية" معلومة رائعة فعلاً! لكن لم يتوصل لها علماء الأحياء بعد ولا العارفون باللغة السريانية لحد الآن! وربما أجداد ذلك الهدهد لا يشبهوا خلفهم الحالي فمحيت الكتابة من أجنحتهم! ولا نعرف ما موضوع الأئمة مع الهدهد دون غيره؟ ولماذا يتحدثون السريانية فقط! وهم يعرفون ملايين اللغات؟

لاحظ أن المتصوفة يخصون أحاديثهم أيضاً اللغة السريانية دون غيرها، ففي ديوانهم الأسطوري في غار حراء الذي يحضره في بعض الأحيان النبي صلى الله عليه وسلم والملائكة والجن وعدد من الأموات والأحياء تكون "لغة أهل الديوان هي السريانية"![الإبريز8/2].

وذكر الشعراني في ترجمة الشيخ إبراهيم الدسوقي بأنه "كان يتكلم بالعجمي والسرياني والعبراني والزنجي، وسائر لغات الطيور والوحوش" [طبقات الشعراني166/1].

عن الطالقاني عن الحسن بن علي العدوي عن حفص المقدسي عن عيسى بن إبراهيم عن أحمد بن حسان عن أبي صالح عن ابن عباس، أنه قال: "يا معاشر الناس! اعلموا أن الله تبارك وتعالى خَلَق خلقاً ليس هم من ذرية آدم يلعنون مبغضي أمير المؤمنين. فقيل له: ومن هذا الخلق؟ قال: القنابر، تقول في السحر: اللّهم العن مبغضي علي. اللهم أبغض من أبغضه وأحب من أحبه" عجباً! هل لآدم ذرية من غير البشر؟ ولماذا تلعن الحيوانات الإمام علي؟ ما الذي اقترفه بحقهم ليلعنوه؟ هل هم من



حزب معاوية أم من الخوارج؟ ونُسب للصادق بأنه كان يوماً جالساً مع رجل يذكرون عثمان بن عفان فإذا بوزغ يبقرم من فوق الحائط. فقال أبو جعفر: أتدري ماذا يقول؟ قال الرجل: لا. قال أبو جعفر يقول: "لتكفن عن عثمان أو لأسبن علي"؛ لذ اعتبر الصادق أن الوزغ رجس وسخ، وأوجب الغسل على من يقتله. [بصائر الدرجات/373]. أي أن هذا الحيوان المسكين عُد من أعداء آل البيت، فهو ناصبي أو أموي، وربما خارجي! ألا يخجلون من نسب هذه الشعوذات إلى الأئمة؟ هل هؤلاء أئمة أم دجاجلة لا يخشون الله ولا يخجلون من الناس ولا من أنفسهم؟

جاء في نفس الكتاب بأن ذئباً جاء من جبل إلى الإمام الباقر، ومدَ عنقه هامساً في أذنه بسر، فقال له الباقر: امض! فقد فعلت. فرحل الذئب مهرولاً فرحاً! فسأل الباقر أصحابه عما حدث؟ فأجاب: قال لي: يا ابن رسول الله! إن زوجتي في ذلك الجبل وقد تعسرت ولادتها، فادع الله أن يخلصها، ولا يسلط أحد من نسلي على أحد من شيعتك. فقلت له: فعلت! ولا نعرف كيف يميز الذئب ونسله أتباع الباقر عن غيرهم؟ ومن المعروف أن الذئب من الحيوانات التي لا تروض مطلقاً، فكيف يلتزم بعهده مع الإمام؟ وهل عسر ولادة الحيوانات من شئون الأئمة؟ ربما في قصة ليلى والذئب أنقذ فيها الصادق أيضاً ليلى من الذئب!

كما روى الإمام الحسن عن أبيه: بأنه كان يوماً بأرض قفر فرأى دراجاً، فقال: يادراج منذ كم أنت في هذه البرية؟ ومن أين مطعمك ومشربك؟ فقال: يا أمير المؤمنين! أنا في هذه البرية منذ مائة سنة، إذا جعت أصلي عليكم فأشبع، وإذا عطشت أدعو على ظالميكم فأروى"، طريقة جيدة، لماذا لا يجربها الشيعة عند الجوع والظمأ ويعلمونا النتيجة؟ وهل يعيش الدراج مائة عام؟ وهل يعيش في الصحراء؟

استعار المتصوفة هذه التخاريف، وأسبغوها على شيوخهم أيضاً، فقد جاء في ترجمة الشيخ محمد السروي [المكنى بأبي الحمائل] بأنه يتكلم العبرانية والسريانية والعجمية.

وذكر أيضاً في نفس الكتاب عن الشيخ الرفاعي بأنه "كان إذا لقي الكلاب والخنازير بدأهن بالسلام، وكان يقول لهم أحياناً: أنعموا صباحاً" كما يذكر الشيخ سيدي الإمام أحمد أبو العباس المرسي: "إذا كمل الرجل نطق بجميع اللغات، وعرف جميع الألسن إلهاماً من الله عز وجل" [الطبقات الكبرى228/1]. يذكر الشعراني عن الشيخ محمد السروي "كان يغلب عليه الحال فيتكلم بالألسن العبرانيه، والسريانية، والعجمية، وتارة يزغرت في الأفراح والأعراس كما تزغرت النساء" [الطبقات الكبرى355/2]. ويضيف الشعراني عن عبد الرحمن المجذوب: "كان ثلاثة أشهر يتكلم وثلاثة أشهر يسكت، وكان يتكلم بالسرياني" [الطبقات الكبرى371/2]. ربما الشيخ يؤمن بالمثل: "إذا كان الكلام من فضة فالسكوت من ذهب".

لاحظ كما قلنا بأن اللغة السريانية هي القاسم المشترك بين العقيدتين الصوفية والصفوية! وهم يتحدثون ملايين اللغات كما يزعمون، ولكنهم لا يحصون سوى خمسة منها.

يذكر الشيخ صاحب محمود المراكبي: "إذا سألت أي صوفي عن الأسماء السريانية المنتشرة في ورده الذي تلقاه عن شيخه، قال لك هي لغة الملائكة، وهو لا يعرف كغيره من الباطنية أن اللغة السريانية هي إحدى أهم اللهجات الآرامية التي تعد فرعاً من اللغات السامية، وهي لغة الآراميين، الذين سموا أنفسهم بالسريان، بعد اعتناقهم الدين المسيحي، وتنقسم السريانية تبعاً لانقسام الكنيسة



المسيحية، إلى سريانية شرقية، أي سريانية المسيحيين التابعين لتعاليم "نسطوريس" ويسمون بالنسطوريين، والفرع الآخر وهو الخاص بالسريانية الغربية، وهي: السريانية التابعة لتعاليم "يعقوب البردعي" ويسمون باليعاقبة. ولا نعرف كيف اعتقد الباطنيون أن لغة القرآن ليس فيها ما ينشدون من الأسرار حتى يبحثوا عنها في لغة النصارى، ومن ثم أضافوا إليها خصائص باطنية، ولم يكتفوا بإدخال المفردات العربية في قوالب لغوية آرامية التركيب في أورادهم البدعية، مثل: "ناسوت، رحموت، رهبوت، لاهوت، جبروت، روحاني، نفساني، جسماني، شعشعاني، وحدانية، فردانية" [عقائد الصوفية في ضوء الكتاب والسنة].

ويذكر عبد الرحمن بدوي: "الأسماء السريانية في زعمهم أسماء لله عز وجل، وتشتمل في اعتقادهم على أسرار عجيبة وخصائص باطنية، وهذه الأسماء لم يُسمِ الله بها نفسه، ولم ينزلها في كتابه، وبالتالي لم ينقلها أحد عن الله عز وجل نقلاً صحيحاً متواتراً، وليس في سنة رسول الله عليه الصلاة والسلام أنه ذكر الله عز وجل بأسماء غير عربية؛ فمن أين أتوا بها؟ ومن الذي دلهم عليها؟" [تاريخ التصوف الإسلامي].

وهم يدعون بأن المرسي كان يتكلم في سائر العلوم وكل اللغات والألسن، ويقول: "شاركنا الفقهاء فيما هم فيه ولم يشاركونا فيما نحن فيه"، وكان يقول وهو يمسك بلحيته: "لو علم علماء العراق والشام ما تحت هذه الشعرات لأتوها ولو على وجوههم" [دراسات في التصوف/245].

ويذكر القطب الغوث الشيخ عبدالسلام الأسمر الفيتوري الحازمي: "مما أنعم الله به علي أنه قد كلمتني الأطيار وجاءت إلى الأشجار والأحجار تمشى بلا واسطة. ومما أنعم الله به على رؤيتي للبارئ في منامي ألفي مرة، ومما أنعم الله به على مكالمتي مع الملائكة والجن والوحوش والهوام. ومما أنعم الله به على اجتماعي بأصحاب الكهف، ومكالمتي في سيدي عمران بألفاظ من حى ساحل حامد. ومما أنعم الله به على حفظي التوراة والإنجيل والزبور والفرقان والبخاري ومسلماً ومختصر خليل والرسالة والمدونة والعلوم الدينية التي كانت عند الخضر عليه السلام" [الأنوار السنية والمنن البهية].

وذكر أبو العباس أحمد بن مسروق: "كنت آوي إلى مسجد فيه سحرة يأوي إليها بلبلان فقد أحدهما صاحبه وبقي الآخر على غصن ثلاثة أيام لا ينزل، يرعى ولا يلتقط من الأرض شيئاً، فلما كان آخر اليوم الثالث مر به بلبل فصاح فذكره صاحبه فسقط عن الغصن ميتاً، في رواية كان عند الشيخ أربعة من التلامذة خروا موتى عند سماع هذه الحكاية رضي الله عنهم أجمعين" [الطبقات الكبرى92/1]. ولا نفهم المغزى من موتهم عند سماع القصة وقد سمعناها فلم نخر، بل ضحكنا منها!

اقرأ هذه الفبركة كأنها من قصص ألف ليلة وليلة: "اجتمع عند أبو صالح سيدي عبد القادر الجيلي جماعة من الفقراء، والفقهاء في مدرسة النظامية، فتكلم عليهم في القضاء والقدر، فبينما هو يتكلم إذا سقطت عليه حية من السقف، ففر منها كل من كان حاضراً عنده ولم يبق إلا هو، فدخلت الحية تحت ثيابه، ومرت على جسمه، وخرجت من طوقه، والتوت على عنقه، وهو مع ذلك لا يقطع كلامه، ولا غير جلسته ثم نزلت على الأرض، وقامت على ذنبها بين يديه فصوتت ثم كلمها بكلام ما فهمه أحد من الحاضرين ثم ذهبت فرجع الناس، وسألوه عما قالت فقال: قالت لي: لقد اختبرت



كثيراً من الأولياء، فلم أر مثل ثباتك. فقلت لها: وهل أنت إلا دويدة يحركك القضاء، والقدر الذي أتكلم فيه! قال الشيخ عبد القادر رضي الله عنه ثم إنها جاءتني بعد ذلك، وأنا أصلي ففتحت فمها موضع سجودي فلما أردت السجود دفعتها بيدي، وسجدت فالتفت على عنقي ثم دخلت من كمي. وخرجت من الكم الآخر ثم دخلت من طوقي ثم خرجت، فلما كان الغد دخلت خربة فرأيت شخصاً عيناه مشقوقتان طولاً فعلمت أنه جني. فقال لي: أنا الحية التي رأيتها البارحة، ولقد اختبرت كثيراً من الأولياء بما اختبرتك به فلم يثبت أحد منهم لي كثباتك، وكان منهم من اضطرب باطنه، وثبت ظاهره، ومنهم من اضطرب ظاهراً وباطناً، ورأيتك لم تضطرب ظاهراً ولا باطناً، وسألني أن يتوب على يدي فتوبته" [الطبقات الكبرى129/1]. هل عيون الجن طولاً وليست عرضاً! لله درك يا شيخ أفزعتنا!

هذه الطريفة الأخرى في تبليغ رسالة من شيخ إلى سحلية! يذكر الشعراني: "كان الشيخ محمد بن هارون إذا خرج من صلاة الجمعة تبعه أهل المدينة يشيعونه إلى داره فمر بصبي القراد، وهو جالس تحت حائطه يفلي خلقته من القمل، وهو ماد رجليه، فخطر في سر الشيخ أن هذا قليل الأدب يمد رجليه، ومثلي مار عليه، فسلب لوقته وفرت الناس عنه فرجع فلم يجد الصبي، فدار عليه في البلاد إلى أن وجده في رميلة، فلما نظر القراد الكبير إليه، وهو واقف وقد فرغوا قال له: تعال يا سيدي! الشيخ مثلك يخطر في خاطره أن له مقاماً أو قدراً، هذا الصبي سلبك حالك فله أن يمد رجله بحضرتك لكونه أقرب إلى الله منك، فقال: التوبة! فأرسله إلى سنهور المدينة، إلى الحائط التي كان يفلي ثوبه عندها، وقال له: نادِ السحلية التي هناك في الشق! وقل لها: إن قزمان طاب خاطره علي فردى علي حالي فخرجت ونفخت في وجهه فرد الله عليه حاله رضي الله عنه" [الطبقات الكبرى213/1]. قزمان يظن نفسه واحد من الأقزام السبعة!

قال الشيخ أبو مدين: "زرت الشيخ أبو يعزى المغربي مرة في الصحراء، وحوله الأسد، والوحوش، والطير تشاوره على أحوالها، وكان الوقت وقت غداء، فكان يقول لذلك الوحش: اذهب إلى مكان كذا وكذا فهناك قوتك، ويقول للطير مثل ذلك فتنقاد لأمره ثم قال: يا شعيب إن هذه الوحوش، والطيور أحبت جواري فتحملت ألم الجوع لأجلي" [الطبقات الكبرى138/1].

ويذكر الشعراني: "جاءت مرة يمامة فجلست على كتف سيدي ياقوت العرشي، وهو جالس في حلقة الفقراء، وأسرت إليه شيئاً في أذنه فقال: باسم الله، ونرسل معك أحداً من الفقراء! فقالت: ما يكفيني إلا أنت! فركب بغلته من الإسكندرية، وسافر إلى مصر العتيقة حتى دخل إلى جامع عمرو، فقال: اجمعوني على فلان المؤذن فأرسلوا وراءه فجاء، فقال له: هذه اليمامة أخبرتني بالإسكندرية أنك تذبح فراخها كلما تفرخ في المنارة. فقال: صدقت قد ذبحتهم مراراً، فقال: لا تعد! فقال: تبت إلى الله تعالى! ورجع الشيخ إلى الإسكندرية" [الطبقات الكبرى233/1]. عجباً لماذا لم يطوِ الشيخ الأرض بدلاً من الرحيل على بغلته هذه المسافة الطويلة؟ أو يطير كبقية الشيوخ!

ولم يَقصر الشعراني معرفة الشيوخ بلغة الإنس والطيور والوحوش وإنما لغة الجماد أيضاً! وهي اللغة التي لم يكتشفها العلم لحد الآن. فقد ذكر الشيخ عماد الدين الأموي بأن "العارفين بالله يفهمون كلام المخلوقين من الحيوانات والجمادات" [للمزيد راجع كتابحياة القلوب].



وليت الأمر توقف عند الإنس والحيوان والجماد بل لغة الجان أيضاً. فقد ذكر الشعراني بأن "الولي يعطيه الله تعالى معرفة سائر الألسن الخاصة بالإنس والجن، فلا يخفى عليه فهم كلام أحد منهم" [كتاب الأنوار المقدسية للشعراني115/2].
كذلك قوله: "كان العربي منهم إذا رغب أن يتكلم بالعجمية، أو العجمي منهم إذا أن يتكلم العربية، يتفل في فمه، فيصير يعرف تلك اللغة كأنها لغته الأصلية" [الطبقات الكبرى للشعراني157/1]. للتفال قوة سحرية مباركة عند الأئمة والشيوخ لم يتوصل علماء الطب إليها لحد الآن، يمكن تعلم اللغة الأجنبية ببصقة واحدة في الفم! ولم يحدد الشيخ فيما إذا كانت التفلة تعلم المحادثه فقط! أم القراءة والكتابة أيضاً؟ مع أن هناك بعض المتصوفة أميين لا يعرفون القراءة والكتابة، وهم أحوج من غيرهم للبصاق في أفواههم أو وجوههم. الرافضة أيضاً يستخدمون بصاق سادتهم لشفاء العلل وقضاء الحاجة.
يذكر الشيخ أحمد بن مبارك عن شيخه الدباغ "ما رأيت من يعرف السريانية وجميع اللغات لبني آدم والجن والملائكة والحيوانات مثله" [كتاب الإبريز/213].
ويذكر الكلاباذي: "أجمعوا الشيوخ على إثبات كرامات الأولياء، وإن كانت تدخل في باب المعجزات كالمشي على الماء وكلام البهائم" [التعرف لمذهب أهل التصوف/87]. إنه يقر بأنها معجزات وليس كرامات.
ويضيف عبد الكريم الجيلي:"كل واحد من الأفراد والأقطاب له التصرف في جميع المملكة الوجودية، ويعلم كل واحد منهم ما إختلج في الليل والنهار فضلا عن لغات الطيور" [الإنسان الكامل/122].
ويحدثنا عماد الدين الأموي: "إذا انكشفت الحجب عن القلب تجلى فيه شيء مما هو مستور في اللوح المحفوظ، ولمع في القلب من وراء ستر الغيب شيء من غرائب العلم. يشرف على الملكوت الأعظم، ويرى عجائبه، ويشاهد غرائبه، مثل اللوح، والقلم، واليمين الكاتبة، وملائكة الله تعالى يطوفون حول العرش يسبحون بحمد ربهم، وبالبيت المعمور، ويسبحونه ويقدسونه، ويفهم كلام المخلوقين من الحيوانات والجمادات" [كتاب حياة القلوب/261 على هامش قوت القلوب].
ويذكر الغوث محمد مهدي الصيادي الرفاعي في رسالته المضحكة العنوان والمضمون "برقمة البلبل" حديثه مع البلابل، حيث تعرف "البلبلان" عليه وقال أحدهما: إنه من آل الرسول وقد فهم لغتنا وعرف ما قلناه، وهو نائب الرسول الآن، وعالم الزمان. فقال البلبل الآخر: إذن تعال نتبرك به ونقبل قدميه! ولنترك حديث البلابل أو برقمتهما، على حد تعبير حفيد الرفاعي الأكبر! يذكر غوثهم الأعظم ابن عربي بأن "سماع نطق الجمادات على مراتب نطقها من الكرامات" [مواقع النجوم/75].
وينقل المنوفي الحسيني عن إبراهيم الدسوقي قوله: "الأولياء يطلعون على ما هو مكتوب على أوراق الشجر والماء والهواء وما في البر والبحر، وما هو مكتوب على صفحة قبة خيمة السماء، وما في جباه الإنس والجان، مما يقع لهم في الدنيا والآخرة"، والطريف في الأمر أنهم لم يكتفوا بهذا اللغو فحسب بل اخترعوا لغة غريبة، فقد كتب الشعراني رسالة لأحد مريديه نقتبس جزءا منها:



"بعد السلام. وإنني أحب الولد وباطني خلي من الحقد والحسد ولا بباطني شظاً ولا حريق لظى ولا لوي لظى ولا جوى من مضى ولا مضض غضا ولا نكص نضا ولا سقط نطا ولا نطب غضا ... ولا حفس عفس ولا خفض خنس ولا حولد كنس ولا عنس كنس ولاعسعس خدس ولا جيقل خندس ولا سطاريس ولا عيطافيس ولاهاطامرش ولاسطامريش ولا شوش أريش ولا ركاش قوش"، ولا نعرف هل فهم المريد المسكين معنى هذه الطلاسم؟ وهل أرسل رسالة جوابية للشيخ بنفس لغته التي تحسدها اللغتان المسمارية والهيروغليفية على غرابة رموزها؟ بالطبع ليس من الصعب على أي فرد أن يكتب مثل هذا اللغو، فهو رصف كلمات لا تعني شيئاً، جرب! سوف تبدع أكثر منهم.

ونود أن نختصر الكلام بما لا يقبل الشك، وهو: أن النبي محمد صلى الله عليه وسلم لم يكن يعرف اللغة العبرية وهو يعيش بين اليهود في المدينـــة. حيث خاطبه اليهود بكلمة "راعنا" ولم يفهم الرسول حينذاك قصدهم من الكلمة! فقد أرادوا الإساءة إليه من حيث لم يعرف. حتى نهى الله عن ذلك، كما جاء في سورة البقرة: **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انظُرْنَا وَاسْمَعُوا وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾** [البقرة:104].



6) الإسفاف وقلة الحياء

قال الشيخ أحمدُ بنُ عاصم: "من علامة قلة معرفة العبدِ بنفسِه هي قلةُ الحياء، وقِلَّةُ الخوف" [طبقات الصوفية/52].

إن ادعاء المراجع والشيوخ بأن نسبهم يرجع إلى النبي صلى الله عليه وسلم والأئمة حقاً كان ذلك أو باطلاً، يفترض أن يضفِ على شخصياتهم سلوكاً مشابهاً لسلوك النبي صلى الله عليه وسلم والعترة الطاهرة باعتبار أن لهم قدوة حسنة في السلف الصالح، ويقدمون أنفسهم كقدوة للناس كي يقتدوا بهم، لكن من خلال الاطلاع على سير الخلف نجد أنها تناقض تماماً سلوكية وأخلاقية السلف قولاً وفعلاً؛ فسلوكية الخلف منحرفة عن الطريق المستقيم انحرافاً خطيراً كما يتبين من النصوص القادمة.

الحياء جزء لا يتجزأ من الإيمان، ومن لا يستح من الله لا يستح من الناس، ولا تردعه قيم السماء والأرض، وقد جاء في القرآن الكريم: ﴿يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَارِي سَوْآتِكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ﴾ [الأعراف:26]، وجاء في الأحاديث النبوية الشريفة: **«لكل دين خلق، وخلق الإسلام الحياء»**، ويذكر حبر الأمة ابن عباس: "لباس التقوى الحياء" الذي فسره الجنيد بأنه: "رؤية النعم، والآلاء، ورؤية التقصير بينهما"، وقال عبيد بن عمر: "آثروا الحياء من الله على الحياء من الناس"، وفي الوقت الذي يدعي فيه المراجع والشيوخ الحياء، نجد أن سير بعضهم يشوبها المجون والسكر والعربدة والزنا واللواط، والابتزاز المغلف بالدين، الذي يساعدهم بالطبع على تحقيق مآربهم الدنيوية، ورفع مكانتهم الروحية والأدبية عند العوام من الناس، سيما الجهلة والسذج. مع اعتزازنا الكبير بمن تحلى منهم بالأخلاق الإسلامية، وكان فعلاً قدوة لغيره قولاً وفعلاً؛ فهؤلاء ليسوا بمتصوفة، وإنما أناس أتقياء لا يختلفوا عن بقية المؤمنين، وهم خارج نطاق موضوعنا، ونجني عليهم إذا أدخلناهم خانة المتصوفة.

مثلاً يذكر عن الشيخ إبراهيم الأعزب بأنه بلغ به الحياء من الله تعالى لمرتبة بحيث لم يرفع رأسه إلى السماء(40) سنة! [قلادة الجوهر/329]. ونحن لا نبغي مطلقاً الإساءة للمراجع والشيوخ بشكل عام، ولكل قاعدة شواذ كما قيل، ولكن الحقيقة فوق الجميع، ونستعين بما يؤكد حديثنا من مصادرهم الرئيسة، كي لا يحاججنا البعض معترضاً.

إن بعض المتصوفة يظهرون أنفسهم عراة أمام مريديهم وبقية الناس، وقد عددهم الشعراني ومنهم الشيخ العريان: "كان الشيخ إبراهيم العريان رضي الله عنه يطلع المنبر ويخطب عرياناً فيحصل للناس بسط عظيم" [طبقات الشعراني143/2]، وهذا العريان له مقام يُزار في سوريا، وضريح يتبرك به الناس؛ فكيف لايحصل بسط للناس وانشراح وهم يرون أكبر مشايخهم يخطب فيهم عرياناً كأننا في نادي العراة وليس في بيت الله؟ والمصيبة الأخرى للعارف الصوفي أنه "كان يخرج الريح بحضرة الأكابر، ثم يقول هذه ضرطة فلان ويحلف على ذلك، فيخجل ذلك الكبير منه" [للمزيد من هذه القبائح راجع جامع/ النبهاني412/1]. أي علاوة على خبث الشيخ وقبائحه وكذبه وافترائه على الآخرين، فإنه يقسم بالله كذباً. هل هذا شيخ أم زنديق وعاهر؟ ما الفرق بينه وبين جحا! ربما جحا أفضل منه لأنه لم



يدع نفسه شيخاً، ولم يحلف كذباً، ولم يعتدِ على الآخرين ويلفق لهم تهماً باطلة. وذكر الشعراني: "رأى السيد عبد القادر الجيلاني لمريده، أنه لا بد له أن يزني بامرأة سبعين مرة! فقال: يا رب! اجعلها في النوم فكان" [كذلك الطبقات الكبرى/281]. لماذا سبعين ألا يكفي مرة واحدة؟ أم هو إصرار على المنكر؟

كما ذكر الشعراني عن الشيخ شعبان المجذوب: "كان رضي الله عنه عرياناً لا يلبس إلا قطعة جلد أو بساط أو حصير أو لباد يغطي قبله ودبره فقط" [الطبقات الكبرى421/2]، كأنك تقرأ قصة روبنسون كروزو الذي عاش وحده في جزيرة نائية.

ويذكر الشعراني عن الشيخ العارف بالله تعالى سيدي أبو السعود الجارحي: "كان رضي الله عنه إذا غلب عليه الحال نزع ثيابه، وصار عرياناً ليس في وسطه شيء" [الطبقات الكبرى359/2]، تصرف مجذوب!

وكان الشاذلي يقول مفتخرًا بتلميذه أبو العباس المرسي وسلوكه المنحرف: "يأتي الأعرابي إليه يبول على ساقيه فيخرج من عنده عارفًا بالله" [دراسات في التصوف/245].

أختم!

هل معرفة الله تتم بالبول؟

يقول أبو سعيدٍ الخَرَّازَ: "رأيتُ إبليس فى النوم وهو يَمُرُّ عَنِّى ناحيةً. فقلت له: تعالى! فقال: أَيْشُ أعملُ بكم! أنتم طرحتُم من نُفوسِكم ما أُخادِع به الناسَ. قلتُ: ما هو؟ قال: الدنيا! فلما وَلّى عني التفتَ إلَي، وقال: غير أن لي فيكم لطيفة! قلتُ: ما هي؟ قال: صُحْبةُ الأحداثِ. قال أبو سعيد: وقَلَّ من يتخلَّص من هذا من الصوفية" [طبقات الصوفية/74].

وسئل أبو بكر الشبلي: ما الدنيا؟ فقال: قدر تغلي، وكنيف يملأ" [طبقات الصوفية/97].

كما نقل شيخ الإسلام ابن تيمية عن الشيخ عبد السلام وصفه لابن عربي: "إنه شيخ سوء، مقبوح كذاب، يقول بقدم العالم ولا يحرم فرجاً" [الفتاوى240/2].

وأباح الشيخ الصوفي محمد بن علي أبو جعفر الشلمغاني اللواط. وزعم أنه إيلاج نور الفاضل في المفضول، ولذا أباح أتباعه نساءهم له، طمعاً في إيلاج نوره فيهن. [راجع الكامل لابن الأثير241/6].

سبحان الله كيف يكون الناكح والمنكوح بالزنا فاضل ومفضول؟ ما الذي أبقيتموه لأفاضل الناس؟ وأين أنتم من حديث شيخكم أبو بكر ابن بزدانيار مستشهداً بقول بقول النبي صلى الله عليه وسلم: "إن الله لا يستحي من الحق، لا تأتوا النساء في أدبارهن" [الطبقات الكبرى114/1].

وقال ابن الفارض في التائية:

وخلع عذاري فيك فرضي وإن أبى اقـ * * * ترابي قومي والخلاعــــة سنتي
وليسوا بقومي ما استعابوا تهتكي * * * فأبدوا قلي واستحسنوا فيــك جفوتي
وأهلي في دين الهوى أهله وقد * * * رضوا لي عاري واستطابوا فضيحتي

وذكر أبو يعقوب يوسف بن الحسين الرازي: "نظرت في آفات الصوفية فرأيتها في معاشرة الأضداد والميل إلى النسوان" [الطبقات الكبرى50/1]. معاشرة الأضداد يعني به اللواط!



ونسبوا للشيخ أحمد الرفاعي القول: "أحب للمريد الجوع والعري والفقر والذل" [الطبقات للشعراني]، قد فهمنا الفقر والجوع يا شيخ فهماً من علامات الزهد حسب زعمكم! لكن لماذا الذل بدلاً من العزة، والعري بدلاً عن الحياء؟ هل هناك عاقل يتمنى للناس العري والذل؟ ألم ينصحنا الإسلام بأن نحب لغيرنا ما نحب لأنفسنا؟ أين أنتم من دين الله ومبادئه السمحاء، وجوهره الصافي.

كما نسبوا للجنيد أنه قال لرجل شكا له من الجوع والعري: "الجوع والعري من نِعم الله لا يرزقها إلا لعباده المقربين" [تذكرة الأولياء للعطار/189].

"هل هذه دعوة للانتساب إلى نوادي العراة؟ العري والذل لا يمكن قبولهما تحت أي مسوغ لأنهما يتعارضان مع القيم الإنسانية العليا، وليس مع التعاليم الإسلامية فحسب. سيما أنه ورد عن بعضهم بأنه عندما تشتد حالة السماع والرقص عندهم يقومون بخلع ملابسهم ويمزقونها قطعا صغيرة "الخرق" ويوزعونها على الناس ليتبركوا بها. كما تفعل بعض المطربات في الغرب! ويبرر الغزالي هذه الحالة الشاذة بقوله: "إن تمزيق الصوفية الثياب الجديدة بعد سكون الوجد والفراغ من السماع إلى قطع صغيرة وتوزيعها على القوم، اعلم أن ذلك مباح" [إحياء علوم الدين279/3]. كيف مباح يا شيخ؟ أهكذا يتم إحياء الدين؟ ولكن كيف سيكون الأمر بوجود نساء يحضرن حلقات الذكر وهن أمام شيوخ عراة؟

يبدو أن الإمام الغزالي مؤمن بتبرير ابن عربي الذي أشار إليه عبد الوهاب الدباغ: "قال محيي الدين العربي رضي الله عنه ومن شروط المريد أن يعتقد في شيخه أنه على شريعة من ربه ونبيه منه، ولا يزن أحواله بمسيرته، فقد تصدر من الشيخ صورة مذمومة في الظاهر ولكنها محمودة في الباطن، وهذه الحقيقة يجب التسليم بها. وكم من رجل بيده كأس خمر ورفعه إلى فيه، وقلبه الله في فيه عسلاً والناظر يراه شرب خمراً! وهو ما شرب إلا عسلاً، ومثل هذا كثير وقد رأينا من يجسد روحانيته على صورة ويقيمها في فعل من الأفعال ويراها الحاضرون على ذلك الفعل فيه. ولو رأيناه فلا يفعل كذا وهو عن ذلك الفعل بمعزل. وهذه كانت أحوال أبي عبدالله المصلي المعروف بقضيب البان وقد رأينا هذا مراراً في أشخاص" [الإبريز/202].

وكان الشيخ سرمد الفارسي- أصله يهودي ثم أسلم فيما بعد - يهيم على وجهه عارياً مبرراً عريه بقول الشِعر: "إنه ستر الخاطئين وألبس ... الطاهرين ثوب العري" ويذكر ميرزا الدهلوي عن الشيخ الشرياني القصوري بأنه "كان يتعرى، وقد تجرد عن الثياب حتى أدركه الموت" [ذكرة الأولياء103/4]. أي عاش عارياً، ومات عارياً!

ويبدو أن عورة الأولياء تجذب الملائكة! وعورة بقيةالخلف تنفرهم حسب ادعاء الدباغ: "إن غير الولي إذا انكشفت عورته، نفرت منه الملائكة الكرام، والمراد بالعورة: العورة الحسية، والعورة المعنوية التي تكون بذكر المجون وألفاظ السفه، وأما الولي، فإنها لا تنفر منه، إذا وقع له ذلك؛ لأنه إنما يفعله لغرض صحيح، فيترك ستر عورته لما هو أولى منه" [الإبريز43/2]. ما هو الغرض الصحيح يا ترى من كشف العورة؟

اقرأ هذا الكلام الفاحش كأنه منقول من كتاب رجوع الشيخ إلى صباه! روى محمد بن أحمد بن حنين عن الشيخ عبد العزيز الدباغ: "خلوت ذات ليلة بإحدى زوجاتي، وكانت مستلقية، فكنت أمازحها



حتى حصل مني النظر إلى عورتها قصداً وعمداً، فلما قدمت عليه للزيارة، وكان بيني وبينه مرحلتان، جعل يمازحني، حتى قال: ما تقولون أنتم أيها العلماء في النظر إلى عورة المرأة؟ فقلت له: ما قالت العلماء، فقال لي: وهل تفعله؟ فقلت: لا ـ نسياناً لما وقع مني ـ فقال: حتى في الليلة الفلانية"؟ [الإبريز1/84]. هل هناك رجل عنده قليل من الحياء يتكلم بهذه الطريقة الوقحة عن زوجته؟ أو يقبل من الغير أن يشير إلى فرج زوجته؟

كما يروي المريد علي بن عبد الله الصباغي بعضاً من كرامات شيخه عبد العزيز الصباغ: "أنه رضي الله عنه وصف لي زوجتي من رأسها إلى قدمها عضواً عضواً، ما ظهر منها وما خفي، وكانت كما وصفها رضي الله عنه، لم يزد ولم ينقص، حتى لو كلفت أنا بوصفها ما وصفتها كما وصف رضي الله عنه، فلو حضرت والله بين يديه ما زاد فيها معرفة، وكانت منه على مسيرة أربعة أيام، ولم يرها قط" [الإبريز1/94].

نقول للصباغي قرة عينك على غيرتك العالية! ومنها ما ذكره سيدي عبد الرحمن: "قصدت الشيخ للزيارة، فلما جلست بين يديه قال لي: أي شيء كنت تفعل ليلة الأحد؟ فقلت: وأي شيء يا سيدي؟ فقال: حيث كنت تجامع أهلك، وقد أجلست ولدك على الوسادة حيث أبى النوم، وحيث كان القنديل على الصندوق، أوما علمت أنّي حاضر معك" [الإبريز1/98]. الشيخ يشهد عملية جماع دون أن يوضح السبب! ودون أن يسأله سيدي عبد الرحمن عن سبب الفرجة على جماعه مع زوجته! أمر عجيب حقاً!

كما أشار شمس الأفلاكي عن مجلس سماع حضره جلال الدين الرومي: "فقد انْسَجَم بكُلِّيَّتِه في السماع انسجاماً خيف من روعته وجماله أن تدور السماء كجمل يرقص فتقع على الأرض، وبينا هو يدور ويرقص، وفي المجلس رجل اسمه سيد شرف الدين، جالس في ناحية ينتقد هو وآخرون من الموسوسين المشككين مريدي مولانا، إذا بمولانا قد التَفَتَ فجأة إليه قائلاً: يا أخا القحبة ألم تقرأ في كلام الله: ﴿أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا﴾ فولى الرجل هارباً ولزم بيته" [مناقب العارفين في أخبار جلال الدين الرومي1/402]. أي لسان بذيء يحمله الشيخ؟ وفي الكثير من أحاديثه يذكر الكلمة المستهجنة [أخا القحبة]! يبدو أن لسان الشيخ قد تعود عليها.

ويذكر أيضاً عن الشيخ علي أبو خودة: "كان رضي الله عنه يهوى العبيد السود والحبش، لم يزل عنده نحو العشر يلبسون الخود، لكل واحد منهم حمار يركبه، فكانوا هم جماعته في كل موضع ركب يركبون معه. وكان رضي الله عنه إذا رأى امرأة أو أمرد راوده عن نفسه، وحسس على مقعدته سواء كان ابن أمير أو ابن وزير، ولو كان بحضرة والده أو غيره، ولا يلتفت إلى الناس، ولا عليه من أحد" نترك التعليق للقارئ!

ويضيف عن شيخه: "أراد السفر في مركب قد انوسقت، ولم يبق فيها مكان لأحد، فقالوا للريس إن أخذت هذا غرقت المركب لأنه يفعل في العبيد الفاحشة! فأخرجه الريس من المركب فلما أخرجوه من المركب قال: يا مركب تسمري! فلم يقدر أحد يسيرها بريح، ولا بغيره، وطلع جميع من فيها، ولم تسر" [الطبقات الكبرى2/365].



وقال يوما للأشعري: احذر أن تنيكك أمك! فقلت: لعبد من عبيده ما معنى كلام الشيخ؟ قال: يحذرك أن يدخل حب الدنيا في قلبك لأن الدنيا هي أمك" [الطبقات الكبرى365/2]. لقد عبر العبد أفضل من الشيخ دون أن يستخدم كلمة قبيحة، ولكن الأعجب منه، أن العبد فهم المضمون ولكن الشيخ الشعراني تعسر عليه فهمه!

ويذكر الشعراني عن الشيخ أحمد السطيحة: "طلبته بنت بنفسها. فقال لها: البنات يا امرأة المكسح، وعايروها فدخل بها الشيخ، وأزال بكارتها، وساح الدم حتى ملأ ثيابها، ووضعوا ثوبها بالدم على رمح في الدار لينظره الناس" [الطبقات الكبرى366/2]. يبدو أن الشيخ تعامل معها كفريسة وليس زوجة صالحة فافترسها.

وجاء في ترجمة الشعراني عن الشيخ الشويمي: "كان [رض] يحسس بيده على النساء، فكن يشكون ذلك لسيدي مدين، فيقول لهن: حصل لكم الخير فلا تشوشوا! رضي الله عنه يلمس أعضاء النساء! لكن كيف يصفه رضى الله عنه؟ وعن ماذا رضي؟ وما أدراهم برضائه تعالى عن هذا الشيخ الفاسد؟

وللمردان أهمية كبيرة لدى المتصوفة فهم يعشقونهم عشق النساء، ذكر السلمي قول يوسف بن الحسين الرازي: "نظرت في آفات الخلف، فعرفت من أين أتوا، ورأيت آفة الصوفية في صحبة الأحداث، ومعاشرة الأضداد، وأرفاق النسوان" [طبقات الصوفية/190]، ويضيف: "كل ما رأيتموني أفعله، فافعلوه إلا صحبة الأحداث، فإنه أفتن الفتن" [المصدر السابق/189]. كذلك قوله: "عاهدت ربي أكثر من مائة مرة، ألا أصحب حدثاً، ففسخها علي حسن الخدود، وقوام القدود، وغنج العيون، وما سألني الله تعالى معهم عن معصية " [المصدر السابق/191]. وهل يحتاج الله تعالى لأن يسأله؟

ويضيف: "كان الشيخ عبيد مثقوب اللسان لكثرة ما ينطق به من الكلمات التي لا تأويل لها، وأخبرني بعض الثقات أنه كان مع الشيخ عبيد في مركب فوحلت، فلم يستطع أحد أن يزحزحها، فقال الشيخ عبيد: اربطوها في بيضتي [خصيتي] بحبل وأنا أنزل أسحبها، ففعلوا، فسحبها ببيضتهِ، حتى تخلصت من الوحل" [الطبقات الكبرى87/2]. عرفنا أن بعض الفتوات يستعرضون عضلاتهم المفتولة أما الخصية فعهدنا بها جديد.

ذكر عبد الوهاب الشعراني: "أنَّ سببَ حضوري مولد سيدي أحمد البدوي كلَّ سَنَةٍ أن شيخي العارف بالله تعالى محمد الشناوي رضي الله عنه! أحدَ أعيان بيته رحمه الله، قد كان أخذ عليَّ العهد في القبة تجاه وجه سيدي أحمد رضي الله عنه، وسلَّمني بيده، فخرجت اليد الشريفة من الضريح! وقبضت على يدي. وقال: يا سيدي يكون خاطرك عليه، واجعله تحت نظرك! فسمعتُ سيدي أحمد من القبر يقول: نعم. ولما دخلتُ بزوجتي فاطمة أم عبد الرحمن وهي بكرٌ، مكثتُ خمسةَ شهورٍ لم أقرب منها! فجاءني وأخذني وهي معي، وفرش لي فراشاً فوق ركن القبة التي على يسار الداخل، وطبخ لي الحلوى، ودعا الأحياء والأموات إليه! وقال: أزل بكارتها هنا! فكان الأمر تلك الليلة" [الطبقات الكبرى161/1]. ولكن لم يوضح لنا، هل انصرف الشيخ أم بقي يتفرج؟

حكى الشيخ نور الدين الشوني: "أن شخصاً كان مكارياً يحمل النساء من بنات الخطأ، وكان الناس يسبونه ويصفونه بالتعريض، وكان من أولياء الله تعالى لا يركب امرأة من بنات الخطأ، وتعود إلى الزنا أبداً" [جامع كرامات الأولياء327/2]. علاج غريب للزنا، يمارس الشيخ الزنا لغرض منع الزنا!



كما جاء في كتبهم: "ذكروا أن الحبيب أحمد بن محسن الهدار كان إذا رأى امرأة في الطريق قبصها في ثديها، والحكمة من ذلك أنه يخرج شهوة الزنا منها، فقال بعض السادة لزوجته: إن خليتي عمي أحمد يقبص ثديك فعلت بك وفعلت! فلما كانت في بعض الأيام أقبلت تلك المرأة تسير وزوجها يمشي في تلك الطريق فإذا الحبيب أحمد واصل إليها فأسرعت المشي وخبت خوفاً من الحبيب أحمد ومن زوجها، فخب الحبيب أحمد وراءها وقال لها: ما لك عذر من قبصة عمك أحمد وإن خبيتي؟ فلحقها وقبصها في ثديها وزوجها ينظر! وقال لها: تأتي بسبعة أولاد كلهم يركبون الخيل على رغم أنف زوجك" [كنوز السعادة الأبدية/23]. لاحظ أنه يتحدث عن زوجة وليس زانية ليخرج منها شهوة الزنا!

يبدو أن لبعض الشيوخ شهوة جنسية بهيمية يصعب عليهم كبحها، فقد وصفوا القطب الأعظم بأنه "كثير النكاح، ونكاحه لمجرد اللذة كنكاح أهل الجنة" [كتاب اليواقيت والجواهر79/3].

ورتبة الكمال عند المتصوفة تشبه المتعة عند الصفويين، حيث يسمح للأجنبي بوطأ المرأة حتى لو كانت متزوجة، وإذا اقشعر جسد زوجها يُعتبر عندئذٍ ناقص الايمان! [كتاب تلبيس إبليس لابن الجوزي] بمعنى ديوثة.

كما يذكر المتصوفة بأن "الزانية الفاجرة التي يرى الناس الولي بصحبتها تكون زوجته" [كتاب تفنيد الصوفية/ عبد الرحمن عبد الخالق].

وقال الإمام ابن حزم: "ادعت طائفة من الصوفية أن في أولياء الله تعالى من هو أفضل من جميع الأنبياء والرسل، وقالوا إن من بلغ الغاية القصوى من الولاية سقطت عنه الشرائع كلها من الصلاة والصيام والزكاة وغير ذلك. وحلت له المحرمات كلها من الزنا والخمر وغير ذلك، واستباحوا بهذا نساء غيرهم" [الملل والنحل لابن حزم 97/3].

والكارثة أن الشهوة المقدسة للشيوخ لا تقتصر على النساء والمردة بل البهائم أيضاً! هم أنفسهم يقصون علينا فضائحهم المخزية! منها:

دخل الشيخ الشبلي يوماً خربة لقضاء حاجته فوجد فيها حمارة، فراوده الشيطان عليها، عندئذٍ صاح الشيخ: يا مسلمون! يا مسلمون! إلحقوني وأخرجوا عني هذه الحمارة، فأنا أعرف ضعف نفسي" [جامع النبهاني261/1]، لاحظ لم يقل راودته نفسه المريضة بل الشيطان. هكذا هم العارفون بالله ضعفاء النفوس وتراودهم أنفسهم على حمارة! أهذه هي العبادة؟

وفي ترجمة الشيخ علي وحيش:"كان [رض] عنه له كرامات وخوارق، وكان إذا رأى شيخ بلد أو غيره، يُنزله من حماره، ويطلب منه أن يمسكه حتى يفعل بها" [طبقات الشعراني]. لا تعليق نتركه للقارئ الفاضل. قد لا يكون هناك حداً على نكاح البهيمة كما نقل عن ابن عباس: "ليس على من أتى البهيمة حد" [شرح مشكل الآثار للطحاوي/ سنن أبي داود والترمذي]، لكن يبقى هذا الفعل شاذاً بهيمياً سواء بحد أو بدون حد.

للأعضاء الذكرية نصيبها من كرامات الشيوخ! يحدثنا الشيخ إبراهيم الحداد عن كرامة عجيبة للشيخ علي العمري، فقد كان معه خادمه "محمد الدبوسي" ويبدو أن الخادم ارتكب هفوة ما أغضبت شيخه فأراد أن يؤدبه "أخذ الشيخ إحليله [ذكره] بيده الاثنتين من تحت إزاره، فطال طولاً عجيباً بحيث إنه رفعه على كتفه وهو زائد عنه، وصار يجلد به خادمه، والخادم يصرخ من الألم، فعل ذلك مرات ثم



تركه، وعاد إحليله إلى ما كانه عليه. رحمه الله ورضي عنه ما أكثر عجائبه وكراماته" [الجامع للنبهاني396/2]! ونحن نحمد الله أن عاد إحليل الشيخ إلى حجمه وإلا لأضطر الخادم أن يرفعه على كتفه ماشياً وراء سيده!

لا نعرف ما الغرض من هذا الحديث السفيه؟ وهل هناك كرامة ما تُستشف منه؟

وهناك أيضاً إحليل الشيخ عبد الكريم القاري وهو أشبه بمضخة تفريغ أو نزح السوائل! فقد تحداه الشيخ عبد الله سعيد الحلبي أن يشرب ماء البركة كله "فوضع الشيخ فمه في البركة فصار يشرب من فمه والماء يخرج من إحليله إلى أن فرغت البركة، وهي من أعظم كراماته" [جامع النبهاني221/2]. لاحظوا أنها من أعظم كراماته! أشبه بنافورات المياه في الساحات العامة.

والجنابة تدخل في مجال الكرامات أيضاً! فقد نُسب للشيخ عبد القادر الكيلاني بأن الخضر عليه السلام منعه من دخول بغداد بدعوى أنه لم يستلم أمراً بإدخاله! كأن الخضر من حرس الحدود ويتسلم أوامر من الخليفة لإدخال البشر. المهم طمأنه بالدخول لكن بعد مرور (7) سنوات. بعدها ناداه منادٍ أن يدخل وكانت ليلة ممطرة، فنام الشيخ قرب زاوية الشيخ حماد فأجنب "احتلم" وهنا اختلف الحكماء فمنهم من قال احتلم (17) مرة، وأخرى (40) مرة، وأخرى (70) مرة! [للمزيد راجع قلائد الجوهر وجامع كرامات الأولياء ج1]. هل هناك إنسان يحتلم في ليلة واحدة (70) مرة؟ وإذا افترضنا أنه نام مهموداً سبع ساعات فهذا يعني أن يحتلم (10) مرات في الساعة. أي كل ست دقائق مرة!

حتى النجاسات أدخلت عنوة في خانة الكرامات. حكى الشيخ الغزالي بأن الشيخ السري أستاذ الجنيد مرض ولم يعرف [العارفون بالله] طبيعة مرضه! ووصف لهم طبيب حاذق، فذهبوا إليه وأخذوا معهم عينة من بول الشيخ السري. تفحص الطبيب الحاذق البول وقال لهم: أراه بول عاشق! فرجعوا لشيخهم السري وأخبروه بنتيجة التحليل. فتبسم وقال: قاتله الله ما أبصره! فسأله الجنيد: هل تبان المحبة من البول؟ فأجاب الشيخ: نعم! [إحياء علوم الدين290/4].

السؤال: هل هذا إحياء أم قتل لعلوم الدين؟ لقد توصل العلم الحديث إلى معرفة مرض السكري والفايروس الكبدي وغيرها من الأمراض بعد عدة قرون من وفاة الطبيب الحاذق. لكنهم لحد الآن لم يتوصلوا إلى معرفة العشق من تحليل البول؟

لننظر إلى أسعد أيام واحد من كبار شيوخهم وهو "إبراهيم بن أدهم" كما يروي لنا اليافعي: "ما سررت بشيء كسروري يوم كنت جالساً، فجاء إنسان وبال علي"! لماذا بال على الشيخ؟ وما سر سعادته بالبول؟ أهو الشذوذ؟ أم ماذا؟ أليس البول من النجاسات أم هو من الطهارات في مذهب الصوفية؟ وهاكم نظرتهم لحياة الدنيا التي كرم الله تعالى بها الإنسان "الدنيا كالمرحاض الذي لا يطلبه المرء إلا في حالات الضرورة" [قوت القلوب للمكي244/1]. وأخرى"الدنيا مزبلة وحظيرة كلاب، والذي لا ينأى بنفسه عنها أحقر من الكلب؛ لأن الكلب يأخذ منها ما يحتاج ويمضي، لكن الإنسان الذي يحبها لا يتركها" [نفحات الأنس/65].

ومن كرامات الكنيف والعذرة "كان الشيخ علي الدويب يدخل بيت الخلاء لقضاء الحاجة مرة واحدة كل ثلاثة أشهر" [جامع النبهاني366/2]. عجباً هل جسم الشيخ يرشح الأكل والشرب عبر مسامات جسده؟ أم له عضو آخر يقوم مقام الدبر كالفم مثلاً؟ أم هو صاحب جسم هلامي؟ وهذا شيخ لا يختلف



طبعه عن طبع الصرصار في عشقه لبيت الخلاء! كان الشيخ أبو الخير الكليباني [رض] في أغلب أوقاته "واضعاً وجهه في حلق الخلاء في ميضأة جامع الحاكم، ويدخل الجامع بالكلاب" [الطبقات للشعراني143/2]. والشيخ نفسه أتاه مرة رجلاً وأخبره أن زوجته حامل واشتهت مامونية ساخنة، فتغوط الشيخ مامونية حارة وأعطاها للرجل! هذا ليس دبر بل مصنع حلويات! ويعظمون أهمية خدمتهم من قبل مريديهم حتى وصفوها بأنها "شرف حتى لو ظل المريد ينظف كنيف الجنيد ثلاثين سنة" [نفحات الأنس/222].

اقرأ هذه الطريقة التي وردت في ترجمة الشيخ محمد السروي، المكنى بأبي الحمائل "كان يزغرد في الأفراح والأعراس كما تزغرد النساء" تصور الشيخ الزاهد يخرج من صومعته المقدسة بلباسه الصوفي الخشن ويشاهد أمامه عرساً، فيبدأ بالزغاريد مثل النساء! ماذا أبقيتم للحمقى والسفهاء يا شيوخ؟

العلماء الصفويون لا يقلون رعونة وانحلالاً وفسقاً عن أقرانهم الصوفيين في كثير من المسائل، فنكاح الدبر له مكانة بارزة في فقههم! عن شيخ الطائفة الطوسي: سألت أبا الحسن الرضا عن إتيان الرجل المرأة في دبرها فقال: أحلتها آية من كتاب الله تعالى، قول لوط ﴿هَؤُلاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ﴾، وقد علم أنهم لا يريدون الفرج [الاستبصار3/ 243].

وعن أبي عبد الله قال في الرجل يأتي المرأة في دبرها وهي صائمة، قال: لا ينقض صومها وليس عليها غسل! [التهذيب للطوسي319/4].

وعن أبي عبد الله قال: "إذا أتى الرجل المرأة في دبرها فلم ينزل فلا غسل عليها، وإن أنزل فعليه الغسل، ولا غسل عليها" [الكافي47/3].

وهذا الخميني يبيح وطء الزوجة في الدبر، فيقول: "المشهور الأقوى جواز وطء الزوجة دبراً على كراهية شديدة"![تحرير الوسيلة/241 مسألة رقم 11].

ويحدثنا الكليني بأنه "يجوز التمتع مع الصبية البكر إذا بلغت تسع سنوات - أو سبعا على رواية - بشرط عدم الإدخال في الفرج كراهة العيب على أهلها" [انظر فروع الكافي]. بمعنى يجوز نكاحها من الدبر. هل هذا هو دين المصطفى؟!

ويذكر الإمام ابن حزم "من الإمامية من يجيز نكاح تسع نسوة، ومنهم من يحرم الكرنب؛ لأنه إنما نبت على دم الحسين ولم يكن قبل ذلك، وهذا في قلة الحياء قريب مما قبله" [الملل والنحل لابن حزم 74/3].

ومن فتاوى الخميني: "يجوز وطء الزوجة قبل إكمال تسع سنين، وأما سائر الاستمتاعات كاللمس بشهوة والضم والتفخيذ فلا بأس بها حتى في الرضيعة" وفي إجابته على سؤال برقم[784] حول جواز لمس العورة من وراء الثياب من الرجل لعورة رجل آخر، ومن المرأة لعورة أخرى، لمجرد اللعب والمزاح، مع فرض عدم إثارة الشهوة؟ كان جوابه: لا يحرم في الفرض![كتاب صراط النجاة 260/3].

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: "قامت امرأة شنيعة إلى أمير المؤمنين وهو على المنبر فقالت: هذا قاتل الأحبة، فغضب أمير المؤمنين منها فنظر إليها ملياً، ثم قال: كذبت يا جرية يا بذية يا سلسع



يا سلفع يا التي لا تحيض مثل النساء يا التي على شيء منها شيء بين مدلى" [الاختصاص/302].
الإمام يعيرها بأنها لا تحيض كبقية النساء مع أن زوجته فاطمة وبناته لا تحيض أيضاً! قال أبو جعفر: "لما ولدت فاطمة عليه السلام أوحى الله إلى ملك فأنطق به لسان محمد صلى الله عليه وسلم فسماها فاطمة، ثم قال: إني فطمتكِ بالعلم وفطمتكِ من الطمث" وأضاف قاسماً بالله تعالى: "والله لقد فطمها عن الطمث في الميثاق" [الكافي382/1].
صدق السيد محمد سيد كيلاني بقوله: "اعتاد بعض قدامى المؤرخين أن يسلكوا في كتابة تأريخ الصحابة مسلكاً عجيبًا، فتراهم يطمسون الحقائق طمساً غريباً، بإغراقهم في المدح والثناء بحق وغير حق" [أثر التشيع في الأدب العربي].
مثلما شهدنا عري الشيوخ نشهد عري الأئمة! فقد روى الشيخ الطوسي والنعماني عن الإمام الرضا ظهور المهدي بلا حياء: "إن من علامات ظهور المهدي أنه سيظهر عارياً أمام قرص الشمس" [حق اليقين لمحمد الباقر المجلسي/347]. وروى الصدوق بأن الباقر "كان يطلي عورته ويلف الإزار على الإحليل فيطلي غيره سائر بدنه" [جامع المقاصد للمحقق الكركي94/2]. وفي رواية أخرى: "كان الباقر يطلي عانته ثم يلف إزاره على طرف إحليله، ويدعو قيّم الحمام فيطلي سائر بدنه" [وسائل الشيعة378/1].
للبول والغائط مقاماً وكرامة كبيرة عند الصفويين، حيث يقوم مقام الفرائض وأعمال البر والتقوى، فيدخل المسلم الجنة بالغائط المقدس! وهذه فريدة لم نجدها في كل الديانات السماوية والأرضية وحتى عند الأقوام التي لم تصلها الحضارة بعد. حيث يذكرون: "ليس في بول الأئمة وغائطهم استخباث ولا نتن ولا قذارة، بل هما كالمسك الإذفر، بل من شرب بولهم وغائطهم ودمهم يحرم الله عليه النار واستوجب دخول الجنة" [أنوار الولاية لآية الله الآخوند ملا زين العابدين الكلبايكاني/440]. هنيئاً لكم هذا الأكل والشراب، كلوا واشربوا حتى تشبعوا!
وقال أبو جعفر: "للإمام عشر علامات: يولد مطهراً مختوناً، وإذا وقع على الأرض وقع على راحته رافعاً صوته بالشهادتين ولا يجنب، وتنام عينه ولا ينام قلبه، ولا يتثاءب ولا يتمطى، ويرى من خلفه كما يرى من أمامه، ونجوه ـ فساؤه وضراطه وغائطه، كريح المسك" [الكافي 319/1 كتاب الحجة ـ باب مواليد الأئمة]. إذن أكل الكنيف يدخل الجنة! هذه هي مكانة الإنسان وجنة الخلد عند الصفويين؟ لاحظ الكلمة وجوباً وليس جوازاً دخول الجنة! على كيفهم يضمنون الجنة لأتباعهم الحمقى والجهلة.
لكن هل اكتفوا بأكل الكنيف وشبعوا منه وارتوا ببول الأئمة؟
الجواب: كلا.
لم يكتفوا بذلك بل تمادوا جداً، ووصلت بهم الخسة إلى الطعن بسلوكية المصطفى صلى الله عليه وسلم وانحرافه! وهم بذلك لا يختلفون عن أعداء الإسلام الذي يصفون النبي صلى الله عليه وسلم بالشبق الجنسي؛ ففي أهم مراجعهم [بحار الأنوار للمجلسي] يورد عن حذيفة بأن النبي صلى الله عليه وسلم: "كان لا ينام حتى يقبل عرض وجنة فاطمة أو بين ثدييها"! وأخرى رواية عن آل البيت أنفسهم! عن جعفر بن محمد عليه السلام قال: "كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ينام حتى يضع



وجهه الكريم بين ثدي فاطمة" [بحار الأنوار للمجلسي78/43]. بربكم لو فعلها رجل مع ابنته البالغة بماذا يُوصف، فكيف برسول الله صلى الله عليه وسلم؟ هل يعقل هذا اللغو الفاحش؟

والأبشع منه ما قاله الشيخ الحوزوي علي غروي: "إن النبي صلى الله عليه وسلم لا بد أن يدخل فرجه النار لأنه وطئ بعض المشركات" يقصد أمهات المسلمين عائشة وحفصة [كشف الأسرار وتبرئة الأئمة الأطهار/24 للموسوي].

ويبدو من خلال ثقاتهم أن الأئمة كانوا يتحدثون أحاديث الجنس والفجور في مجالسهم الخاصة! فقد روى الكشي عن زرارة أنه قال: والله! لو حدثت بكل ما سمعته من أبي عبد الله، لانتفخت ذكور الرجال على الخشب" [رجال الكشي/132].

المصيبة الأخرى حتى الحيوانات المسكينة لم تَسلم من تخريفاتهم! ففي حديث عن مسخ الحيوان نسبوا للإمام أبو الحسن القول: "أما الفيل فإنه مُسخ لأنه كان ملكا زناءاً لوطياً، ومُسخ الدب لأنه كان ديوثاً، ومُسخت الأرنب لأنها كانت امرأة تخون زوجها، ولا تغتسل من حيض ولا جنابة" [علل الشرائع للشيخ الصدوق/199]. حسناً وإذا كان الرجل لوطيا والمرأة زانية بماذا يمسخون؟ أي هراء هذا ينسبونه للأئمة رضوان الله عليهم وهم منه براء! إنهم يدعون محبتهم ويسيئون لهم هكذا! فكيف بمن يكرهونهم حقا؟ هذا إن وجد غير الصفويين من يكرههم؟ وذا كان الفيل لوطياً! فلماذا صنع الباقر فيلاً لوطيا وركبه، ثم طار به فوق مكة كما تروي مصادرهم؟ أليس مخجلاً أن يمتطي الإمام ملكاً لوطياً ممسوخاً؟ ولماذا لم يصنع نسراً أو صقراً شريفاً غير لوطي؟

جاء في مخطوط "الإخبار بما صح في ضرب الحلق" من فضائل مروية عن سادة آل البيت آثار معتبرة وأخبار لسماحة السيد آية الله العظمى حسين شرف الدين ابن السيد ملا زاده رضا ابن السيد عبد الرحيم صدر الدين الموسوي الهاشمي ـ يتصل نسبه بالإمام موسى الكاظم [ع]: حدثني والدي قدس سره بإسناد موثق عن الحسين عليه السلام قال: "من وطئ دبراً ثم قال اللهم صل على محمد وآل محمد وعجّل فرجهم، كُتب له ثواب كل مؤمن من لدن آدم إلى قيام الساعة، وكتبه الله في ديوان الصديقين، وإن مات على ذلك ترّفق به ملك الموت، ورفعت روحه إلى عليين، وكان قبره روضة من رياض الجنة، وصرف الله عنه منكر ونكير، وأرسل الله إلى قبره سبعين ألف ملك يستغفرون له إلى أن تقوم الساعة".

هل هؤلاء الفجرة حقاً من أحفاد آل البيت؟ وهل يتحدث سيد شباب أهل الجنة بمثل هذا الحديث المسخ؟ معاذ الله لكن هذه هي السلع التي يروجونها في سوق الجهلة والحمقى فيأخذون بها، تاركين كلام الله ورسوله المصطفى وراءهم.

هناك المئات من هذه الأحاديث المقرفة التي تعافها النفس البشرية ولكننا آثرنا الاختصار المقصود لكي لا ننشر المزيد من غسيلنا الوسخ على مرأى الآخرين.



الباب السادس

1) أوهام الزهد

نود في البداية أن نوضح الفرق بين الزهد والفقر، فالزهد حالة طوعية ذاتية يختارها الإنسان بنفسه. أما الفقر فهو حالة موضوعية واضطرارية خارج خيارات الإنسان غالباً.

والزهد يعكس رغبة الإنسان في عدم تملك الأشياء، في حين الفقر يعكس الرغبة في تملك الأشياء مع عدم توفر السبل اللازمة لامتلاكها.

الزهد هو تخلي النفس عن الكماليات وتقليص حلقة الضروريات إلى أدنى حد ممكن. والفقر هو تمني النفس بتوسيع حلقة الضروريات وتجاوزها لتشمل الكماليات أيضاً. مع أن الاثنين يمثلان عبئاً على النفس البشرية وإرهاقها وقهرها وكبت الرغبات الطبيعية.

الزهد غالباً ما يتجسد بالجانب الروحي، والفقر يتجسد بالجانب المادي.

الزهد حالة مقبولة إذا كان يتوافق مع زهد الصحابة وخارج إطار المفهومين الصوفي والصفوي. فقد ذكرت العديد من الروايات عن زهد الخلفاء الراشدين والصحابة، ولكن زهدهم يختلف جذرياً عن زهد المتصوفة والصفويين بل يتعارض معها كما سيتبين من النصوص القادمة.

يذكر ابن الجوزي بأن "التصوف مذهب معروف يزيد عن الزهد. فالزهد لم يذمه أحد، وقد ذموا التصوف" يلاحظ أن الزهد لم يرد في القرآن الكريم إلا مرة واحدة في سورة يوسف حيث جاء: ﴿وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ﴾ [يوسف:20] [تلبيس إبليس/204]، ومعنى الزهد في الآية الكريمة لا علاقة له بمعنى الزهد الذي يدعيه غلاة المتصوفة، كالعزلة والجوع وهجر الزوجة والأولاد؛ فهو يعني في الآية الكريمة عازفين وغير راغبين فيه. وحتى زهد النبي صلى الله عليه وسلم والصحابة الأجلاء كان زهداً إيجابياً وليس سلبياً كزهد المتصوفة الذي فيه ضرر للنفس والأهل والأحبة؛ فللنفس حق على الإنسان وقد جاء في الذكر الحكيم: ﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الآخِرَةَ وَلا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا﴾ [القصص:77].

الزهد في مفهومه الإسلامي يتجلى في طرق عيش معظم الصحابة، وكيفية التعامل مع المال الخاص، وهذا ما يعترف به المتصوفة أنفسهم، حيث يذكر الشعراني عن الزبير بن العوام: "لما حضرته الوفاة كان عليه دين كثير، وليس له مال، فقالوا له: ما نفعل في دينك؟ فقال لأولاده: قولوا يا مولى الزبير اقضِ دينه! فقضاه الله تعالى عنه جميعه، وكان قدره ألف ألف ومائتي ألف" [الطبقات الكبرى1/19].

ويذكر عن سلمان الفارسي: "كان يكل من شغل يديه ويستظل بالفيء حيثما دار ولم يكن له بيت، وكان يعجن عن الخادم حين يرسلها في حاجة، ويقول: لا نجمع عليها عملين، وكان يعمل الخوص،



ويقول أشتري خوصاً بدرهم، فأعمله فأبيعه بثلاثة دراهم فأعيد درهماً فيه وأنفق درهماً على عيالي وأتصدق بدرهم، ولم يأكل من صدقات الناس، وكان الناس يسخرونه في حمل أمتعتهم لرثاثة حاله، فربما عرفوه فيريدون أن يحملوا عنه، فيقول: لا حتى أوصلكم إلى المنزل، وهو إذ ذاك أمير على المدائن".

وعن أبي ذر الغفاري: "كان يرى تحريم إدخال ما زاد على نفقة اليوم، وكان الرجل يدخل عليه، فيقلب بصره في بيته فلا يجد فيه شيئاً من أمتعة الدنيا رضي الله عنه" [الطبقات الكبرى21/1].

وعن أبي هريرة: "رفع يوماً على جاريته سوطاً، ثم قال: لولا خوف القصاص لأوجعتك، ولكن سأبيعك لمن يوفيني ثمنك، اذهبي فأنت حرة لوجه الله تعالى! وكان هو وامرأته وجاريته يقسمون الليل أثلاثاً، يصلي هذا ثم يوقظ هذا، ويصلي هذا ثم يوقظ هذا" [الطبقات الكبرى22/1].

وعن عمر بن عبد العزيز: "وكانت غلته خمسين ألف دينار، فلما ولي الخلافة صار ينفقها كل حين، حتى ما يبقى له غير قميص واحد لا يخلعه، حتى يتسخ، فإذا اتسخ غسله ومكث في البيت حتى يجف، وكانت زوجته فاطمة بنت عبد الملك كذلك؛ وضعت جميع مالها في بيت المال، فصارت كآحاد الناس" [الطبقات الكبرى30/1].

هذا هو الزهد الإسلامي بعينه لا زهد المتصوفة والأئمة.

يفرق زكي مبارك بين المتصوفة والزهاد بقوله: "الذين اكتفوا بحسن الخلق والزهد في الدنيا والتأدب بآداب الشرع، لُقبوا بالنساك والقراء والزهاد والعباد، والذين أقبلوا على دراسة النفوس وآفاتها، وما يرد على القلب من خواطر، وحرصوا على الصيغة المذهبية، لقبوا بالصوفية" [التصوف الإسلامي في الأدب والأخلاق21/2].

بما معنى أن المتصوفة الذين لم يحيدوا عن ركب الإسلام، والتزموا بمبادئ الشرع، لا توجد حاجة لأن نطلق عليهم تسمية متصوفة، ربما صفة شيوخ أو زهاد أو مؤمنين يكفي لوصفهم. وهذا ما أشار إليه ابن الجوزي بقوله: "في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم كانت كلمة مؤمن ومسلم، ثم نشأت كلمة زاهد وعابد، ثم نشأ أقوام تعلقوا بالزهد والتعبد واتخذوا في ذلك طريقة تفردوا بها" [تلبيس إبليس/161].

اتفق المستشرقان نيكلسون واوليري بأن الزهد الصوفي مستمد تماماً من النصرانية، ولم يكن من الخصائص التي تحدث عنها القرآن والنبي محمد صلى الله عليه وسلم بل إنه يتعارض معهما [الفكر العربي ومكانه في التأريخ/ اوليري].

ويلاحظ أن البعض خلط بين الزهد الإسلامي الذي كتب عنه ابن حنبل وعبد الله بن المبارك وغيرهم، والزهد الصوفي الذي تحدث عنه المتصوفة كالقشيري والكلاباذي وغيرهم لغاية ما في قلوبهم، على الرغم من تباين الآراء حول اشتقاق مفهوم التصوف حتى بين المتصوفة أنفسهم، لكن الأغلبية منهم يشيرون إلى أنه مشتق من لباسهم الصوفي باعتباره نوع من الزهد، وكان هذا رأي الشيخ السراج وابن الجوزي وأبي نعيم وابن خلدون، لكن المتصوفة يحاولون التهرب من هذا الاشتقاق رابطين المصطلح بالصفاء الروحي كما تحدث الكلاباذي.



ذكر كارل بروكلمان إن: "الصوفية استعاروا من النصارى رداءهم الصوفي، وبسبب ذلك عُرفوا بالصوفية" [تأريخ الشعوب الإسلامية83/2].

ويشاطره بهذا الرأي نيكلسون [في كتابه الصوفية في الإسلام/4] بقوله: "إن لباس الصوفية اتخذه الزهاد متشبهين برهبان النصارى".

ويتفق د. زكي مبارك معهما على هذا الرأي: "إن لبس الصوف كان من تقاليد النصرانية" [كتاب التصوف الإسلامي49/1].

ذكر أبو العزايم جاد الكريم: "يخلط الكثيرون بين الزهد والتصوف، ومن هنا كان تأثر الكثيرين بالتصوف، فالزهد ليس معناه هجر المال والأولاد، وتعذيب النفس والبدن بالسهر الطويل والجوع الشديد، والاعتزال في البيوت المظلمة، والصمت الطويل، وعدم التزوج؛ لأن اتخاذ مثل ذلك نمطاً للحياة يعد سلوكاً سلبياً يؤدي إلى فساد التصور، واختلال التفكير الذي يترتب عليه الانطواء والبعد عن العمل الذي لا يستغني عنه أي عضو فعال في مجتمع ما، كما يؤدي بالأمة إلى الضعف والتخلي عن الدور الحضاري الذي ينتظر منها" [صور من الصوفية].

ويذكر الشيخ عبد الرحمن عبد الخالق: "أن التصوف غير الزهد المعروف في العقيدة الإسلامية، فالزهد شيء، والتصوف شيء آخر، يختلف عنه كل الاختلاف، بل هناك فرق بين الزهد في عقيدة الكتاب والسنة، والزهد في العقيدة الصوفية" [الفكر الصوفي في ضوء الكتاب والسنة/8].

ويذكر شقيقٌ البلخي: "الزَّاهِدُ الَّذِي يقيمُ زُهْدَه بِفعلِه، والمُتَزَهِّدُ الذي يُقِيمُ زُهدَه بِلِسانه" [طبقات الصوفية/34].

ويقول يحيى بنَ مُعاذ: "الزُّهدُ ثلاثةُ أشياء: القِلَّةُ، والخَلْوَة، والجُوع" [طبقات الصوفية/46].

من هذه الآثار نستنتج بأن الزهد بمفهومه الصوفي وطرقه الشاذة مأخوذ من الكهانة، فالقساوسة والكهنة ينذرون أنفسهم للرب فلا يتزوجون، ويعتكفون في الكنائس والمعابد متفرغين للعبادة وقيام الليل ومواصلة الصوم، زاهدين عن متاع الدنيا ولذائذها. قال أبو سليمان الداراني: "إذا طلب الرجل الحديث، أو سافر في طلب المعاش، أو تزوج فقد ركن إلى الدنيا" [الفتوحات المكية 37/1].

ويذكر سَّريَّ السقطي: "أعْرِفُ طريقاً مختصراً، قَصْداً إلى الجَنَّة. فقلتُ: ما هو؟ فقال: لا تسألُ أحداً شيئاً؛ ولا تأخذُ من أحدٍ شيئاً؛ ولا يكونُ معك شيءٌ تُعْطِي منهُ أحداً" [طبقات الصوفية/31]، بما معنى اعتزال الناس تماماً، وهذا يخالف شرع الله، فعزلة الناس ليست من التقوى، وإلا لقام بها الرسل والأنبياء، بل هي الكهانة التي حذرنا منها الله تعالى، فالإنسان بطبعه اجتماعي ولا يعيش بمعزل عن بقية الناس، ولا يستطيع أن يوفر كل احتياجاته دون مساعدة الآخرين.

يضيف السقطي: "من أرادَ أن يَسْلَم دِينُه، يستريحَ قلبُه وبدنُه، ويَقِلَّ غمُّه؛ فليعتزلِ النَّاسَ؛ لأنَّ هذا زمانُ عُزْلَةٍ ووِحْدَةٍ" [طبقات الصوفية/31]، يعني أن تكون عنصراً سلبياً في المجتمع، ثم كيف يسلم دينه بالعزلة؟ هذا الكلام يخالف المنطق. كما قال أحمدُ بنُ أبى الحواري: "الدُّنيا مَزْبَلَةٌ، ومَجْمَعُ الكلاب. وأقلُّ من الكلابِ من عَكَفَ عليها، فإن الكلْبَ يأخذُ منها حاجَتَه وينصرفُ، والمحبُّ لها لا يُزايِلُها بحالٍ" [طبقات الصوفية/43].



ربما الشيخ يصف نفسه ومحيطه! هذا المنطق يعني استهانة بدين الله، فقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يجالس الناس ويتحدث معهم، ولو كان قد زهد حسب دعاوى الصوفية لما انتشر الإسلام، ولكان متقوقعاً في صدفة العزلة.

كما أن الكهانة في الإسلام غير جائزة حسبما جاء في سورة الطور: ﴿فَذَكِّرْ فَمَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلا مَجْنُونٍ﴾ [الطور:29]، لاحظ ارتباطها بالجنون! وفي سورة الحديد: ﴿وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا﴾ [الحديد:27].

والحقيقة أن الفرق بين الزهد الإسلامي وزهد المتصوفة كالفرق بين التشيع العلوي والتشيع الصفوي، فالأول منهما كان ضحية للثاني، نحروه على عتبة التطرف والمغالاة. يحدثنا الإمام الذهبي عن أحد مشايخ الصوفية بقوله: "لا يبلغ الرجل منزل الصديقين، حتى يترك زوجته كأنها أرملة، ويأوي إلى مزابل الكلاب" [سير أعلام النبلاء156/8].

إذن: لماذا يتزوج ويجعل من زوجته ضحية لمعتقده الواهن؟ أليس هذا ظلم للمرأة التي طالبنا الدين بالإحسان لها؟ أما أن يأوي إلى مزابل الكلاب فهو أدرى بالمجتمع الذي يتآلف معه! لكن هل ينسجم هذا الرأي مع حديث النبي صلى الله عليه وسلم: «حُبب إلي من دنياكم النساء والطيب» [أخرجه أحمد في مسنده]، كما ذكر ابن الأثير الحديث النبوي الشريف: «أنا أصوم وأفطر وأصلي وأنام وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني» [جامع الأصول294/1].

إذن: المتصوفة ليسوا من سنة الرسول وهو بريء منهم، ألم يصدق ابن كثير بقوله: "الزهد لا يدل على صلاح" [البداية والنهاية80/10]؟!

تظاهر المتصوفة بالزهد لأول مرة في بلاد فارس مركز البدع والتطرف والشعوبية، ثم نشره الخراسانيون في البصرة والكوفة وبقية الأمصار، منطلقين من قاعدة صوفية غريبة وشاذة "الزهد هو أن لا تمتلك شيئاً، ولايمتلكك شيء". وكان أول من صاغ نظرية "كيمياء الجوع" هو الفارسي شقيق البلخي من خراسان، وهو صاحب العبارة المشهورة: "أربعون يوماً من الجوع يمكن أن تجعل ظلمة القلب نوراً" وكان يطلق على المتصوفة لقب "الجوعية"، والأصل في ذلك: "أن المعدة أساس البلاء، والجوع مخ العبادة"، لكن الذي جاء في سورة البقرة: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الأَرْضِ حَلالًا طَيِّبًا وَلا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ [البقرة:168]، لكنهم أتبعوها بشوق كبير!

الطريف أنه لا يزال العراقيون يستخدمون كلمة "الجوعية" في إشارة لمن يركض وراء بطنه ولا يعرف الشبع، أي الجوعي هو الذي يبحث عن المآتم والمناسبات ليأكل بدون مقابل، وهم معرفون بشراهة الأكل، وإن شبعوا عبأوا أكياسا يحملونها دائماً بالطعام ليأخذوها معهم، ويستقون المعلومات عن المآتم والأفراح من قراءة الصحف "شفحة الوفيات" والسؤال.

قال سفيان الثوري بأن كثرة النساء لا علاقة لها بالزهد؛ "لأن علياً رضي الله عنه كان من أزهد الصحابة، وكان له أربع نسوة، وتسع عشرة سرية" [الطبقات الكبرى46/1]، والحقيقية أن الإمام علي لم يكن أزهد الصحابة، فقد ترك وراءه ثروة كبيرة تقاسمها أهله، على العكس من الكثير من الصحابة. فأزهد الصحابة هو أبو بكر وأبو ذر الغفاري والفاروق، والذي له أربع نسوة وتسع عشرة جارية كيف يكون زاهداً؟ ومن أين يصرف عليهن؟



كما وضع المتصوفة قواعد للزهد منها: "لا يزور ولا يُزار، ولا يكلم أحداً في خير وشر" [الأمر المحكم المربوط/272]. أن لا يكلم الناس بالشر فهذا أمر محمود، أما أن لا يكلم الناس بالخير فهذا ما يثير الغرابة؛ لأن **«الكلمة الطيبة صدقة»**!

وأضافوا لتخاريفهم الغريبة التي تتقاطع مع تعاليم الإسلام: "الصحبة أشرٌ شيء على المريد، فالطريق مبني على قطع المألوفات، وترك المستحسنات" [التدبيرات الإلهية/234]. ويذكر ابن عجيبة الحسيني: "لا يزال الصوفية بخير ما تنافروا؛ فإن اصطلحوا هلكوا" [الفتوحات الإلهية/61]. لكن النفرة تعني الضعف والخلاف والتشتت، وقد تؤدي إلى الضغينة والعداء، في حين الجمع هو رمز للقوة والمحبة والتآخي، وينصح الشيخ داود الطائي مريديه: "فرٌ من الناس مثل فرارك من السبع" [طبقات الشعراني27/1]. إذن لماذا تقيمون المناسبات الخاصة بكم، وتجمعون الناس وتضمون المريدين في حلقات الدرس والسماع؟

وصل بهم الحد في نبذ التعارف والإخاء بين المسلمين، إلى تحريم السلام والسؤال عن الحال: "لا يقل المريد لأحد: كيف حالك؟" [التدبيرات الإلهية/237]. ولا نفهم كيف يوفقوا بين تخاريفهم هذه وقول النبي صلى الله عليه وسلم: **«لا تحقرن من المعروف شيئاً، ولو أن تلقى أخاك بوجه طلق»** [أخرجه مسلم]، وحديث: **«المؤمن يألف ويؤلف، ولا خير في من لا يألف ولا يؤلف»** [أخرجه مسلم]؟ لا نفهم هل هم يجهلون حقاً هذه الأحاديث، أم يتجاهلوها عن قصد؟

كما أضاف الإمام الغزالي قاعدة زهدية أخرى، كأن الجماعة قصروا في هذا المجال، بقوله: "لا يجوز دخول المغارة إلا بشرطين: أولهما: أن يكون راضٍ عن نفسه، ويصبر على الزاد أسبوعاً ونحوه. ثانيهما: أن يمكنه التقوت بالحشيش"، كأنهم خراف يأكلون الحشيش! ويرون قصصاً إعجازية عن شيوخهم، مثلاً: أحد الشيوخ بقى في خلوته (40) عاماً لا ماء ولا أكل، حيث توجد فتحة صغير في غرفته ليدخل منها الهواء! [كتاب قلائد الجوهر]. واعتبروا الامتناع عن الزواج من مظاهر الزهد. يقول الطوسي: "إذا تزوج الفقير مثله مثل رجل ركب سفينة، فإذا وِلد له ولد فقد غرق" [اللمع/265]. ويذكر السهروردي: "من تعود أفخاذ النساء لا يفلح" [عوارف المعارف/]166]. ويضيف أبو سلمان الداراني: "إذا سافر الرجل في طلب المعاش أو تزوج، فقد ركن إلى الدنيا" [الفتوحات المكية37/1]. ومن طريف ما يذكر بهذا الصدد أن أحدهم عابَ البسطامي بقوله: إنك تُذكر بالزهد والعبادة، ولا أعرف لك كثير عبادة؟ فهاج عليه وأجاب: إن الزهد والعبادة والمعرفة مني اشتكت! [راجع شطحات الصوفية لعبد الرحمن بدوي/91].

بالنسبة للفقر فهم يستندون على حديث نبوي انفرد باخراجه الترمذي: **«فقراء المهاجرين يدخلون الجنة قبل أغنيائهم بخمسمائة سنة»** [سنن الترمذي/ باب الزهد]. وهذا لا يصح البتة! لا علاقة للإيمان بالفقر والغنى، فعثمان بن عفان وبعض الصحابة كانوا من أغنياء قريش، وبذلوا الأموال في سبيل الإسلام، فلماذا يتأخروا (550) عاماً؟ واعتبروا الفقر من صفات الصوفي، حيث يصف "أحمد بن يحيى بن الجلاء" الصوفي بأنه "من كان فقيراً مجرداً من الأسباب" [الرسالة القشيرية556/2]. في حين أطلعنا على قصص عن شيوخهم تناقض هذا الرأي. واعتبر الغزالي الفقر حالة ملازمة للزهد، الذي يرتبط بدوره بالكمال على اعتبار أنه فقر في الدنيا وغنى في الآخرة. وينقل عن الشيخ أبي علي



الدقاق قوله: "الزهد أن تترك الدنيا كما هي"، أحاديث متناقضة ولا تعبر عن جوهر الإسلام، بل تنحرف عنه بمقدار (180) درجة.

بقدر تعلق الأمر بالصفوية، فقد نسب الكليني للامام علي رضي الله عنه القول: "حرام على قلوبكم أن تعرف حلاوة الإيمان حتى تزهد في الدنيا"، وكذلك قوله: "إن من أعون الأخلاق على الدين الزهد في الدنيا" [الكافي128/2].

والزهد عند الصفويين ليس الزهد المعروف عند الأئمة، فقد زهد جميع الأئمة رغم كثرة الموارد التي كانت تأتيهم من الخلفاء كهبات، بالإضافة إلى أموال أنصارهم، حيث كانوا يوزعونها على الفقراء والمحتاجين، ولكن بعد وفاة الإمام العسكري تغيرت الأحوال فغرب زهد الأئمة، وأشرق طمع السفراء الذين ادعوا نيابة المهدي جشعاً بأموال الخمس، واستمر الحال من سفراء المهدي لحد مرجعهم الحالي علي السيستاني، في العيش والاغتناء من قوت الآخرين وعرق جبينهم.

يلاحظ أن حياة الزهد عند المراجع الصفوية كاذبة خادعة، فالغرض منها التمويه والضحك على الذقون. فقد كان الخوئي ومن بعده السيستاني يعيشون حياة زاهدة عاكفين عن متاع الدنيا كما يصوروا لأتباعهم، لكن الحقيقة هي خلاف ذلك فكلاهما له مؤسسة مالية ضخمة في لندن إضافة إلى القصور والفلل. بلا أدنى شك أن مصدرهم المالي هو الخمس، وبقية الموارد الحوزوية القادمة من أموال وتبرعات الجهلة والحمقى، منها:

أولاً: سهم الإمام: أو ما يسمى "سهم جدي"، ويساوي نصف خمس الوارد للشيعي من التجارة والأعمال.

ثانياً: رد المظالم: وهو مبلغ بلا حدود يودعه الشيعة إلى علمائهم تكفيراً عن خطاياهم وذنوبهم، "كان يضم جزءاً من راتب الشيعي الموظف في الحكومة على اعتبار أن وظيفة الحكومة لا شرعية من وجهة نظر المجتهدين".

ثالثاً: حق الوصاية: ويعادل ثلث قيمة الورث للشيعة المتوفين بما فيها من أملاك.

رابعاً: حق الصوم والصلاة: وهي مبالغ يتفق عليها حيث يقوم بعض المراجع بتوكيل أتباعهم لأداء فريضة الصوم والصلاة للمتوفيين.

خامساً: النذور: وهي مبالغ يقدمها الناس للعلماء لقاء شفائهم من أمراض أو رزقهم بمولود أو تجارة رابحة أو نجاة من موت أو تحقيق أمل ما.

المبلغ الكلي يقسم إلى حصتين هي حصة المرجع الأعلى. وحصة السادة للحفاظ على مكانتهم المادية الجيدة! وتقدر وارادات الحوزة بعشرات المليارات سنوياً، ولا توجد حسابات دقيقة حولها، حيث تحاط بسرية تامة، وتقتصر مراقبة الحسابات على المرجع الأعلى وبطانته، وهذه الأموال تعتبر صافية حيث لا تخضع إلى الضرائب، كما أن أوجه إنفاقها منوطة بالمرجع فقط! ولا علاقة للحكومة بها، يعني استقلال مالي كالفاتيكان!

لذلك مظاهر الزهد والفقر تكون أحياناً كاذبة ولا تعكس واقع الحال، فقد ذكر الجبرتي: "إن سدنة الأضرحة هم من أغنى الناس" [الانحرافات العقدية والعلمية/309] وقد صدق في قوله. وقال التليلي العجيلي بأن العطايا والنذور الناجمة عن الزيارات قد "مكنت العديد من المشايخ من جمع أموال



طائلة زادت من نفوذهم على أتباعهم، مما دفع بالسلطات الاستعمارية إلى تحجيرها" [الطرق الصوفية والاستعمار الفرنسي/59]. نفس الأمر حدث مع المرجعية في العراق حيث "باءت بالفشل جميع المحاولات التي قام بها الوكلاء البريطانيون في بغداد لحث المجتهدين على تنظيم الحسابات في قوائم تتضمن كيفية التصرف بأموال خيرية أو تشكيل لجان لمراقبة الصرف" [المصدر [Lorimer 1 Gazeteer 1.1B:160-12-8.1611]. هذا يعني أن الزهد والفقر كلاهما مفهوم مرن مطاوع يشكله المراجع والمتصوفة حسب أهوائهم، فهو ذو قيمة عند البعض، وبلا قيمة عند البعض الآخر.

أما بشأن الجوع، يصف الهجويري الجوع باعتباره أهم مظهر من مظاهر الزهد؛ لأنه "شرف كبير، محمود عند الأمم والملل" [كشف المحجوب للهجويري570/2]. العكس هو الصحيح تماماً، الجوع مذموم وهو دلالة على فساد الحكم، ونهب خيرات الأمة، والجوع واحد من أهم المشاكل الإنسانية، وتعمل المنظمات الدولية في الوقت الحاضر على محاربته. الأمة الجائعة هي الأمة المتخلفة، والشعب الجائع هو الشعب غير المنتج. يذكر سهل بن عبد الله: "المعدة المملوءة بالخمر أحب إلي من المعدة الممتلئة بالطعام" [كشف المحجوب للهجويري593/2]. ولا نعرف هل هو الخمر الذي نعرفه والذي حرمه الإسلام، أم الخمر الإلهي حسب معتقدهم والذي لا نعرف عنه شيئاً؟ وذكر جلال الدين الرومي: "الجوع هو طعام الله الذي يحيي به أجساد الصالحين" [المثنوي1765/5]. جملة عجيبة لو قلتها ترى كيف ستكون ردة فعله؟ وآخر يقول: "الجوع طعام الزاهدين"، أقول لهم بالنسبة لكم هنيئاً ومريئاً. آخر يضيف: "الجوع طعام الزهاد، والتفكير طعام العارفين" [نفحات الأنس/157]. ينقل الشعراني عن الشيخ إبراهيم الدسوقي قوله: "عليك بالعمل وإياك وشقشقة اللسان بالكلام في الطريق دون التخلق بأخلاق أهلها، والصوفي الصادق هو الذي يُطِعم ولا يُطعَم" [الطبقات الكبرى/247]. هذا هو المنطق الصحيح، لكن مرجعهم الكبير أبو يزيد البسطامي لا يرى في الزهد خصلة حميدة فقد ذكر: "الزهد لا قيمة له، زهدت ثلاثة أيام أنهيتها في اليوم الرابع" [تذكرة الأولياء167/1]، لاحظ أنها أحاديث متناقضة لا تخرج منها بطائل.

في الوقت الذي يتبجحون فيه بزهدهم الكاذب، تسمع منهم روايات عجيبة تتناقض مع ما سبق من أقوالهم، فالشيخ "حسن سكر الدمشقي" يأكل فضة ويتغوط ذهباً! وقد طالبه مريدوه بأن يظهر لهم كرامة! فسألهم أن يجلبوا له (100) قطعة من الفضة، فلما أحضروها بلعها كلها، ثم جلس ليقضي حاجته فتغوطها ذهباً فأخذوها واغتنوا [جامع النبهاني42/2]. إن دبر الشيخ يمثل حالة نوعية نادرة بل وحيدة في الدنيا، إنه حقاً الدبر الذهبي الذي تتمناه كل الدول لترتقي إلى العصر الذهبي. هكذا الأدبار وإلا فلا! دبر الشيخ يمثل ثروة وطنية يمكن أن توصل الأمة إلى أرقى مراتب الحضارة والتقدم. إنه احتياطي المتصوفة، كما هو الحال في البنوك التي تحتفظ باحتياطاتها من الذهب.

يذكر الشعراني: "أخبرني الشيخ جمال الدين يوسف الكردي رضي الله عنه أن الغلاء وقع أيام السلطان قايتباي حتى اجتمع عند الشيخ سيدي إبراهيم المتبولي في الزاوية نحواً من خمسمائة نفس، فكان كل يوم يعجن لهم ثلاثة أرادب، ويطعمها لهم من غير إدام، فطلب الناس منه أدماً، فقال للخادم اذهب إلى الخص الذي في النخل فارفع الحصير الخوص، وخذ حاجتك! فذهب ورفع الحصير، فوجد



قناة تجري ذهباً، وفضة من علو نازلة في السفل، فأخذ منها قبضة واشترى بها ذلك اليوم أدماً" [الطبقات الكبرى306/1].

ويذكر أيضاً: "كان الشيخ حسين أبو علي يقبض من الأرض، ويناول الناس الذهب والفضة" [الطبقات الكبرى306/1]، الجهلة يتحدثون عن قناة تجري ذهباً مع أن الذهب ينصهر في درجة حرارة (1064) درجو مئوية، ويغلي عند درجة (2856) درجة مئوية، وهو فلز، يوجد بشكل كتل وليس تراباً، ولحد الآن لم ينجح العلماء في تحويل العناصر الأخرى إلى ذهب، كما يفعل المتصوفة. ويعتبر الذهب من المواد الخاملة التي لا تتأثر بالجفاف والهواء والرطوبة والحرارة الطبيعية والحوامض، باستثناء ما يسمى بـ "الماء الملكي" الذي يذوب فيه، وهو خليط من الهيدروكلوريك والنيتريك المركز.

نُسب للشيخ الرفاعي القول: "قال لي الشيخ يعقوب: رأيت الشيطان واقفاً على باب داري، فهممت بضربه. فقال لي: أي يعقوب أنتم أهل الإنصاف، إن في بيتكم الأحمر والأصفر وهما لي. فكيف لا أجيء إلى بيتكم؟" [قلادة الجوهر لمحمد أبي الهدى الرفاعي/135].

ويقول إبراهيم الهروي: "لو أقسمت على الله أن يجعل هذا الشجر ذهباً لجعله" هذه كارثة علمية! وذكر أبو الحسن البصري: "كان بعبادان رجل أسود فقير، يأوى إلى الخرابات، فحملت شيئاً وطلبته، فلما وقعت عيني عليه تبسم وأشار إلى الأرض، فرأيت الأرض كلها ذهباً يلمع"، ويذكر عن الشيخ يوسف العجمي الكوراني بأنه أمر مملوكاً عنده أن يقول للاسطوانة: كوني ذهباً! فصارت ذهباً! [الطبقات الكبرى للشعراني66/2]. مطيعة سطوانة الشيخ! فهي تسمع الكلام كالمريدين، وربما هي مريدة أيضاً!

لكن لو كانت لديهم حقاً تلك الإمكانات! فلماذا يستجدون الناس ويمدوا أيدهم للشحاذة؟ فقد جاء في الحديث النبوي الشريف: **«لأن يحتزم أحدكم حزمة من حطب على ظهره فيبيعها خير من أن يسأل رجلاً فيعطيه أو يمنعه»** [سنن النسائي93/3]، كما أن المتصوفة الأوائل كانوا يأكلون من تعب أيديهم، لكن معظم المتصوفة والمراجع الآن لا يعملون ولا يأكلون من تعبهم إلا ما ندر، فهم يتخذون من التصوف والخمس والكهانة مهنة للارتزاق والتكسب.

يقول ابن الجوزي عن المتصوفة: "منهم من يقدر على الكسب لكنه لا يعمل، يجلس في الرباط أو المسجد معتمداً على صدقات الناس"، كما قال الإمام الشافعي: "أسّس التصوف على الكسل" [حلية الأولياء137/9].

من عجائب تبريراتهم للبطالة والكدية ما ذكره أحد شيوخهم بأنه احتار في سؤال الناس لشدة كراهية نفسه للسؤال! عجباً لماذا تعمل ما تكره طوعاً منك، وليس فرضاً عليك؟ وبرره الفارسي شقيق البلخي بطريقة سخيفة، هي أنه رأى طائراً مكسور الجناح، فتساءل مع نفسه: من أين يأكل هذا الطير؟ وأثناء ذلك جاء طير يحمل جرادة وضعها في منقار الطير المكسور الجناح وذهب! فاعتبر من هذا الدرس البليغ وقرر "ترك الكسب والإقبال على العبادة"! كأنما العمل ليس عبادة؟ المثير في هذه الحكاية أن البلخي أخذ العبرة من الطير المهيض الجناح. ولم يعتبر من الطير الذي يسد رمقه بنفسه، ورمق الآخرين من المحتاجين! ألا يعرف هذا البلخي بأن النبي صلى الله عليه وسلم دخل يوماً



المسجد فرأى شخصاً عاكفاً على الصلاة صباحاً ومساء/ فسأل النبي صلى الله عليه وسلم عمن يكفيه حاجته؟ فقيل له: إخوته. فقال النبي صلى الله عليه وسلم: **«هم أفضل منه»**.

نتساءل بدورنا:

لماذا يعذبون أنفسهم بالخلوة والكسل ولا يعذبون أنفسهم بالعمل الشاق ليحللوا لقمتهم بدلاً من استجدائها من الناس؟ وأين هم من كلام الله عز وجل: **﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ﴾** [الملك:15] ، أليس المراجع والمتصوفة يأكلون من رزقه ويمشوا في مناكبها دون عمل! وأين هم من كلام رسوله المصطفى: **«إن أطيب ما أكل الرجل من كسبه»**؟ وعن رافع بن خديج سئل النبي صلى الله عليه وسلم: أي الكسب أطيب؟ قال: **«عمل الرجل بيده، وكل بيع مبرور»**، وعن عطاء بن السائب قال: لما استخلف أبو بكر رضي الله عنه أصبح غادياً إلى السوق وعلى رقبته أثواب يتجر بها، فلقيه عمر وأبو عبيدة فقالا: أين تريد؟ فقال: السوق. قالا: تصنع ماذا وقد وُليّت أمور المسلمن؟ قال: فمن أين أطعم عيالي؟ فنهياه عن مزاولة التجارة لأنه تولى أمر المسلمين، وفرضوا له في كل سنة ستة آلاف درهم" [تاريخ الطبري54/3]، بل أين هم من سير وأقوال كبار شيوخهم؟ كان البعض من المتصوفة يعيشون من عملهم، وليس من صدقات الناس، فمالك بن دينار كان يرتزق من الكتابة، والجنيد البغدادي يرتزق من صناعة الخوز لذا سمي بالخزازي، وعبد القادر الكيلاني أيضاً، قال معروف الكرخي: "إذا أراد الله بعبدٍ خيراً، فتح عليه باب العملِ، وأغلق باب الفَتْرَةِ والكَسلِ" [طبقات الصوفية/40].

لنقرأ بعضاً من حججهم الواهية: يقول أبو بكر الدمياطي: "اترك الكسب حال كونك متجرداً عن الأهل والأولاد" [كفاية الأتقياء ومنهاج الأصفياء]؛ ذلك لأنهم لا يخجلون من استجداء لقمتهم من الغير، وفبركة الحجج، لنيل استعطاف الناس عليهم. وذكر النفري الرندي عن الشيخ أبو سعيد الخراز بأنه "كان يمد يده ويقول: ثم شيء لله" [غيث المواهب العلية65/2]. يقول المحتال: لله تعالى ولا يقول لنفسه الكسولة!

ويذكر الشعراني عن الشيخ يوسف العجمي: "كان يخرج كل يوم من الزاوية فقيراً يسأل الناس إلى آخر النهار" ويضيف الطوسي [في اللمع/255] بأن "الأكل بالسؤال أجمل من الأكل بالتقوى"، كما عاتب البعض أبو يزيد البسطامي لامتناعه عن العمل! فأجاب "مولاي يرزق الكلب والخنزير، ألا تراه يرزق أبا زيد؟" [عوارف المعارف للسهروردي/159]، الشيخ يقارن نفسه بالكلب والخنزير! ويذكر السهروردي عن أحد مؤسسي التصوف: "كان إبراهيم بن أدهم يفطر كل ثلاثة ليالي ليلة، ليلة إفطاره يطلب من الأبواب" [عوارف المعارف/150]. وعن أبو جعفر الحداد "كان يخرج بين العشائين ويسأل من باب أو بابين" [عوارف المعارف/157]. إذن أين القدرة على الجوع أياماً وشهوراً؟ عن يوسف العجمي "كان إذا دقت الباب يقول للنقيب: انظر من شقوق الباب، فإن كان معه شيء من الفتوح للفقراء فافتح له، وإلا هي زيارة فشارات"، ومن الطريف أن يصف أبو يزيد البسطامي جماعته من الشحاذين بقوله: "ينبغي أن يكون الصوفي سخياً كالمحيط، متواضعاً كالأرض" [تذكرة الأولياء164/1].! لكن من أين يأتي السخاء البديع، وهذا هو حالكم الوضيع؟!



وكذك حال الصفويين، وقد ورد عن إسماعيل بن عباس الهاشمي"جئت إلى أبي جعفر[ع] يوم عيد، فشكوت إليه ضيق المعاش، فرفع المصلى فأخذ من التراب سبيكة من ذهب فأعطانيها. فخرجت بها إلى السوق فكان فيها ستة عشر مثقالاً من الذهب" [الثاقب في المناقب/526]. كما روى جرير بن رستم الطبري"قال إبراهيم بن سعد: رأيت محمد بن علي[ع] يضرب بيده إلى ورق الزيتون فيصير في كفه ورقاً [دراهم] فأخذت منه كثيراً وأنفقته في الأسواق فلم يتغير" [دلائل الإمامة/398]. وبالنقيض من ذلك فقد نسبوا لأبي عبد الله الإستجداء من الناس بقوله "درهم يوصل ود الإمام أفضل من ألف ألف درهم فيما سواه من وجوه البر" [الكافي ج538/1]. وهذا الكلام اشبه بما كان يردده الشحاذون في بغداد"درهم للفقير حسنة في الآخرة" وهذا يعني أما أن الأئمة كاذبون ـ حاشاهم ـ في أحاديثهم لأنه يمكنهم أن يحولوا ورق الزيتون إلى دراهم، أو أنهم مخادعون لأنهم يستجدون الناس الخمس وهم أثرياء. وكلا الحالين لا يسر!



2) قضاء حاجات العباد

غالباً ما تجد هذه الحكمة الرائعة: "من استعان بغير الله ذلّ"، مخطوطة بزخارف جميلة ومؤطرة في العديد من المتاجر والمحلات. البعض يعتقد أنها من الأحاديث النبوية الشريفة، والآخر يعتقد بأنها من كلام الصحابة، لكنها في الحقيقة مجتزأة من قصيدة للشاعر أبو الفتح علي بن محمد السبيتي ومطلعها:

زيــادة المــرء فــي دنيــاه نــقصان *** وربحــه غيــر محــض الخيــر خســران
مــن استعــان بــغير الله فــي طلــب *** فــإن نــاصره عــجــز وخــذلان
فاشــدد يــديك بحبــل الله معتصــماً *** فإنــه الــرُّكن إن خــانتــك أركــان

تعني أن الله تعالى وحده الذي يستجيب لدعوات الداعين من عباده، وهو الأقرب لهم من حبل الوريد. وقد جاء في سورة يونس: ﴿وَلا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لا يَنْفَعُكَ وَلا يَضُرُّكَ فَإِنْ فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ [يونس:106]، كذلك: ﴿فَلا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَكُونَ مِنَ الْمُعَذَّبِينَ﴾ [الشعراء:213]، وفي سورةالنمل: ﴿أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الأَرْضِ أَئِلَهٌ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ﴾ [النمل:62]، وطالما أن الله تبارك قريب من عباده، وهو الأعرف بأحوالهم وحاجاتهم، فإنهم بالنتيجة ليسوا بحاجة إلى واسطة لإيصال دعائهم إليه، ولا داعٍ لطلب الحاجة من غيره؟ فقد جاء في سورة البقرة: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ [البقرة:186]، وجاء في الحديث النبوي الشريف: «إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فأستعن بالله» [سنن الترمذي].
لقد حصر النبي صلى الله عليه وسلم الاستعانة بالذات الإلهية فقط! ولم يشر إلى نفسه كواسطة بين الخالق وعباده، ومما يذكر في هذا الصدد أن رجلاً قال للنبي صلى الله عليه وسلم: ما شاء الله وشئت! فرد عليه النبي صلى الله عليه وسلم بحدة: «أجعلتني لله عدلاً»؟ أي نداً لله.
لكن علماء الصفوية يرفضون هذه القاعدة الإلهية! فقد نسبوا للإمام الصادق القول: "من كانت له حاجة عند الله، فليقصد إلى مسجد الكوفة ويسبغ وضوئه. فإذا فرغ من الركعتين وتشهد وسَلم، سأل الله فإنها تقضي" [أمالي الطوسي344/3]، لقد حصر الصادق المكان في مسجد الكوفة دون غيره ولا نفهم العلة من هذا التحديد مع أنه لم يعش في الكوفة؟ فهو مدني الولادة والمنشأ والوفاة، وحتى زيارته المزعومة للكوفة لم تَرد في في روايات المؤرخين القدامى، وإن أوردها بعض فهي ضعيفة أو بلا سند؟ ثم هل مسجد الكوفة أعظم من مكة المكرمة والمسجد الأقصى والمسجد النبوي؟ إن بيوت الله متساوية من حيث القيمة، ولا تختلف إلا في حال شد الرحال للمساجد الثلاثة المعروفة؛ ثم من أنى للصادق أن يجزم بأن الحاجة ستُقضى؟ هل الأمر بيده أم بيد الخالق؟ طالما أن الصادق عاش في المدينة وليس في الكوفة، فلماذا يطلب من المسلمين ذوي الحاجات التوجه إلى الكوفة وليس مكة وهي الأقرب؟ لماذا يخالف الدين في مسألة شد الرحال؟ هل يجهل الأمر؟ وهل تحميل الناس عبء السفر إلى كربلاء يصح؟ وهل الكوفة مقدسة حقاً وقد قتل فيها بعض من أهله؟ كل هذا يؤكد زيف الحديث المنسوب للصادق المبتلى بشيعته.



نسبَ الشيخ المفيد [في كتابه الإعتقادات] للإمام موسى بن جعفر القول: "من كانت له حاجة إلى الله وأراد أن يرانا، وأن يعرف موضعه من الله. يغتسل (3) ليال، ويناجي بنا، فإنه يرانا ويُغفر له بنا" الإمام لم يتحدث عن كربلاء في قضاء الحاجة، وأن أتحف قوله بأتعس من قول الصادق عندما ربط مغفرة الله تعالى بهم.

ويقدم لنا الكاشاني الحرز العجيب التالي لقضاء الحوائج المتعسرة: "أن تذكر بسم الله الرحمن الرحيم (12000) مرة، وبعد إتمام كل (1000) تصلي ركعتين صلاة الحاجة" [كتاب1001حرز30/1، للمزيد من الخزعبلات يمكن مراجعة هذا الكتاب لمحمد إبراهيم البرجوردي]، ولكنه لم يبين الحل لو أخطأ الشخص مثلاً بالعدد زيادة أو نقصاناً سيما أن العدد بالآلاف!

أما بهاء الدين العاملي فتعامل مع الموضوع هندسياً بأن تخرج للصحراء وترسم مستقيماً وتخط في وسطه خطاً طولياً، وتفترضه قبر النبي صلى الله عليه وسلم! وتشخص نظرك عليه وتقرأ (12000) مرة العبارة:"الصلاة على محمد وآل محمد" [المصدر السابق35/1].

أما الطريف فهو ما نُسب للصادق أيضاً وهو ضحية دجلهم وافتراءاتهم دائماً وأبداً "من يأكل الجبن في رأس الشهر لا ترد له حاجة" [مفاتيح الجنان]، والمعروف أن الفطور الرئيسي عند العراقيين هو الجبن! فلماذا لم تُقض حاجاتهم في الأمن والسلام والخير؟

ويقدم لنا البرجوردي حرز السيدة زينب لقضاء الحاجة: "تصلي صلاة الحاجة وبعدها تصلي على محمد وآل محمد (100) مرة وتهديها للسيدة زينب، وتقول (168) يا مولاتي يا زينب أغيثيني. ثم تدفع صدقة لفقير وتقرأ قليلاً من الرثاء الحسيني، ليخشع القلب وتذكر الحاجة" ونحن نقول: اللهم أغثنا من الدجالين والمشعوذين والسحرة! هل زينب هي التي تغيث المحتاج؟ ومن هي زينب وما فضلها على الإسلام لتوضع مكانة الخالق عز وجل؟ لو كانت لها هذه القدرة لقدمت الغوث لأهلها أو لنفسها! وهل قراءة الرثاء الحسيني أفضل من قراءة القرآن الكريم؟

يذكر الخميني [في كتابه كشف الأسرار/49] الذي كشف لنا فيه أسرار مجوسيته وشعوبيته البغيضة بأن "طلب الحاجة من الحجر أو الصخر ليس شركاً، وإن يكن عملاً باطلاً"، وهذا الكلام بالطبع يتعارض مع ما ورد في سورة الأحقاف: **﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ يَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ مَنْ لا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَنْ دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ﴾** [الأحقاف:5].

وهذا مهرج صفوي آخر يدعى الكوراني يرشد الناس إلى جهنم عبر الأئمة بقوله: "جرب الطلب من الله مباشرة. والطلب من الله بواسطة آل البيت. وانظر أيهما أسرع؟ لا شك أن التوسل بآل البيت أسرع في الإجابه"! الرجل يعيش فعلاً في عصر السرعة، لكن سرعته للخلف وليس للأمام.

أما شيخ الجكليته عبد الحميد المهاجر الشكرجي - وزع جكليت بعد خطبته على المصلين مدعياً بأنها تقضي حاجتهم؛ فابتهل جمهوره من الرعاع والمغفلين بالحلوى وباشروا بالصياح: اللهم صلِّ على محمد وآل محمد. يذكر هذا المهاجر العقل والدين: "نادِ الآن يا علي! والله إنه يجاوبك؛ لأنك عندما تقول يا علي يعني يا الله!" لاحول ولا قوة إلا بالله! الرجل يقسم بالله مفترياً على الله.

من الجدير بالذكر أنه توجد في العتبات المقدسة في العراق باب يدعى "باب الحوائج" حيث يرتادها من له حاجة ما، معتقداً بأن الإمام الميت سيقضي حاجته، وبعد أن يدفع المقسوم، يعود صفر اليدين.



وأحياناً يحيكون السادة بعض المصائد للمغفلين، مثلاً أن يدعي أحدهم أنه أعمى، وفي العتبة يفتح عينه ويبصر، أو يأتي أحدهم بحلويات يوزعها على الحضور أو مالاً يضعه في الشباك، مدعياً أن الإمام قضى حاجتة كطلب الولد، أو حمَّل زوجته العاقر، وهو أسلوب لاستغفال العوام والجهلة.
أخذ المتصوفة بنفس أفكار الصفوية كالعادة وأدخلوها تحت ما يسمى بالكرامات، وقد ذكر الإمام الشاطبي: "طلب الكرامات ليس عليه دليل، بل الدليل خلاف ذلك" [الموافقات283/2]. في حين ذكر الشيخ محمد بن أحمد الفرغلي بلا حياء من الله تعالى: "أنا من المتصرفين في قبورهم؛ فمن كانت له حاجة فليأت إلى قبالة وجهي، ويذكرها لي فأقضيها له" [الطبقات الكبرى للشعراني]. وورد [في الرسالة القشيرية 57/1] عن أحد شيوخهم التجاوز على الذات الالهية بقوله لتلامذته: "إذا كانت لكم حاجة إلى الله فأقسموا عليه بي"! ويصف لنا عمر بن سعيد الطوري طريقة عجيبة في قضاء الحاجة [في الدنيا والآخرة] وفق تعليمات الشيخ التيجاني.
أولاً: الصلاة على رسول الله بصلاة الفاتح (100) مرة وإهداء ثوابها إلى النبي صلى الله عليه وسلم.
ثانياً: القول (100) مرة هذا الدعاء: "يارب! توسلت إليك بحبيبك ورسولك وعظيم القدر عندك سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم في قضاء الحاجة التي أريدها".
ثالثاً: قول: "اللهم إني أسألك، وأتوجه إليك بجاه القطب الكامل سيدي أحمد بن التيجاني وجاهه عندك أن تعطيني كذا وكذا "تسمي حاجتك عشر مرات".
رابعاً: الصلاة على رسول الله بصلاة الفاتح مرة واحدة.
خامساً: تقول: "اللهم أعطني كذا وكذا، وتسمي حاجتك بعينها".
سادساً: الصلاة على رسول الله بصلاة الفاتح (3) مرات [للمزيد راجع كتاب رماح حزب الرحيم/ طبع على هامش جواهر المعاني 258/1].
كما يذكر محمد التيجاني: "اعلم أن التوسل بالأنبياء والمرسلين والأولياء الصالحين، وشد الرحال لهم سبب في قضاء الحاجات، ونيل الكرمات" [الفوز والنجاة في الهجرة إلى الله] لقد أضاف شد الرحال! ربما لا يعرف الشيخ لمن يشد الرحال؟ ويشرح لنا الشيخ محمد زكي إبراهيم - شيخ الطريقة الشاذلية - معنى "مَدد مَدد" التي يرددها أتباعهم في حلقات الذكر بأن لها وجهين":
أولهما: طلب المدد من الحي.
ثانيهما: طلب من الميت، وطلب المدد من الميت معناه التوسل به إلى الله والاستشفاع به تعالى في قضاء الحوائج، ودفع الحوائج، والتماس بركة مقامه عند الله" [الإفهام والإقحام/39]، هل يمكن لعاقل أن يطلب العون من الميت! وعنده الله الحي الذي لا يموت؟
من طريف ما تحدث به محمد عثمان البرهاني عن مناقب شيخه السيد البدوي: "أنه دعا الله بثلاثِ دعواتٍ، فأجاب الله دعوتين وأبطل الثالثة! دعا الله أن يشفّعهُ في كل من زار قبره، فأجابَ الله ذلك. ودعا الله أن يكتب حجة وعمرة لكل من زار قبره، فأجاب الله ذلك. ودعا الله أن يدخله النار، فرفض الله ذلك. فسألوا البدوي: لماذا رفض الله أن يدخلك النار؟ قال: لأني لو دخلتها فتمرغت فيها تصير حشيشاً أخضر، وحقٌّ على الله أن لا يعذّب بها الكافرين" [الصوفية والوجه الآخر، تبرئة الذمة في نصح الأمة/61].



اما ابن عربي فقد قدم لنا الخاتم التالي لقضاء الحاجة: "اكتب جميع عدد اسمك واسم الأمر واسم المطلوب، وإذا اجتمع من الجملة عدد فارسمه في ساعة سعيدة وأمسكه عندك، وانهض به في طلب حاجتك يقضى إن شاء الله تعالى" [العقد المنظوم فيما تحتويه الحروف من الخواص والعلوم/183].

ومن عزائم الإمام الغزالي لنيل الحاجة عند الملوك: "خُذ صورة أسد والقمر في الأسد، وانقشه على خاتم بسواد ومعه هذه الجملة "أتينا طالعين" فتدخل به إلى الملك فيذله الله لك" [مجموعة رسائل الغزالي/516].

هؤلاء هم علماء الأمة، فما بالك بسفهاء وجهلة الأمة؟!



3) الموقف من الفريضة السادسة .. الجهاد

قال ابن عباس: "لا يأتي على الناس زمان إلا أحدثوا فيه بدعة، وأماتوا فيه سنة، حتى تحيا البدع وتموت السنن" [أخرجه الطبراني في الكبير10/ 319]، وهذا ما يحصل حالياً في الأمة الإسلامية عن طريق المتصوفة والصفويين.

الجهاد كلمة ذات مفعول سحري للمسلمين؛ لأنها تمثل المصير المقرر لهم في الآخرة، مصير مثمر يتمناه كل مسلم، ويتوق إليه بشدة؛ لذلك كانت رغبة المسلمين الأوائل تتركز على الجهاد والشهادة في سبيل الله، ليس من أجل حور العين والغلمان وأنهار الخمر والعسل واللبن كما يصورها المغرضون والحاقدون على الإسلام، بالرغم من أنه منصوص عليها في القرآن الكريم؛ لأن هذه المزايا موجودة على الأرض ويمكن الحصول عليها بسهولة، لكن إرضاء لله تعالى بالدرجة الأساس الذي حض عباده المؤمنين على هذه الفريضة، لكن البعض سيما الصفويين يحاولون تسفيه هذه الفريضة التي تعد السادسة؛ لأن تأريخهم مبني على الخيانة والغدر والتعاون مع بقية الأديان ضد العرب والمسلمين. إن من يحرر نفسه من فريضة الجهاد، لا يُستبعد منه تسفيهها وتشويه صورة المجاهدين، والذكر الحكيم يزخر بآيات حول أهمية الجهاد منها: ﴿وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء:95]، وكذلك توجد الكثير الأحاديث النبوية الشريفة يمكن الرجوع إليها بسهولة.

حصر الصفويون فريضة الجهاد بظهور القائم!

وهي فكرة مأخوذة عن اليهودية فلا جهاد عندهم إلا بخروج المسيح المنتظر، مع أن اليهود لم يلتزموا بهذه العقيدة، فقد قاتلوا وجاهدوا في سبيل كيانهم المسخ وظفروا بغايتهم، لكن الصفويين ملتزمين بهذه الفكرة الباطلة! فلا جهاد إلا بظهور القائم المختفي منذ أكثر من (12) قرناً، والمهدي المزعوم نفسه لم يجاهد في سبيل الإسلام، بل هرب واختفى في حفرة خشية من الموت، وأدخل الجهاد في باب التحريم! عن أبي عبد الله قال: "القتال مع غير الإمام المفترض طاعته حرام مثل الميتة والدم ولحم الخنزير" [وسائل الشيعة32/11]. وهذا الشيخ الخرف البحراني يًفرد باباً بعنوان: "أن شيعة آل محمد شهداء وإن ماتوا على فرشهم" [المعالم الزلفى/ 101].

عن عبد الله بن سنان قال: "قلت لأبي عبد الله: جعلت فداك! ما تقول في هؤلاء الذين يقتلون في هذه الثغور؟ فقال: الويل! يتعجلون قتلة في الدنيا، وقتلة في الآخرة، والله ما الشهيد إلا شيعتنا ولو ماتوا على فرشهم" [التهذيب للطوسي 42/2]. ونقل الكليني عن الإمام علي: "أنتم والله على فُرشكم نيام لكم أجر المجاهدين، وأنتم والله في صلاتكم لكم أجر الصادقين في سبيله" [الكافي213/8]. فلماذا يجاهدون طالما أن الأجر محسوب لهم وهم نائمون؟ ناموا ولا تستيقظوا فالأجر حسم للنوم! إذن علام يطالب علي جنده بالقتال ضد معاوية ويُعيرهم بقوله: "لوددت أن معاوية صارفني بكم صرف الديار بالدرهم، فأخذ مني عشرة منكم، وتعطاني رجلاً منهم" [نهج البلاغة لمحمد عبدة/189]. طالما هو يدعي بأنهم سيدخلون الجنة ولهم أجر المجاهدين وهم على فرشهم! فكيف لا يخذلوه؟ أين واعز وحافز الجهاد يا إمام؟



وقد وصل بهم الاستهتار بهذه الفريضة بأن يشيعوا بين أتباعهم الجهله والسذج: "إذا مات منكم ميت قبل أن يخرج قائمنا كان شهيدًا، ومن أدرك قائمنا فقتل معه كان له أجر شهيدين" [البحر123/52]، وهذا يعني ضرب جهاد الصحابة وبقية المسلمين عرض الحائط، فالمهمود من الشيعة على سريره له نفس ثواب المجاهد في ساحة الوغى.

من الجدير بالذكر أن موقف الصفويين من الجهاد أشبه بالطين المطاوع يشكلونه حسبما يريدون؛ فهم يمجدون مثلاً جهاد الخميني ضد الشاه رغم أنه لم ينتظر القائم وقام بثورته، وقد دعا الخميني محمد باقر الصدر للجهاد ضد البعث وهو يعرف أن ذلك لا يجوز شرعاً، ولا نفهم لماذا يرفعون راية المهدي ويدوسون راية جده الإمام علي رضي الله عنه القائل: "أنا صمصام الجهاد" [شرح إحقاق الحق للسيد المرعشي22/ 351].

وللحقيقة والتأريخ فإن بعض المراجع لم يتعاملوا بجدية مع فكرة تأجيل الجهاد لغاية ظهور المهدي. مثال على ذلك: إعلان الجهاد في عام 1911 بعد احتلال الروس والبريطانيين لأجزاء من إيران واحتلال إيطاليا لطرابلس الغرب وبنغازي، كما أصدر آية الله العظمى كاظم اليزدي فتوى دعت جميع المسلمين إلى الجهاد والتضحية بالنفس لطرد القوى الاستعمارية الغاشمة. وعزم على قيادة المجاهدين المتطوعين الذين سلحتهم العشائر بنفسه، لكن وفاة سماحته عشية الجهاد ألغت العملية بمجملها [**لمحات اجتماعية لعلي الوردي/3**].

كذلك بعد نزول القوات البريطانية في البصرة بتأريخ 1914/11/6 انطلقت دعوات الجهاد في جميع مساجد العراق، وأرسل مبعوثون من العتبات المقدسة إلى العشائر لحثهم على الجهاد، وبلغ عدد المجاهدين حينذاك أكثر من (18000)، وضعوا تحت القيادة التركية، وكان على رأس المجاهدين سماحة شيخ الشريعة الأصفهاني والشيخ مهدي الخالصي ومحمد سعيد الحبوبي ومصطفى الكاشاني ومهدي الحيدري والسيد محسن الحكيم [راجع ماضي النجف وحاضرها لجعفر محبوبة]، حتى أن نجل المرجع الاكبر مرزا محمد تقي الشيرازي إبان الاحتلال البريطاني للعراق وزع منشوراً تضمن "الواجب على عموم المسلمين أداء فريضة الدفاع عن حوزة الدين المبين، وصيانة المشاهد المشرفة من تلوث الكافرين، ومحافظة نواميسكم الأطهار عن تعديات الكفرة" [عبد الرزاق الحسني/ العراق في دوري الاحتلال والانتداب].

لكن الصفويين كان لهم مواقف مغايرة تجاه الجهاد في العراق! وآخرها موقف السيستاني من الغزو الأمريكي للعراق، فهذا المرجع البريطاني الهوى لم يكتف بتجميد فريضة الجهاد، بل أفتى بالتعاون مع قوات الغزو الأمريكي! سأل مواطن المرجع الأعلى عن الجهاد في سبيل الله ضد المحتل الأمريكي، وهل هو واجب على كل إنسان يعيش في ظل احتلال؟ فأجاب المرجع الأعلى بأنه لا وجود للجهاد في زمن الغيبة "غيبة الإمام المنتظر"، والدفاع له مراتب لا يمكن تخطيها. وذيلت الرسالة بختم لجنة استفتاء مكتب سماحة آية الله العظمى علي السيستاني، مما يؤكد صحتها. كما أن موقف السيستاني لا يحتاج إلى فتوى لأنه واضح من خلال اعترافات بول بريمر ورامسفيلد ومجيد الخوئي ابن المرجع الأعلى، علاوة على موقف الشيعة عموماً من الاحتلال.



وبعدها عام 2014 أعلن السيستاني الجهاد الكفائي ضد أهل السنة، فقد ذكر ممثل المرجعية الشيخ عبد المهدي الكربلائي خلال خطبة الجمعة في الحضرة الحسينية: "إن العراق وشعبه يواجه تحدياً كبيراً وخطراً عظيماً، وأن الارهابيين لا يستهدفون السيطرة على بعض المحافظات كنينوى وصلاح الدين؛ بل صرحوا بأنهم يستهدفون جميع المحافظات لاسيما بغداد وكربلاء والنجف، فهم يستهدفون كل العراقيين، إن مسؤولية التصدي لهم ومقاتلتهم مسؤولية الجميع، ولا تختص بطائفة دون أخرى أو طرف دون آخر. التحدي وإن كان كبيراً إلا أن الشعب العراقي الذي عرف عنه الشجاعة وتحمل المسؤولية في الظروف الصعبة أكبر من التحديات والمخاطر، فإن المسؤولية في الوقت الحاضر هي حفظ بلدنا ومقدساتنا من المخاطر، وتوفر حافزاً لنا للمزيد من العطاء والتضحيات في سبيل الحفاظ على وحدة بلدنا وكرامته وصيانة مقدساته، ولا يجوز للمواطنين الذين عهدنا منهم الصبر والشجاعة في مثل هذه الظروف أن يدب الخوف والإحباط في نفس أي واحد منهم؛ بل لا بد أن يكون ذلك حافزاً لمزيد من العطاء لحفظ البلد ومقدساته. وعلى المواطنين الذي يتمكنون من حمل السلاح دفاعاً عن بلدهم وشعبهم ومقدساتهم التطوع للانخراط في القوات الأمنية للغرض المقدس"، ليتهم تقولوا هكذا ضد الغزاة الأمريكان! لكن لا عجب فالشيخ إيراني ويمثل مصالح بلده.

من الغرائب: أن يحظى اللواط والزنا ونكاح الدبر والنفاس باهتمام المرجع الأعلى، فيتحدث عنه بالتفصيل الممل، دون أن يحظى الجهاد باهتمامه. أية رسالة علمية دينية تلك التي لا تتطرق لفضيلة الجهاد مطلقاً؟!

يُحكى في هذا الصدد عن رابعة العدوية أنَّها أتت ليلة بالقدس تصلّي حتى الصباح، وإلى جانبها بيت فيه فقيه مثل السيستاني يكرر الحديث على باب الحيض إلى الصباح، فلمّا أصبحت رابعة قالت له: "يا هذا! وصل الواصلون إلى ربّهم، وأنت مشتغل بحيض النّساء" [مجموع الفتاوى لابن تيمية396/11]، هذا هو حال مراجع الصفوية.

إن كنت مسلماً - بغض النظر عن مذهبك - فإنك لا تحتاج إلى دعوة شيخ ولا فتوى مرجع لتجاهد ضد الأعداء، عندما يُحتل وطنك، ويهتكون عرضك، ويستبيحون مالك؛ فإن القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفه تُكفل لك هذا الحق، وتلقم فم أي شيخ ومرجع مداساً إن كان لا يقر بصحة جهادك، أو يمنعه.

من جهة أخرى: هل يجوز الفتوى بالجهاد ضد الغزاة وهم خارج دارك، وإبطالها وهم داخل دارك يغتصبون ويقتلون ويسرقون ويعيثون فساداً في كل مرافقه؟ أي مذهب هذا الذي يهادن الأعداء ويتعاون معهم!

حذا المتصوفة حذو الصفويين!

فعزفوا عن الجهاد ضد أعداء الإسلام، واخترعوا لأنفسهم الضالة حديثاً ونسبوه كالعادة للنبي صلى الله عليه وسلم: "رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر" [أولياء الرحمن وأولياء الشيطان/ 46]، على اعتبار أن الجهاد الأكبر هو الجهاد ضد نوازع النفس البشرية، والحقيقة هي عكس ذلك تماماً؛ فالجهاد ضد النفس يسبق الجهاد الأصغر وهو الذي يحفز إليه! ثم كيف نعتبر الجهاد في سبيل الله ورسالته جهاداً أصغر والجهاد مع النفس جهاداً أكبر؟ وكيف نبرر استمرار الجهاد الأصغر بعد وفاة



النبي صلى الله عليه وسلم والمتمثل بالفتوحات الإسلامية ومن بعدها الحروب الصليبية؟ وقد علق شيخ الإسلام ابن تيمية على حديث الجهاد بقوله: "وأما هذا الحديث الذي يرويه بعضهم، فلا أصل له، ولم يروه أحد من أهل المعرفة بأقوال النبي صلى الله عليه وسلم وأفعاله". إنه حديث فبركوه للتخلف عن الجهاد.

يذكر أبو الحسن الشاذلي أن الجهاد يكون بمقارعة أربعة أوكار شيطانية:

أولهما: وكر للشهوة يحرض على ارتكاب المعاصي والكبائر.

ثانيهما: وكر للشهوة يحارب الطاعات التي فرضتها الشريعة الإلهية.

ثالثهما: وكر للشهوة تعزز الميل إلى الراحة والكسل.

والأخير: وكر للشهوة يجعل الإنسان عاجزاً عن أداء الواجبات الشرعية.

وهي نفس رؤية الغزالي حيث يسميها القوى الشهوانية، والغضبية، والشيطانية، والربانية. ويفسر لنا الشيخ الحسن القزاز الجهاد الأكبر بألا تأكل إلا عند الفاقة، ولا تنام إلا عند الغلبة، وأن لا تتكلم إلا عند الضرورة. [الغنية/182]. يمكن أن نعتبر هذه الاجتهادات كأساليب للمعيشة أو أدب العشرة، ولكن ما علاقتها بفريضة الجهاد؟ هي أمور ذاتية تخص الفرد نفسه ولا علاقة لها بالدفاع عن الوطن والعقيدة.

ويذكر ابن تيمية أن الإفراط في حسن الظن بالصوفية جعل الناس يؤمنون بمعتقدهم وينكرون الجهاد والدفاع عن بيضة الإسلام، فوقعوا فريسة سهلة في يد التتار والمغول. وهذا ما سنوضحه لاحقاً.

المصيبة الكبري هي: أن المتصوفة يزعمون بأن لديهم القدرة على دحر جيوش الظالمين والمعتدين لكنهم لا يستخدمونها! فقد ذكر الإمام الغزالي أنه بعد دخول الزنج إلى بغداد قتلوا الأنفس، ونهبوا الأموال. فإاجتمع إلى سهل إخوانه وناشدوه: لو سألت الله تعالى دفعهم "أي الزنج". فقال: إن لله عباداً في هذه البلدة لو دعوا على الظالمين لم يصبح على وجه الأرض ظالم إلا ومات في ليلة واحدة. ولكنهم لا يفعلون! وعندما استفسروا عن السبب؟ أجاب: لأنهم لا يحبون أن لا يحب! [إحياء علوم الدين305/4]! حسناً إذا كان الله لا يحب قتل الظالمين فلماذا لعنهم؟ ولماذا أحل الجهاد ضدهم؟ ولماذا لم يجعل لهم شفيع كما جاء في سورة غافر: ﴿مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلا شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾ [غافر:18]؟

وكيف نفسر الحديث النبوي الشريف: **«إن الناس إذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يديه أوشك أن يعمهم الله بعقاب منه»** [سنن أبي داود 436/2]، ولماذا أرسل الله الأنبياء والرسل لمقارعة الظالمين؟ مع أن الغزالي نفسه لم يكن له موقفاً مشرفاً مع الغزاة، على العكس من شيخ الإسلام ابن تيمية.

دخل الصليبيون القدس عام 492هـ بعد اتفاقهم مع العبيديين "الشيعة" على أن تكون حصتهم جنوب بلاد الشام ويأخذ الصليبيون شمالها، لكن الصليبيين كعادتهم نكثوا بعهدهم مع العبيديين؛ لذلك غير العبيديون حلفاءهم الصليبيين واستبدلوهم بالسلاجقة، فكانوا يهجمون على الصليبيين من جهة الجنوب، ويهجم السلاجقة من جهة الشمال. وأوج تعاونهم تمثل في معركة عام 498هـ و499هـ وحصار يافا عام 518هـ. ومن المعروف أن الإمام الغزالي وابن عربي والشاذلي وابن الفارض وعدد غير قليل من المتصوفة عاصروا مآسي الحروب الصليبية وسقوط بيت المقدس، ولكنهم لم يحركوا ساكناً، لا قولاً ولا فعلاً ولا شعراً! كأن الأمر لا يعنيهم! وهم يشهدوا أقوى غارة وعدوان



على العالم الإسلامي، وهذا يعني أنهم كانوا من المتخاذلين أو من المتعاونين سراً مع الغزاة، سيما أنهم يؤمنون بعقيدة التقية، في الوقت نفسه وقف عدد من الفلاسفة والكتاب النصارى ضد هذه الحروب اللعينة، ووصوفها بالعدوانية وغير المقدسة [للمزيد راجع كتاب تأريخ الدولة العباسية الثانية/ محمود شاكر].

من العجائب أن يتحدث المتصوفة عن الشيخ مسلم بن نعمة السروجي، بأنه لما دخل الكفرة الفرنج والأرمن مدينة سروج وقتلوا ونهبوا وحرقوا وأسروا، كل هذا ولم يحرك الشيخ السروجي ساكناً، ولكن عندما اقتربوا من زاويته "خرج وأشار بيد الكريمة برجوعهم فرجعت الخيل قهراً لا يستطيعون ردها بوجه، وقتل منهم خلق عظيم وكذلك الخيل"، إنها بطولات كاذبة من وحي مخيلتهم المريضة ولا أصل لها في تأريخ الحروب الصليبية. المثير في الأمر هو عندما يحتل الوطن لا يحرك الشيخ ساكناً، وعندما يقتربون من صومعته تبدأ قوته الخارقة في الدفاع عنها، لقد اختزل الشيخ الوطن كله بصومعته البائسة، وبئس الاختزال.

عندما شارفت القوات الفرنسية على دخول مدينة القيروان استعد المجاهدون للدفاع عنها، ولكنهم سألوا قبل أية حركة الشيخ "سيدي أحمد الهادي" إمام مسجد القيروان ليستشير ضريح شيخ المسجد "استشارة ميت"، فدخل الضريح وخرج قائلاً: "ينصحكم الشيخ بالتسليم، فسقوط البلاد بات محتماً"! فعلاً دخلها الفرنسيون عام 1881 بسلام، فلا قتال ولا مقاومة ولا تضحيات [للمزيد راجع كتاب المسألة الشرقية لمصطفى كمال].

وفي الجزائر عام1684ساعد "سيدي أحمد صاحب السجادة التيجانية" الفرنسيين بقيادة "الدوق دوماك" على احتلال مدينة بسكرة، وقد تزوج من سيدة فرنسية "أوريلي بيكار" بالطريقة الكنسية على يد "الكردينال لافيجري" فكان أول جزائري مسلم يتزوج بأجنبية مسيحية في عام1870! وقد روت بيكار قصة زواجهما في كتابه [أميرة الرمال]، وكيف خلفها التيجاني مع أخيه على السجادة التيجانية! علماً أنها حصلت على وسام رفيع من حكومة الاحتلال الفرنسي على مجهوداتها الشخصية؛ فيا ترى ما هي مجهودتها التي استحقت عليها وسام من حكومتها؟ وجاء على لسان قائد عسكري فرنسي: "تمكنت الحكومة الفرنسية من جمع المتصوفة الذين استمالتهم، وأمنت لهم الحماية الكافية"، لماذا يوفر الاستعمار الأمن والسلامة للمتصوفة دون غيرهم؟ وكذلك الأمر في موريتانيا وجنوب غرب أفريقيا. فقد ذكر بول اودينو"كانت التيجانية منذ عام1911 تقدم لنا العون الكبير واستثمرنا نفوذها الشعبي القوي" [تأريخ المغرب العربي/ روم لاندو]، تأريخ غير مشرف للتيجانية، لا يُمحى على مدى الدهور.

في السودان ساهم مقدم الطريقة التيجانية "سيدي مالك عثمان" عام1913 باحتلال السودان، وتعاون أتباع الطريقة الختمية والسيد الميرغني مع القوات البريطانية في احتلال بلادهم فأجهضوا الثورة المهدية في مهدها، وكذلك أثناء احتلال بريطانيا للهند، عندما امتنع الشيخ أحمد رضا [مؤسس الطريقة البريلوية] عن مقارعة الغزاة الانكليز بدعوى: "لا جهاد علينا مسلمي الهند، حسب ما ورد في القرآن"! [البريلوية لإحسان ألهي/43]؛ فهل ورد في الشرع نصاً يعفي المسلمين الهنود من الجهاد؟ هل يجوز أن يستخدم القرآن وسيلة لتثبيط عزائم المجاهدين؟



عندما احتل الفرنسيون المغرب وشمال أفريقيا تعاون معهم أتباع الطريقة التيجانية. يذكر د. عمر فروخ بأنه: "ليس من المستغرب أن يغدق المستعمرون الجاه والمال على الصوفية، فرب مفوض سامي لا يستقبل وجوه البلاد، لكنه يسعى لزيارة حلقة ذكر للمتصوفة، أليس التصوف على هذا الشكل يقتل عنصر المقاومة في الأمم؟" [التصوف في الإسلام].
كما أقام هاشم العيطة "شيخ الطريقتين السعدية والبدرية في سوريا" حلقة ذكر على شرف المعتمد البريطاني "الجنرال سبيرس" وأشاد في الختام بالملك جورج السادس ورئيس الوزراء ونستون تشرشل خلال الذكر[للمزيد راجع يوميات الخليل/ خليل مردم بك].
وكان الفرنسيون على تعصبهم البغيض في الجزائر يسمحون للشيوخ فقط بإقامة حلقات الذكر، ويحضرون بعضها، مما حدا بالشيخ عبد الحميد بن باديس إلى محاربة الطرق الصوفية حينذاك.
إن عدم المشاركة في الجهاد والتعاون مع أعداء السلام لا يمكن تبريره أو قبوله تحت أي مسوغ، فهو عار أبدي في الجبين، ونستذكر تأريخياً رسالة العتاب – إن صحت - التي كتبها ابن المبارك للفضيل بن عياض الذي تذرع بانشغاله بالعبادة في تبرير عدم مشاركته بحماية الإسلام من غزوات أعدائه.
كما أن المتصوفه انفسهم يقولون: "إن التصوف أن تضحي بنفسك، لا أن تتكلم كلام الصوفية"، لكنهم يجاهدون في صومعاتهم فقط، وليس في ميادين الوغى.
يذكر حسين جوزو بهذا الصدد: "في الوقت الذي كان المتصوفة يتحدثون فيه بالكشف والكرامات الواقعة على أيدي بعض مشايخهم، ومنها إحياء الموتى! كان العالم الإسلامي يتعرَّض لصنوف المحن والشدائد" [الإسلام والعصر لحسين جوزو].
وشتان بين الحاليين يحيون الموتى من جهة، ويتركون الأحياء يموتون على أيدي الغزاة من جهة أخرى.

ونتساءل بدورنا:

إذا كان الغزو الصليبي والمغولي والاستعماري - القديم والحديث - والصهيوني وما ارتكبوه الغزاة من مجازر وحشية وإبادات بشرية ضد العرب والمسلمين لم يشحن بطارية الجهاد عند المتصوفة، ويولد كرامات للوقوف ضد المعتدين؛ إذن لا خير فيهم ولا صحة لكراماتهم!
إن تأثير شيوخ الصوفية وعلماء الصفوية على أتباعهم ومريديهم كان أمضى سلاح استخدمته قوى الاستعمار القديم والحديث ضد الشعوب الواقعة تحت سيطرتها؛ لذا كان تحركهم أولاً على المراجع والشيوخ قبل أو خلال الاحتلال لخطب ودهم، أو على أقل تقدير لضمان حيادهم. أن كسب المراجع والشيوخ للغزاة يعني ضمان الآلاف وربما الملايين من الأتباع إلى صفهم أو تحيدهم على أقل تقدير؛ لذلك عمل المراجع على ترسيخ فكرة العصمة والطاعة عند أتباعهم، والتسليم المطلق بآرائهم والاستحواذ على عقولهم، وتطويع إرادتهم حسب أهوائهم ليستثمروها في مصالحهم، واعتبروا الانحراف عن خط طاعتهم، يعني الانحراف عن خط الإيمان، ثم تمادوا في غيهم فاعتبروه الشرك بالله.



ويذكر الأستاذ التليلي العجيلي: "أصبح المريد رهين أوامر الشيخ الذي لا يرفض له قولاً، ولا يعترض له على أمر، فاستغل المشايخ نفوذهم في التحكم والتصرف في أتباعهم، ليس وفق هواهم فحسب، بل وفق ما تمليه عليهم القوى الاستعمارية" [الطرق الصوفية والاستعمار الفرنسي/34].

هذا الذي نحذر منه، وفيه الإجابة الشافية عن سبب انشغالنا بهذا الموضوع، أتباع الصوفية والرافضة يمثلون طاقة جماهيرية ديناميكية وخطيرة، حيث يمكن لمرجع واحد أو شيخ أن يُفعلها أو يعطلها، والتجربة في العراق أفضل برهان على هذه الحقيقة، لكن هذا لا يعني بأن جميع الفصائل الصوفية والإمامية كانت بعيدة عن الجهاد، صحيح أن الغالبية تقف ضده، لكن لكل قاعدة شواذ.

مثلاً: في الوقت الذي خدمت الطريقة التيجانية الاستعمار الفرنسي في الجزائر، كان للطريقتين القادرية والروحانية دوراً مشرفاً في مقارعته، وفي تونس حدث العكس فقد خدمت الطريقتان الرحمانية والقادرية الاستعمار الفرنسي [حيث طالبت القادرية بتحالف فرنسي - إسلامي]، وكان شيخ الطريقة محمد شعبان في استقبال القوات الفرنسية الغازية، لكن بعض الزوايا من نفس الطريقتين حاربوا الاستعمار، وكذلك من مخازي الطريقتين [السلامية والشابية] أنهم سلموا رجال المقاومة الوطنية للقوات الفرنسية. أي نفس مهمة المخبر السري حالياً في العراق المحتل، ومن مخازي الطريقة التيجانية أن أوصى شيخها القبائل بالتزام الهدوء وعدم مقاومة الغزاة، أي نفس دعاوى أصنام النجف الأربعة وذيلهم مقتدى الصدر.

يمكن ملاحظة ظاهرة استعمارية مهمة تخص التعامل مع المراجع والشيوخ الذين يجندوهم لخدمتهم، وهي بعد أن تتوطد عرى الاستعمار في البلد، تقوم إدارة الاستعمار تدريجياً بسحب البساط من تحتهم عبر إنهاء نفوذهم المادي والمعنوي، أو بتقليص امتيازاتهم الكبيرة كوضع اليد عليها، أو التهديد بالسيطرة على مواردهم المالية أو كشفها للمواطنين على أقل تقدير للحط من شأنهم ومنزلتهم، وأحياناً التهديد بفضح تعاونهم مع الغزاة كعملاء مأجورين وإسقاطهم شعبياً. وهذا ما لاحظناه في العراق، فبعد الغزو الأمريكي الغاشم كشف بول بريمر ورامسفيلد هوية أحد أكبر عملائهم في العراق وهو آية العمالة العظمى السيستاني.

ذكر بريمر في يومياته: "أرسل لي السيستاني ذات يوم يقول: إن عدم لقائه بنا ليس ناتجاً عن عداء للتحالف، وإنما لأنه يعتقد أنه بذلك الموقف يمكن أن يكون أكثر فائدة لتحقيق أهدافنا المشتركة، وبأنه سيفقد بعض مصداقيته لدى أنصاره لو تعاون بشكل علني مع مسؤولي التحالف، كما فعل بعض العلمانيين من الشيعة والسنة، أو رجال دين شيعة ذوي مرتبة منخفضة" [مذكرات بول بريمر/214].

وجاء في مذكرات وزير الدفاع الأمريكي السابق رامسفيلد: "إن علاقة صداقة قديمة قامت بيني وبين السيستاني ترجع إلى علم 1987 أثناء إعداد السيستاني لتسلم مهمام المرجعية بعد الخوئي، وأن الاتصال كان يتم عن طريق وكيل السيستاني في الكويت جواد المهري"، لاحظ العلاقة قبل الغزو الأمريكي للعراق عام 2003! وأن ترتيب وتهيئة المرجع الجديد تتم في بريطانيا! وأضاف وزير الدفاع الأمريكي: "قدمنا هدية لأصدقائنا في العراق على رأسهم السيستاني قدرها 200 مليون دولار، وبعد قبول السيستاني الهدية أخذت علاقاتنا معه تتسع أكثر فأكثر" من المؤكد أن تتطور!



نود أخيراً أن نوضح أن المتصوفة نسبوا لبعض الثوار والزعماء السياسيين انتسابهم لمذهبهم، وهي فرية، يحاولون ترويجها على البعض، لربما كان البعض من الزعماء قد أبدى إعجابه بأحدى طرقهم، أو حضر حلقات ذكرهم، أو اتصل بشيوخهم، أو بنى لهن تكية، لكن هذا لا يعني أنه أصبح شيخاً متصوفاً. هناك فرق كبير بين المتصوف وبين المعجب بالتصوف أو بشخصية صوفية، الصوفية عقيدة وفيها مراتب وألقاب وتقاليد، لذلك فمن يدعي العكس نطالبه بأن يذكر لنا المرتبة الصوفية للزعيم والثائر التي وصلها في سلم التصوف! وهل يحمل نفس أفكار شيوخ التصوف كوحدة الوجود والحقيقة المحمدية والفناء في الذات الإلهية وغيرها مما تحدثنا عنه في المقالات السابقة؟

الصوفية كحركة شعوبية تحاول أن لا تظهر على السطح أية توجهات سياسية إلا ما ندر، لكن هذا لا يعني أنهم لا يطمحون إلى بسط نفوذهم السياسي؛ لذلك لم نشهد لهم كتابات في السياسة أو تقرب من الحكام بل على العكس من ذلك أحياناً وفقاً لعقيدة التقية التي يؤمنون بها مما يتطلب ضرورة التحرز من ألغام الشعوبيين.

في الوقت الحاضر يعتبر رجال الطريقة النقشبندية في العراق فصيل جهادي مميز، ومن أبرز فصائل المقاومة الوطنية البطلة ضد الاحتلال الأمريكي - الصهيوني - الفارسي للعراق. والحق أن أبطال هذه الطريقة فرسان للحق، رفعوا راية الجهاد خفاقة في سماء العراق، وسجلوا ملاحم بطولية سُطرت بماء الذهب سيذكرها التأريخ دائماً وأبداً، وتتذاكرها الأجيال بفخر واعتزاز، على العكس من أصحاب الطريقة الكسنزانية الذين كان لهم موقفاً مخزياً من الغزو، على الرغم من الدعم اللامحدود الذي حصلوا عليه من النظام الوطني الذي سبق الغزو.

كنا نأمل أن تحذو بقية الطرق الصوفية كالرفاعية والقادرية وغيرها في العراق حذو الطريقة النقشبندية وتنافسها في الجهاد ضد الأعداء، لكن يبدو أن الميدان كان حصراً على النقشبندية وبقية الفصائل الجهادية من غير الصوفية.



4) الخوف من الثقافة والوعي

قال مالك بن نبي: "عندما يكون الفكر الإسلامي في حالة أفول؛ فإنه يغرق في التصوف، وفي المبهم وفي المشوش، وفي النزعة إلى التقليد الأعمى" [الصوفية ونشأتها/ مقدمة].
ونضيف لكلامه: بأن التشيع الصفوي ينطبق عليه نفس الوصف، حيث يغرق فيه العالم الإسلامي في المبهم والمشوش.
قال الأشعري: "سمعتُ محمدَ بنَ عبد الله يقول: سمعتُ محمَّد بن الفَضْل يقول: ذَهابُ الإسلام من أربعة: أولها: لا يعملون بما يعلمون. والثاني: يعملون بما لا يعلمون. والثالث: لا يتَعلّمون ما لا يعلمون. والرابع: يمنعون الناس من التعلم" [طبقات الصوفية/69]. وهذا ما يفعله المتصوفة!
لا شك أن الإسلام يحث المسلمين على طلب العلم والمعرفة، وتوجد في القرآن الكريم والأحاديث والممارسات النبوية الشريفة ما يؤكد هذا التوجه السليم، فقد جاء في سورة المجادلة: ﴿ **يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ**﴾ [المجادلة:11]، كما جاء في سورة آل عمران: ﴿ **وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ**﴾ [آل عمران:7]، وكذلك في سورة طه: ﴿**وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا**﴾ [طه:114]، وفي الحديث النبوي الشريف: «**طلب العلم فريضة على كل مسلم**» [سنن ابن ماجه]، كذلك: «**من خرج في طلب العلم فهو في سبيل الله حتى يرجع**» [سنن الترمذي]، كما جاء في الحديث النبوي الشريف: «**وفضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب**» [أخرجه الإمام أحمد5/196].
روى ابن عبد البر عن معاذ بن جبل رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**تعلّموا العلم فإن تعلُّمه حسنة، وطلبه عبادة، ومذاكرته تسبيح، والبحث عنه جهاد، وتعليمه لمن لا يعلمه صدقة، وبذله لأهله قربة، لأنَّه معالم الحلال والحرام، ومنار سبيل أهل الجنّة، وهو الإنس في الوحشة، والصاحب في الغربة، والمحدث في الخلوة، والدليل على السّرّاء والضّرّاء، والسلاح على الأعداء، والزين عند الأخلاّء، يرفع الله به أقواماً فيجعلهم في الخير قادةً وأئمّةً، تُقتصُّ آثارهم، ويقتدى بأفعالهم، وينتهى إلى رأيهم، ترغب الملائكة في خلّتهم، وبأجنحتها تمسحهم، يستغفر لهم كلّ رطب ويابس، وحيتان البحر وهوامّه، وسباع البرّ وأنعامه، لأن العلم حياة القلوب من الجهل، ومصابيح الأبصار من الظلم، يبلغ العبد بالعلم منازل الأخيار والدرجات العلى في الدنيا والآخرة، والتفكر فيه يعدل الصيام، ومدارسته تعدل القيام، وبه توصل الأرحام، وبه يعرف الحلال من الحرام، وهو إمام العمل، والعمل تابعه، يلهَمه السعداء ويُحرمه الأشقياء**» [جامع بيان العلم وفضله1/65].
كما ذكر الحسن البصري: "العالم خيرٌ من الزاهد في الدنيا، المجتهد في العبادة ينشر حكمة الله فإن قبلت حمد الله، وإن رُدّت حمد الله"، وقال الإمام الشافعي: "طلب العلم أفضل من صلاة النافلة"، وسئل الإمام أحمد: "أيُّما أحبُّ إليك أن أصلّي بالليل تطوُّعاً أو أجلس أنسخ العلم؟ قال: إذا كنت تنسخ ما تعلم من أمر دينك فهو أحبُّ إليّ"، وقال أيضاً: "العلم لا يعدله شيء" [جامع بيان العلم وفضله1/99].
بل إن الشيخ الهجويري يستشهد بحديث للنبي صلى الله عليه وسلم يقول فيه: «**اللهم إني أعوذ بك من علم لا ينفع**» [كشف المحجوب/11] ويعلم الشيخ جيداً أن علوم الصوفية لا يرتجى منها أي نفع للعباد؛



فما نفعنا من طيران شيخ لا يستخدم في الإغارة على أعداء الإسلام؟ وما فائدة المشي على الماء ما لم يوظف قدرته في دعم القوة البحرية الوطنية؟ وما فائدة طي المسافات ما لم تُستخدم لتعزيز القوات البرية؟ حتى لأغراض السلم وخدمة الحضارة لم يوظفوا فيها قدراتهم المزعومة، ونفس الشيء بالنسبة لعلوم الأئمة عديمة الجدوى.

لقد عمل الخلفاء الراشدون والصحابة وفق النهج الربوي والنبوي القويم في طلب العلم والحث عليه والانتفاع منه بأقصى قدر ممكن، قال معاذ بن جبل: "عليكم بالعلم؛ فإن طلبه لله عبادة" [مفتاح دار السعادة182/1]، لكن العلوم والثقافة من شأنها كما هو معروف تنوير عقول الناس وفتح آفاق جديدة في مداركهم، وتكثيف درجة وعيهم مما يساعدهم على استيعاب الحقائق، وكشف دجل السادة والشيوخ وتعريتهم أمام الناس؛ لذا فإنها تهدد مصالحهم وامتيازاتهم المهولة؛ لذا كان لا مفر لهم من صد العلم والمعرفة عن الناس، واستبدالها بالدجل والخرافات، وكل ما من شأنه توطين الجهل والتخلف في عقول أتباعهم من العوام.

يخشى الشيوخ والمراجع أشد الخشية سلاح التنوير المعرفي والثقافي، ويعملون بكل قوة وجهد لسلب الناس لعقولهم أو تغييبها، والعمل على ديمومة هذا الوضع المزري. انظر إلى أتباع الآيات والشيوخ ستجد غالبتهم من العوام والجهلة والأميين، ممن يسهل الضحك عليهم بدعاوى مضلله كمعالجة العقم، وضمان جنس المولود القادم، والشفاء من الأمراض والعلل، وتزويج العوانس، ومعالجة الصرع، وفك عقد السحر، وإخراج الجن من الجسد، وإعادة المسافر والبعيد، والإفراج عن السجين، وتوسيع الرزق، وقبول الحظوة عند الحكام، وقضاء الحاجات وغيرها، مما يؤمن العوام بقدراتهم على إنجازها مهللين جملتهم المعروفة: "اللهم صل على محمد وآل محمد"، بعد كل خرافة ينطق بها السيد الدجال! وقد لخص ابن الجوزي هذه المسألة بقوله: إن أول "تلبيس لهم على الناس هو صدهم عن العلم؛ لأن العلم نور، فإن أطفأ مصابيحهم، خبطهم في الظلم كيف شاء" [تلبيس إبليس].

ولتبيان هذه الحقيقة نستعرض بعض آرائهم التي تمجد الجهل والتخلف، وتحقر طلب المعرفة ومجالسة العلماء، معتبرين أن علومهم مرجعها ليس التفكير والبحث والدراسة إنما الفيض الإلهي، أو الكشف الذي وصفه الشيخ عبد الله الهروي في كتابه "منازل السائرين" بأنه يعني بلوغ ما وراء الحجاب وجوداً! محاولة فاشلة للتهرب من الواقع إلى ما وراء الحجاب.

نفر المتصوفة من العلم الشرعي ووصفوه بآفة المريد، وذموا كبار علماء الأمة وأنكروا علومهم، محرضين الناس على نبذ المعرفة والتزام الجهل ليسهل عليهم قيادتهم، فالجاهل يمكن التلاعب بأفكاره وتغليب عاطفته على عقله بسهولة، وبالتالي يمكن استغلاله استغلالاً بشعاً. قال ابن الجوزي: "مازال الأمر ينمو، ومازال إبليس يخبطهم بفنون البدع" [تلبيس إبليس/168]؛ لذلك نجد المتصوفة يسخرون من أبي حنيفة والشافعي كما يتجلى ذلك بوضوح في أشعار العطار والرومي. يذكر الجنيد: "أحب للصوفي أن لا يقرأ ولا يكتب؛ لأنه أجمع لهمه" [كتاب قوت القلوب135/3]. بل شبه بعضهم العلم بعورة يجب أن لا تكشف للغير! فقد ورد عنهم: "رأى متصوف أحد مريديه وقد سقطت منه محبرته، فصاح به: اخف سوءتك يا رجل! [راجع تلبيس إبليس لابن الجوزي]. ويذكر عن الشيخ الخرقاني أنه كان أمياً لا يعرف القراءة والكتابه وأنه قال: "ورثة الأنبياء هم من اتبعوه في أفعاله، وليس من سودوا



وجوه الأوراق" [نفحات الأنس/209]. ربما لتبرير جهله! وحدثنا فريد الدين العطار عن الشيخ أبي الحسن الخرقاني قوله: "وهبني الله جميع العلوم والمعارف مع كوني أمياً"! فعلاً كلام صادر من رجل أمي!

وهذا شيخهم ابن عجيبة الحسني يعتبر الجلوس مع العلماء للاستفادة منهم أقبح من سبعين عامياً غافلاً وفقيراً جاهلاً، بل تصل به الصلافة لأن يعتبر من جالسهم "كالجالس مع العقرب والحية" [إيقاظ الهمم/97].

ويذكر عن السهروردي بأن أحد مريديه درس علم الكلام، فوضع يده على صدره ومحا كل ما درسه من علم، كما نُسب لعبد القادر الكيلاني بأنه محا مصدراً من الفلسفة وجده خطراً على مريديه، لكن لماذا يمحيه بدلاً من مناقشته ودحضه؟ وأورد أبو نعيم عن أحد شيوخهم بأن قيل له: فلان يتعلم النحو. فأجاب: هو أحوج إلى أن يتعلم الصمت. وذكر عبد الغني الرافعي "يُحرم على المريد الفكر والنظر في الأدلة، يجب عليه الصمت وعدم الكلام" [ترصيع الجواهر المكية/129] لاحظ الاستعباد الفكري للمريدين من قبل شيوخهم! وآخر يذكر بلا حياء: "إني لأسمع صوت الحديث، فيأخذني البول قرفاً منهم" [حلية الأولياء 16/8].

وهذا الشيخ الغزالي الذي يدعي إحياء علوم الدين يفسر لنا هذه العلة بطريقة بشعة قائلاً: "اعلم أن ميل الصوفية هو إلى العلوم الإلهامية دون التعليمية، لذلك لم يحرصوا على دراسة العلم وتحصيل ما صنفه المصنفون والبحث في الأقاويل والأدلة" [إحياء علوم الدين16/3]. لقد صدق الإمام الذهبي بتعليقه على كتاب الغزالي الموسوم إحياء علوم الدين قائلاً: "أراد إحياء الدين فأماته" [راجع سير أعلام النبلاء].

ونسب الشعراني للجنيد القول: "المريد الصادق غني عن علم العلماء" [حلية الأولياء72/1]، ويضيف أبو يزيد البسطامي: "العالم هو من يأخذ من ربه في أي وقت يشاء بلا تحفظ ولا درس" [شفاء السائل لتهذيب المسائل/26]. ولا نعرف سبيلاً للأخذ عن الله تعالى سوى ما أوحى به إلى نبيه المصطفى، فعن أي طريق يأخذ العبد تعاليم ربه؟!

ويذكر الشعراني: "لا يصير المرء صوفياً بالقراءة والمطالعة ولو قرأ عمر نوح وعدد رمل عالج" [كتاب الأنوار القدسية 168/1]، إنه تحريض شديد على الجهل ونبذ العلم، وأورد الشعراني عن قطبهم الأعظم قوله: "لو قرأ العبد ألف كتاب في العلم ولا شيخ له، فهو كمن حفظ كتب الطب ويجهل الداء والدواء" [الأخلاق المتبولية129/1].

ويوصي ابن عربي مريده: "الفكر عليه حرام، والنظر عليه في الأدلة محظور، وإذا رأى الشيخ المريد يجنح إلى استعمال عقله في النظريات ولا يرجع إلى رأيه فليطرده" [الأمر المحكوم المربط/269]. إنهم يريدونه حماراً مطيعاً وليس مريداً ذكياً! كما يذكر محمد محمد أبو خليل عن شيخه الغوث محمد أبو خليل: كان [رض] ينهانا عن قراءة الكتب" [المربي/417]. إنها دعوات عامة للتخلف والجهل، كي يبتزوا من خلالها المغفلين والسذج.

مثلما الإمامة لا تتعلق بالعمر ولا العلم ولا الثقافة، كذلك مشيخة المتصوفة لأنهما يتعلقان بالوراثة. يذكر الشيخ الأمين الحاج محمد عنهم: "ما هي إلا لحظات بعد تسلمه لخلافة أبيه حتى يصبح عالماً



ومرشداً ومربياً يفتي ويرشد ويعطي الطريق، فكم سمعنا أن ابن الشيخ الفلاني الذي كان عاملاً بمصلحة الري أو بالنقل الميكانيكي في السودان، أو موظفاً بإحدى المصالح الحكومية ولم تكن له صلة بالعلم ولا بالتدين، أصبح خليفة لأبيه، وحل محل الشيخ الكبير بعد انتقاله إلى الدار الآخرة، بل ربما خلفت امرأة هي بنت الشيخ أو أخته. بل تولى مشيخة بعض الطرق في مصر أطفال لم يبلغوا سن التمييز، فمثلاً عُيّن عبد الرحيم مصطفى الدمرداش شيخاً للطريقة الدمرداشية، وهو تلميذ في مدرسة نصرانية! وعُيّن محمد البيومي شيخاً للطريق البيومية وهو طالب في مدرسة أهلية، وعين أبو الوفاء التفتازاني بن محمد الغنيمي التفتازاني شيخاً للطريقة التفتازانية بعد أبيه وهو في السادسة من عمره. ولم يكتفِ الطرقية بمجانبة العلم، والصد عنه، بل قاموا بمحاربة أهل العلم والصلاح من المسلمين، فكتبهم القديمة والحديثة تشتمل على ذم أهل الظاهر وهم علماء المسلمين، وقد آذوا علماء المسلمين كابن تيمية وابن القيم وابن كثير والذهبي وابن أبي العز الحنفي والألوسي ومحمد رشيد رضا وأئمة الدعوة السلفية في نجد"، لاحظ أن هجومهم ليس على علماء أهل السنة فقط! فمحمد رشيد رضا – يعده البعض - من علماء الشيعة، ولكنهم عدوه سلفياً منحرفاً، ويكفرونه لأنه ينتقد عقيدتهم الضالة.

حثٌّ المتصوفة طلابهم على كشف الحجب، ونبذ جمع الكتب، وشبهوا من يقرأ الكتب ويعتمد عليها بالحمار الذي يحمل أسفاراً! مع أن العكس هو الصحيح. والمثير في الأمر أنهم يناقضون أنفسهم بأنفسهم، والدليل على ذلك غزارة إنتاجهم الفكري، حيث غزوا المكتبات بالكتب والمؤلفات الصوفية، وحملوا الحمير الكثير من أسفارهم! كما شنوا حرباً شعواء على العلماء والفلاسفة، كما هو عليه في كتاب الغزالي "تهافت الفلاسفة"، وأشاعوا رواية لمجد الدين البغدادي بأنه رأى النبي صلى الله عليه وسلم في المنام، وأبلغه بأن "ابن سينا أراد الوصول إلى الله تعالى بلا واسطتي، فحجبته بيدي هكذا، فسقط في النار" [نفحات الأنس للجامي/427].

اقرأ نصيحة قطبهم الأكبر الشيخ الكيلاني: "يا جاهل اترك الدفتر من يدك! وتعال اقعد ههنا بين يدي. العلم يؤخذ من أفواه الرجال، لا من الدفاتر" [الفتح الرباني/214]. دعوة لغلق المكتبات وفتح الصومعات والخاقانات. ولكن كيف الأمر مع كتاب الله الحكيم والأحاديث النبوية الشريفة؟ أليست مدونة في الدفاتر؟

كما أنهم يسدون الباب بوجه كل من يعارضهم أو مجرد يناقشهم في خزعبلاتهم وأساطيرهم، يذكر الدكتور عبد الحليم محمود: "لقد قيل لأحد شيوخنا الصالحين الأجلاء: إن أحدهم ينتقد فلاناً من شيوخ التصوف في المجلات، فقال رضوان الله عليه: وهل من حق الخنافس أن تحكم على أعمال الأسد، إن الخنافس لا تحكم على أعمال السباع، وليس من حقها أن تتحدث فيما تفعله السباع، ومنطقها دائمًا منطق الخنافس" [فلسفة التصوف الإسلامي/20]. لاحظ قلة الذوق والأدب عند شيخ الأزهر الذي يصف المنتقدين بالخنافس، فلا عتب على أولاد الشوارع!

من طريف ما يروى عن التصوف الإسلامي: أن علومه كلها ذوق، وأن تلميذًا للصوفي محيي الدين بن عربي جاء يومًا ليقول له: إن الناس ينكرون علينا علومنا، ويطالبوننا بالدليل عليها، فقال له ابن عربي ناصحًا: إذا طالبك أحد بالدليل والبرهان على علوم الأسرار الإلهية، فقل له: ما الدليل على



حلاوة العسل، فلا بد أن يقول لك: هذا علم لا يحصل إلا بالذوق، فقل له: هذا مثل ذاك" [التدبيرات الإلهية/114]. مثال سخيف جداً لا يصلح للمقارنة، الذوق حاسة والعسل مادة، في حين التصوف فكر غير مادي.

من الجدير بالإشارة: إنه في بداية تأسيس المملكة العراقية كان المجتهدون الشيعة يمنعون الناس من الدخول إلى المداس ويعتبرونها ضياعاً للدين، بل يكفرون من يدخلها. وشن المجتهدون في النجف وكربلاء والكاظمية حملة شعواء ضد التعليم في المدارس "باعتبارها علمانية، ومنعوا الآباء عن إرسال أبنائهم للمدارس، مما زاد من عدد الأميين في صفوف الشيعة" [للمزيد راجع علي الوردي/ دراسة في طبيعة المجتمع العراقي].

مع العلم أن وزراء التربية والتعليم كانوا معظمهم من الشيعة! فقد استوزرها عبد الحسين الجلبي ثماني مرات للفترة 1922 - 1935.

من المؤسف بقاء شيعة العراق فترة طويلة خارج التعليم والوظيفة الحكومية متبعين فتاوى علمائهم المتخلفين، فالمرجعية تدرك جيداً بأن التعليم والثقافة من شأنه أن يطيح بوجودهم وقدسيتهم ويكشف هالة الزيف والخداع التي تحيط بعمائمهم الإبليسية؛ لذا لا يستغرب المرء سبب ارتفاع عدد الأميين (5 -7) ملايين عراقي بعد الاحتلال الأمريكي - الفارسي للعراق عام 2003! والزيادة ستستمر لتأمين وضمان مصالح الآيات والمراجع الدينية سيما واردات الخمس التي تقدر بحوالي (36) مليار دينار عراقي سنوياً.

لاحظ أن نسبة الأمية في إيران قريبة جداً من نسبتهم في العراق في ظل النظام الصفوي الجديد، في الوقت الذي تشير فيه المصادر الرسمية الإيرانية بأن عدد الأطفال غير المسجلين في المدارس بحدود (5.1) مليون طفل، يذكر المدير التنفيذي لنقابة العمال في منطقة قزوين "عبد علي كريمي" بأن العدد الحقيقي يصل إلى حدود (7) مليون طفل أي بحدود37% من مجموع الأطفال، بمعنى الجيل القادم في إيران رُسِم له منذ الآن ليكون متخلفاً!



5) زيارة الأضرحة والمراقد المبالغة في تعظيمها

تعظيم الأضرحة ظاهرة بعيدة عن الإسلام، استعارها الصفويين والمتصوفة من اليهود، ويذكر المستشرق لين: "فعل المسلمون فعل اليهود بتعمير وتجديد بناء قبور الأولياء وزخرفتها وعمل أغطية خاصة بالقبور، يفعلونها تشبها باليهود" [راجع المصريون المحدثون].
ويذكر رونلدسن: "بالرغم من عقيدة التوحيد المنصوص عليها بالقرآن، ما تزال الأمم الإسلامية تحتفظ بعدد كبير من العادات والتقاليد الوثنية، ومنها تقديس القبور والأضرحة" [عقيدة الشيعة].
ويذكر الأستاذ حسين جوزو: "لا أثر للاختلاف في التسمية، فقد كانت الأوثان في عصر النبوَّة تسمى لات وعزَّى ونحو ذلك، وتسمى اليوم مزاراً أو ضريحاً أو مرشداً أو تميمة أو غير ذلك، وكلُّها أوثان؛ لأنَّ الناس يقصدونها لطلب المدد، ويسألونها الشفاعة" [الإسلام والعصر/150].
لم يعرف التأريخ الإسلامي مؤسسة تعبدية سوى المسجد الجامع للمسلمين، وهو لم يكن فقط مكان للعبادة بل مؤسسة تشبه البرلمان، حيث يُبايع فيه الخليفة البيعة العامة، وتناقش فيه الكثير من المسائل الدينية والاقتصادية والاجتماعية، علاوة على التشاور بين الراعي والرعية، وتُتخذ فيه القرارات المهمة، وكذلك يحاسب فيها الحاكم من قبل رعيته حول طريقة حكمه علناً ودون حياء أو خوف. فحرية الكلام مكفولة ومتاحة للجميع، والمحاججة أساس القناعة والرضوخ للرأي الأصوب. ويحدثنا التأريخ بأن بيعة الخلفاء العامة تُعقد في المساجد ويخطب فيها الخلفاء مبينين سياستهم القادمة حول الرعية وإدارة البلاد، لذلك شهدت المساجد عمليات اغتيال لعدد من الخلفاء والولاة.
أما المسميات اللاحقة كالحسينيات والخانقات والزوايا والتكايا والعتبات المقدسة فهي أسماء دخيلة على الإسلام وجدت لمنافسة المساجد، وتفريق المسلمين كمِلل ونِحل، وتشتيتهم من خلال تخصصها كمكان للعبادة يخص طائفة واحدة فقط وليس جميع المسلمين. وبمرور الزمن تحولت تلك العتبات إلى أماكن لطلب البركة وقضاء حاجات الناس وتقديم العطايا والنذور وقراءة الأدعية والأوراد وممارسة أعمال الشعوذة والدجل، وأماكن للشحاذة وكسب المال من العوام؛ إنها ليست بيوت لله بل للحسين والشيوخ.
في العقيدتين الصفوية والصوفية تعتبر زيارة اضرحة الأئمة والشيوخ مُستحبة؛ بل واجبة لغرض التبرك بها، وأنصارهما يتمسحون بالأضرحة إضافة إلى شد الخرق الخضراء، وإيقاد الشموع والبخور، ويتوسلون بالأموات ممن لا يرجى منهم خيراً وحلاً لقضاء حوائجهم، كالزواج، وتوسيع الرزاق، والحصول على الأولاد، والشفاء من الأمراض، والشفاعة والبركة.
إن موقف الإسلام من تعظيم القبور واضح تماماً في الحديث النبوي الشريف: **«لعن الله اليهود والنصارى، اتخذوا قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد»** [أخرجه مسلم 375/1، والبخاري 532/1]. ودعاء الرسول ربه: **«اللهم لا تجعل قبري وثناً يُعبد؛ اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد»** [موطأ الإمام مالك172/1]، وحديث نبوي آخر عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: **«إن من شرار الناس من تدركهم الساعة وهم أحياء، ومن يتخذوا القبور مساجد»** [مسند أحمد/3548]. وعن حبر الأمة ابن عباس رضي الله عنهما: "لعن الرسول صلى الله عليه وسلم زائرات القبور،



والمتخذين عليها المساجد والسرج" [سنن النسائي/2016]. على اعتبار أن السرج - أي الشموع - من عادات اليهود والنصارى والمجوس، وحديث نبوي آخر عن جندب بن عبد الله رضي الله عنه: **«لا تقوم الساعة حتى تأخذ أمتي بأخذ القرون قبلها شبراً بشبر، وذراعاً بذراع. فقيل: يا رسول الله كفارس والروم؟ فقال: ومن الناس إلا أولئك»** [صحيح البخاري/6774]. وحديث نبوي عن أبي سعيد الخدري: **«لا تشدوا الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد، المسجد الحرام، ومسجد الرسول، والمسجد الأقصى»** [صحيحا مسلم/1368 والبخاري/1115]. وروي عن عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب: "لما وجد قبر دانيال في زمانه بالعراق، أمر أن يخفى عن الناس، وأن تدفن تلك الرقعة التي وجدوها عنده" [تفسير ابن كثير78/3].



من أحاديث الأئمة بهذا الصدد:

عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام: "بعثني رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى المدينة فقال: لا تدع صورة إلاً محوتها، ولا قبراً إلا سويته، ولا كلباً إلا قتلته" [وسائل الشيعة 869/2].

وآخر عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام: "بعثني رسول الله صلى الله عليه وسلم في هدم القبور وكسر الصور" [وسائل الشيعة 870/2].

وعن أبي عبد الله: "نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يُصلى على قبر أو يُقعد عليه أو أن يُبنى عليه أو يُتكأ عليه" [الاستبصار482/1].

وفي الوقت الذي سمح الأئمة بزيارة القبور فإنهم نهوا عن بناء مساجد فوقها كما جاء في حديث سماعة بن مهران أنه سأل أبا عبد الله عن زيارة القبور وبناء المساجد فيها فقال: "أمّا زيارة القبور فلا بأس بها، ولا يُبني عندها مساجد" [من لا يحضره الفقيه/821]. بل هم منعوا أنصارهم من زيادة التراب على القبر؛ لأنه يشكل ثقلاً على الميت، فعن الإمام الصادق: "كلما جعل على القبر من غير تراب القبر فهو ثقل على الميت" [المصدر السابق135/1]. ونصحوا أن يهال نفس التراب الذي حفر للقبر أن يدفن به الميت" [فروع الكافي203/3].

من خلال النصوص القادمة نجد أن الأئمة يستخفون بأحاديث النبي صلى الله عليه وسلم ولايبالون بتوجيهاته حسبما نسب لهم أتباعهم! ومن يحاجج بوجود قبر النبي محمد صلى الله عليه وسلم داخل المسجد النبوي، نعلمه بأن الأمر لم يكن كذلك حتى عام 88 هـ حيث كان القبر في بيت أم المؤمنين عائشة، وبسبب توسع الحرم المكي أصبح القبر داخل المسجد [للمزيد راجع موسوعة المدينة المنورة للدكتور محمد الوكيل].

كالعادة هناك تناقض شديد في الأحاديث مما يحير المرء، وهذا ديدن الرافضة والمتصوفة، تتناطح أحاديثهم كالمعز.

مثلاً: قول الإمام الصادق: "نِعم المسجد مسجد الكوفة، صلى فيه ألف نبي، وألف وصي، الصلاة فيه تعدل بألف صلاة" [شجرة طوبى/13]. وآخر: "من زار قبر الحسين كتب له ألف حجة وألف عمرة وألف أجر شهيد، وثواب ألف نسمة وأجر ألف صائم وثواب ألف صدقه، ووكل به ملك كريم، وإن مات سنته حضرته الملائكة ويحضرون معهم أكفانه ويشيعونه إلى قبره ويفسح له في قبره من بصره ويؤمن من ضغطة القبر ومن منكر ونكير ويعطى كتابه بيمينه ويعطى يوم القيامة نور يضيء ما بين المشرق والمغرب وينادى هذا من زار الحسين شوقاً إليه فلا يبقى أحد يوم القيامة إلا تمنى يومئذٍ أنه كان من زوار الحسين" [كامل الزيارات/134]. يعني حتى في الموت هناك امتيازات للرافضة! لا حول ولا قوة إلا بالله العظيم.

وأقوالهم من زار "قبر الرضا غفر الله ما تقدم من ذنبه وتأخر" [الكافي585/4]، ونسبوا لموسى الكاظم: "من زار ولدي الرضا وبات عنده ليلة، كان كمن زار الله في عرشه"! ولم يوضح لنا كيف تتم زيارة الله في عرشه؟ وما هي مراسيم الزيارة؟ كما أن زيارة قبور اربعة أئمة حسب هذه المعادلة من شأنها أن تدخل الزائر وعشيرته كلها في الجنة بلا حساب بالطبع!



كذلك القول: "من زار الحسين يوم عاشوراء حتى يظل عنده باكياً لقي الله يوم القيامة بثواب ألفي ألف حجة وألفي ألف عمرة وألفي ألف غزوة" [بحار الأنوار]. وأن الحج إلى قبور الأئمة أفضل من الحج إلى بيت الله الحرام، واختلفت رواياتهم في تفضيل زيارة قبر الحسين على الحج فمنهم من يقول زيارة القبر أفضل من [عشرين حجة/ ثلاثين حجة مع النبي/ سبعين حجة مع النبي/ ثمانين حجة/ مائة حجة/ ألف حجة مع ألف عمرة/ ألف الف حجة مع ألف ألف عمرة، ألف ألف غزوة]! كأنك تشهد مزاداً علنياً على سلعة.

كما نسبوا للإمام الرضا القول: "من زار قبور الأئمة رغبة وتصديقاً، كانوا شفعاء له يوم القيامة" [وسائل الشيعة253/5]. أليس من الأولى بهم أن يشفعوا لأنفسهم قبل غيرهم؟ والصادق يريد منا أن نزور قبر الحسين بوجه منافق بقوله: "زره وأنت حزين، مكروب، أشعث، مغبر، جائع، عطشان، سله الحوائج وانصرف" [الكافي585/4]. عجباً أليس من الأفضل أن تزوره وأنت نظيف وطاهر معطر، وتقرأ على روحه سورة الفاتحة، ثم تدعو له بالمغفرة والرحمة عند الله وتنصرف؟

ومن أقوال المحدثين جاء [في كتاب منهاج الصالحين للخوئي14/1] بأن "الصلاة عند ضريح الإمام علي كرم الله وجهه أفضل بمائتي الف صلاة"، لاحظ نفس الدجل يتكرر منذ أكثر من اثني عشر قرناً! العقول كالحجر لم تتغير، لا عقول الدعاة ولا عقول العوام! سبحان الله! إنهم يحرضون أتباعهم على ترك الفرائض والتوجه للزيارات.

في الوقت الذي ذكر فيه علي بن جعفر بأنه سأل أبا الحسن موسى: هل يصح البناء على القبر والجلوس؟ أجابه: "لا يصلح البناء عليه ولا الجلوس ولا تجصيصه ولا تطيينه" [الاستبصار 217/1].

في حين يذكر الخميني: "إن البناء على القبور من تعظيم شعائر الله؛ لأنها أماكن عبادة، وهي من البيوت التي أذن الله أن يرفع فيها اسمه" [كشف الأسرار/79]. متى وكيف إذن الله بها يا مفتري؟

ويقوم الرافضة والمتصوفة بتجديد مراقد الأئمة والشيوخ باستمرار مخالفين أئمتهم في ذلك. قال شيخ الطائفة أبو جعفر الطوسي: "ويكره تجصيص القبور والتظليل عليها والمقام عندها وتجديدها بعد اندراسها، ولا بأس بتطيييها ابتداء" [النهاية/44]، ويطلون الأضرحة بالذهب والفضة والزخارف في مخالفة أخرى لأئمتهم، قال أبو عبد الله: "إن أبي قال لي ذات يوم في مرضه: إذا أنا مت فغسلني وكفنّي وارفع قبري أربع أصابع ورشه بالماء" [وسائل الشيعة 857/2].

ومثلما يحج الشيعة إلى كربلاء؛ فهم يعتبرون الزيارة أفضل من الحج، ويطلقون على الزائر لقب الحاج، كذلك يحج أتباع الصوفية لمراقد شيوخهم، فجماعة البدوي يتوجهون في حجهم إلى طنطا، وأنصار الشاذلي إلى ضريحه في حميثراء، وهكذا بقية الأتباع كل إلى ضريح شيخه، ضاربين الإسلام وتعاليمه عرض الحائط.

المثير في أمر القبور: أن بعضها وهمية ولا صحة لها البتة! قال الذهبي عن ضريح نفيسة ابنة الحسن بن زيد بن الحسن بن علي: "لم يبلغنا كبير شيء من أخبارها، ولجهلة المصريين فيها اعتقاد يتجاوز الوصف ولا يجوز مما فيه من الشرك، ويسجدون لها ويلتمسون منها المغفرة، وكان ذلك من دسائس دعاة العبيدية" [سير أعلام النبلاء 106/10]. وذكر ابن تيمية بأن قبر رأس الحسين الذي بمصر، إنما نقل من قبر أحد النصارى من عسقلان، كما أثبت ذلك كثير من الأئمة منهم الزبير بن بكار نسابة قريش، الذي قال: إن الرأس لم يغرب" أي يذهب إلى الغرب [رأس الحسين ضمن مجموعة فتاوى ابن



تيمية 27/ 459]. وقد كذب هذا المشهد العديد من العلماء أبرزهم القرطبي، وابن كثير والذهبي والسخاوي، والقاري، والزرقاني وغيرهم.

في شعبان عام (1351هـ) الموافق ديسمبر (1932م) وَجَّهَ محمد توفيق الموظف بوزارة الداخلية المصرية عبر مجلة الإسلام استفتاءً إلى دار الإفتاء الرسمية بمصر، في عهد الشيخ محمد بخيت المطيعي يسأله: هل دُفِنَتْ السيدة زينب بنت علي بن أبي طالب بمصر أم لا؟ بسبب ما شوش به المتمسلفة النواصب. فأجاب فضيلة المفتي بما ذكره علي مبارك، ثم ما ذكره الصبان، والجَبَرْتِي، والشعراني، والعدوي رحمهم الله جميعًا، ثم عرج على ما ذكره ابن الأثير، والطبري، وابن جبير، والسَّخَاوِي. ثم خرج بأن المعوَّل عليه، هو ما رواه ابن جُبَيْرٍ من أن المدفونة بمصر من الزينبات، هي: زينب بنت يحيى بن زيد بن علي بن الحسين، وليست زينب بنت علي أخت الحسين.

كذلك شأن المتصوفة:

يقول البرعي [في رياض الجنة/127] بأن "من قال عند قبره: هذا قبر الشيخ أحمد الطيب فلن يُعذب"، ويتحدث محمد عثمان البرهاني من مناقب السيد البدوي [في كتابه تبرئة الذمة في نصح الأمة] بأن القطب دعا الله ثلاثة دعوات فاستجاب الله لاثنين فقط! أولهما: الشفاعة لكل من زاره، ويذكر الشعراني عن ابن الفارض: "زرت مرة سيدي عمر بن الفارض [رض] فلم أجده في قبره، ثم جاء بعد ذلك وقال لي: اعذرني فإني كنت في حاجة" [لطائف المنن والأخلاق149/1]. فأين هذا الكلام من كلام الله تعالى: ﴿إِنَّكَ لا تُسْمِعُ الْمَوْتَى﴾ [النمل:80]؟ وهل حفر الشعراني القبر ولم يجد ابن الفارض؟ أم تحدث معه ولم يجبه؟

في ترجمة سيرة أحمد البدوي ذكر الشعراني بأن شيخه "محمد الشناوي" صحبه إلى ضريح البدوي وسلمه إليه قائلاً: "يكون خاطرك عليه واجعله تحت نظرك. وزعم الشعراني أن يد البدوي خرجت من الضريح وقبضت على يده، وسمع صوته من القبر يقول: نعم" [لطائف المنن والأخلاق149/1]. هل الميت يأخذ باله على الحي ويحرص عليه؟ بأي شرع يصح هذا المنطق الأعوج؟

ويزعم أيضاً بأن العبد إذا زار ولياً وذكر الله عند قبره "فلا بد أن ذلك الولي أن يجلس في قبره، ويذكر الله معه. كما شهدنا ذلك مراراً" [الأنوار القدسية161/1]. ولا نفهم كيف شهد الشيخ جلوس الولي في قبره مراراً؟ هذا إذا تسامحنا معه حول سماع صوته!

والرد على هذا الإفك يتمثل بإحدى الفتاوى البزازية القائلة: من قال إن أرواح المشايخ حاضرة، اعلم أنه يكفر. لاحظ أنهم بدلاً من أن ينصحوا الناس بتلاوة سورة الفاتحة على الميت والاستغفار له، يوجهون الناس إلى تعاليم منحرفة.

يروى عن بعض شيوخهم أنه قال لصاحبه :"إذا كان لك حاجة فتعال إلى قبري واستغث بي ونحو ذلك" [الاستغاثة في الرد على البكري334/1]. كما يذكر الرواسي الرفاعي عن سلفه من مشايخ الطريقة بأنهم "نوهوا بذكر بقعة أم عبيدة "قرية في جنوب العراق فيها قبر أحمد الرفاعي" وأعظموا شأنها، وذكروا فضل زيارتها، وما يحصل من البركة والخير لزائرها" [بوارق الحقائق/224]. حتى أن تاج العارفين أبو الوفا مر بها قبل ولادة الرفاعي وقال عنها: "بقعة مباركة، سيقتتل عليها العارفون بالسلاح" كذب الشيخ فلم يقتتل العارفون!



كما قال الشيخ أحمد الرفاعي عن قرية أم عبيدة: "وعدني العزيز سبحانه أن النار لا تحرق من دخل هذه البقعة، أو من لمسته يده" فهي "مقصد الأحباب، ومحل الأبدال والأقطاب، وكل خطوة لها يمن ودرجة إلى العزيز سبحانه" [بوارق الحقائق/226]. وقال عنها شيخ السهروردي "الزائر لأم عبيدة يمشي على أجنحة الملائكة، وله بكل نفس ألف ألف حسنة" [بوارق الحقائق/224]. فهنيئاً لأم عبيدة على منافستها كربلاء، مع أنها منطقة متخلفة حضارياً هي وناسها.

وذكروا عن قبر الشيخ أبي بكر بن سالم بن عبد الله: "تربته بها مشهورة كالشمس وسط النهار، تقصده الزوار من جميع الأقطار، بأنواع الأنذار، ومن استجار بقبره المأنوس أمسى وهو محروس، لا يقدر أحد أن يناله ببؤس" [العقد النبوي248/1].

وزعم محمد التيجاني نقلاً عن أبي عبد الله بن النعمان القول: "إن زيارة قبور الصالحين والتشفع بهم معمول به عند العلماء المحققين من أئمة الدين، فهم الواسطة بين الله وخلقه" [الفوز والنجاة في الهجرة إلى الله/199]. لكن هل يحتاج المؤمن إلى واسطة مع الله وهو أقرب إليه من حبل الوريد؟ من جهة ثانية، ألم يدع عبدة الأصنام أنها أيضاً واسطة بينهم وبين والله! إذن ما الفرق هل هي دعوة للعودة إلى الجاهلية؟

يذكر الشعراني: "حكي أن شخصاً أراد أن يفعل فاحشة في أمرد في مقبرة الشيخ أبي الحسن رضي الله عنه فصاح الشيخ من داخل القبر أما تستحي من الله يا فقير" [الطبقات الكبرى163/1]، هل ترك هذا الفاسد كل أرض الله وجاء للمقبرة لغرض اللواط؟

وكان الشيخ محمد أبو المواهب الشاذلي يقول: "سمعت شيخنا أبا عثمان المغربي رضي الله عنه يقول إذا زار إنسان قبر الولي؛ فإن ذلك الولي يعرفه، وإذا سلم عليه رد عليه السلام، وإذا ذكر الله على قبره ذكر معه لا سيما أن ذكر لا إله إلا الله، فإنه يقوم، ويجلس متربعاً، ويذكر معه" [الطبقات الكبرى293/1].



6) إقامة الشعائر

تعتبر الشعائر الدينية غير المنصوص عليها في القرآن الكريم من البدع الدخيلة على الإسلام، وقد استمد أغلبها من الديانات اليهودية والنصرانية والبوذية وأديان الهند، ويذكر ماسينيون: "إن دخول حلقات الذكر في طرق الصوفية إنما تؤكد تسرب بعض طرائق الهنود إلى التصوف الإسلامي" [التصوف/49]. وقد عظم المتصوفة حلقات الذكر التي شبهها القشيري في رسالته بأنها "سيف المريدين يقاتلون به أعدائهم"، كما خصص الشاه ولي الله باباً طويلاً عنه في كتابه "سطعات"، علاوة على استخدام الأناشيد والترانيم مع إيقاع الدفوف والطبول التي هي مستمدة أيضاً من اليهودية كما جاء في النص الآتي: "ليبتهج بنو صهيون بملكهم؛ ليسبحوا باسمه برقص بدف وعود ليرنموا" [المزمور/149]، وكذلك النص التوراتي: "سبحوه بدف ورقص، سبحوه بأوتار وزمار، سبحوه بصنوج التصويت" [المزمور/150]. وأخذت بعض حركات الصوفية من الإغريقية مثل حركات الدوران والالتفاف، وترمز إلى حركة الآلهة وقباب السماء، وكان أبولو وديونيسوس يؤديانها ببراعة.

يرى صابر طعيمة: "إن الأداء الموسيقي لبعض الطرق الصوفية الحديثة مستمد من كورال صلوات الآحاد المسيحية" [الصوفية معتقداً ومسلكاً]، وقد قال عنها الإمام الشافعي: "خلفت ببغداد شيئاً أحدثه الزنادقة يسمونه التغبير، يصدون به الناس عن القرآن" [مجموع الفتاوى (10 / 77)]، وعلق يزيد بن هارون عنه: "ما يغبر إلا فاسق"، والحق أن كبار المتصوفة القدامى لم يحضروا هذه الفعاليات رغم أنهم لم يتعرضوا لها بالرفض، وهذا يعني أنهم لا يروا فيها بدعة، وسنتحدث عن السماع فيما بعد بالتفصيل.

إن تعذيب الجسد بالسلاسل الحديدية - السيوف والقامات والدرباشات ولاحقاً الأمواس - أخذ من النصرانية، وهي ترمز إلى عذاب السيد المسيح، وكانت هذه الفعاليات السادية تمارس من قبل بعض الجماعات المسيحية في القرون الماضية، واندثرت مع التطور المعرفي والثقافي، لكنها لا تزال مقيمة في ديارنا ونحتفي بوجودها معنا، مع أنها رمز لضلالنا وجهلنا وتخلفنا عن معالم الحضارة.

في العقيدتين تقام شعائر ومراسم خاصة "حلقات الذكر" للمتصوفة، و"مراسيم عاشوراء" للرافضة يستخدمون فيها الأسلحة الجارحة والأناشيد الضالة، وهي تشبه ما كان يستخدمه الكهان والسحرة في تعويذاتهم المصحوبة بأصوات الطبول والزمامير والدفوف بصحبة الخيول والجمال والحمير، وكذلك الألبسة الملونة والرايات المطرزة، بالإضافة إلى استخدام البخور والشموع وغيرها.

ويلاحظ أن بعض علماء الرافضة يشجعون على إحياء مراسيم النحيب واللطم والتطبير، وهي كما معروف من نتاج الشاه الصفوي التي استمدها من النصارى.

يذكر الخوانساري [في كتابه روضات الجنات70/1] هذا الشعر:

ألا نوحـــوا ضـــجوا بالبكاء * * * على السبط الشهيد بكربلاء
ألا نوحوا بسكب الدمع حزناً * * * عليه وامزجـوه بالدمـــاء



المصيبة أن الخميني يعتبر"البكاء على الحسين وإقامة المجالس الحسينية هي التي حفظت الإسلام منذ (14) قرناً" [صحيفة اطلاعات العدد/10901]. إذن ماذا كان يفعل الصحابة والخلفاء؟ ثم كيف حفظتها والشيعة لا يمثلون سوى (10%) من مجموع المسلمين؟!

وعندما تسأل علماءهم: هل كانت تلك الشعائر تمارس في حياة الأئمة أو بعد موتهم؟ سيجيبون: كلا! وعندما تسألهم متى استخدمت؟ ومن اخترعها؟ وممن أخذت أفكارها؟ وهل هي من الدين وتنسجم مع القرآن الكريم والسنة النبوية؟ سيراوغون في أجوبتهم، فبعضهم يستحسنها، والبعض الآخر يرفضها بصمت ـ ربما تقية والله أعلم ـ مدعين بأنه لا قوى لهم على العوام من الجهلة والحمقى! الغريب هو أن المراجع الذين يستحسنوها لا يمارسونها لا هم ولا أبناؤهم! لماذا طالما فيها أجر وتقرب من الأئمة؟ أليس هذا هو الدجل بعينه؟

أما المتصوفة فإنهم يستخدمون السيوف والنبابيل ويغرزوها في أجسادهم ويَعدونها مرحلة عالية من السمو والارتقاء الروحي التي يصلها الواجد، حيث يصفها السهروردي بقوله: "يبلغ العبد حداً لو ضرب وجهه بالسيف ولا يشعر". ونسأل الشيخ لماذا يضرب نفسه؟ ومالفائدة من إيذاء الجسد؟ وهل إيذاء النفس أم اللطف بها هو ما أوصى به الرب عباده؟

كذلك يحصر المتصوفة اهتمامهم بالغعتكاف وتلاوة الأذكار والأوراد والرقص في حلقات الذكر والموالد مصحوباً بأصوات الدفوف وزعيق الرجال، ويطلقون على فنونهم مصطلح "السماع" الذي اعتبروه "معراج الأولياء". فالسماع في عقيدتهم راحة من التعب، ومجال للتنفيس! كأنهم يعملون في المناجم وليسوا بعاطلين عن العمل ويشحذون من الناس. وأباح الإمام الغزالي السماع وفق خمسة شروط: على أن لا يكون المنشد امرأة ولا صبي، أو يكون الغرض منه فتنة النسا، وأن لا يكون الشعر فاحش، وأخيراً أن يكون المنشد من عوام الناس وليس من المتصوفة. ونسبوا حديثاً إلى الخضر عليه السلام بأن أحد المشايخ سأله عن السماع فأجابه: "هو الصفو الزلال الذي لا يثبت فيه إلا أقدام العلماء" كما ادعى "ممشاد الدينوري" بأنه رأى النبي صلى الله عليه وسلم في النوم وسأله عن السماع؟ فأوصاه أن يبدأ وينتهي بآيات من القرآن! [حل الرموز ومفاتيح الكنوز للشيخ العز بن عبد السلام/64].

كالعادة أحاديث متضاربة لا تخرج منها بفائدة. العجيب أن يدعي الغزالي: "اعلم أن الغناء أشد تهييجاً للوجد من القرآن من سبعة أوجه: الوجه الأول: أن جميع آيات القرآن لا تناسب حال المستمع، ولا تصلح لفهمه" [الإحياء298/2].

من تخاريفهم ما رواه طاهر الهمداني الوراق بأنه رأى النبي صلى الله عليه وسلم في نومه وهو جالس وإلى جانبه أبو بكر الصديق رضي الله عنه يقول شيء، والنبي يسمع ويضع يده على صدره كالواجد! عجيب أمر هؤلاء يأخذون بأحاديث النبي صلى الله عليه وسلم التي سمعوها في الأحلام ولا يقبلون بأحاديث النبي صلى الله عليه وسلم التي قالها في اليقظة! منها حديثه الشريف: **«ليكونن من أمتي أقوام يستحلون الحر والحرير والخمر والمعزف»** [صحيح البخاري]. وفي حديث آخر أخرجه الترمذي: **«إني لم أنه عن البكاء وإنما نهيت عن صوتين أحمقين فاجرين، صوت عند نغمة لهو ولعب ومزامير شيطان، وصوت عند مصيبة خمش وجوه وشق جيوب ورنه»**، وأقسم الإمام علي



والصحابي ابن مسعود بأن المقصود بالآية الكريمة: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾ [لقمان:6] هو الغناء! ومعاذ الله أن يقسما الصحابيان الجليلان على أمر لم يتيقنا منه! والتفسير نفسه أخذ به ابن عباس وجابر وعكرمة وسعيد بن جبير وعمرو بن شعيب والحسن البصري! كما قال ابن مسعود: "الغناء ينبت النفاق في القلب، كنبات الزرع في الماء".

في حادثة أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه سمع صوت مسمار"بلا غناء" فوضع أصبعيه على أذنيه ونأى عن الطريق. قائلاً: "كنا مع رسول الله فسمع مثل هذا، فصنع مثل هذا". وعلق الإمام القرطبي على هذا الحديث بقوله: "إذا كان هذا فعلهم في حق صوت لا يخرج عن الاعتدال؛ فكيف بغناء أهل هذا الزمان؟".

تأسست خانات السماع في منتصف القرن التاسع، وكانت مقتصرة على الرجال، لكن بعد ذلك انضم إليها النساء والغلمان. وكان أول نشيد للرقص ألفه المتصوف الفارسي "يحي بن معاذ" يقول فيه:

دققنا الأرض بالرقص على غيب معانيك
لا عيب على الرقص لعبد هائم فيـــــك
وهـذا دقنا الأرض إذ طفنـــا بواديـــك

[حلية الأولياء/61/10].

وكان لمواطنه الفارسي جلال الدين دوراً في تنظيم أناشيد الرقص ومنها:

يعزف على العود لحناً * * * أغنية عذبة بدقات طبل
كالشرر ويغني سكران * * * من خمـــــــــر الليل

[للمزيد راجع الديوان الكبير/2395].

يستخدم أصحاب الطريقة الرفاعية الطبول والدفوف عند السماع، في حين يستخدم أصحاب الطريقة المولوية الصنوج والنايات والمزاهر. الطريف أن الإمام الغزالي يعدنا ناقصين في نظره؛ لأننا لا نحب السماع! حيث يذكر: "من لم يحركه السماع فهو ناقص، مائل عن الاعتدال، بعيد عن الروحانية، زائد في غلظه الطبع"، ونحمد الله أن الإمام لم يجعلنا مشركين.

يعرف الكلاباذي السماع بأنه: "استجمام من تعب الوقت، وتنفس لأرباب الأحوال، واستحضار الأسرار لذوي الأشغال"، إنه تعريف لطيف يخدم المطربين والراقصات، وليس رجال الدين والمؤمنين! نعم قد يكون السماع تنفيس واستجمام للمتصوفة، لكنه ليس استحضارا لأسرار كما يزعمون! فما هي الأسرار التي يستحضرها الإنسان عند سماع الغناء أو الرقص؟

العجيب هو ادعاء المتصوفه بأن بعضهم عند السماع اختفى في السماء؛ لأن حركاته الدائرية تحولت إلى طيران [نفحات الأنس/146] بمعنى أصبح الشيوخ أعاصير، مستحدثين بذلك فقهاً جديداً "فقه السماع". ويرى القشيري الذي أفرد للسماع رسالة خاصة نشرت من قبل "المعهد المركزي للأبحاث الإسلامية في إسلام آباد" أن السماع هو "مكاشفة الأسرار إلى مشاهدة المحبوب (الله)" تعالى الرحمن عن سخافاتهم.



أما الشعراني فقد استصغر هذا التعريف المتواضع للسماع، فأنجبت قريحته تعريفاً آخر: "هو علم استأثر الله تعالى به، لا يعلمه إلا هو" [الأنوار القدسية182/2]. قد رضينا تعريف السماع بأنه فن أما علم فلا، أرحوا عقولنا! ولا نقول سوى: كان الله في عون العلماء من دعاوى السخفاء.

أورد المتصوفة حكايات عن السماع مستمدة من قصص ألف ليلة وليلة. منها مر الفوطي والدراجي بقصر كانت فيه جارية تغني لمولاها شعراً:

كل يوم تتلون غير هذا بك أجـمل

في سبيل الله ود كان مني لك يبذل

فسمع شاب تحت سياج القصر غناها فاستأذنها بأن تعيد على مسمعه ما غنته فأجابت رغبته، فشهق شهقة ومات، وستجد العشرات ممن شهق ومات بنفس الطريقة في ألف ليلة وليلة، ومن الملح أن الرواية نفسها كررها أبو علي الرودباري عندما مر بقصر فرأى جماعة من الناس متجمهرة أمام شاب مليح حسن الوجه مسجى على الأرض "ميتاً". فسأل عنه؟ أجابوه: إنه سمع جارية في القصر تغني:

كبرت همـة عبد طمعت في أن تراكا

أو ما حسب لعين أن ترى من قد رآك

فشهق شهقة ومات. ويبدو أن الموت عند السماع حالة مألوفة عند المتصوفة كما يذكر اليافعي؛ بل هو يستشهد في بيت شعر مات عند سماعه الكثير من الفقراء، وهو:

تقول نساء الحي تطمع أن ترى * * * محاسن ليلى مت بداء المطامع

أسأل الله عز وجل أن يحمي قراء هذا المبحث من هذا البيت الإرهابي الذي قتل الكثير من الناس! وأن يجتازوه بأمان وسلام، إنه السميع المجيب.

يذكر أبو عثمان سعيد بن سلام المغربي: "من لم يسمع من نهيق الحمار مثل ما يسمع من صوت العود، ودواخل المغنين فهو كذاب" [الطبقات الكبرى122/1]. لله درك يا شيخ أتحفتنا بهذا النهيق المميز!

وقال الشيخ محمد أبو المواهب الشاذلي: "رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لي: يا محمد! ما هذه الغفلة؟ وما هذه الرقدة؟ وما هذا الإعراض؟ ما لك تركت تلاوة القرآن؟ وما هذه الوريدات في جانب تلاوة القرآن؟ لا تفعل ذلك أصلاً! بل اتل كل يوم، ولو حزبين لا أقل من ذلك كل يوم" [الطبقات الكبرى295/1]. أين الحق حيرتمونا في أمركم!

ربما يحاجج البعض بأننا تحدثنا عن السماع ولم نأتِ بشيء عن الرقص! وهذا حق؛ لذا سنستشهد بقول الشيخ عماد الدين الأموي [في كتابه حياة القلوب]: "لا بأس بالرقص في السماع"، وكذلك الشيخ عبد السلام الفيتوري [في كتابه الوصية الكبرى] فقد قال: "يجوز الرقص في السماع"، أما السهروردي فيقول: "ربما صار الرقص عبادة بحسن النية"! الرقص تحول إذن إلى عبادة! خسئتم عن دعواكم الباطلة!

ومما يحكى عن شيخهم "أوحد الدين كرماني" بأنه: "كان يشق قمصان الغلمان، ويرقص معهم بملامسة الصدر بالصدر" [نفحات الأنس/590]. إنه رقص داعر بإيحاءات جنسية كما يتبين.



ويذكر ابن الخفيف طرفة خفيفة: "تتم المتعة الروحية بالطيب، ومشاهدة الوجه الحسن والصوت العذب" [سيرة ابن الخفيف/214]، وهو يذكرنا بالقول الشائع في المستحبات الثلاث عند الشبان [الماء والخضرة والوجه الحسن].

من الكفر الصريح ما جاء على لسان الشيخ النفزي الرندي عندما شاهد في طريقه إلى مكة المكرمة شيخاً بيده مصحفاً يتلو منه ويرقص مع التلاوة! فسأله الرندي متعجباً من فعله ما هذا الرقص؟ فأجابه الشيخ الراقص: دعني عنك! ويبدو أن الرندي أصابته عدوى الشيخ الفنية حيث يقول: "فاستفزني الوجد فرقصت" صار الحج دعوة عامة للرقص! اللهم إنا نعوذ بك من السفهاء.

والعجيب أن يتأثر المتصوفة بفن السماع من خلال الألحان والأشعار والطبول أكثر من تأثرهم بالقرآن الكريم؛ حيث يذكر الشعراني عن أحد شيوخهم: "كان إذا سمع القرآن لا تقطر له دمعة! وإذا سمع شعراً قامت قيامته" ويله من ألحان سياط جهنم!

جاء عن شيخهم ابن الفارض بأنه كان: "له مغنيات بالقرب من "البهنسا" يذهب إليهن، فيغنين له بالدف والشبابة وهو يرقص ويتواجد" [جلاء العينين للآلوسي/79]. لقد أحلوا علم السماع بديلاً من تلاوة القرآن الكريم، وأحلوا الرقص بديلاً عن الخشوع. أية مفسدة أكثر من هذه؟

هذا قطبهم الجنيد ينصح أحد مريديه بقوله: "إذا أردت سلامة الدين ورعاية التوبة، لا تنكر السماع الذي يقيمه الصوفية" [كشف المحجوب للهجويري660/2]، ويصف حالة السكرة عند الميريدين بقوله: "صفة الواجد أما حركة غليان الشوق في حال الحجاب، وأما سكون في حالة المشاهدة في حال الكشف. إما زفير أو نفير. وإما أنين أو حنين. إما عيش أو طيش، وإما كرب أو طرب" [كشف المحجوب للهجويري661/2].

واعتبر الشيخ الغزالي حالة الوجد التي تلي السماع إنما هي تقرن بالغم والحزن أو بتحقيق المراد، وهي جزء واحد من (46) جزءاً من النبوة" [للمزيد راجع إحياء علوم الدين268/2].

في ترجمة السيد البدوي يذكر الشعراني بأن ألناس أنكر الموالد التي تقام لذكره، وما فيها من الفواحش والمحرمات، فإذا به يغص بشوكة سمكة بقيت في رقبته تسعة أشهر" [الطبقات الكبرى للشعراني 188/1]. هم يعترفون بما يصاحب هذه الموالد من فجور، فقد ذكروا: "هذه الموالد تُمنع بين حين وآخر بطلب من الصوفية أنفسهم، لما يحدث فيها من فساد أخلاقي، وارتكاب الفواحش والسكر واختلاط الرجال بالنساء، ورقصهم وغنائهم، وتبرج النساء، وشيوع شرب الحشيش والمخدرات، بل والزنا بحيث إن هذه الموالد أصبحت في كثير من الأحيان بمثابة مواسم وأسواق يقصدها أهل الفحش والفجور، وأين هذا من دين الله عز وجل؟

سبق أن منعت احتفالات الموالد في عدة مناسبات، فألغي المولد سنة 852 هـ عند قبر البدوي لما فيه من فساد أخلاقي، وارتكاب المحرمات والفسق والفجور، وكونها مجمعاً للمنافقين" [سيرة أحمد البدوي/135].

ويلاحظ في مناسبات عاشوراء وبقية الأيام عند الرافضة غالباً ما تتم لقاءات مخزية بين الجنسين، ويجري على هامشها زواج المتعة واللواط، وتعاطي المخدرات، وغيرها مما يسيء للمناسبات الدينية ويفرغها من مضمونها الأخلاقي والتعبدي حسب زعمهم.


البرهان
دليل الباحثين عن الحقيقة



الباب السابع

1) المرجعية للامام علي بن أبي طالب وتقديسه

سئل الجنيد عن معرفة الإمام علي رضي الله عنه بعلم التصوف فأجاب: "لو تفرغ أمير المؤمنين إلينا؛ لنقل عنه إلينا من هذا العلم ما قوم لها قلوب؛ ذلك امرؤ مُنح العلم اللدني" [كتاب كشف المحجوب للهجويري].

يلاحظ أن الإمام علي بن أبي طالب تدرج في سلم المغالاة عتبة وراء أخرى. أولها: الخلافة. ثانيها: النبوة. ثالثها: فوق النبوة دون الربوية. رابعها: الربوبية الكاملة. كما يتجلى في خطبته الشهيرة التي ذكرها رجب البرسي: "أنا عندي مفاتيح الغيب لا يعلمها بعد رسول الله إلا أنا، أنا ذو القرنين المذكور في الصحف الأولى، أنا صاحب خاتم سليمان، أنا ولي الحساب، أنا صاحب الصراط والموقف، أنا قاسم الجنة والنار، أنا آدم الأول، أنا نوح الأول، أنا آية الجبار، أنا حقيقة الأسرار، أنا مورق الأشجار، أنا مونع الثمار، أنا مفجر العيون، أنا مجري الأنهار، أنا خازن العلم، أنا طور الحلم، أنا أمير المؤمنين، أنا عين اليقين، أنا حجة الله في السماوات و الأرض أنا الراجفة، أنا الصاعق، أنا الصيحة بالحق، أنا الساعة لمن كذب بها، أنا ذلك الكتاب الذي لا ريب فيه، أنا الأسماء الحسنى التي أمر أن يدعى بها، أنا ذلك النور الذي اقتبس منه الهدى، أنا صاحب الصور أنا مخرج من في القبور، أنا صاحب يوم، النشور أنا صاحب نوح و منجيه، أنا صاحب أيوب المبتلى و شافيه، أنا أقمت السماوات بأمر ربي أنا صاحب إبراهيم، أنا سر الكليم أنا الناظر في الملكوت، أنا أمر الحي الذي لا يموت أنا ولي الحق على سائر الخلق، أنا الذي لا يبدل القول لدي وحساب الخلق إلي، أنا المفوض إلى أمر الخلائق، أنا خليفة الإله الخالق أنا سر الله في بلاده وحجته على عباده، أنا أمر الله والروح، كما قال سبحانه وتعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾ [الإسراء:85]، أنا أرسيت الجبال الشامخات وفجرت العيون الجاريات، أنا غارس الأشجار ومخرج الألوان والثمار، أنا مقدر الأقوات، أنا منشر الأموات، أنا منزل القطر، أنا منور الشمس والقمر والنجوم، أنا أقيم القيامة، أنا أقيم الساعة، أنا الواجب له من الله الطاعة، أنا سر الله المخزون أنا العالم بما كان وما يكون، أنا صلوات المؤمنين وصيامهم، أنا مولاهم وأمامهم، أنا صاحب النشر الأول والأخر، أنا صاحب المناقب والمفاخر، أنا صاحب الكواكب، أنا عذاب الله الواصب، أنا مهلك الجبابرة الأولى، أنا مزيل الدول، أنا صاحب الزلازل والرجف، أنا صاحب الكسوف والخسوف، أنا مدمر الفراعنة بسيفي هذا، أنا الذي أقامني الله في الأظلَة ودعاهم إلى طاعتي فلما ظهرت أنكروا فقال الله سبحانه: ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ﴾ [البقرة: 89]. أنا نور الأنوار، أنا حامل العرش مع الأبرار، أنا صاحب الكتب السالفة، أنا باب الله الذي لا يفتح لمن كذب به ولا يذوق الجنة، أنا الذي تزدحم الملائكة على فراشي،



وتعرفني عباد أقاليم الدنيا، أنا الذي ردت لي الشمس مرتين، وسلمت علي كرتين، وصليت مع رسول الله القبلتين، وبايعت البيعتين أنا صاحب بدر وحنين، أنا الطور، أنا الكتاب المسطور، أنا البحر المسجور، أنا البيت المعمور، أنا الذي دعا الله الخلائق إلى طاعتي فكفرت وأصرت فمسخت، وأجابت أمة فنجت وإزلفت، أنا الذي بيدي مفاتيح الجنان ومقاليد النيران، أنا مع رسول الله في الأرض وفي السماء، أنا المسيح حيث لا روح يتحرك ولا نفس يتنفس غيري، أنا صاحب القرون الأولى، أنا الصامت ومحمد الناطق، أنا جاوزت موسى في البحر وأغرقت فرعون وجنوده، أنا أعلم هماهم البهائم ومنطق الطير، أنا الذي أجوز السماوات السبع والأرضين السبع في طرفة عين، أنا المتكلم على لسان عيسى في المهد، أنا الذي يصلى عيسى خلفي، أنا الذي انقلب في الصور كيف شاء الله، أنا مصباح الهدى، أنا مفتاح التقى، أنا الآخرة والأولى، أنا الذي أرى أعمال العباد، أنا خازن السماوات والأرض بأمر رب العالمين، أنا القائم بالقسط، أنا ديان الدين، أنا الذي لا تقبل الأعمال إلا بولايتي، ولا تنفع الحسنات إلا بحبي، أنا العالم بمدار الفلك الدوار، أنا صاحب مكيال وقطرات الأمطار ورمل القفار بأذن الملك الجبار، أنا الذي أقتل مرتين وأحيي مرتين وأظهر كيف شئت، أنا محصي الخلائق وأن كثروا، أنا محاسبهم، أنا الذي عندي ألف كتاب من كتب الأنبياء، أنا الذي جحد ولايتي ألف أمة فمسخوا أنا المذكور في سالف الأزمان والخارج في آخر الزمان، أنا قاصم الجبارين في الغابرين ومخرجهم ومعذبهم في الآخرين يغوث ويعوق ونثرًا عذابا شديدا، أنا المتكلم بكل لسان، أنا الشاهد لأعمال الخلائق في المشارق والمغارب، أنا صهر محمد، أنا المعنى الذي لا يقع عليه اسم ولا شبه، أنا باب حطه ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم" [مشارق أنوار اليقين في أسرار أمير المؤمنين/170].

وهكذا كما تلاحظ كل قدرات الربِّ متوفرة في الإمام، قدرات إلهية يحسدها عليه الملائكة والرسل والأنبياء! المثير أن الرافضة يستكثرون على الفاروق حديث السارية ويتهكمون به رغم أن العلم الحديث [الباراسيكولوجي] أثبت توارد الخواطر إذا لم نعتبر الأمر مكرمة من الله ليس للفاروق بل لعباده المقاتلين، وأن الذي دون الحدث في الجامع عند خطبة الفاروق هو الإمام علي كما يشير المؤرخون! في حين لا يستكثرون هذه القدرات الربانية للإمام علي!

مسخ الصفويون شخصية الإمام علي رضي الله عنه الحقيقية، وجعلوه واحداً من آلهة الإغريق القدامى، أو أبطال الأساطير؛ فصورة الإمام علي عند الصفوية نسخة مشوهة من نسخته العربية الأصلية والأصيلة. كما زعموا أن الإمام علي رضي الله عنه يملك من ملكوت السموات والأرض الشيء الكثير، وجاء في [أمالي الطوسي 315/1] حديث مكذوب نُسب للنبي صلى الله عليه وسلم وهو: "أنا مدينة الجنة وعلي بابها؛ كذب من زعم أنه يدخلها من غير بابها"، ويبدو أن واضع الحديث ظن أن للجنة باباً واحداً! ولم يعرف أن لها ثمانية أبواب! فمن سيقف يا ترى على بقية الأبواب؟ وهل الجنة بستان أرضي بلا صاحب يتسلق البعض جدارها ولا يدخلون من بابها؟

ويذكر في نفس الكتاب بأنه: "ما من عبد يموت وفي قلبه مثقال حبة من خردل من حب علي إلا أدخله الله الجنة"، أي لا حاجة بك أن تؤدي الفرائض ولا أعمال البر! فقط حبة من خردل من إكسير الحب تكفيك لدخول الجنة! حتى لو فعلت كل الكبائر والموبقات؛ فإن هذه الحبة تدخلك الجنة؟ بربكم



هل هذه جنة أم متنزه؟ وهل هناك مقياس لدرجة الحب يسمى حبة؟ حتى هذا الكلام مسروق من قول السيد المسيح: "إن حبة من خردل الإيمان تفعل كل شيء" [متى21/17]! وإن كان مرجعهم الأساس بهذا المستوى من الجهالة؛ فما بالك ببقية المراجع!

انظروا كيف يسخرون من النبي صلى الله عليه وسلم والصحابة وجهادهم عندما كان الإمام علي غلاماً لم يبلغ الحلم، وتحملوا عبء ظلم قريش وعداوتهم. يستذكر الشيخ الصفوي محمد حسين آل كاشف الغطاء "ليته لم يكشف غطاء عورته" [في كتابه أصل الشيعة وأصولها/25] بيت شعر تافه فيه طعن كبير بالدين الإسلامي يبين فيه دور الإمام علي في الإسلام، وهو دور عظيم لا يحتاج لمثل هذه السخافات، ولا إنكار دور الرسول والصحابة وجهادهم في سبيل الدعوة الإسلامية مما يزيد عما قدمه الإمام علي وكل خلفه.

ألا إنما الإسلام لولا حسامه * * * كضرطة عنز أو قلامة حافر

وأصله شعر لمن يعتبرونه من السنة، وهو الشاعر المعتزلي ابن أبي الحديد [ورد في السبع العلويات/71]، ويعبر فيه عن حقيقة مذهبه الرافضي.

ألا إنَّما الاسلام لولا حسامه * * * كعفْطةِ عَنز أو قلامةِ حافِر

ألا إنَّما التوحيد لولا علومُه * * * كعُرْضة ضلّيل كنَهبة كافر

ألا إنما الاقدَارُ طوع يمينه * * * فبُورِكَ من وتر مُطاع وقادر

الإسلام العظيم يشبهه هذا الكنيف المعتزل طريق الحق بضرطة عنز! جملة حقيرة من رجل حقير لم يجرؤ أعداء الإسلام على التفوه بها. هل قدم كل الأئمة ما قدمه خالد بن الوليد وسعد بن أبي وقاص وغيرهم من بواسل الإسلام؟

قال محمود محمد الملاح عن أبي الحديد: "لعب على ثلاثة حبال، التسنن والتشيع والاعتزال، فهو في الأصول معتزلي، وفي البحوث شيعي يداهن ابن العلقمي، وفي الفروع شافعي" [تشريح نهج البلاغة/241].

كما ينسب الخميني للإمام علي رضي الله عنه القول: "كنت مع الأنبياء سراً، ومع رسول الله جهراً" [كتاب مصباح الهداية/127]، وتصل به الوقاحة مدعياً: "لو كان علي ظَهر قبل الرسول صلى الله عليه وسلم لأظهر الشريعة كما أظهرها النبي، ولكان نبياً مرسلاً" [المصدر السابق/153]، كأنما الرسالة السماوية تعتمد على شهادات الميلاد، وليس على مشيئة الله عز وجل ينتقي ويصطفي من يريد نبياً ورسولاً؛ إنه تعدٍ شائن وسافر على الذات الإلهية المقدسة من قبل هؤلاء الشعوبيين!

أخذ الصفويون فكرة تقديس الإمام علي رضي الله عنه من قول السيد المسيح لسمعان "بطرس": "ما تحله على الأرض يكون محلولاً في السماء، وما تربطه على الأرض يكون مربوطاً في السماء"، وبهذا الحديث أصبح بطرس وصياً للسيد المسيح؛ فما يَحله في الأرض يُحل في السماء. أي أن مشيئته هي مشيئة الرب، وفعله هو فعل الرب، وكلامه هو كلام الرب. وبهذا المنطق اللاهوتي أصبح البابوات خلفاء لبطرس يتحكمون في الشؤون الدينية والدنيوية للناس - نفس منطق ولاية الفقيه - باعتبارهم نواب الرب، فلا يحوز معارضة أحكامهم أو مخالفتها، لكونهم معصومين عن الخطأ. إنهم يحكمون بأمر الله، ومن يخرج عن أمرهم أو يعارضهم يعد كافراً، أي نفس منطوق الولاية وعصمة



الأئمة. وهو ما يتناقض وجوهر الإسلام حيث الأمة هي مصدر الحكم؛ لذلك قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه في أول خطبة له بعد توليه الخلافة: "وَليتَ عليكم ولست بخيركم؛ فإن أسأت فقوموني. أطيعوني ما أطعت الله ورسوله، فإن عصيت الله ورسوله فلا طاعة لي عليكم"، كذلك خطبة عمر بن الخطاب رضي الله عنه بنفس المناسبة: "إن رأيتم فيَّ اعوجاجاً فقوموني"، فشرعية الحاكم من رضا الأمة على الحاكم، وليس بنص من الله تعالى. إنه نظام دنيوي، وليس ديني كما هو الأمر عليه في العقيدة المسيحية.

فيما يتعلق بالمتصوفة يذكر د.علي سامي النشار بأن الإمام علي بن أبي طالب هو "سندهم وقمة سلسلتهم، وإليه نهاية الطريق، ووضعوا على لسانه آثاراً وسنناً كثيرة. ونسبوا إليه أسرار العلم الباطني" [نشأة الفكر الفلسفي الاسلامي33/2]، إنه نفس الكلام الذي ذكره ابن خلدون في مقدمته الذي جاء فيه: "إن المتصوفة لما أسندوا لباس خرقة التصوف ليجعلوه أصلاً لطريقتهم وتخيّلهم رفعوه إلى علي رضي الله عنه، وهو من هذا المعنى أيضاً، وإلا فعلي رضي الله عنه لم يختصّ من بين الصحابة بتخليه ولا طريقة في اللباس ولا الحال" [مقدمة ابن خلدون/473].

هذه الحقيقة يمكن أن نلمسها في ادعاءات كبار شيوخ المتصوفة برجوع نسبهم إلى آل البيت باستثناء الطريقة النقشبندية، التي ترجع كما ذكرنا في أصولها لأبي بكر الصديق رضي الله عنه. ورغم أننا لا نلمس وجود ارتباط وعلاقات مباشرة بين الأئمة والمتصوفة إلا ما ندر، لكن هذه لا تشكل ثغرة في ادعائهم، فقد وجدنا مراجع دينية من الفرس والهنود والأفغان والباكستان يدعون النسب لآل البيت كذلك. والطامة الكبرى أنهم لم يكتفوا بسرقة الأنساب فحسب بس سرقوا منا الزعامة الدينية، رغم أن أياً من آياتهم لا يحفظ القرآن الكريم، أو يتمكن من قراءة سورة واحدة منه بلسان عربي فصيح. وهذا ما سنناقشه في مبحث الألقاب والأنساب.

ما ذكره د. النشار له أصول في قول ابن عربي: "اعلم أنه قد صح وثبت بحكم النقل عند المشايخ أن علياً أمير المؤمنين دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله! دلني على أقرب الطرق وأفضلها. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: عليك يا علي بما نلت ببركة النبوة. فقال علي: ما هذا يا رسول الله؟ قال عليه السلام: ذكر الله تعالى. قال علي: يا رسول الله! هكذا فضيلة الذكر وكل الناس ذاكرون. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: مه يا علي، لا تقوم الساعة وعلى وجه الأرض من يقول: الله. الله. ثم قال: أحصيت يا علي، حتى أنا أقوله ثلاث مرات وأنت تسمع مني! فإذا أمسكت فقل أنت حتى أنا أسمع منك. هكذا لقن رسول الله صلى الله عليه وسلم علياً، ثم لقن علي عليه السلام الحسن البصري، ثم لقن الحسن حبيباً العجمي، ثم لقن داود معروفاً الكرخي، ولقن معروف سري السقطي، وهو لقن أبا القاسم: الجنيد محمد بن البغدادي وعلى هذه السلسلة باقي المشايخ رحمهم الله" [الفتوحات المكية]. وقد قفز ابن عربي عن كلمة المشايخ ولم يُعرفهم لنا! علماً أن حديثه عن الإمام علي لا صحة له ولا سند في الصحاح عند أهل السنة ولا مراجع الشيعة أيضاً.

يذكر الشعراني نقلاً عن أحد مشايخ الصوفية قوله عن الإمام علي: "لقد رُفع كما رُفع عيسى عليه السلام، وسينزل كما ينزل عيسى عليه السلام"، وهو تكرار لادعاء عبد الله بن سبأ بعد مقتل الإمام علي. وذكر معصوم علي شاه بأن: "لا بد لكل سلسلة من سلاسل التصوف من الأزل إلى الأبد، ومن



آدم إلى انقراض الدنيا، أن تكون متصلة بسيد العالمين وأمير المؤمنين" [طرائق الحقائق255/1].
ويدعي بعض المتصوفة أن الإمام علي هو أول الأقطاب، ومنهم أبو العباس المرسي بقوله: "إن طريقتنا هذه لا تنسب للمشارقة ولا للمغاربة، بل واحد عن واحد إلى الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم فهو أول الأقطاب" [طبقات الشعراني14/2].
ويدعي كبار المتصوفة كالشعراني وأبو عبد الرحمن السلمي أن معروف الكرخي كان من موالي الرضا وأسلم على يديه [تذكرة العطار/150].
ولعل أفضل ما يثبت ارتباط المتصوفة بآل البيت هو ما أشار إليه قطبهم الشيخ أحمد الرفاعي: "أكمل التوبة الفورية في مقام البضعية، من حيث التحلي بحلوة الطينة الذاتية الأحمدية، إنما هي توبة السيدة البتول العذراء، سيدتنا وقرة أعيننا فاطمة أم السبطين الزهراء سلام الله ورضوانه عليها، وقام عنها بنوبة الجزء الأزهري بعلها المأمون المنوه على جلالة قدره وعظيم مكانته بطالعه **«علي مني بمنزلة هارون من موسى»**، الحديث المنسوب للنبي صلى الله عليه وسلم. فأدرع بدرع الخلافة البضعية متحكما في مشهد الخلافة الأمرية، إصالة في مشهد الخلافة البضعية وكالة حتى لقي الله، فأدرع بمطرها النوراني السبطان السعيدان الشهيدان الحسن والحسين سلام الله وتحياته عليهما، ودارت هذه التوبة الجامعة المحمدية في الأسباط الطاهرين سبطاً بعد سبط إلى أن صينت في مقام الكنزية المضمرة إلى ولي الله المهدي الخلق الصالح سلام الله عليه، فتلقاها عنه من مقام الألباس النواب الجامعون المحمدون، فهم إلى عهدنا هذا من بني الإمام الحسين السبط شهيد كربلاء عليه وعليهم نوافح السلام والرضوان" [المجالس الرفاعية/108]، ويصف الشيخ فاطمة بالسيدة البتول العذراء! لكن من أين جاء الحسن والحسين يا شيخ طالما هي عذراء؟
كما أنشد ابن الفارض [الديوان/ نظم السلوك] هذا البيت من شعره في قصيدته التائية الكبرى:
وأوضح بالتأويل ما كان مشكلا *** علي بعلم ناله بالوصية
من الطرائف ما ذكره الشيخ العارف بالله تعالى - والجاهل بالتأريخ - سيدي إبراهيم المسوقي القرشي: "كان علي رضي الله عنه من زهاد الصحابة، ومجاهديهم حتى فتح أكثر بلاد الإسلام" [الطبقات الكبرى174/1]! أي بلاد تلك التي فتحها علي بن أبي طالب يا شيخ؟ هل هذا جهل أم دجل؟ إنها منجزات الفاتحين الفاروق وعثمان ومعاوية وخلفه. ولا علاقة لعلي وأولاده بها ما عدا أخذ حصتهم من الغنائم والسبايا المرسلة من قبل الفاتحين.
هذا الإسلام العظيم الذي رعاه الله تبارك تعالى ونصر به نبيه لم يبنه أولاد علي بن أبي طالب، بل الرسول الأعظم والخلفاء الراشدون وبقية الصحابة، ومن أرسى دعائم الإسلام هم سيف الله المسلول خالد بن الوليد وعمرو بن العاص وسعد بن أبي وقاص وعبد الرحمن بن عوف وطلحة والزبير والقعقاع وبقية الصحابة والمجاهدون الذين فتحوا العراق وفارس ومصر وبلاد الشام وغيرها، ولا فخر لأئمة الشيعة بأي فتح إسلامي بما فيهم علي بن أبي طالب الذي انشغل بحروبه الداخلية.



2) التلاعب بالأنساب

يذكر د. زكريا بيومي بأن "كل شيوخ الصوفية لهم نسب قرشي هاشمي حتى لو كانوا من غير العرب" [الطرق الصوفية/147].
إن موقف القرآن الكريم من الأنساب والألقاب وعامل القرابة يمكن إجماله بقوله تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [الحجرات:13]. فكل البشر يرجعون لنفس واحدة كما جاء في سورة النساء: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ﴾ [النساء:1]، وقد أقسم النبي صلى الله عليه وسلم: **«وايم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها»**، وفي الحديث النبوي الشريف: **«لا فضل لعربي على أعجمي ولا أعجمي على عربي. ولا لأحمر على أسود، ولا لأسود على أحمر إلا بالتقوى»** [سنن الترمذي]. فهل نفعت القرابة ابن النبي نوح وزوجته؟ وهل نفعت القرابة زوجة النبي لوط؟ أو نفعت عم النبي أبو جهل؟ وهل أبو طالب عم النبي الذي مات على دين الأوثان أفضل من سلمان الفارسي الذي مات مسلماً تقياً أو بلال الحبشي أو صهيب الرومي؟ ذكر عمرو بن العاص أن طائفة من أقارب النبي صلى الله عليه وسلم ادعوا ولايته ومحبته فقال: **«إن آل فلان ليسوا لي بأولياء، إنما وليي الله وصالح المؤمنين»** [أخرجه البخاري ومسلم].
كما أن الأنساب فيها إشكالية كبيرة رغم اهتمام العرب بها؛ فقد اعترف ابن الكلبي وهو العلامة في الأنساب بأنه كذب في الأنساب عندما طلب منه خالد القصري أن يحدثه عن جدته، وبدلاً من أن يكاشفه بأنها كانت بغياً، صنع له نسباً مشرفاً! وقد أسعد الكلبي القصري بالنسب الجديد وكافأه على عمله [كتاب الأصنام لابن الكلبي/18] والله أعلم مع من مارس الكلبي نفس الطريقة.
وفي ضوء الخوف من الخلفاء والحكام وبطشهم، علاوة على الرشاوي وشراء الذمم بالمال والهبات، يمكن أن يضيف اللقيط اسمه إلى شجرة نسب الأئمة! وفي الوقت الذي ينتسب فيه الأئمة إلى العرب فإننا نرى العجب في خلفهم من الهنود والأفغان والباكستانيين والفرس وغيرهم، فبتنا في حيرة من أمرنا، هل نحن العرب أحفاد الأئمة أم أولئك الأغراب من الجنسيات الأجنبية؟ ومن يحاجج بأن الإمام الحسين وأئمة آخرين كانت لهم جواري فارسيات. نقول له: نعم هذا صحيح! ولكن هل كان لهم جواري هنديات وباكستانيات وأفغانيات؟ ألم تذكر المصادر التأريخية بأن الملك فاروق - ألباني الأصل - استصدر فتوى من علماء الدين بأنه من نسل النبي محمد صلى الله عليه وسلم، فجعل نفسه خليفة لرسول الله! إنها عملية البحث عن القدسية والتعالي على البشر وديمومة خداع الشعب ليبتلع هفوات ونزوات الحاكم على الريق.
رغم أن النسب والقرابة من النبي صلى الله عليه وسلم لا تعني شيئاً في الإسلام، فـ: ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾ [المدثر:38]، والأحاديث النبوية الشريفة تسير في نفس النهج، لكن المنافقين سيما من رجال الدين يعولون على الأنساب والألقاب الرنانة كثيراً كمصدر للثراء، مما حدا بهم لاختلاق أحاديث كاذبة نسبوها للنبي صلى الله عليه وسلم والأئمة بهذا الشأن. ومنها عن الباقر عن زين العابدين عن أبي الحسين عن علي بن أبي طالب عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "نحن بنو عبد المطلب ما عادانا بيت إلا وقد خرب، ولا عاوانا كلب إلا وقد جرب، ومن لم يصدق فليجرب"، وقد



جرب معاوية بي أبي سفيان وغيره، وما خُربت بيوتهم بل عُمرت وعمروا البلاد ونشروا الإسلام في الوقت الذي كان الباقر يتفسح في رحلته السماوية على الفيل الطائر فوق مكة! أما موضوع الجرب فلا يحتاج إلى تعليق ونتركه لعلماء الطب؛ فهم أدرى بالجرب من الباقر! ويلاحظ أن قول الباقر منسوب أيضاً للشيخ الرفاعي كما سيأتي لاحقاً.

في العراق المحتل أصبحت حالة الانتساب لآل البيت تجارة مربحة جداً تضمن لهم الخمس والمتعة كحد أدنى .. كل ما يحتاجه الفرد للانتساب للأئمة هو رجل نسابة يعمل له شجرة خاصة بأجر معين، من ثم يهيء السيد - الجديد - لنفسه مستلزمات الخديعة من عمامة سوداء وسبحة وعدة خواتم فضية في اليد، ويكرر كلمة "جدي رسول الله" في لغوه من الجهلة والحمقى. ولا يحتاج بالطبع إلى حفظ شيء من القرآن الكريم والأحاديث النبوية؛ لأنها لا تعني لهم شيئاً، وإنما يحتاج إلى قليل من أدعية مفاتيح الجنان وضياء الصالحين! وإن صعب عليه حفظها فبإمكانه أن يختلق أي كلام وينسبه للأئمة؛ فليس الكليني والمجلسي والخوانساري والقمي بأفضل منه، كما أن أتباعه من العوام والجهلة لا معرفة عندهم بالقرآن الكريم والسنة النبوية، ويمكن أن ينطلي عليهم أي كلام. يحتاج كذلك إلى قليل من الصلافة والوقاحة، ففي حال عدم مبادرة العوام بفتح جيوبهم أو منح نسائهم له بغرض المتعة، أو تأخروا في ذلك! يمكنه أن يطالبهم بحقه المالي والجنسي بلا حياء أو تردد، وأن يقدم لهم يده اليمنى حتى وإن كانت قذرة ليقبلوها بترحاب، ويديم رطوبة فمه بعلكة أو حلوى بما يؤمن له جمع المزيد من البصاق، فهو بحاجه إليه ليتفله في أفواه الحمقى والجهلة كبركة أو علاج أو لأغراض أخرى ...! وهم يستحقون البصاق بجدارة ليس في أفواههم فحسب بل في وجوههم أيضاً.

من الصعب أن نفهم كيف يُرجع هذا الفيض الهائل من السادة نسبهم إلى الرسول صلى الله عليه وسلم وهو لم يكن له أولاد؟ والنسب عند العرب عادة يكون للأب وليس للأم! بل من يُنسب لأمه يعتبر مجهول الأب، أي لقيط وهي وصمة عار تلاحقه في حياته ومماته! حتى إرجاع الأئمة في نسبهم إلى الرسول صلى الله عليه وسلم غير صحيح. فنسبهم يرجع إلى أبي طالب - الذي مات كافراً - ولم يتمكن لا النبي صلى الله عليه وسلم ولا باب مدينة العلم الإمام علي رضي الله عنه من إقناعه بدعوة الإسلام. وقد جاء في الحديث الشريف عن أبي ذر: **«ليس من رجل ادعى لغير أبيه وهو يعلمه، إلا كفر بالله»** [صحيح البخاري]، وإن كان منهم كخلف للإمام الحسين من الأم الفارسية فلا خير للفرس في ذلك؛ فالنسب يعود للأب العربي وليس للأم الفارسية.

كما أن الموطن الأصلي للأئمة وخلفهم هما مكة والمدينة وليس العراق وإيران، فهؤلاء أقرب للعداء لهم من المحبة، ومن استشهد من الأئمة خارج مكة والمدينة إنما ترك أهله فيهما، بما فيهم الإمام الحسين. فبعد استشهاده عاد المتبقي من أهله إلى ديارهم ولم يعيشوا في العراق؛ لذا فإن الفيض من خلفهم يفترض أن يكونوا في مكة والمدينة وليس في طوس "مرقد الرضا" ومشهد وقم وكابول وبومبي وإسلام آباد! وحتى المراقد الموضوعة في دمشق ومصر كمرقدي زينب الكبرى وسيدنا الحسين. ومزار شريف في أفغانستان كاذبة ولا صحة لها، الغريب أن لا يوجد في مكة والمدينة من يدعي النسب الهاشمي كما هو الحال في قم ومشهد وكربلاء والنجف!



ورد في سورة الأحزاب: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ﴾ [الأحزاب:40]، وهذا يعني أنه لا يجوز أن ينعت أي من الأئمة بابن رسول الله حسب التوجيه الرباني، في حين نجد في أحاديث وروايات الأئمة تتكرر عبارة "ابن رسول الله"، والأغرب منه أن ينسب سلمان الفارسي لأهل البيت في حين لا ينسب بلال الحبشي وصهيب الرومي لأهل البيت؟ بل الرافضة لا يعتبرون السيدة عائشة أم المؤمنين من اهل البيت، في حين يعدون سلمان الفارسي من أهله؟ فما علاقة سلمان بأهل البيت؟ وقال الإمام القضاعي: "كان لعلي رضي الله عنه من الأولاد الذكور أربعة عشر ولداً ولم يكن النسل إلا لخمسة منهم فقط: الحسن والحسين، ومحمد بن الحنفية، وعمر والعباس رضي الله عنهم أجمعين" [الطبقات الكبرى15/1]. ويذكر الأصمعي عن محمد الباقر: "ونسل الحسينيين كلهم من قبل زين العابدين فهو أبو الحسينيين" [الطبقات الكبرى29/1]. إذن من أين جاءوا هؤلاء المليون حفيد من نسل زين العابدين؟ وأين أحفاد بقية الصحابة؟

يحذو المتصوفة حذو المراجع الصفوية، فهم يزعمون بأن نسبهم للرسول صلى الله عليه وسلم وآل البيت أيضاً باستثناء أصحاب الطريقة النقشبندية الذين يرجع نسبهم لأبي بكر الصديق رضي الله عنه.

جاء في كتاب "الفتح المبين" لظهير الدين القادري أبطل فيه نسب الكثير من شيوخ التصوف للإمام علي رضي الله عنه. كذلك فعل النسابة المعروف ابن عنبة. فقد أبطل نسب الشيخ أحمد الرفاعي للإمام الحسين، ذاكراً بأن الشيخ رحمه الله نفسه لم يدع هذا النسب، وإنما ادعاه أحفاده بعد موته! وكذلك نسب عبد القادر الجيلي.

يقول أبو بكر بن هوار البطائحي: "أوتاد العراق ثمانية: معروف الكرخي، وأحمد بن حنبل، وبشر الحافي ومنصور بن عمار، والجنيد، والسري السقطي، وسهل بن عبد الله التستري، وعبد القادر الجيلي. فقيل له: ومن عبد القادر؟ فقال: أعجمي شريف يسكن بغداد يكون ظهوره في القرن الخامس، وهو أحد الصديقين، وأعيان أقطاب الدنيا رضي الله عنه" [الطبقات الكبرى133/1].

وكذلك الأمر مع الشيخ أبي الحسن علي بن عبد الله الشاذلي، حيث ادعت جماعته - وليس هو - بأن نسبه يعود إلى الإمام الحسن بن علي، ومنهم من نسبه إلى الحسين بن علي، وآخرون نسبوه إلى إدريس بن عبد الله المغربي .. وهلم جرا.

وهذا مثال حي على الانتماء الكاذب للنبي صلى الله عليه وسلم:

نشر موقع العراق تايمز حول حملة شعبية توجهت إلى مدينة النجف ولقاء علي السيستاني للتأكد من صحة نسبه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم مع مطالبته بتزويدهم "شجرة النسب الموقعة والمصدقة من قبل النسابة المعروفين". وقد وردت رسالة من أحد النسابة المعروفين الكبار في النجف الاشرف - نتحفظ على ذكر اسمه في الوقت الحاضر حسب طلبه إلى الموقعنا - جاء فيها: في الآونة الأخيرة كثر الحديث حول إثبات نسب السيستاني، وكثرت الشكوك حوله إلى أن انبرى للدفاع عنه بعض مريديه فوجدوا نسبه على حد قولهم وهو كالتالي :السيد علي السيستاني بن السيد محمد باقر بن السيد علي بن السيد محمد رضا من ذرية المحقق الفيلسوف السيد محمد باقر الداماد بن السيد محمد بن السيد محمود بن المطاع الأعظم السيد محمد خان الوزير بن السلطان السيد عبد الكريم خان الثاني بن السلطان السيد عبد الله خان بن السلطان السيد عبد الكريم خان الأول بن السلطان السيد



محمد خان بن السلطان السيد مرتضى خان بن السلطان السيد علي خان بن السلطان السيد كمال الدين صادق صاحب الحروب الشهيرة مع الأمير تيمور ابن السلطان العلامة في العلوم العقلية والنقلية الفيلسوف السيد قوام الدين المشتهربميربزرك المرعشي المتوفى سنة 780 أو 781 صاحب المزار في بلدة آمل ابن العلامة الأجل السيد كمال الدين صادق نقيب الأشراف ببلدة ري ابن السيدعبد الله أبي صادق النقيب بن الشريف أبي عبد الله محمد النقيب الزاهد بن الشاعر الفقيه السيد أبي هاشم النسابة ابن السيد الفقيه أبي الحسن علي نقيب الأشراف في الري وطبرستان ابن المحدث السيد أبي محمد الحسن النسابة بن الفقيه القاضي أبي الحسن علي المرعشي صاحب بلدة مرعش بن السيد أبي محمد عبد الله أمير العافين ويقال له أمير العراقين النسابة المحدث بن السيد الهمام فارس بني الحسين المحدث النسابة أبي الحسن محمد الأكبر ويعرف بالسليق أيضاً لسلاقة لسانه وسيفه بن السيد الفقيه المحدث النسابة أبي محمد الحسن المشتهر بالحكيم، الراوي المدني ابن شرف الأشراف فخر العلويين المحدث أبي عبد الله الحسين الأصغر المتوفى 157، ابن سيد الساجدين زين العابدين الإمام علي بن السبط سيد الشهداء الإمام أبي عبد الله الحسين بن الإمام علي بن أبي طالب.

لقد لاحظت أن هذا النسب مقتطع بالكامل من نسب آخر وهو للسيد محمد باقر الداماد المحقق والفيلسوف الشهير. اللصق يبدأ من والد الجد، وتم إلصاقه مباشرة بنسب جاهز وشريف وموثق للسيد الداماد. الأب للسيد السيستاني والجد ووالد الجد أسماء غير معروفة بتاتاً ولا تأريخ لها ولا سيرة فهي كما أعتقد أسماء مخترعة ليس إلا.

الأمر الأكثر غرابة أنه لو حسبنا تاريخ وفاة السيد الدامام الذي ألصق به نسب السيد السيستاني وحسبنا تقديراً مدة حياة الأب والجد ووالد الجد للسيد السيستاني لوجدنا أنه تبقى مائة عام غير مشغولة وغير منطقية.

إليكم حساب العملية: تاريخ وفاة الداماد كما هو مثبت في علم الرجال والسير هو 1631 ميلادي، ولكي يسهل الحساب نقول 1640. والد الجد للسيد السيستاني من المفترض أنه يعيش مع أباه المفترض الداماد مدة من الزمن كما هو المعتاد. إذن فلنقل أنه عاش مع والده 20 سنة. ولنفرض أنه بقي بعد وفاة أبيه الداماد حسب الزعم 60 سنة، فيكون عمره 80 عاماً، عندما يموت يكون ذلك التاريخ الذي توفى فيه الداماد 60 + 1640 والناتج هو 1700 ميلادي، الآن بقي الجد والأب للسيد السيستاني ولنفترض عمرهما بمجموعه 150 عام، الآن نجمعه مع 1700 عام فيكون الناتج 1850 سنة ميلادي. الآن من المفترض أن السيد السيستاني مولوداً حيث أباه محسوب عمره وقد مات في المائة والخمسين المحسوبة فيكون مولد السيد السيستاني سنة 1850 ميلادي، مع أنه مولود سنة 1930 ميلادي حسب توثيق مكتبه الرسمي، إذا بقيت 89 عام ليست لأحد من أجداده وغير منطقية في الحساب العمري المتعارف. الأمر المعقد الآخر أني بحثت في سيرة وترجمة السيد الداماد فلم أجد إشارة تثبت أن له أولاد؛ فهذا كبير قومهم فما بالك بغيره؟!



3) النظرة الدونية للمرأة

قال سفيان الثوري: "عجبت لكون النساء أكثر أهل النار، مع أن الرجال أعمالها أقبح من أعمالهن".
إن موقف الإسلام من المرأة موقف إنساني وأخلاقي واضح لا لبوس فيه، فقد جاء في سورة النساء: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً﴾ [النساء:1]، حيث هد الإسلام حصون الجاهلية التي كانت تحيط بالمرأة وتمتهنها فتوأدها طفلة وتحرمها من حقوق الإرث امرأة، وتورثها سلعة إلى الابن الأكبر بعد وفاة زوجها. فقد جاء في سورة النحل: ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالْأُنْثَى ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ﴾ [النحل:58]، وأعطى الإسلام المرأة حرية اختيار الزوج، فقد جاء في الحديث النبوي الشريف: «لا تنكح الأيم حتى تستأمر ولا البكر حتى تستأذن» [أخرجه أحمد250/2]. وحدد الإسلام نصيبها من الإرث، فقد ورد في سورة النساء: ﴿لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا مَفْرُوضًا﴾ [النساء:7]، وساوى الرسول صلى الله عليه وسلم بين الرجل والمرأة بقوله: «إنما النساء شقائق الرجال» والمساواة هي في التعليم والتجارة وإبداء الرأي والعمل والتملك والزواج وبقية العقود.
فسر ابن كثير قوله تعالى: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ [النساء:19]، بمعنى: طيبوا أقوالكم لهنَّ وحسنوا أفعالكم وهيآتكم بحسب قدرتكم كما تحب ذلك منها فافعل أنت بها مثله، كما قال تعالى في سورة البقرة: ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾، كما أن السنة النبوية الشريفة رفعت مكانة الأم عن الأب بثلاثة مراتب، فقد سُئل الرسول صلى الله عليه وسلم عن أحق الناس بحسن الصحبة؟ فأجاب: «أمك ثم أمك ثم أمك ثم أبوك»، وبشر النساء بأن حسن تعاملهنُّ من الرجال يعادل أفعال الرجال. ذكر ابن عبد البر عن أسماء بنت يزيد بن السكن بأنها تنوب عن النساء المسلمين في سؤال الرسول صلى الله عليه وسلم فيما يتعلق بأمورهن، فسألته يوماً: يا سول الله! جئتك ومن ورائي من جماعة نساء المسلمين يقلن بقولي وهن على مثل رأيي، أن الله تعالى بعثك إلى الرجال والنساء، فآمنا بك، واتبعناك، ونحن معاشر النساء مقصورات مخدرات، قواعد بيوت، ومواضع شهوات الرجال، وحاملات أولادهم، وإن الرجال فضلوا بالجمعات وشهود الجنائز، والجهاد، وإذا خرجوا للجهاد حفظنا لهم أموالهم وربينا أولادهم، أفنشاركهم في الأجر يا رسول الله؟ فالتفت رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أصحابه وقال: «هل سمعتم مقالة امرأة أحسن سؤالاً عن دينها من هذه؟ فقالوا: بلى يا رسول الله. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: انصرفي يا أسماء وأعلمي من وراءك من النساء أن حسن تبعل إحداكن لزوجها، وطلبها لمرضاته، واتباعها لموافقته، يعدل كل ما ذكرت للرجال» فانصرفت أسماء وهي تهلل وتكبر استبشاراً" [الاستيعاب في معرفة الأصحاب223/4].
كالعادة نسب البعض أحاديث مفبركة للنبي صلى الله عليه وسلم لا تتوافق مع القرآن الكريم، ولا مع أحاديثه الشريفة الأخرى أو سيرته الطاهرة وعلاقته بأمهات المؤمنين، بل لا تستقيم مع المنطق والعقل السليم ومنها، على سبيل المثال وليس الحصر:



حديث: "شاوروهن وخالفوهن" هو حديث غريب شاذ؛ إذ من المعروف أنه بعد معاهدة الحديبية مع المكيين عام628م التي عارضها بعض الصحابة، طلب النبي صلى الله عليه وسلم من المسلمين أن يحلقوا رؤوسهم ويعودوا إلى حالة الإحرام، فلم يستجب له أحد رغم أنه كرر طلبه ثلاث مرات! فاغتم ودخل خيمته، وحكى لزوجته أم سلمة عما جرى. فأجابته: لا تحزن يا رسول الله احلق رأسك أنت وأكمل التضحية! ففعل الرسول ما طلبته أم سلمة فما أن رآه أصحابه هكذا حتى قاموا بحلاقة رؤوسهم [تأريخ الطبري80/3].

ومن الأحاديث الغريبة: أخبرنا الحسن بن رشيق عن عبد الرحمن بن شبل قال: سمعت النبى صلى الله عليه وسلم يقول: "إن الفجار هم أصحاب النار. قالوا: يارسول الله من هم؟ قال: النساء. قالوا: يارسول الله! أليسوا أمهاتنا، وأخواتنا وأزواجنا؟ قال: بلى! ولكنهم إذا اعطوا لم يشكروا، وإذا ابتلوا لم يصبروا" [طبقات الصوفية/87]. ربما ينطبق الحديث على المشركات وبعض النساء، ولكنه لا يشمل بالتأكيد المؤمنات ولا كل النساء؛ لأن فيه إجحاف كبير وظلم بحق المرأة، والحديث لم يستثنِ أمهات المؤمنين.

كذلك حديث: "الكهنة رسل الشيطان، والنساء مصايده".

يلاحظ: أن البعض منا يأخذون كلام المفسرين كحجة لا تقبل النقاش، وهذا الأمر غير صحيح، نعم أننا نحترمهم ونجلهم جميعاً لما بذلوه من عمل حثيث في خدمة الإسلام، لكنهم بشر مثلنا معرضون للخطأ والزلل، ولهم في خطأهم أجر واحد، وإن أصابوا أجرين؛ لأنهم انطلقوا من نوايا حسنة. هم أنفسهم يختلفون في تفاسيرهم باختلاف رؤياهم وميولهم وأهوائهم، وكما قال الإمام علي بن أبي طالب بأن القرآن حمال أوجه. على سبيل المثال فسر معظم المفسرين ما جاء في سورة النساء: **﴿وَاللَّاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا﴾** [النساء:34] بأنه يعني حق الزوج ـ لاحظ المقصود الزوج وليس الرجل بأن يضرب زوجته، ساعدهم في ذلك قول النبي صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع: **«ولكم عليهن ألا يوطئن فرشكم أحداً تكرهونه؛ فإن فعلن ذلك فاضربوهن ضرباً غير مُبَرّح»**، مع أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يضرب أياً من زوجاته! بل كان يعاملهن معاملة حسنة، والضرب غير المبرح قد يقصد منه الهجران غير المتواصل والإهمال المبسط، والله أعلم بالمراد من الحديث؟ وتجدر الإشارة بأن النبي صلى الله عليه وسلم أرسل وصيفة في أمر فتأخرت عليه فقال لها: **«لولا القصاص لأوجعتك بهذا السواك»**، السواك كما هو معروف لا يوجع. كما أن كلمة القصاص تعني أن الله تعالى يقتص ممن يضرب المرأة، وهذ وصيفة من الجواري؛ فكيف الأمر مع الزوجة؟

إن معنى الضرب في الإسلام له عدة وجوه، والقرآن الكريم يفسر نفسه بنفسه؛ فعلاوة على الضرب بما ذكره المفسرون فيما سبق، نجد هناك معاني أخرى كما في سورة طه: **﴿وَلَقَدْ أَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي فَاضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقاً فِي الْبَحْرِ يَبَساً لَّا تَخَافُ دَرَكاً وَلَا تَخْشَى﴾**، وفي سورة الشعراء: **﴿فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنِ اضْرِب بِّعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ﴾**، وفي سورة البقرة: **﴿لِلْفُقَرَاء الَّذِينَ أُحصِرُواْ فِي سَبِيلِ اللهِ لاَ يَسْتَطِيعُونَ ضَرْباً فِي الأَرْضِ﴾**، وفي سورة الحديد: **﴿فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِن قِبَلِهِ الْعَذَابُ﴾**، ويلاحظ أن الغالب في



المعنى هو الهجران والانفصال والابتعاد والانعزال والإهمال أكثر من غيره، لكن هذا التباين في المعاني يتطلب الحذر وعدم أخذ جانب الأذى الجسدي على أقل تقدير. وهناك أحاديث مروية تشير إلى رأفة النبي صلى الله عليه وسلم بالمرأة، وتحذير الصحابة من استخدام العنف معها.

في العقيدتين الصوفية والصفوية يتم التعامل مع المرأة من زاوية ضيقة، وهي: أنها وسيلة للمتعة أو لعبة لا غير.

إنها نظرة ذكورية مستمدة من العصور الجاهلية، حيث يقسم المجتمع إلى قسمين ذكوري وأنثوي، مع أن أي من القسمين لا يمكن أن يستغني عن الآخر لإكمال دورة الحياة الطبيعية.

يدّعي الصوفية أن مذهبهم يهدف إلى تصفية الروح والعبادة والزهد، وهي تعني الرهبانية أي تقليد رهبان النصارى التي حرمها الله، كما جاء في سورة الحديد: **﴿وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ الله فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا فَآتَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾**، على الرغم من أنهم اتخذوا موقفاً عدائياً من المرأة، لكن شيخهم ابن عربي يذكر: "ليس في العالم المخلوق أعظم قوة من المرأة لسر لا يعرفه إلا من عرف فيمَ وجد العالم، وبأي حركة أو جده الحق تعالى".

وتفننوا في الإساءة إلى المرأة، حيث يذكر ابن الأثير: "منهم من كان يخصي نفسه ويضع السلسة في عنقه وغير ذلك من أنواع التعذيب، فنفاها النبي صلى الله عليه وسلم عن الإسلام ونهى المسلمين عنها" [النهاية في غريب الحديث والأثر280/2].

كما أنهم بذلك يخالفون قول النبي صلى الله عليه وسلم: **«يا معشر الشباب! من استطاع منكم الباءة فليتزوج"»**[أخرجه البخاري]. ويذكر ابن الجوزي: "قد وقع جماعة من متأخري الصوفية في ذلك حتى تركوا النكاح" [تلبيس إبليس/307]. مع أنه ورد في الحديث النبوي الشريف: **«فمن رغب عن سنتي، فليس مني»** [أخرجه البخاري].

كما شذوا عن سنة نبيهم المصطفى صلى الله عليه وسلم، حيث ذكر السراج الطوسي: "أن صوفيًا تزوج امرأة فبقيت عنده ثلاثين سنة وهي بكر" [اللمع/264]، ويضيف فريد الدين العطار في التذكرة: "أن صوفيًا تزوج أربعمائة امرأة ولم يجامع واحدة منهن" [تذكرة الأولياء/ 242]، ويذكر الشعراني أن صوفيًا تزوج ابنة شيخه، فمكث ثماني عشرة سنة لا يقربها حياء من والدها، ومات عنها وهي بكر" [الطبقات]، ولا نفهم الموجب لمثل هذه التصرفات الشاذة التي لا تتوافق مع الدين ولا مع المنطق، ثم كيف تزوج (400) امرأة؟ لو افترضنا جدلاً أنه عاش 90 سنة، وتزوج في عمر 10 سنين، فهذا يعني أنه تزوج كل عام (5) نساء، تقريباً في كل شهرين امرأة! بأية شريعة تزوجهن! وهل كان يتزوج واحدة ويطلق الأخرى؟ وما الغرض منهن طالما هو خصي، أو عازف عن الجماع؟ وأين حق المرأة الجسدي منه؟

قال مظفر القرميسيني: "أخس الأرفاق أرفاق النِّسوان، على أى وجه كان" [طبقات الصوفية/109]، هل يعني الشيخ بكلامه أمه وزوجته وابنته وأخته؟ هذا الشيخ غير بار بأهله، فهل سيكون باراً مع الله تعالى؟ وذكر الشعراني "إنه لا يبلغ الرجل إلى منازل الصديقين حتى يترك زوجته كأنها أرملة،



وأولاده كأنهم أيتام، ويأوي إلى منازل الكلاب" [حلية الأولياء194/6]. ولكن هل هذا الهراء يستقيم مع ما جاء : ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾؟ أو مع الحديث النبوي الشريف: **«خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهله»**؟ [أخرجه الترمذي]. ليأوى إلى منزل الكلاب بكل ترحاب؛ لأنه لا يستحق أن يكون زوجاً وأباً! حتى الكلاب أفضل منه؛ لأنها ترأف بصغارها وتحافظ عليها.

نظرة الصفويين أشد دونية للمرأة من نظرة المتصوفة، فقد نسب الصفويون جمهرة من الأحاديث للأئمة حول المرأة لا تجد فيها ما يوقرها ألبتة، كلها طعن وتهكم وانتقاص من مكانتها الرفيعة. فقد نسبوا إلى فاطمة بنت محمد صلى الله عليه وسلم القول: "خيرٌ للنساء أن لا يرين الرجال، ولا يراهن الرجال" [وسائل الشيعة172/14]، وقال علي بن أبي طالب: "إن السباع همها بطونها، وإن النساء همهن الرجال" [الكافي/ح9518]، مع أنه عرف عنه شدة شبقه وتعلقة بالنساء كذلك ابنه الحسن. ولأن كلامه عام فحديثه يشمل سيدات بيت النبوة أيضاً؛ لأنه لم يستثنِ أياً منهن. ويبدو أن علياً لم يكن سعيداً بسبب طمث بناته فهو يقول: "من سعادة المرء أن لا تطمث ابنته في بيته"، حسناً! ولكن ماذا بشأن طمث الزوجات والجواري؟ وهل يحوز تزويجها قبل أن تبلغ وتطمث؟ كما ذكر الكليني عن الأصبغ بن نباتة: "قال أمير المؤمنين: خلق الله الشهوة عشرة أجزاء، فجعل تسعة أجزاء في النساء، وجزءاً واحداً في الرجال، ولولا ما جعل الله فيهن من الحياء على قدر أجزاء الشهوة، لكان لكل رجل تسع نسوة متعلقات به" [الكافي/ح9523]. هل الحياء هو المانع من الزواج من تسعة نساء؟ أم أن الله تعالى حدد عدد الزوجات بأربع يا إمام؟ ونسب ابن بابويه القمّي لأبي عبدالله القول: "إنما النساء عي وعورة، فاستروا العورة بالبيوت، واستروا العي بالسكوت" [من لا يحضره الفقيه/4372]. لكن هل سيدات بين النبوة عورات وعي؟

ربما المرأة من أهل السنة مصابها أقل على أيدي فقهاء السوء، ولا يقارن بمصاب المرأة الشيعية حيث وردت أحاديث أبشع حول طريقة التعامل معها، وكالعادة نسبت للأئمة وهم براء منها؛ لأن جذور هذا التعامل تجده في الزرادشتية واليهودية، فقد ورد في الآفسيتا عن الكهنة أنهم يعدون المرأة مخلوقاً نجساً، ولا يثقون بها ألبتة، وينظرون إليها بعين الشك، كونها أكثر استجابة للشيطان على الغواية.

وقد ورد في الشاهنامة "قرآن الفرس" أمثال عديدة تحتقر المرأة، منها: "مدحك للمرأة كمدحك للكلب"، و:"الكلب أفضل من مائة امرأة زاهدة" كذلك: "المكان الأفضل للمرأة هو باطن الأرض كالأفعى، والعالم سيكون أفضل إذا كان خالياً من هذين النجسين" و"اعلم أن السعد حليف من لا بنت له" كذلك: "فمن له بنت فاعلم أن نجم حظه قد أفل حظه، حتى إذا كان ملك" [للمزيد راجع الشاهنامة].

وكذلك قول الشاعر الفارسي ناصر خسرو في السفرنامة: "قدر ما استطعت اعتبر النساء كالأموات، وقدر ما استطعت اعتبرهن غير موجودات"، ويذكر الشاعر فخر الدين الجورجان: "وفاء النساء كذيل الحمار لن يطول مهما مشى"، أقوال مريضة صادرة من عقول ضالة، ولا يمكن أن تصدر من عقول سوية وأخلاق مستقيمة.



المتعة الفردية والجماعية والزينبيات، والجماع من الدبر، وإعارة الفروج، والسماح بجماع المرأة الصائمة، والتلقيح من قبل رجل غريب، وجواز تفخيذ الطفلة .. وغيرها من الأمور، قد أساءت للمرأة الشيعية إساءة كبيرة.

وطالما أن الشيعة تستقي ديانتها من تعاليم أهل البيت وليس من القرآن والسنة النبوية، فهنا سنتوقف أمام حقيقة مريعة، وهي: هل كانت نساء أهل البيت يعرن فروجهن؟ وهل كن يتجامعن من الدبر؟ وفي رمضان لا يجدن ضيراً من جماع الدبر وهن صائمات؟ وهل كانت زينب تمارس المتعة الجماعية؟ لذا تسمين أتباعهن بالزينبيات! ولماذا لم يسمح الإمام العقيم الحسن العسكري بأن يلقح رجل غريب زوجاته أو جواريه على الأقل لينجبن له وأولاداً بدلاً من بدعة السرداب؟ حاشا لآل البيت وسيدات بيت النبوة من هذا الافتراء والفحشاء، لكن مصدر هذه الإساءات هم الأئمة، والأصح ما نسب الشعوبيون لهم من أحاديث كاذبة.

أما أن الادعاء بأن الأئمة كانوا يفتون بذلك ولا يقيدون به أنفسهم! فهذا نفاق ورياء ينتقص من مكانتهم العالية، وقيمتهم السامية. أن تنصح بالصلاة والصوم وأنت لا تؤديهما فهذا نفاق ودجل. أن تسمح للغير بجماع الدبر ولا تبيحه لنفسك، هذا رياء وليس عبادة. أن تسمح بإعارة الفروج وتمهد الفروج للغرباء، وتغلق فرج امرأتك وابنتنك عن الغير فهذا تحايل على الناس. أن تسمح للمسلمات بالمتعة ولا تسمح لزوجاتك وبناتك وأخواتك بها فهذا تحريض على الفحشاء والمنكر.

يذكر الكليني عن صفوان بن يحيى قال: "قلنا للرضا: أن رجلاً من مواليك أمرني أن أسألك عن مسألة هابك واستحيى منك أن يسألك؟ قال: وما هي؟ قلت: الرجل يأتي امرأته في دبرها؟ قال: ذلك له! قلت له: فأنت تفعل؟ قال: إنا لا نفعل ذلك" [الكافي5/540]. إن كان الإمام لا يفعل ذلك وهو حلال فلماذا؟ وإن كان حرام فكيف يحلله؟ أم هي تقية بسبب الخجل من الناس، والله أعلم؟

لكن أبا عبد الله له رأي آخر، فهو لم ينكر فعلها مع زوجاته أو جواريه، لكنه ينصح بأن لا توجعها! قال الكليني عن أبي عبد الله قال: سألته عن إتيان النساء في أعجازهن؟ فقال: "هي لعبتك لكن لا تؤذها" [الكافي5/540]. الإمام يرأف بالدبر، ولا يرأف بالمرأة!

واستمرت النظرة الصفوية الدونية للمرأة حتى الوقت الحاضر، فقد ذكرت الليدي شايل: "عندما تتكلم عن المرأة الإيرانية، فأنت لا تتكلم عن شيء؛ لأن المرأة في إيران لا شيء" [لمحات من الحياة والعادات في فارس/86]، هذا حال المرأة الشيعية، إنه حال يرثى له، وكان الله في عون المؤمنات منهن.

لكننا نقول في الختام: إن هذه الأفكار المريضة من وسوسة الشيطان؛ لأن المرأة هي الأم الحنون، والأخت المصون، والبنت الحبيبة، والزوجة الطيبة التي تشارك زوجها السراء والضراء في رحلة الحياة الشاقة. المرأة هي شرف الرجل وعنوان رجولته وكرامته؛ فهل يجوز بعد هذا أن يطعن الرجل أو يهين شرفه؟



4) الإعفاء من الفروض والاستهانة بها

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: "ظهرت بدعة التشيع التي هي مفتاح باب الشرك، ثم لما تمكنت الزنادقة وأمروا ببناء المشاهد وتعطيل المساجد، محتجين بأنه لا تصلى الجمعة والجماعة إلا خلف معصوم. ورووا في إنارة المشاهد وتعظيمها والدعاء عندها من الأكاذيب ما لم أجد مثله فيما وقفت عليه من أكاذيب أهل الكتاب، حتى صنف كبيرهم ابن النعمان كتاباً في مناسك حج المشاهد، وكذبوا فيه على النبي صلى الله عليه وسلم وأهل بيته أكاذيب، بدلوا بها دينه وغيروا ملته، وابتدعوا الشرك المنافي للتوحيد، فصاروا جامعين بين الشرك والكذب" [*مجموع الفتاوى161/27*].

الدين فرائض أوجبها الله تعالى على المسلمين كافة سواء الأنبياء والرسل أو بقية العباد، سيد كان أم عبداً، غني كان أم فقيراً، عالم كان أم جاهلاً، وقد اتصفت الفرائض الإسلامية بالمرونة والسهولة بشكل مميز. فالإسلام دين اليسر وليس العسر. والله تعالى رؤوف بعباده، محب لهم، متسامح معهم لأبعد الحدود، حتى المحرمات التي حرمها الله كلحم الخنزير والدم؛ فإنه تسامح في خرقها من قبل عباده في حالات محددة واستثنائية، وهذا دليل على العطف الإلهي وترجيح كفة التسامح والغفران.

أما من يتخذ من هذه الفرائض العبادية محلاً للسخرية والتهكم، أو يخترع بديلاً عنها، أو يأتي بتخاريف وأساطير جاعلاً منها أعلى منزلة من الفرائض، أو يدعي بأنه وصل إلى مرحلة إيمانية تتيح له أن يعفي نفسه منها، فهذا ما لا يمكن قبوله والتغاضي عنه والتهاون معه. الفرائض الإسلامية خط أحمر لا يمكن السكوت أمام انتهاكها أوعدم احترامها من قبل أي مسلم، ولا نظن أن هناك من وصل إلى مرحلة أكثر من النبي محمد صلى الله عليه وسلم والصحابة رضوان الله عليهم، ومع هذا لم يعفوا أنفسهم من أداء الفرائض.

الإعفاء من أداء الفرائض عند المتصوفة يتخذ عدة أشكال منها:

أولاً: الوصول إلى مرحلة "اليقين": حيث ذكروا بأنه إذا وصل أحدهم إلى هذا المقام تسقط عنه فروض العبادة، مستندين في ذلك على تأويلهم الآية الكريمة: **﴿وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾** [الحجر:99]، فما بعد اليقين تتوقف العبادات بنظرهم! لكن ألم يصل النبي صلى الله عليه وسلم والصحابة إلى مرحلة اليقين؟ هل وصلها الشيوخ ولم يصلها النبي صلى الله عليه وسلم والصحابة؟

ثانياً: في حال الوصول إلى الغاية القصوى من "الولاية": قال ابن حزم: "ادعت طائفة من الصوفية أن في أولياء الله تعالى من هو أفضل من جميع الأنبياء والرسل، قالوا: من بلغ الغاية القصوى من الولاية سقطت عنه الشرائع كلها من الصلاة والصيام وغير ذلك، وحلت له المحرمات كلها من الزنا والخمر وغير ذلك، واستباحوا بهذا نساء غيرهم، وقالوا: إننا نرى الله ونكلمه وكلما قذف في نفوسنا فهو حق" [الفصل في الملل والنحل226/4].

ثالثاً: عند الوصول إلى مرحلة الفناء "الاتحاد مع الله": وقال أبو علي وفا شعراً فيه:

وبعد الفنا بالله كن كيفما تشا * * * فعلمك لا جهل، وفعلك لا وزر



والاتحاد كما جاء على لسان ابن عربي في كتابه التجليات يكون في حال: "إن الله والعبد شيء واحد"، وهو نفس ما عبر عنه الشيخ الكيلاني بقوله: "إن أمري هو أمر الله" [الفيوضات الربانية في المآثر والأوراد القادرية/33]، الغرض من هذه الدعاوى الباطلة هو فرض طاعتهم العمياء على المريدين.

ذكر محمد السفاريني الحنبلي: "الولاية موهبة من الله تعالى غير مكتسبة ولا يصل الولي ما دام عاقلاً بالغاً إلى مرتبة سقوط التكليف عنه بالأوامر والنواهي، ومن زعم ذلك فهو إلحاد وزندقة، وإن زعمه من زعمه من بعض الكرامية ومن نحا نحوهم من أن الولي قد يبلغ درجة النبي بل أعلى" [لوامع الأنوار البهية/396].

الصفويون في الحقيقة هم الذين أسسوا هذه الفكرة ولكن دون الإشارة بشكل مباشر إلى مصطلح الاتحاد فقد نسبوا لأبي جعفر القول:"ان الله خلطنا بنفسه" [الكافي113/1]. ونُسب للامام علي رضي الله عنه القول: "أنا عين الله وأنا يد الله وأنا جنب الله" [الكافي113/1].

وهذا الاعتقاد عند الفريقين مستمد من أفكار براهمة الهند بقولهم: "عندما أتحد مع برهم أعفى من العمل والفروض"؛ لذلك تعفي العقيدتين أتباعهما من أداء العبادات بل تبيح لهم المحظورات وتزين لهم الضلال بكل أناقة وجسامة. وقد ادعى "ابراهيم السنغالي" مؤسس الطريقة الفيضية التيجانية بأن أتباعه "يدخلون الجنة جميعاً بلا حساب حتى لو لم يؤدوا فرائض الدين أو الذين استحلوا المحرمات" [راجع تفنيد الصوفية/ عبد الرحمن عبد الخالق].

لاحظ قبل تناول الفرائض بالتفصيل أنهم سخروا من الوضوء، وهذا ما يتجلى في تصرف القطب معروف الكرخي! ذكر أبو زكريا الحَمَّال: "بَالَ معروفٌ على الشطِّ، ثم تَيَمَّمَ، فقيل له: يا أبا محفوظ! الماء منكَ قريبٌ! فقال: لعلِّي لا أَبلغُه" [طبقات الصوفية/40]. **هل هذا عجز أم بطر أم شذوذ؟**

1) التوحيد:

نقل لسان الدين عن أحد المتصوفة قوله: "اعلم أن لطائف التوحيد أرق وألطف من أن تخرج بكثيف العبارة" [روضة التعريف بالحب الشريف/498]. وقال ابن عطاء: "حقيقة التوحيد نسيان التوحيد" [الرسالة القشيرية588/2]. مجرد سفسطة يعزوها البعض إلى التفلسف! كيف تكون الحقيقة في النسيان وليس في التذكير؟ كما قال الصوفي التلمساني: "القرآن كله شرك وليس فيه توحيد، وإنما التوحيد في كلامنا نحن" [مجموعة الرسائل والمسائل77/1]. وجاء عن الطريقة الشاذلية صلاة عجيبة في أمرها تُسمى "مشيش" تعتبر التوحيد بالله "أوحال" يُقال فيها: "اللهم انتشلني من أوحال التوحيد، وأغرقني في عين بحر الوحدة" [المصدر السابق]. كما يذكر د. عبد الرحمن بدوي عن البسطامي: "في إحدى المرات دخل مينه فتبعه الكثير من الناس. فقال: ما هؤلاء؟ فقالوا: يصحبونك. فصلى بهم الفجر. وقال لهم: أنا لا إله إلا أنا فاعبدونِ" [شطحات الصوفية/157].

كما يذكر الهروي في منازل السائرين:

ما وحد الواحد من واحد * * * إذ كل من وحده جاحد
توحيد من ينطق عن نعته * * * تثنية أبطلها الواحد



توحيد إياه توحـــــــــيده * * * ونعت من ينعته لاحد

وفيما يتعلق بالتوحيد عند الرافضة، فسر القمي قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [الزمر:65]، بأنها تعني أن أشركت في الولاية" [تفسير القمي251/2]. وقال أبو عبد الله: "ثم مسحنا بيمينه فأفضى نوره فينا" [اصول الكافي440/1]، كذلك قوله: "إن الله خلطنا بنفسه" [أصول الكافي435/1].

2) الشهادة:

في الوقت الذي تشير فيه المصادر التأريخية إلى محافظة المسلمين على شعائر الإسلام المنصوص عليها بالقرآن أو التي أخذوها عن النبي صلى الله عليه وسلم. مثلاً عندما عطس أحد المسلمين حمد الله وأضاف: "الصلاة والسلام على رسول الله"! وقد اعترض ابن عمر على كلام الرجل قائلاً: ما علمنا رسول الله هكذا! وإنما نقول: "الحمد لله" لا غيرها [سنن الترمذي]؛ فكيف إذن بتغيير الأذان والشهادة؟ الصفويون بدلوا فريضة الشهادة بالولاية، ونُسب لأبي جعفر القول: "بني الإسلام على خمس أشياء: الصلاة والصوم والزكاة والحج والولاية" [كتاب الكافي 18/2].

ولما سئل عن أفضل الخمسة قال: "الولاية أفضل"، وذكر الشيخ الصدوق ـ ولا نفهم من أين جاء هذا الوصف الذي لا يتناسب وشخصه، وقد ثلثت الشهادة عند الصفويين بإضافة العبارة: "أشهد أن علياً ولي الله"، مقتدين بالثلوث المقدس عند النصارى.

ومن الغرائب: أن الطوسي يذكر في كتابه الغيبة: "عندما سقط المهدي من بطن أمه كان يقرأ القرآن بصوت مسموع، ثم استفتح فقال: أشهد أن لا الله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله"، أي عظم الشهادة كأول ركن من أركان الاسلام، ولكنه لم يثلث الشهادة بإضافة جده الإمام علي!

اعتبر المتصوفه أن شهادة لا إله إلا الله هي توحيد العامة والدهماء ممن يفتقرون إلى العلم، فالأهم برأيهم هو توحيد الخاصة، ويعنون بذلك أنفسهم مدعين معرفتهم بالعلوم العلوية.

وجاء في ترجمة الشيخ إبراهيم بن عصيفير بأنه كان يتشوش من سماع صوت المؤذن ويصيح بالمؤذن بعد قوله الله أكبر: "عليك يا كلب! هل نحن كفرنا يا مسلمين حتى تكبروا علينا" [الكواكب الدرية في تراجم السادة الصوفية للشيخ المناوي14/2]. وذكر الكمشخانوي عن الشبلي بأنه أذن مرة فلما وصل إلى: "أشهد أن محمداً رسول الله" ناجى الله: إلهي! لولا أنك أمرتني لما ذكرت معك غيرك. يقصد النبي صلى الله عليه وسلم [كتاب جامع الأصول في الأولياء لأحمد الكمشخانوي].

ويسخرون من الأذان بطريقة وقحة، فبعضهم عندما يسمع نباح كلب أو شاة ويقول: "لبيك وسعديك أو لبيك سيدي" [اللمع/492].

3) الصلاة:



وهي من أهم أركان الإسلام بعد الشهادة، يضعون صور شيوخهم أمامهم عند الصلاة، كأن الصلاة للشيوخ وليس لله تعالى: "حيث يضعون صورة الشيخ أمامهم في الصلاة جهة القبلة، ويتصورون حضور الشيخ" [أقوال الصوفية في مظاهر الانحرافات العقدية عند الصوفية 730/2].

وبعضم يولي شطره عند الصلاة إلى قبور شيوخهم مستدبرين القبلة قائلاً: "هذا قبلة الخاصة، والكعبة قبلة العامة" [تلخيص الاستغاثة في الرد على البكري87/1]. كما ابتدعوا صلاة تدعى "صلاة الفاتح" يذكر عنها الشنقيطي نقلاً عن الشيخ التيجاني بأن كل ما تذكره من صلاة وأذكار وأدعية على النبي صلى الله عليه وسلم: "لو توجهت بها (100) ألف عام، وتذكرها كل يوم (100) ألف مرة ما بلغت مرة واحدة من صلاة الفاتح" [الفتوحات الربانية للشنقيطي/115]! فهي عندهم أهم من سورة البقرة وآية الكرسي؛ لأن قراءتها مرة واحدة تضمن سعادة الدارين، وتغفر جميع الذنوب!

ويضيف الشعراني: "أخبرني الشيخ عبد الواحد رضي الله عنه أحد جماعة سيدي أبي السعود الجارحي رضي الله عنه قال: مدحت سيدي بركات الخياط للشيخ جمال الدين الصائغ مفتي الجامع الأزهر، وجماعة فقالوا امضوا بنا نزوره، وكان يوم جمعة فسلم المؤذن على المنارة، فقالوا له: نصلي الجمعة فقال: ما لي عادة بذلك فأنكروا عليه! فقال: نصلي اليوم لأجلكم، فخرج إلى جامع المارداني فوجد في الطريق مسقاة الكلاب فتطهر منها ثم وقع في مشخة حمير ففارقوه" [الطبقات الكبرى374/2]، أليست النظافة من الإيمان؟ أم قرأها الشيخ بالعكس؟

يذكر الشيخ الشعراني: "كان الشيخ أحمد بن سليمان الزاهد يقول: ما دخل أحد إلى مسجدي هذا ثم صلى ركعتين إلا أخذت بيده في عرصات القيامة؛ فإن الله شفعني في جميع أهل عصري" [الطبقات الكبرى304/1]، يذكر الشعراني عن الشيخ الصوفي إبراهيم بن عصيفير بأن "أكثر نومه بالكنيسة، لأن النصارى لا يسرقون النعال في الكنيسة بخلاف المسلمين" [الطبقات الكبرى140/2]، إن لم يسرقوا نعال الشيخ فقد سرقوا أرضنا وثرواتنا.

ويصف "الشيخ فقيه البناني" حِكم ابن عطاء "كادت أن تكون وحياً، ولو كانت الصلاة تجوز بغير القرآن، لجازت بحكم ابن عطاء" [إيقاظ الهمم/4] مع أنها حكم لا تساوي شيئاً أمام حكم سفيان الثوري والشاعر المتنبي وأبي تمام والمعري وغيرهم.

ولديهم صلاة أخرى تسمى "العظيمية" وتبدأ بالقول: "اللهم إني أسألك بنور وجه الله العظيم، الذي ملأ أركان عرش الله العظيم" لاحظ الخلل في الصلاة فهم يسألون الله وبدلاً من استخدام كلمة "بنور وجهك العظيم" استعملوا "بنور وجه الله العظيم" كأنما يتحدثون عن رب ثانٍ! وتكرر نفس الخطأ في العبارة التي تلته "الذي ملأ أركان عرش الله العظيم"، وهكذا بصيغة الشخص الثالث. وصلاة أخرى تسمى "جوهرة الكمال" ادعى الشيخ أحمد التجاني إنه أخذها عن النبي صلى الله عليه وسلم وأخبره إنها تعادل تسبيح العالم (3) مرات! [للمزيد راجع الهدية الهادية إلى الطريقة التجانية].

ومن ملح تخاريفهم ما ذكره المناوي عن أحد شيوخهم: أنه سجد سجدة واحدة، فامتد سجوده سنة كاملة، وما رفع رأسه حتى نبت العشب على ظهره" [قلادة الجواهر/340]. ظهر الشيخ كما يبدو تربة خصبة ومسمدة ذاتياً!



جاء في ذكر الحبيب عبد الله بن عمر بن يحيى: "حضرت صلاة قدموا فيها الحبيب عبد الله بن عمر إماماً، وكان الحبيب علوي بن هاشم جالساً في ناحية لم يصل معهم، فقال الحبيب محمد في نفسه: كيف هذه الولاية وفيها خرق الشريعة؟ وكيف تكون ولاية بلا صلاة؟ فكاشفه والده الحبيب أحمد وقال له: يا محمد، فقال: مرحباً. فقال له: ارفع رأسك، فرفع رأسه فإذا تسع صور على صورة الحبيب علوي يصلين في الهواء، فقال: هل تضر صورة واحدة جالسة لا تصلي وتسع يصلين؟ [كنوز السعادة الأبدية في الأنفاس العلية الحبشية/55].

أما بشأن الصلاة عند الصفويين، فقد ذكر يونس بن ظبيان عن أبي عبد الله: "إن الله عز وجل يدفَعُ بمن يُصلّي من شيعتنا عمّن لا يصلّي من شيعتنا، فلو اجتمعوا على تركِ الصلاة لهلكوا، وإنَّ الله ليدفع بمن يزكي من شيعتنا عمن لا يزكي، ولو اجتمعوا على ترك الزكاة لهلكوا، وإن الله عز وجل ليدفع بمن يحجّ من شيعتنا عمّن لا يحج، ولو اجتمعوا على ترك الحجّ لهلكوا" [تفسير نور الثقلين للحويزي 210/1].

كما نسب الكليني لأبي جعفر القول: "لو أن رجلاً قام ليله وصام نهاره وتصدق بجميع ماله وحج جميع دهره ولم يعرف ولاية الله، فيواليه ويكون جميع أعماله بدلالته إليه، ما كان له على الله جل وعز حق في ثوابه ولا كان من أهل الإيمان" [الكافي16/2]. وذكر الصدوق: "من أنكر الولاية لا تقبل منه صلاة ولا زكاة ولا حج ولا صوم" [أمالي الصدوق/154]. وقد صنف المجلسي باباً بعنوان: "أن الأئمة هم الصلاة والزكاة والحج والصيام وسائر الطاعات" وهو نفس ادعاء الجنيد: "ليس التصوف بكثرة الصوم والصلاة، بل بطمأنينة القلب وتسليم الروح".

عجباً! هل هناك طريقة أفضل من الصلاة ليطمئن القلب؟ وهل هناك أفضل من الصوم لتسليم الروح؟

يعتقد الصفويون أن حب الإمام علي يكفي لدخول الجنة حتى لو كان المسلم مشبعاً بالذنوب، وليس مؤدياً الفرائض، ومنها الصلاة! ويذكر الطوسي: "من أحب علياً لن يدخل النار حتى لو كان كافراً أو يهودياً أو نصرانياً" [أمالي الطوسي/312]. كما نسب المجلسي للإمام علي القول: "لو أن عبداً جاء يوم القيامة بعمل سبعين نبياً ما قبلها الله منه حتى يلقاه بولايتي وولاية أهل بيتي" [بحار الأنوار27/ 172].

كما ذكر الشيخ الصدوق"لو سجد الساجد حتى ينقطع عنقه ما قبل الله منه ذلك إلا بولاية أهل البيت" [الخصال41/1]. والمصيبة الكبرة أنهم عادلوا التقية بالصلاة، فال مرجعهم القمي: "التقية بمنزلة الصلاة" [الاعتقادات/114].



4) الصوم:

جاء في طبقات الشعراني حول ترجمة الشيخ إبراهيم بن عصيفير: "صوم المسلمين باطل، وليس به ثواب. أما المسلمون الذين يأكلون اللحم الضانئ والدجاج أيام الصوم، فصومهم عندي باطل"، الشيخ يحرم ويحل كما يحلوا له يظن نفسه الذات الإلهية المقدسة!

ونُسب للشبلي القول: "إن صليت جحدت، وإن لم أصل كفرت"، هل هي فزورة أم ماذا؟ وقد اعترض محمد غوثي الشطاري على عدم صلاة شيخه "شرف الباني"! فأجابه: إن الله أعفاني عن الفرض وقال لي: عينك عيني، أي ذاتك ذاتي" [دراسات في التصوف لإحسان إلهي ظهير/104].

أما الطرفة كبرى فمصدرها الشيخ أحمد المعشوق الذي برر تركه الصلاة بقوله: "إني إمرأة حائض، لا توجب الصلاة علي"! [تذكرة الأولياء للميرزا لدهلوي165/3]. الرجل يبدو خنثى أو امرأة بلباس رجل والله أعلم. ولم يقتصر تهكهم على الصلاة فحسب بل وصل إلى عقوبة من يؤديها! يُذكر عن الشيخ شهاب الدين النشيلي بأنه كان ينادي خادمه، فإذا لم يجبه أو تأخر عنه لأنه يصلي، يقطع الشيخ عليه صلاته زاجراً ويدفعه أمامه قائلاً: كم مرة أقول لك لا تصلي هذه الصلاة المشؤومة! [كتاب الطبقات الكبري للشعراني141/2] الشيخ يعتبر الصلاة شؤوم والعياذ بالله.

كما قد ذكر أحد شعرائهم:

إذا الناس صلوا فلا تنهضي * * * وإن صاموا فكلي واشربي

5) فريضة الحج:

قال الغزالي: "من الشيوخ من تأتي الكعبة إليه وتطوف هي به وتزوره" [الإحياء269/1]، أهكذا تُحي دين الله يا شيخ؟

ويذكر شيخهم البدوي:

ألا أيها الزوار حجوا لبيتنا * * * وطوفوا بأستار له لتبلغوا المنا
فهيا بني الحاجات سعيا لمنهل * * * ورثناه في الدارين من فيض جدنا

[السيد البدوي بين الحقيقة والخرافة د. أحمد منصور صبحي/259]، وهذا الضريح قد زاره في إحدى السنوات ثلاثة ملايين مسلم [عقيدة المسلم للغزالي/80].

ويذكر الشيخ الصيادي الرفاعي:

بيتان حج العارفون إليهما * * * بيت الرسول وشبله ببطاح
أعني به المولى الرفاعي الذي * ** خلقت أنامله من الأرباح

[قلادة الجواهر في سيرة الرفاعي وأصحابه الأكابر للصيادي/ 433].

الأغرب منه هو وصف ابن سبعين لحجاج بيت الله في طوافهم بقوله: "كأنهم حمير حول المدار"! وكان الحلاج ممن ينكرون الحج إلى بيت الله ولا يعتبره من الفروض، مكتفياً بالنية دون تحمل مشقة السفر، ولعل هذه الفكرة شجعت صاحبه أبو سعيد القرمطي على غزو مكة ونهب الحجر الأسود بعد مرور تسع سنوات من موت صاحبه الحلاج، لكي يبطل فريضة الحج للكعبة الشريفة. وهذا الكفر



الصريح يفسر حمل جثة الحلاج على جمل والطواف بها في بغداد، وكان ينادى عليها: "هذا أحد القرامطة فاعرفوه"، علماً أن الحلاج قد أقام في مدينة قم، وكان من أقارب أبو الحسن النوبختي المؤلف الشيعي المعروف.

وذكر أن الحج لم يفوته؛ إذ بنى قبة في بيته وكان يطوف حولها كالكعبة، وعندما ناظر العلماء الحلاج لم ينكر دعواه، ولكنه كذب عندما ادعى بأنه قرأها في كتاب الصلاة للحسن البصري، وعندما رحل الحجاج إلى بغداد كانت له مكاتبات عديدة مع قومه الفرس. لاحظ نفس الأمر قام به خلف الحجاج من الصفويين في إيران، فقد بنوا في ظل حكم الخامنئي كعبة صغيرة على هيئة الكعبة المشرفة في ملعب رياضي ليحجوا بها.

من غرائبهم: أنه سُئل أبو يزيد البسطامي عن سبب قطعه الحج والعودة إلى بسطام؟ فقال بأنه التقى برجل حبشي في طريقه للحج، وقال له: "لماذا تركت الله ببسطام؟ وفي حجه الآخر التقى فقيراً سأله عما يملك من المال؟ فأجابه (200) درهم. فقال الفقير: اعطني إياها وطف حولي (7) مرات! ففعل الشيخ ذلك [تذكرة الأولياء للعطار/82].

ومؤسس طريقة الخلوة والرهبنة الصوفية "الفارسي أبو سعيد بن أبي الخير" لم يحج مطلقاً مدعياً بأن "الكعبة تزوره عدة مرات في اليوم"، وذكر أبو يزيد البسطامي: "لقد جمعت عبادات أهل السموات والأرضين السبعة وجعلتها في مخدة، ووضعتها تحت خدي" [تذكرة الأولياء139/1]. إنهم يسخرون من فريضة فرضها الله تعالى على عباده!

أما أتباع الطريقة التجانية فإنهم يزورن قبر شيخهم قبل الحج، وجميع الطرق الصوفية على هذا المنوال، فصرفوا فريضة الحج والتي كلها دعوة للتوحيد، واتباع لإمام الموحدين إبراهيم عليه السلام إلى شرك صراح" [الطرق الصوفية، السهلي/130]. ومن هؤلاء من يرجح الحج إلى المقابر على الحج إلى البيت، ومنهم من يحج إلى البيت، ولكن يقول أحدهم: إنك إذا زرت قبر الشيخ مرتين أو ثلاثاً كان كحجة" [الاستعانة في الرد على البكري469/2]. كما يفعل الشيعة تماماً في زيارة قبر الحسين؟ ويذكر الشيخ سيدي الإمام أحمد أبو العباس المرسي: "لو كان الحق سبحانه، وتعالى يرضيه خلاف السنة، لكان التوجه في الصلاة إلى القطب الغوث أولى من التوجه إلى الكعبة" [الطبقات الكبرى228/1].

وفيما يتعلق بالحج عند الرافضة، في الوقت الذي صور فيه المتصوفة حجيج بيت الله بالحمير؛ فإن الصفويين صوروهم قردة وخنازير. ففي كتاب السجاد، يقف الإمام الحسين على عرفة ومعه الزهري، فقال له: بكم تقدر هنا من الناس؟ فأجاب: كثير .. كلهم حجاج قصدوا الله يدعونه بضجيج أصواتهم. فقال الحسين: ما أكثر الضجيج وما أقل الحجيج! وقال للزهري: ادن مني ثم مسح بيده على وجه الزهري وقال: ماذا تنظر الآن. قال الزهري: أراهم قرود. ثم مسح على وجهه ثانية وقال له: انظر الآن. فرآهم خنازير. ثم مسح على وجهه مرة ثالثة فرآهم دواب! حتى مسيلمة وسجاح لم يصلوا إلى هذا المستوى الرقيع من الدجل والسخافة.

الحج عند الرافضة هو زيارة قبر الحسين، فقد نَسبوا للإمام الصادق القول: "من زار قبر الحسين يوم عرفة كتب الله له ألف ألف حجة مع القائم. وألف ألف عمرة، وعتق ألف ألف نسمة، وحمل ألف ألف فرس في سبيل الله" [الوافي للفيض الكاشاني2476/14]. وذكر الفيض الكاشاني بأن "ثواب صلاة ركعة



واحدة في حرم الحسين كثواب من حج ألف حجة، واعتمر ألف عمرة، واعتق ألف رقبة، ووقف في سبيل الله ألف ألف مرة مع نبي مرسل" [1478/14]. من الجدير بالذكر أنه لا الخميني ولا السيستاني حجوا إلى بيت الله!

6) الزكاة:

جاء في القرآن الكريم عن الزكاة: ﴿إِنَّ كَثِيرًا مِنَ الأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾، لكن مراجع الرافضة يأكلون من نذور العوام للأئمة ما يؤتون به من مال إلى قبورهم، حتى صار لهم نصيب كبير من الباطل. فهم كما قال شيخ الإسلام: "يأكلون أموال الناس بغير حق، ويصدون عن سبيل الله؛ إذ التابع لهم يعتقد أن هذا هو السبيل لله ودينه، فيمتنع بسبب ذلك عن الدين الحق الذي بعث الله به رسله وأنزل به كتبه" [الاستعانة في الرد على البكري 471/2]. ويذكر عن شيخ الصوفية الشبلي بأنه ألقى (4000) دينار في نهر دجلة! فاستغرب الناس فعله وقالوا له: لِم لا تعطيها للناس؟ فأجابهم: الحجر أولى بالماء؟ كذلك فعل الحسين النوري حيث رمى (300) دينار ثمن عقار باعه في النهر؟ هل النهر أم الفقراء بحاجة إلى المال؟ وهل انعدم الفقراء في زمنهم؟ أهكذا تنص العقيدة الإسلامية؟

كما أنكر الصفويون الزكاة واستبدلوها بالخمس الذي يأخذوه من الجهله والحمقى، وهو أهم ركن في عبادتهم. حتى السرقة تُحل عند المراجع شريطة أن تدفع عنها الخمس! لذا ترى أتباعهم بعد الغزو الأمريكي للعراق سرقوا مؤسسات الدولة والبنوك، وأحلت لهم من قبل مراجعهم بعد أن دفعوا الخمس لهم! ومن مشاهداتي آنذاك، علق سواق باصات الدولة المسروقة لافتة كتب عليها: "الأجرة للمرجعية" وهم يقصدون بأنهم يدفعون خمس الوارد للمراجع.

نختتم هذا الباب بملاحظة مهمة وهي: أن الإعفاء من الفرائض ليست حالة قديمة واندثرت مع رجالها، بل ما تزال سارية المفعول لحد الآن، قال محمد خاتمي الرئيس الإيراني السابق: "الحكومة التي هي جزء من الولاية المطلقة لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، أحد أحكام الإسلام الأولية ومقدمة على جميع الأحكام الفرعية، حتى الصلاة والصيام والحج. ومن الممكن أن يعطل أي أمر، عبادياً أو غير عبادي إذا ما تعارض مع مصلحة الإسلام" [صحيفة النور170/20].



5) الغلو وتعظيم الذات البشرية لحد الشرك بالله

في العقيدتين مبالغة وإفراط في مدح النفس وتعظيمها إلى مستوى الابتذال، وبشكل لم نعهده لا مع الرسل والأنبياء ولا مع الصحابة الذين عرفوا بتواضعهم الشديد كالخلفاء الراشدين الثلاثة. وقد عُرف عن النبي المصطفى صلى الله عليه وسلم تواضعه الجم، وعندما تناهى إلى سمعه قول بعضهم له: "ياسيدنا وابن سيدنا، يا خيرنا وابن خيرنا.امتعض من قولهم ونهاهم عنه! معلماً إياهم: **«أنا محمد بن عبد الله، عبد الله ورسوله. والله ما أحب أن ترفعوني فوق منزلتي التي أنزلني الله عز وجل»**، ومن تواضعه أنه كان يجلس مع الناس كواحد منهم، فلا يكاد الغريب أن يعرفه حتى يسأل من منكم محمد؟ وفي إحدى المرات حضر رجل لمقابلته فما إن رآه حتى أخذ يرتعد فهوَن المصطفى عليه الأمر، وخاطبه بلطف وهدوء: **«هون عليك فأني لست ملك، إنما أنا ابن إمرأة من قريش كانت تأكل القديد»** [سنن ابن ماجه]. ومن الأحاديث الشريفة: **«لا تطروني! كما أطرت النصارى ابن مريم، فإنما أنا عبد. فقولوا:عبد الله ورسوله»**.
لذلك كان النبي صلى الله عليه وسلم رجلاً متواضعاً للغاية حاله حال بقية البشر، يعمل ويأكل ويشرب وينام ويتزوج ويسهو ويخطئ – فيما عدا ما يُوحى إليه من الله تعالى - ويستشير أصحابه في الكثير من الأمور الحياتية، ويُغلب أحياناً رأيهم على رأيه، فقد أخذ برأي سعد بن معاذ وخباب وغيرهم. وكان يجالس الناس ويسمع منهم، ويسمعوا منه ويناقشوه، يحب الظرافة والملح، يزور المسلمين ويزورونه، ويتقصى أخبارهم سيما المرضى منهم والشيوخ. لكن الصفويين والمتصوفه قدموه للعالم بصورة أخرى من وحي خيالهم وتخاريفهم. القصد منها أن يضيفوا هالة من القدسية المضللة على أئمتهم ولشيوخهم باعتبارهم من نسله أو كورثة للأنبياء. في حين جاء في الذكر الحكيم: **﴿قُلْ لا أَقُولُ لَكُمْ عِندِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَفَلا تَتَفَكَّرُونَ﴾** [الأنعام:50]، وكذلك في سورة الكهف: **﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ﴾** [الكهف:110]، ويلاحظ أن النبي صلى الله عليه وسلم حذر من الغلو والتعظيم لغير الله بقوله: **«إياكم والغلو! فإنما أهلك من قبلكم الغلو»** [أخرجه أحمد]. وقال عليّ بن أبي طالب: "إنَّ دين الله بين الغالي والمقصِّر، فعليكم بالنُّمرقة الوسطى، فإن بها يلحق المقصّر وإليها يرجع الغالي" أي اوسط الأمور، ومن المؤسف أن نجد أن الإمام لا يلتزم بكلامه هذا! أو أن أتباعه أساءوا إليه بالتلفيق، والله أعلم.
فيما يتعلق بالخلفاء الراشدين، يذكر لنا ابن كثير روايات عديدة عن تواضع الخليفة أبي بكر منها: "نهض أبو بكر رضي الله عنه إلى الجرف فاستعرض جيش أسامة، وأمرهم بالسير وسار معهم ماشياً وأسامة راكباً، وعبد الرحمن بن عوف يقود براحلة الصديق، فقال أسامة: يا خليفة رسول الله! إما أن تركب وإما أن أنزل! فقال أبو بكر: والله لست بنازل، ولست أنا براكب، ثم استطلق الصديق من أسامة عمر بن الخطاب فأطلق له، فكان عمر لا يلقاه بعد ذلك إلا قال: السلام عليك أيها الأمير" [البداية والنهاية].



وذكر المؤرخون: كان أبو بكر يَحلِب للحي أغنامهم، فلما بويع بالخلافة، قالت جارية من الحي: الآن لا يحلب لنا منائحنا! فسمعها الصديق وقال: بلى! لعمري لأحلبنّها لكم، وإني لأرجو أن لا يغيِّرني ما دخلت فيه عن خلق كنت عليه، فكان يحلب لهم" [صفوة الصفوة].
وهذا أمير المؤمنين عمر الفاروق يحمل قربة ماء بنفسه، فيقول له عروة بن الزبير: يا أمير المؤمنين! لا ينبغي لك ذلك! فيرد عليه: لما أتاني الوفود سامعين مطيعين دخلت نفسي نخوة فأردت أن أكسرها [مناقب عمر لابن الجوزي/14].
ويذكر عبد الله الرومي عن ذي النورين: "كان عثمان يلي وضوء الليل بنفسه، فقيل له: لو أمرتَ بعض الخدم فكفوك! قال: لا! الليل لهم يستريحون فيه" [طبقات ابن سعد]. وروى الإمام أحمد أن الحسن رضي الله عنه سُئِلَ عن القائلين في المسجد - أي الذين ينامون أو يستلقون في المسجد عند منتصف النهار - فقال: رأيت عثمان بن عفان يَقِيلُ في المسجد، وهو يومئذٍ خليفة، وأثر الحصى بجنبه فيقال: هذا أمير المؤمنين! هذا أمير المؤمنين! وعن شرحبيل بن مسلم أنه قال: كان عثمان رضي الله عنه يُطعم الناس طعام الإمارة، ويَدخل بيته فيأكل الخل والزيت" [طبقات ابن سعد].
وهذا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب اشترى تمراً وحمله في ملحفه، فهب البعض لحمله عنه فأجابهم: لا! أبو العيال أحق أن يحمله" [باب الزهد/ الإمام أحمد/ 13].
والآن لنقارن ما نسبه الصفويون للأئمة الأبرار من تخاريف وافتراءات - حاشا لله أن تصدر عنهم - هي جمهرة من الأحاديث الكاذبة تدل على الغرور وتعظيم النفس بإضفاء صفات ربانية عليهم لا يقبلها الدين ولا المنطق ولا هم شخصياً.
قال البلاذري: "حدثنا أحمد بن إبراهيم، حدثنا وهب بن جرير، حدثنا شعبة عن أبي التياح، عن أبي السوار الضبعي أنه سمع علياً على منبر البصرة يقول: ليحبني أقوام حتى يدخلهم حبي النار، وليبغضني أقوام حتى يدخلهم بغضي النار" [راجع أنساب الأشراف/ 120]. حب صهر النبي صلى الله عليه وسلم يدخل المسلم النار أو الجنة! كيف وعلى أي أساس؟ كما نسب أبو جعفر الصفار للإمام زين العابدين هذه الهراء: "نحن جنب الله، ونحن صفوته، ونحن خيرته، ونحن مستودع مواريث الأنبياء، ونحن أمناء الله، ونحن حجّة الله، ونحن أركان الإيمان، ونحن دعائم الإسلام، ونحن من رحمة الله على خلقه، ونحن الذين بنا يفتح الله وبنا يختم، ونحن أئمة الهدى، ونحن مصابيح الدجى، ونحن منار الهدى، ونحن السابقون، ونحن الآخرون، ونحن العلم المرفوع للخلق، من تمسك بنا لحق، ومن تخلف عنا غرق، ونحن قادة الغر المحجلين، ونحن خيرة الله، ونحن الطريق، وصراط الله المستقيم إلى الله، ونحن من نعمة الله على خلقه، ونحن المنهاج ونحن معدن النبوة، ونحن موضع الرسالة، ونحن الذين إلينا مختلف الملائكة، ونحن السراج لمن استضاء بنا، ونحن السبيل لمن اقتدى بنا، ونحن الهداة إلى الجنة، ونحن عز الإسلام، ونحن السنام الأعظم، ونحن الذين بنا تنزل الرحمة وبنا تسقون الغيث، ونحن الذين بنا يصرف عنكم العذاب" [للمزيد راجع كتاب بصائر الدرجات الكبرى لأبي جعفر محمد بن الحسن الصفار]. لاحظ مزايا ربانية لم يدعيها النبي صلى الله عليه وسلم لنفسه؛ فكيف يدعيها من هو دونه؟ لمجرد القرابة لا أكثر!



يذكر السيد المرعشي خطبة للإمام علي يتفاخر بنفسه بطريقة لا يمكن أن يتصورها العقل، وفيها صفات مسروقة من الأنبياء والخلفاء الراشدين، منها الفاروق والصديق وجامع الآيات ومحطم الأوثان والأمين وإمام المتقين وغيرها: "أنا النون والقلم، وأنا النور ومصباح الظلم، أنا الطريق الأقوم، أنا الفاروق الأعظم، أنا عيبة العلم، أنا أوبة الحلم، أنا النبأ العظيم، أنا الصراط المستقيم، أنا وارث العلوم، أنا هيولى النجوم، أنا عمود الإسلام، أنا مكسر الأصنام، أنا ليث الزحام، أنا أنيس الهوام، أنا الفخار الأفخر، أنا الصديق الأكبر، أبو بكر، أنا المحشرأنا ساقي الكوثر، أنا صاحب الرايات، أنا سريرة الخفيات، أنا جامع الآيات، أنا مؤلف الشتات، أنا مفرج الكربات، أنا دافع الشقاة، أنا حافظ الكلمات، أنا مخاطب الأموات، أنا محلل المشكلات، أنا مزيل الشبهات، أنا ضيغم الغزوات، أنا صاحب المعجزات، أنا الزمام الأطول، أنا محكم المفصل، أنا حافظ القرآن، أنا تبيان البيان، أنا قسيم الجنان، أنا شاطر النيران، أنا مكلم الثعبان، أنا حاطم الأوثان، أنا حقيقة الأديان، أنا عين الأعيان، أنا قرن الاقران، أنا بذل الشجعان، أنا فارس الفرسان، أنا سؤال متى، أنا الممدوح بهل أتى، أنا شديد القوى، أنا حامل اللواء، أنا كاشف الردى، أنا بعيد المدى، أنا عصمة الورى، أنا ذكي الوغى، أنا قاتل من بغى، أنا موهوب الشدى، أنا أتمد القذى، أنا صفوة الصفا، أنا كفؤ الوفاء، أنا موضح القضا، أنا مستودع الوصايا، أنا معدن الانصاف، أنا محل العفاف، أنا معارف العوارف، أنا صاحب الأذن، أنا قاتل الجن، أنا يعسوب الدين، وصالح المؤمنين، وإمام المتقين، أنا أول الصديقين، أنا الحبل المتين، أنا دعائم الدين، أنا صحيفة المؤمن، أنا ذخيرة المهين، أنا الإمام الأمين، أنا الدرع الحصين، أنا الضارب بالسيفين، أنا الطاعن بالرمحين، أنا صاحب بدر وحنين، أنا شقيق الرسول، أنا بعل البتول، أنا سيف الله المسلول، أنا أولم الغليل، أنا شفاء العليل، أنا سؤال المسائل، أنا نجحة الوسائل، أنا قالع الباب، أنا مفرق الأحزاب، أنا رشد العرب، أنا كاشف الكرب، أنا ساقي العطاش، أنا النائم على الفراش، أنا الجوهرة الثمينة، أنا باب المدينة، أنا محكمة الحكمة، أنا عصام العصمة، أنا واضع الشريعة، أنا حافظ الطريقة، أنا موضح الحقيقة، أنا مطية الوديعة، أنا مبيد الكفرة، أنا أبو الأئمة البررة، أنا دوحة الأصلية، أنا مفضل الفضيلة، أنا خليفة الرسالة، أنا سميدع البسالة، أنا وارث المختار، أنا طهير الأطهار، أنا عقاب الكفور، أنا مشكاة النور، أنا جمل الأمور، أنا زهرة النور، أنا بصيرة البصائر، أنا ذخيرة الذخائر، أنا بشارة البشر، أنا الشفيع المشفع في المحشر، أنا ابن عم البشير النذير، أنا طود الأطواد، أنا جود الأجواد أنا حلية الخلد، أنا بيضة البلد، أنا صمصام الجهاد، أنا جلة الآساد، أنا الشاهد المشهود، أنا العهد المعهود، أنا منحة المنايح، أنا صلاح المصالح، أنا غمضة الغوامض، أنا لحظة اللواحظ، أنا أعذوبة اللفظ، أنا أعجوبة الحفظ، أنا نفيس النفائس، أنا غياث الضنك، أنا سريع الفنك، أنا رحيب الباع، أنا وقو الاسماع، أنا إرث الوارث، أنا نفثة النافث، أنا جنب الله، أنا وجه الله" [شرح إحقاق الحق للسيد المرعشي351/22]. ما الذي أبقاه علي بن أبي طالب من صفات للذات الإلهية؟ ماذا سيقول الكافر السافل المرعشي لربه يوم القيامة؟

يسبغ الإمام علي الكثير من الصفات على نفسه كأنه يعاني من مركب النقص، أو النرجسية، ولا يفترض على الإنسان مهما بلغ من العلم والثراء والقوة والحكمة أن يسبغ على نفسه صفات تخرجه عن دائرة التواضع. أن تضفي عليه الناس تلك الصفات لا بئس وهو يستحقها، ولكن أن يضفي



الصفات على نفسه فهذا مرض نفسي. سيما أن الصفات التي يضفيها الإمام علي على نفسه هي ليست من صفات البشر وأنما الخالق.
لاحظ التواضع عند أبي بكر وهو يخاطب المسلمين: "وليت أمركم خيركم في نفسي"، وهو خير المسلمين بعد الرسول صلى الله عليه وسلم. أبو بكر لم تكن له وجاهة عثمان المستمدة من عصبية بني أمية المميزة، ولا من وجاهة علي المستمدة من القرابة إلى النبي صلى الله عليه وسلم، وإنما من الصفات الطيبة التي امتلكها ففوض المسلمون أمرهم له وبايعوه. أبو بكر هو ظل النبوة، والفاروق هو خيمة النبوة، وعثمان هو صاحب الخيمة. والإمام علي صهر النبي صل الله عليه وسلم.
وهذه المغلاة اتبعها خلف علي أيضاً، عن محمد بن مروان عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سمعته يقول: "خلقنا الله من نور عظمته، ثم صوّر خلقنا من طينة مخزونة مكنونة من تحت العرش، فأسكن ذلك النور فيه فكنّا نحن خلقنا نورانيين، لم يجعل لأحد في مثل الذي خلقنا منه نصيباً" [مرآة العقول273/4]. لاحظ أنها أفكار مستمدة من الديانة الزرادشتية، وهي قريبة مما ذكره أبو طالب المكي: "قال بعض أهل المعرفة: خلق الله الجنة بما فيها من نور المصطفى، فلما اشتاقت إلى رسول الله، كان شوقها إلى المعدن والأصل، وصار شوق المشتاقين إلى الجنة شوقهم إلى النبي، لأنها من نوره خلقت" [علم القلوب/30].
وكأنما لم يكفينا مغالاة الأئمة بأنفسهم فجاء من يزيد الطامة أضعافاً من الرواة المأجورين كابن أبي الحديد المعتزلي الشعوبي الذي يفصح عن شعوبيته وإلحاده بطريقة سافلة وسافرة قائلاً:
ألا إنما الإسلام لولا حسامه * * * لعفطة عنز أو قلامة حافر
ألا إنما الأقدار طوع يمينه * * * كعرضة ضليل ونهبة كافر
ألا إنما التوحيد لولا علومه * * * فبورك من وتر نطاع وقادر
[السبع العلويات/71].
وهذا الأمر يتكرر مع الشعراء الشعوبيين كالسيد الحميري والشريف الرضي ومهيار الديلمي وابن هانيء الأندلسي في تعظيمه للزعماء العبيديين.
المتصوفة بدورهم بالغوا بشيوخهم وعظموهم بنفس الطريقة وأحيانا بصورة أبشع، كقول الشبلي "إن لله عباداً لو بزقوا على جهنم لأطفأوها" [اللمع/490]. وعندما تقرأ النص التالي سيُخيل لك أن مصدر العقيدتين واحد. فهذا أبو نصر السراج يغلو في شيوخه بقوله "هم أمناء الله عز وجل في أرضه، وخزنة أسراره وعلمه وصفوته من خلقه، فهم عباده المخلصون، وأولياءه المتقون، وأحباءه الصادقون الصالحون، منهم الأخيار والسابقون، والأبرار والمقربون، والبدلاء والصديقون، هم الذين أحيا الله بمعرفته قلوبهم، وزيّن بمعرفته جوارحهم، وألهج بذكره ألسنتهم، وطهر بمراقبته أسرارهم" [للمزيد كتاب اللمع/ الطوسي/19]. لاحظ كأنما أحدهم بصق في فم الآخر!
كما يذكر أبو يزيد البسطامي: "سبحاني سبحاني، ما أعظم شأني، حسبي من نفسي حسبي، تراني عيون الخلق أني مثلهم، ولو رأوا صفتي في الغيب لماتوا دهشاً" [النور من كلمات طيفور/ شطحات الصوفية/84]. وعندما سئل أبو علي الجوزجاني عن الألفاظ الغريبة التي يستخدمها أبو يزيد أجاب:



نُسلم له حاله، ولعله تكلم بها على حد غلة، أو حال سكر" [الطبقات الكبرى للشعراني77/1]. وهذا الحلاج يجد في نفسه من العظمة الإلهية ما يناجي ربه قائلاً:

أنا أنت بـــــلا شك فسبــحانك سبـحـاني
فتوحيدك توحـــيدي وعصيانك عصياني
وإسخاطك إسخاطي وغفرانـك غـــفراني

ويقول عبد الكريم الجيلي [في كتابه الإنسان الكامل/22]:

فــــإنّي ذاك الكــــلّ والكــــلّ مشـــــهدي * * * أنــــا المتجلــــي فــــي حقيقتــــه لا هــــو
وإنــــي ربّ للأنــــام وسيّـــــــــــد * * * جميــــع الــــورى اســـم ذاتــــي مســـمّاه

كما يذكر الإمام الغزالي المحاورة التي جرت بين أبي تراب النخشبي وأحد المريدين الذي كان مشغولاً بذكر الله، ويحثه النخشبي على رؤية أبي زيد بقوله: لو رأيت أبا زيد. فضجر المريد منه وقال: ويحك ما أصنع بأبي زيد وقد رأيت الله فأغناني عن رؤية أبي زيد؟! فقال له النخشبي: لو رأيت أبا زيد مرة واحدة كان أنفع لك من أن ترى الله سبعين مرة" [إحياء علوم الدين305/4]. وروى ابن عربي نفس القصة لكنه زاد عليها عدد المرات: "لو رأيت أبا زيد مرة، كان خيراً لك من أن ترى الله ألف مرة" [رسائل ابن عربي/5]. يعني الفرق بين روايتي الغزالي وابن عربي (930) مرة فقط! ولا يوجد مشكلة في الأرقام عند المتصوفة والأئمة، كما سنلاحظ في مبحث لاحق عن المغالاة في الأرقام عند المتصوفة والصفويين.

يزعم أبو يزيد البسطامي: "إذا رأتني جهنم تخمد، فأكون رحمة للخلق"، ويتساءل بغرور: ما النار؟ ويقسم: "والله لئن رأيتها لأطفئتها بطرف مرقعتي" [تأريخ التصوف/ عبد الرحمن بدوي]. يبدو أن الشيخ يعرف مصيره في الآخرة، فعلل النفس بأمل إطفاء نار جهنم!

ويبلغ الغرور شأواً عند البسطامي لمرحلة الجنون! اقرأ هذا النص وستحكم حتماً بأنه مجذوب فعلاً: "أراد موسى عليه السلام أن يرى الله تعالى، وأنا لم أرد رؤية الله، هو أراد أن يراني"/ وعندما تلى عليه أحدهم قوله تعالى: ﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ﴾ [البروج:12] علق: وحياته - يقصد الله - إن بطشي أشد من بطشه!

وعن أبي موسى قال: سمع أبو يزيد مؤذناً يؤذن "الله أكبر". فقال: وأنا أكبر من الله! [للمزيد راجع دراسات في التصوف لإحسان إلهي ظهير/120]. ونُسب للوراق قوله: "ليس بيني وبين الله فرق غير أني تقدمت بالعبودية" [اللمعات لفخر الدين العرقي/102]. وهذا الشيخ ممشاد الدينوري يحدثنا عن تواضعه العجيب بقوله: "فقدت قلبي منذ عشرين سنة مع الله تعالى، وتركت قولي للشيء كن فيكون منذ عشرين سنة أدباً مع الله عز وجل" [الطبقات الكبرى102/1]. لا نقول سوى نعوذ بالله من هذا الغلو والشرك. إنهم حقاً مجاذيب!

6) العلاج والأدوية عند الصفوية والمتصوفة



الإنسان عرضة للإصابة بالأمراض بمختلف أنواعها، والمرض صفة ملازمة للبشر منذ فجر التأريخ الإنساني، ولحد الآن رغم تطور وسائل المناعة والوقاية والتعقيم، حيث يأتيه المرض بعدة طرق:

أولهما: بواسطة الماء: كالكوليرا والحمى التيفودية والبلهارسيا والديدان.

ثانيهما: بواسطة الهواء: كالسل الرئوي والقرمزية والجدري والحصبة والدفتيريا.

ثالثهما: بواسطة الغذاء: كالتيفوئيد والدفتيريا والديدان والتدرن المعوي.

رابعهما: بواسطة الحشرات: الناموس، البق، البراغيث، الذباب. كالحمى الصفراء وداء الفيل والملاريا والطاعون ومرض النوم.

خامسهما: بواسطة الملامسة: كمعظم الحميات والأمراض الجلدية والزهري والسيلان.

كان الإنسان البدائي عندما يصاب بالمرض يُعالج من قبل الكهنة والسحرة وبعض الحكماء، وكانت طرق العلاج بدائية تتم إما باستخدم الأعشاب الطبية، أو عن طريق الرقى والتعويذات. ثم ارتقت وسائل المعالجة مع التطور الحضاري وأساليب وتقنية العلاج وطرق تشخيص الأمراض علاوة على الاكتشافات الطبية في مجال الأعشاب والموارد الطبيعية من جهة، والاختراعات من جهة أخرى، وتطورت الدراسات الطبية على أيدي الحكماء الذين بحثوا في علم الطب والعلوم ذات العلاقة به مباشرة أو غير مباشرة كمعرفة طبيعة الأعضاء البشرية وآلية عملها، ومنها دراسات البيئة وعلوم الحيوان والنبات وغيرها، وقطع العلماء شوطاً كبيراً في هذا المجال فصنفوا كتباً عديدة في الطب والأدوية، وكان العرب بلا شك الرواد في العلوم الطبية.

اهتم العرب بالطب بشكل مميز، وذكر ابن صاعد الأندلسي بأن العرب "لم تكن تهتم في جاهليتها بعلم أكثر من الطب لحاجة الناس إليه" [طبقات الأمم]، علاوة على اهتمامات أخرى كعلم الفلك والحساب والموسيقى. ومن أبرز الأطباء العرب أبو بكر الرازي الذي برع فيه وفي علوم أخرى كالفلسفة والفلك والكيمياء والحساب والموسيقى، وعرف عنه التبحر في البحث والدقة، ومن أبرز كتبه الطبية "الحاوي في صناعة الطب" و"المنصوري في الطب" و"طب النفوس" و"دفع مضار الأدوية" و"منافع الأغذية ودفع مضارها". ويعتبر الرازي أول من استخدم خيوط الحيوان في الجراحة، وأول من عَني بطب الأطفال، وأول من اكتشف الأمراض الوراثية، وأول من فرق بين الجدري والحصبة، بل هو أول من بحث في علوم الطب النفسي.

من المشاهير أيضاً ابن سينا وهو صاحب كتاب "القانون" الذي كان المرجع الرئيس للأطباء في الشرق والغرب لما يزيد عن ستة قرون، وقد ترجم لعدة لغات أجنبية، وكان المصدر المعول عليه عند بقية الأمم في هذا المجال. من مؤلفاته الطبية الأخرى "كتاب الشفاء" و"الأدوية القلبية".

ومن المشاهير في علم الطب أيضاً أبو القاسم الزهراوي وكان خبيراً في تركيب الأدوية والتشريح، نظم القواعد العشر لعلم التشريح، ومن مؤلفاته "مقالة في أعمال العقاقير المفردة".

ومن المشاهير كذلك علي بن أبي حزم القرشي الملقب بابن النفيس، وكان عالماً في الطب وصناعة الأدوية، وهو أول من اكتشف الدورية الدموية في الجسم، ومن أبرز كتبه "الشامل في الصناعة الطبية" وهي موسوعة كبيرة تضم (80) مجلداً لا تزال مخطوطة وقيد التحقيق. و"الموجز في الطب" و"شرح القانون لابن سينا" و"شرح فصول أبقراط" و"رسالة الأعضاء".



ومن الأطباء البارزين ضياء الدين ابن البيطار، وكان رئيساً للعشابين والصيادلة في مصر في عهد ابن الملك العادل الأيوبي، وهو صاحب أهم موسوعة في الأعشاب والأدوية "الجامع لمفردات الأغذية والأدوية" في مجلدين كبيرين، ويعد ثاني أقدم كتاب في هذا العلم بعد كتاب "هيولا النبات" لديسقوريدس. ومن مؤلفاته الأخرى "المغني في الأدوية المفردة" و"ميزان الطب" و"رسالة في الإذية والأدوية".

ومنهم أيضاً أبو الفرج يعقوب الكركي الملقب بابن القف، وعمل في الجراحة أيضاً ومن أهم مؤلفاته "عمدة الإصلاح في صناعة الجراح" و"الشافي في الطب". وهناك عدد كبير من الأطباء العرب، يمكن الرجوع إليهم بيسر في الموسوعات.

هؤلاء هم عباقرة الطب العربي ممن ساهم في رفد البشرية باكتشفات رائعة أفادت البشرية ومهدت الطريق للوصول إلى العلوم الحديثة. فالفضل للرواد الأوائل بلا شك مهما تعددت القرون وتوالت المخترعات. والعلوم الطبية العربية يشيد بها الغرب أيضاً، فقد استفادوا منها فائدة كبيرة وعَنوا بكل تفاصيلها وجزئياتها. مقابل هذه العلوم الصرفة هناك تخاريف أقرب للدجل والسحر منه للعلم، نسبت إلى الأئمة والمتصوفة على حد سواء، ولا نبالغ إذا قلنا: إن البعض منها لا يمكن أن يصدر عن عقل سليم، حتى في عهد الكهانة لا توجد ضحالة وامتهان للعقل في هذا المستوى الرقيع. والأغرب منه أن بعض الحمقى والجهلة يؤمنوا لحد الآن بصحتها، ويعملوا بها.

وضع العرب شروطاً لمن يعالج الناس ويمارس الطب، فقد ورد في كتاب الأصول لعلي بن رضوان الشروط التي تتوافق مع رأي أبقراط تماماً وهي:

أولاً: أن يكون تام الخلق صحيح الأعضاء حسن الذكاء جيد الرؤية عاقلاً ذكوراً خير الطبع.

ثانياً: أن يكون حسن الملبس طيب الرائحة نظيف البدن والثوب.

ثالثاً: أن يكون كتوماً لأسرار المرضى لا يبوح بشيء من أمراضهم.

رابعاً: أن تكون رغبته في إبراء المرض أكثر من رغبته فيما يلتمسه من الأجرة، ورغبته في علاج الفقراء أكثر من رغيته في علاج الأغنياء.

خامساً: أن يكون حريصاً على التعليم والمبالغة في منافع الناس.

سادساً: أن يكون سليم القلب، عفيف النظر، صادق اللهجة، لا يخطر بباله شيء من أمور النساء والأموال التي شاهدها في منازل الأغنياء، فضلاً عن التعرض لشيء منها.

سابعاً: أن يكون مأموناً ثقة على الأرواح والأموال لا يصف دواء قاتلاً، ولا يُعلِمه، ولا دواء يعالج الأجنة، يعالج عدوه بنية صادقة كما يعالج حبيبه [مجلة المقتبس الجزء/44/18 السنة 1907].

لاحظ المستوى العلمي والأخلاقي الراقي في الشروط التي يُعمل بها لحد الآن.

من طريف ما أتذكره بهذا الصدد: أنه قبل ثلاثة عقود تصاعدت جحور النمل في حديقتنا، وأخذت تنخر في الأشجار وتعبث بالتربة وتدخل البيت بفضول وتعبث على راحتها، وحكت الوالدة الحاجة رحمها الله إلى جارتنا هذه المشكلة، فسارعت الجارة في مبادرة طيبة وحسن نية بالقول إن العلاج لديها وهو مجرب ومضمون النتائج. وأسرعت إلى بيتها، وأتت بدلاً عن مسحوق أو سائل الدواء



بكتاب أبيض الجلد أثار استغرابنا، وقالت للحاجة: أحضري ورقة وقلماً واكتبي التالي، مع غرابة الأمر - كانت الحاجة على مستوى معرفي رفيع - مضت معها للنهاية. فكتبت الحرز ووضعته في الجحر الأكبر حسب وصية الجارة، بعد أيام وإذا بالنمل على حاله وربما زاد. ويبدو أن الحاجة كانت تقصد الاستمرار بالأمر رغم معرفتنا بأنها لا تؤمن بمثل هذا الخزعبلات لغاية ما لم تفسرها في حينها. المهم لم يتغير الوضع. فقالت الوالدة للجارة: لم ينفع علاج الأئمة يا جارتي الطيبة! لنجرب علاج علمي غير حرز الأئمة، وفعلاً اشترينا أحد المبيدات، وكانت النتيجة خاتمة النمل في الحديقة، وخاتمة زيارة الجارة.

العبرة من الحكاية: أن العلم والدجل لا يمكن أن يلتقيان في أبسط الأمور.

لم يعرف عن الأئمة والمتصوفة بأن لهم باعاً في مجالات هي غير علوم الشريعة، وحتى هذه العلوم لم يبدعوا فيها، إذا أردنا الحق وليس المجاملة، فقد عاش علماء وكبار أئمة أهل السنة في زمن الأئمة وكبار المتصوفة، ومع هذا لا يوجد كتاب فقهي واحد يتحدث عن فقه الأئمة والمتصوفة! في الوقت الذي اشتهر بين الناس كتاب الموطأ لمالك، والأم للشافعي، والفقه المسند لابن حنبل، والفقه الأكبر لأبي حنيفة. كل ما لدى الأئمة هو أحاديث متفرقة إما مكررة عمن سبقهم أو عاش في زمنهم من علماء أهل السنة، أو تأويلات للقرآن الكريم والسنة النبوية، أو أحاديث أقرب للتخاريف وضعها الشعوبيون ونسبوها لهم، وهي تمثل انحرافا خطيراً عن القرآن والسنة النبوية. والمشكلة في الأساس ليسوا هم، بل من نسبها لهم عن خبث، فقد قال محمد الباقر: "لو كان الناس كلهم لنا شيعة، لكان ثلاثة أرباعهم لنا شكاكاً والربع الآخر أحمقاً" [رجال الكشي/179]، وقال الصادق: "إن من ينتحل الأمر (التشيع) لمن هو شر من اليهود والنصارى والمجوس والذين أشركوا" [المصدر السابق/253].

حاول المؤرخون ذوو الميول الشعوبية ومنهم الصفويين أن يضعوا فقهاً خاصاً بهم ونسبوه للأئمة زوراً وبهتاناً، وهذا الفقه يسيء للأئمة ولا يرتق بسمعتهم؛ لأنه يعكس جهلهم ونفاقهم وتناقضاتهم المريبة. لقد شوهوا صورة الأئمة من حيث دروا أم لم يدروا، ولكن الأقرب هو عن قصد، فهذا ديدن الشعوبيين.

أما ما يُسمى بنهج البلاغة المنسوب للإمام علي، فهو كتاب يتضمن بعضاً من خطبه، وما تبقى أحاديث من ابتكارات الشريف الرضي وأعوانه كتبه بعد وفاة الإمام بحوالي أربعمائة عام؛ لأنه لا يمكن أن يصدر عن الإمام سب وشتم لأبي بكر وعمر الفاروق، وهناك الكثير من الأحاديث التي يثني فيها عليهما، لذلك هناك إحتمالان: إما الأحاديث كاذبة ومنسوبه إلى الإمام علي زوراً! أو أن الإمام علي منافق ودجال - حاشاه بالطبع - لذا الاحتمال الأول هو الصحيح.

أما بقية الكتب السحرية كجفر الإمام علي، وقرعة الصادق وغيرها؛ فإنها أسخف من أن يُعلق عليها، والأئمة براء منها، ومعاذ الله أن يدخلوا هذا النفق المظلم. كذلك الحال مع ما نسب إليهم من علوم طبية بعضها يثير الضحك، والآخر يثير البكاء من الجهل المدقع، والدجل المنسوب رياءً إليهم من قبل أتباعهم، مما يجعلنا نجزم بأن الأئمة كانوا على حق في ذم أتباعهم والبراءة منهم.

سوف نستعرض بعض من علوم الأئمة في مجال الطب والأدوية، ونلحقها بعلوم المتصوفة في ذات المجال، وننصح بضبط الأعصاب عند القراءة لهول المفاجئات الطبية والعلاجية القادمة.



قبل كل شيء لنطلع على النصائح الطبية التي نسبها لهم كبار مراجعهم كابن بابويه القمي والطوسي والكليني والمجلسي وغيرهم ممن يعتبرون من الثقات!

عن أبي عبد الله: "كَرِهَ النَّظَرَ إلى فُرُوجِ النِّسَاءِ، وَقَالَ: "يُورِثُ الْعَمَى. وكَرِهَ الْكَلَامَ عِنْدَ الْجِمَاعِ، وَقَالَ يُورِثُ الْخَرَسَ" [من لا يحضره الفقيه556/3]. إذن عرفنا سبب العمي والخرس! ويبدو أنه لا علاج عندهم للعمي، لكن عندهم علاج فاعل لوجع العين كما ورد في مفاتيح الجنان وهو: "التوسل بالإمام موسى عليه السلام ينفع لوجع العين" [الباقيات الصالحات745/ ملحق بمفاتيح الجنان].

انتبه الاختصاص الطبي التوسل بموسى الكاظم فقط ولا تخطئ بإمام آخر فالدواء لا ينفع عبر التوسل بغيره! ونسبوا للنبي صلى الله عليه وسلم القول: "من قلم أظفاره يوم السبت ويوم الخميس، وأخذ من شاربه عوفي من وجع الأضراس ووجع العين" [الخصال31/2] لم يثبت العلم بعد (14) قرناً وجود علاقة بين الأظافر ووجع الأسنان، أو الشارب ووجع العين! لكن الحديث بلا شك يفيد الشعوبين للسخرية من النبي صلى الله عليه وسلم على حديثه هذا.

وللوقاية من الجنون والبرص والجذام ينصحنا عباس القمي عبر وصايا الأئمة: "أن يقص شاربه ويقلم أظفاره؛ فذلك يزيد في الرزق ويوجب الأمن من الجنون والجذام والبرص" [مفاتيح الجنان/63] هذه المرة تعلق الأمر بالرزق.

ومن نصائح أبو الحسن كما ذكر الكليني: "إن أكل التفاح والكزبرة يورث النسيان" [الكافي366/6]، ولكن الإمام كما يبدو نسى أن يوضح لنا أي من التفاح الذي يورث النسيان؟ فهناك العديد من الأصناف والألوان والمذاقات، فجاء الجواب الشافي في مكان لاحق: "التجنب ما يورث النسيان هو أكل التفاح الحامض والكزبرة الخضراء والجبن" [المصدر السابق/802]، إذن التفاح الحلو لا مضرة منه - والحمد لله - لكن هناك الأدهى من علومهم الثمينة التي وضحت لنا أسباباً أخرى تورث النسيان وهي: "البول في الماء الواقف، المشي بين امرأتين، وإلقاء القملة الحية على الأرض، والنظر إلى المصلوب" [المصدر السابق]، لا تعليق على هذه الوصايا القيمة الصادرة من الأئمة!

وعن الإمام الصادق: "أكل الجرجير بالليل يورث البرص" [بحار الأنوار237/63]، لكن كما يبدو أكله في الصباح لا مضرة منه. أما عداء الأئمة مع الجرجير فالسبب كما شرحه الإمام الرضا: "الباذورج لنا، والجرجير لبني أمية" [طب الأئمة/139]، سبحان الله على هذا الذكاء النير! الجرجير معادي لأهل البيت! لله درك على هذه العبقرية!

ولننتقل إلى فقرة مهمة وهي العلاقة الوثقى بين النعال والضعف الجنسي! وهذه النظرية الجنسية - النعلية، مع أن مكتشفها منذ عدة قرون هو خازن علوم الله أبو عبد الله، لكن مع الأسف لم يستفد منها لا علماء الطب ولا صانعوا الأحذية! ربما بسبب جهلهم وفقر معلوماتهم عن هذه العلاقة الخطيرة! فقد روى مرجعهم الموثوق ابن بابويه القمي: "عن أبي عبد الله أنه رأى رجلاً وعليه نعل سوداء، فقال له: ما لك يا رجل ولبس نعل سوداء؟ أما علمت أن فيها ثلاث خصال؟ قلت: وما هي جعلت فداك؟ قال: تضعف البصر، وترخي الذكر، وتورث الهم، وهي مع ذلك لباس الجبارين، عليك بلبس نعل صفراء، فيها ثلاث خصال! قلت: وما هي؟ قال: تحد البصر، وتشد الذكر، وتنفي الهم" [كتاب الخصال99/1]. الإمام لم يشخص العلة فحسب بل قدم لنا العلاج الشافي والوافي، وهو النعال الأصفر!



ونأمل أن يطبق من يعاني من ظاهرة الرخو الذكري هذا العلاج الإمامي ويوافينا بالنتيجة المعروفة سلفاً. ولأن القمي فارسي لا يحسن العربية، فإنه لم ينقل عن الإمام قوله للرجل لابس النعل أو منتعل بل قال عليه نعل! وحرف الجر [على] يفيد الفوقية.

هناك علاج فاعل لجميع الأمراض ذكره يزيد بن مسلم: "قال أبوعبد الله عليه السلام: المشط ينفي الفقر ويذهب الداء" [مكارم الأخلاق/74]. لكن كلنا يا إمام نمشط الأغنياء منا والفقراء، الرجال والنساء والشيوخ والأطفال! وكل بقي على حاله! أكيد أن الإمام يعرف المستقبل من خلال الجفر كما يدعي أصحابه، فكان عليه أن يوضح لنا أي نوع من الأمشطة يقصد فهناك عشرات الأنواع من الخشب والبلاستك والشعيرات الصناعية. لقد أضاع الإمام الفرصة على الفقراء وهو يتحمل سبب فقرهم!

وهذه وصفة علاجية ثلاثية الفائدة للإمام الصادق نقلها لنا مؤسس المذهب الشيخ الطوسي نفع الله المؤمنين بعلمه الوافر جداً جداً: "تسريح الرأس يقطع البلغم، وتسريح الحاجبين أمان من الجذام، وتسريح العارضين يشد الأضراس" [مكارم الأخلاق/78]. هكذا هو العلم الصحيح وإلا فلا يا كبير المراجع ومؤسس المذهب!

للحرز والحجاب والرقيه دور كبير في العلوم الطبية الإمامية والصفوية، ربما استلهموها مما ورد في سورة الإسراء: ﴿**وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ وَلا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا**﴾ [الإسراء:82]، وسورة فصلت: ﴿**قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ**﴾، وسورة يونس: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ**﴾، لكن المصيبة أنهم لا يعملون بالقرآن الكريم، وإنما بحجب وأحراز ورقى صادرة من مخيلاتهم المريضة وبلغات لا وجود لها إلا على ألسنتهم الفارسية العوجاء. مثلما هو معروف أن الإسلام أجاز الرقي بشروط. قال الحافظ ابن حجر العسقلاني: "قد أجمع العلماء على جواز الرقي عند اجتماع ثلاثة شروط:

أولاً: أن يكون بكلام الله تعالى أو بأسمائه وصفاته.

ثانياً: تكون باللسان العربي أو بما يعرف معناه من غيره.

ثالثاً: أن يعتقد أن الرقية لا تؤثر بذاتها بل بذات الله تعالى" [فتح الباري في شرح صحيح البخاري10/195].

نموذج على هذه الرقية تلك الواردة في الحديث النبوي الشريف: "مَنْ قَالَ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ، وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ، وَهْوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ. فِي يَوْمٍ مِائَةَ مَرَّةٍ، كَانَتْ لَهُ عَدْلَ عَشْرِ رِقَابٍ، وَكُتِبَ لَهُ مِائَةُ حَسَنَةٍ، وَمُحِيَتْ عَنْهُ مِائَةُ سَيِّئَةٍ، وَكَانَتْ لَهُ حِرْزًا مِنَ الشَّيْطَانِ يَوْمَهُ ذَلِكَ، حَتَّى يُمْسِيَ، وَلَمْ يَأْتِ أَحَدٌ بِأَفْضَلَ مِمَّا جَاءَ بِهِ إِلاَّ رَجُلٌ عَمِلَ أَكْثَرَ مِنْهُ" [أخرجه البخاري/6403]، لكن ستلاحظ أن الشروط الثلاثة المشار إليها غير متوفرة في الرقى والأحراز الصوفية والإمامية.

ذكر بسطام النيسابوري لعلاج المحموم: "تؤخذ بيضة وتكتب عليها سبعة مرات جيم [ججججججج] وتلقى في خمط وتطبخ حتى تنضج ويأكل المحموم اللب الأبيض والأصفر وهذا مجرب صحيح" [طب الأئمة/159]. الطريف أنه يسمي بياض وصفار البيض باللب! وإن لم ينفع هذا العلاج فلا بئس! عليك بهذه الوصفة الأخرى:"تؤخذ ثلاث ورقات وتبلع كل يوم ورقة ويكتب على كل ورقه. الورقة



الأولى يُكتب عليها [طسطسف هوز وسق]. والورقه الثانية [طسطسق بزر سقامي] والورقة الثالثة [طسطسق سمرر وسعمو]" [المصدر السابق].
كما قال شيخ الطائفة الطوسي في علاج الجرب: "شكا بعضهم إلى أبي الحسن عليه السلام كثرة ما يصيبه من الجرب فقال: إن الجرب من بخار الكبد، فاذهب وافتصد من قدمك اليمنى والزم أخذ درهمين من دهن اللوز الحلو على ماء الكشك واتق الحيتان والخل، ففعل ذلك فبرئ بإذن الله تعالى" [مكارم الأخلاق/77] الجرب من بخار الكبد! أين علماء الطب من هذه المعلومة القيمة؟ علاوة على الوصية المهمة: اتقِ الحيتان والخل! مع أن الأطباء ينصحون استخدام زيت الحوت لاحتوائه على مواد غنية مفيدة للجسم، وكانت توزع بشكل حبوب على طلاب المدارس في العراق جبراً ومجاناً في الخمسينيات والستينيات من القرن الماضي. كان المعلمون يشهدون بلعنا حبوب زيت الحوت أمام أنظارهم، ويراقبونا بشدة خشية لفظها بسرية، ويطلبون منا أن نفتح أفواهنا للتأكد من عدم إخفائها تحت اللسان، حيث كان البعض يفعل ذلك بسبب مذاقها السيء.

أبى المتصوفة إلا أن يخوضوا في هذا المستنقع الآسن، المليء بطحالب الجهل والتخلف، كما فعل الأئمة، أو الأصح ما نُسب لهم من قبل كبار مراجع الشعوبية، لكن بصوره أقل فعالية وجاذبية، فأغلب علومهم الطبية مرتبطة بالطلاسم والحرز. مع أن هناك تعارض في أقوالهم كالعادة.

قال بعض المتصوفة ومنهم أبو طالب المكي: "لا يجوز التداوي" على أساس أن الإنسان عليه القبول والرضا بما يبتلى به من أمراض وعلل، كما أن فضل الشفاء سيرجع للدواء وليس لله تعالى. وهذا الرأي يخالف ما جاء في القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، فقد جاء في سورة النحل عن فوائد العسل: ﴿فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ﴾، وهو حث العباد على استخدام العسل والاستفادة منه. ونقل أبو الدرداء عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِنَّ الله أَنْزَلَ الدَّاءَ وَالدَّوَاءَ، وَجَعَلَ لِكُلِّ دَاءٍ دَوَاءً؛ فَتَدَاوَوْا وَلاَ تَدَاوَوْا بِحَرَامٍ» [أخرجه أبو داود/3874]. ولكن مع هذا فإن العديد من شيوخهم أبحروا في هذا اليم المفزع، ومنهم ابن عربي والغزالي والبوني وغيرهم، كما أن الامتنان على الشفاء لا يعود للدواء أن عافى، وإنما الشكر يوجه لله تعالى وليس لقنينة أو علبة الدواء.

ذكر ابن الملقن لإيقاف النزيف: "يكتب انقلب يا دم بألف لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم هج لج هج لج هج لج هي لخطاي هي تكتب في ورقة وتعلق بين عيني المنزوف على أنفه" [كتاب الدر النظيم/50]. ولو اكتفى ابن الملقن بالقول: "يكتب انقلب يا دم بألف لا حول ولا قوة إلا بالله العلي" بدلاً عن الهج واللج لأراحنا وأراح العباد من طلاسمه!

ويذكر الشعراني عن عبد الواحد بن زيد: "كان رضي الله عنه يقول عليكم بالخبز والملح، فإنه يذهب شحم الكلى ويزيد في اليقين" [الطبقات الكبرى43/1].

وينسب الشعراني للإمام أحمد بن حنبل: "لما مرض عرضوا بوله على الطبيب، فنظر إليه وقال هذا بول رجل قد فتت الغم والحزن كبده" [الطبقات الكبرى52/1].

وذكر الشيخ عبد المحمود نور لمعالجة ارتفاع حرارة الجسم: "يكتب لمن به حمى هذه الأسماء: شقش شقموش نمو شلخ راع المنخ أبا نوخ العجل الساعة" [أزاهير الرياض/231]. جرب العلاج ولا تنسى أن تلعن الظالم.



هناك الكثير من الرقى والعزائم والطلاسم في كتبهم، وأبرزها ورد في كتب الأوفاق وشمس المعارف الكبرى، ومنبع أصول الحكمة، وشمس الشموس. يحدثنا النبهاني عن شيخ يدعى زون بهار "أو روزبهار" ومن كراماته الصعق في حب الله، والشيخ يقوم مقام القابلة المأذونة، فقد وظف كرامته الصاعقة لخدمة الحوامل، حيث تضع الحوامل ما في بطونهن من الصعقة الأولى! ومن ثم وقع الشيخ الصاعقة بحب امرأة بغي! فترك صواعقه الولادية وخرقته الصوفية من أجل البغي! [جامع كرامات الأولياء77/2].

كما ذكر الشيخ يوسف النبهاني عن عن الشيخ الحبيب العجمي: "جاءه رجلٌ فاشتكى وجعاً في رجله وسأله أن يدعو له وكان في مجلسه فلما تفرق الناس أخذ المصحف وعلقه في عنقه، وقال: يا الله لا تسود وجه حبيب، ثم قال: اللهم عافه حتى ينصرف ولا يدري في أي رجليه كان الوجع، فوجد الرجل العافية في الحال. فسألوه في أي رجلك كان الوجع، فقال: لا أدري" [جامع كرامات الأولياء92/1]. وعنه أيضاً: "يروى أن رجلاً قال له: لي عليك ثلاثمائة. قال الشيخ: من أين؟ قال: قال: لي عليك. قال الشيخ: اذهب إلى غد! ثم قال: اللهم إن كان صادقاً فأدِ إليه دينه! وإلا فابتله في بدنه! فجيء به محمولاً مفلوجاً، فقال: التوبة. فقال الحبيب: اللهم إن كان صادقا فعافه، فكأنما نشط من عقال" [المصدر السابق387/1]. لاحظ الشيخ يأمر الله تعالى بأن يوفِ دينه!

كما ذكر الشيخ محمد الكسنزان الحسيني: "أن رجلاً قال: كنت مصاباً بتشمع الكبد سنة1967 فراجعت الأطباء مدة طويلة ولكن دون جدوى، وكان والدي أحد مريدي الشيخ عبد الكريم الكسنزان وقد بلغ من العمر ما يزيد على الثمانين وهو رجل متصوف، فقال لي يوماً: يا ولدي اطلب الاستمداد من روح الشيخ عبد الكريم الشاه الكسنزان واقرأ له سورة الفاتحة هدية لروحه الطاهرة! ففعلت ما أمرني به والدي، ونمت في تلك الليلة فرأيت رجلاً يقول لي: لِم ناديتني يا بني؟ قلت له: من أنت؟ قال لي: أنا الشيخ عبد الكريم الشاه الكسنزان ثم مسح بيده على بطني، وقال لي: قُم مشافى معافى بإذن الله فاستيقظت من النوم ولم يبق بي من أثر المرض الخطير شيء" [الطريقة العلية القادرية الكسنزانية/363]، لاحظ أن الشيخ في البداية لم يعرف سبب دعوته! من ثم مسح يده على بطن المريض قبل أن يتحدث المريض عن مرضه!

كما ذكر أبو بكر العطاس للعلاج من وسوسة الشيطان سيما مع أداء الفروض، حسبما جاء في شكوى للشيخ عبد الرحمن بن محمد أجاب عنها: "إذا أردت أن تصلي احمل في ثوبك بعرة، فقال السائل: بعرة بعير أو غيرها؟ فأجابه بل بعرة حمار" [تذكير الناس بكلام احمد العطاس/46]. تصوروا بعرة حمار قذرة في جيبه ويؤدي الفروض! أين الطهارة يا شيخ! اتقوا الله في العباد.

الخاتمة:

مع هذه الطريفة التي مما ذكرها الشيخ الصوفي يوسف النبهان عن الإمام علي: "أن واحداً من محبيه سرق، وكان عبداً أسود فأتى به إلى الإمام علي فقال له: أسرقت؟ قال: نعم. فقطع يده، فانصرف من عنده، فلقيه سلمان الفارسي وابن الكواء، فقال ابن الكواء: من قطع يدك؟ فقال: أمير المؤمنين ويعسوب المسلمين وختن الرسول وزوج البتول. فقال: قطع يدك وتمدحه؟ فقال: ولِمَ لا أمدحه! وقد قطع يدي بحق وخلصني من النار، فسمع سلمان ذلك فاخبر به علياً فدعا الأسود ووضع يده على



ساعده وغطاه بمنديل ودعا بدعوات، فسمعنا صوتاً من السماء ارفع الرداء عن اليد، فرفعناه فإذا اليد قد برأت بإذن الله تعالى" [جامع كرامات الأولياء388/1].

لكن هل قطع يد السارق في الدنيا تعتبر عفواً من الله تعالى عن السارق في الآخرة؟ ولماذا لم يتمكن النبي صلى الله عليه وسلم من علاج الصحابة الذين جرحوا في الغزوات واستشهدوا بسبب جراحهم؟ ثم هل السارق أفضل من الصحابة ليعالجه الإمام علي؟ أم علي أفضل من النبي صلى الله عليه وسلم فمنح هذه القدرة الإلهية في الشفاء والجراحة؟

علينا الحذر والتحرز من قراءة كتب الشعوبيين، فكتبهم أشبه بحقل ألغام يصعب اجتيازه إلا من قبل القارئ اللبيب المتأني والذي يتصرف بعقل وحكمة، وإلا فالحقل مليء بجثث الجهلة والحمقى.



الباب الثامن

1) مفهوم الشرك في العقيدتين

بذل الصفويون والمتصوفة جهوداً كبيرة منذ منتصف القرن الهجري الثاني لتشويه صورة الإسلام الجميلة، وتحويلة إلى أساطير وملاحم وخرافات كتأريخ الإغريق والفرس والهند وأمم أخرى، ولكن الله عز وجل هيأ من علماء المسلمين الغيارى على دينهم وعروبتهم من كانوا لهم بالمرصاد، فأفشلوا مخططاتهم الخبيثة الواحد تلو الآخر، مشاركين الرحمن في حفظه لدعوة حبيبه المصطفى. ومن خلال استعراض تأريخ الأديان السماوية والوضعية نجزم بأنه لا يوجد دين غير الإسلام قد تعرض إلى مخططات عدائية مستمرة منذ الدعوة المحمدية ولحد الوقت الحاضر، سواء على أيدي أعدائه أو من يدعون أنفسهم مسلمين.

وصف آيه الله مير أحمد حاجتي، مدير الحوزة العلمية في محافظة خوزستان الإيرانية رأي المرشد الإيراني علي خامنئي بأنه رأي الله عز وجل، ودعا الشعب الإيراني إلى اتباع إرشادات خامنئي والعمل عليها لأنها تمثل رأي الله تعالى [موقع رهايب نيوز الرسمي الإيرانيفي 2014/8/14] مؤامرات مستمرة لا نهاية لها. لاحظ هذا ما يؤكد أن الصفويون الجدد سائرون على نهج سلفهم الشاه إسماعيل الصفوي، لم تتغير سوى الوجوه خلال القرون الماضية، والخطط هي هي تجري على قدم وساق، راجع الخطط السرية لآيات الشيعة في إيران خلال الخمسين سنة القادمة [قدمها د. عبد الرحيم البلوشي] ستتيقن بلا أدنى شك من مخططاتهم الخبيثة. يدعون الإسلام وهو ينخرون في جدرانه، ولا يهدأ لهم بال إلا بتدميره، لكن الله تعالى فوق أيديهم.

قرن بعد آخر، وعقد بعد آخر، وسنة بعد سنة، ويوم بعد يوم تزداد الهجمات والغارات على الإسلام والعالم الإسلامي عنفاً وشراسة. ومن المؤسف أن الكثير من المفكرين والناس رفعوا راية التشيع الصفوي والتصوف دون أن يدركوا حقيقتهما وخطرهما على بيضة الإسلام، فمنحوا أعداء الإسلام قوة دفع إضافية. وقد وصل الأمر بأحد شيوخ الأزهر الشريف "عبد الحليم محمود" أن يؤرخ سيرة أحد مشايخ الصوفية مستحسناً بل مؤمناً بكراماته [أبحاث في التصوف لعبد الحليم محمود/160] مسفهاً وشاتماً كل من ينتقد المتصوفة! فما بالنا بأمة يغلب عليها الجهل والأمية والتخلف وقلة الوعي وضعف المواطنة.

المشركون كما هو معروف، هم الذين أشركوا بالله تعالى وذلك بأن جعلوا له شريكاً في الخلق وإدارة الكون، منهم من يعبد الأوثان والبشر والنبات والحيوان والجماد والنار والظلام. والكفار هم من جحدوا الإيمان بالله ورسله وكتبه. ويشترك الصنفان بصفة الخلود في النار، كما جاء في سورة البينة: **﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُوْلَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ﴾** [البينة:6]، وفي سورة المائدة الآية: **﴿إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾**



[المائدة:72]، ويلاحظ أن مفهوم المشرك كما عرفه الطبطبائي في تفسير الميزان: "هو من يعبد الأصنام وغيرهم"، ولم يحدد غيرهم فتركها سائبة الأطراف لغاية في نفس يعقوب.

في كتاب تحرير الوسيلة عرف الخميني الكافر بأنه كل من "انتحل غير الإسلام، أو انتحله وجحد ما يعلم من الدين ضرورة، بحيث يرجع جحوده إلى إنكار الرسالة، أو تكذيب النبي صلى الله عليه وآله أو تنقيص شريعته المطهرة، أو صدر منه ما يقتضي كفره من قول أو فعل"، فقد شمل الخميني في تعريفه النصارى واليهود وبقية الملل والنحل التي آوته في غربته وعاش في كنفها قبل الثورة الإيرانية. لكننا من خلال استعراض النصوص القادمة سنجد أنهم لا يلتزمون حتى بهذه المعايير التي وضعوها بأنفسهم. الخميني نفسه وفقاً لتعريفه يعتبر مشركاً بالله تعالى، فقد طعن بالله ورسوله وبالإسلام والقرآن ولم يبق شيئاً إلا وطعن به.

الشرك والكفر عند الصفويين لا يراد منه التعرض والتجاوز على الذات الإلهية والأنبياء والرسل، وإنما يتعلق فقط بالأئمة فقط؟ على سبيل المثال عندما نفى المرتضى والطوسي قدره الله تعالى، كما جاء في كتاب العلامة الحلي [النافع يوم الحشر في شرح الباب الحادي عشر/ شرح وتحقيق المقداد السيوري/34] حيث ذكر: "حكي عن السيد المرتضى والشيخ الطوسي رضي الله عنهما أنهما ممن نفى قدرة الباري تعالى، وقولهما رحمهما الله عجيب"! نحن أيضاً نعجب مما جاء! لكن كيف يسبغ عليهما عبارة [رضي الله عنهما]! وهما ينفيان قدرة الله تعالى؟ هل يرضى الله تعالى عمن لا يعترف بقدرته؟ لاحظ أنه يعجب من القول لكنه لا يكفر الشيخين المرتضى والطوسي!

لنستعرض أهم ما ورد بهذا التعريف مع ملاحظة انه توسع وشمل المسلمين من غير الإثنى عشرية. يذكر الكليني في الكافي: "إن المراد بالمشركين هم الذين أشركوا في ولاية علي" [أصول الكافي وتفسير القمي وتفسير العياشي والبرهان وبحار الأنوار ومرآة الأنوار]. ويضيف: "إن الكفر أيضاً معناه إنكار إمامة علي" [تفاسير العياشي والصافي والبرهان والقمي]. كذلك: "من أشرك مع إمام إمامته من الله مع من ليست امامته من الله، كان مشركا بالله" [الكافي305/1]. ويذكر يوسف البحراني: "ليت شعري أي فرق بين من كفر بالله سبحانه ورسوله وبين من كفر بالأئمة عليهم السلام مع ثبوت كون الإمامة من أصول الدين" [الحدائق الناضرة153/18]. كما يذكر مرجعهم الصفوي المجلسي: "اعلم أن إطلاق لفظ الشرك والكفر على من لم يعتقد إمامة أمير المؤمنين والأئمة من ولده عليهم السلام وفضل عليهم غيرهم يدل على أنهم كفار مخلدون في النار" [بحار الأنوار390/23]. كما فسر العياشي قوله تعالى: **﴿لا تَتَّخِذُوا إِلَهَيْنِ اثْنَيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ﴾** [النحل:51]، قال أبو عبد الله: "يعني بذلك لا تتخذوا إمامين إنما هو إمام واحد" [تفسير العياشي261/2]. وفسر القمي قوله تعالى: **﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾** [الفاتحة:6] أن المقصود هو أمير المؤمنين" [تفسير القمي28/1].

وأولوا آيات الله بما يتوافق مع دعاويهم الباطلة، وهو تأويل يمكن لأي فرقة أن تدعيه لوليها أو شيخها. منها على سبيل المثال:

أن المراد بقوله تعالى في سورة الكهف: **﴿وَلا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾** [الكهف:110] أي يسلم لعلي ولا يشرك معه أحداً في الخلافة! [راجع تفسير العياشي 353/2، تفسير الصافي 270/3، البرهان 497/2] في حين أن المعنى واضح في الآية الكريمة ويعني الشرك بالله. ولا علاقة للخلافة والإمامة بالأمر لا من بعيد ولا من



قريب! وزاد القمي والعياشي والمجلسي بأن "الكفر والضلال يعني الكفر بإمامة علي" فاعتبروا من لا يعترف بولاية علي كافرا!

وفسروا ما جاء سورة الفاتحة: ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلا الضَّالِّينَ﴾ [الفاتحة:7] بأن المراد بهذه الآية الذين لا يعرفون الإمام علي! وهذه الكلام يعني أن كافة المسلمين في فجر الإسلام وصدره هم من الكفار والضالين؛ لأنهم لايعرفون بإمامة علي بنص إلهي.

الصوفية لديهم رؤية مشتركة مع الصفويين فالشرك في مفهومهم "من أشرك بشيخه شيخاً آخر، فقد أشرك بالله" أي أصبح الشيخ بمنزلة الله! أليس هذا كفراً أم ماذا؟

كما ذكر عبد الرحمن السلمي: "من لم يتأدب على شيخ فهو بطال. ومن لم يلحقه نظر شيخ وشفقته لا يجيء منه شيء" [تسعة كتب في أصول التصوف والزهد/166]. وذكر القشيري في رسالته [735/2] عن أبو يزيد البسطامي: "من لم يكن له أستاذ فإمامه الشيطان" ونسب الشعراني للجنيد: "لا يبلغ الرجل عندنا مبلغ الرجال حتى يشهد فيه ألف من علماء الرسوم بأنه زنديق" [الأنوار القدسية في بيان آداب العبودية - طبع على هامش الطبقات 28/2]. فمن أين يؤتى بألف من علماء الرسوم؟ وهل شهد هذا العدد على الجنيد نفسه؟ ليعدد لنا المتصوفة ربع هذا العدد من العلماء. ولماذا يشهدون بأنه زنديق وليس مؤمن؟ منذ متى أصبحت الزندقة مقياساً للكمال والعلم؟

ذكر أبو يزيد البسطامي: "رفعني الله مرة فأقامني بين يديه، وقال لي: يا أبا يزيد! أن خلقي يحبون أن يروك! فقلت: زيني بوحدانيتك، وألبسني أنانيتك، وارفعني إلى أحديتك، حتى إذا رآني خلقك قالوا: رأيناك، فتكون أنت ذاك، ولا أكون أنا هنا" [اللمع/461]. لاحظ الكفر الصريح الذي يعتبرونه مجرد شطحات! ويشير عبد الرحمن بدوي إلى قول البسطامي: "لأن تراني مرة، خير لك من أن ترى ربك ألف مرة" [شطحات الصوفية/125]. كيف تكون رؤية المخلوق خير ألف مرة من رؤية الخالق؟ أية شريعة هذه وما علاقتها بالإسلام؟ ونقل عامر النجار عن شاعرهم"أنا الواحد الفرد الكبير بذاته أنا الواصف الموصوف بذاته" [الطرق الصوفية في مصر/161]. أنه شاعر والشعراء منافقون فلا عتب عليه!

يقول ابن عربي:

العبد ربٌّ والرب عبد * * * يا ليت شعري من المكلف؟

إن قلت عبد فذاك ربٌّ * * * وإن قلت رب أنى يكلف؟

كما ذكر ابن عربي: "اعلم أن التصوف هو تشبيه بخالقنا، لأنه خلق فانظر ترى عجبا" [الفتوحات المكية266/2]. ويذكر الإمام الغزالي بأن "الذي يذكر هو قرب العبد من ربه عز وجل في الصفات التي أمر فيها بالاقتداء والتخلق بأخلاق الربوبية، حتى قيل: تخلقوا بأخلاق الله" [إحياء علوم الدين324/4]. وهو قريب مما ذكره عبد الكريم الجيلي: "ولهذا أمرنا: تخلقوا بأخلاق الله؛ لتبرز أسراره المودعة في الهياكل الإنسانية، فيظهر بذلك علو العزة الربانية، ويعلم حق المرتبة الرحمانية" [الإنسان الكامل19/2].

والحقيقة أن هذا الادعاء لا يمكن الأخذ به بأي وجه من الوجوه، فالتحلي بصفات وأخلاق الرسول والصحابة من بعده مقبولة على وجه تقليد الفضائل، أما التحلي بأخلاق الله فهذا أمر باطل لا يمكن



قبوله! للخالق صفات لا يمكن أن يشاركه فيها العباد بمن فيهم الرسل والأنبياء، وهذا ما وضحته سورة الشورى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى:11].
نقل الأفلاكي عن الشيخ أوحد الدين الخوئي: "إنه سأل مولانا جلال الدين الرومي من هو الكافر؟ فقال مولانا: أرني المؤمن كي يَبِينَ الكافر! فقال الشيخ أوحد الدين: أنت هو المؤمن! فقال مولانا: في تلك الحال فكل من يضادُّنا فهو الكافر" [مناقب العارفين515/1].
اقرأ هذه المصيبة! ذكر محمد عثمان عبده البرهاني: "طلب سيدي إبراهيم الدسوقي في عالم الأرواح أن يزداد له في جسمه فزيد. ثم طلب أن يزداد أكثر فأكثر فزيد وهكذا حتى سأله الجبار جل وعلا عما يريد من كبر جسمه؟ فقال: يارب أنت قلت وقولك الحق في كتابك العزيز ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ [هود:119]، وأنا أريد أن أملأ جهنم لوحدي حتى لا يصلاها أحد! فقال جل وعلا: أتتكرم على كريم يا إبراهيم؟! إنا شفعناك في سبعين ألف مع كل فرد منهم سبعون ألفاً، وكل هذا غير من أخذ طريقتك وغير من دخل مقامك وزارك" [كتابه تبرئة الذمة في نصح الأمة/314].
لاحظ أن الله تعالى لا يعرف سبب طلب الشيخ تكبير جسمه فيسأله عن السبب؟ في حين يذكرون بأن شيوخهم يعرفون الغيب!
نفس هذه الاسطوانة المشروخة يرددها الصفويون مدعين بأن الإمام الكاظم فدى شيعته بنفسه في الآخرة!



2) الاستخفاف بالذات المقدسة

من خلال الاطلاع على بعض نصوص العقيدتين الصفوية والصوفية نلاحظ ظاهرة الاستهتار والاستهانة بالذات الإلهية المقدسة.

ففي الصوفية مثلاً:

يذكر الشيخ أبو زيد البسطامي: "سبحاني سبحاني. أنا ربي الأعلى. أنا اللوح المحفوظ"، ويضيف: "إني أنا الله، لا إله إلا أنا فاعبدونِ"، وفي قول آخر مقارناً نفسه بالخالق: "طاعتك لي يارب أعظم من طاعتي لك. وبطشي أشد من بطشك بي" منوهاً بما جاء في سورة البروج: ﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ﴾ [البروج:12] [للمزيد راجع كتاب/ تلبيس إبليس لابن الجوزي]. ويذكر شيخهم ذو النون: قال الله تعالى: "مَنْ كان لى مُطِيعاً كنتُ له وَليّاً؛ فلْيثِق بى، ولْيحكُمْ علىّ. فَوَعزتى! لوْ سألنى زوالَ الدنيا لازلْتُها له" [طبقات الصوفية/25]. لكن من أين لك هذا؟ وفي أي كتاب قال الله تعالى هذا الكلام يا شيخ؟ اتقوا الله في كلامكم!

ذكر أبو يَزيدَ البسطامي: "اطَّلَعَ الله على قلوبِ أوليائِه، فمِنْهُم من لم يكنْ يصلُحُ لِحَمْلِ المعرفة صِرْفاً، فَشَغَلَهم بالعباد"، وقال أيضاً: "إن كُفْرُ أهلِ الهِمَّةِ أسلَم من إيمانِ أهل الجِنَّةِ" [طبقات الصوفية/36]. إنها حالة غريبة في المفاضلة بين الإيمان والكفر، هل يقبل القول بأن الإمام والشيخ الكافر هم أفضل من العشرة المبشرة بالجنة؟

ويفتري ابن عطاء الله السكندري على الله تعالى بقوله: "اسمه تعالى "العفو" يليق بأذكار العوام؛ لأنه يصلحهم، وليس من شأن السالكين إلى الله ذكره! اسمه تعالى "الباعث" يذكره أهل الغفلة، ولا يذكره أهل طلب الفناء، اسمه تعالى "الغافر" يلقن لعوام التلاميذ، وهم الخائفون من عقوبة الذنب، وأما من يصلح للحضرة، فذكره مغفرة الذنب عندهم يورث الوحشة، اسمه تعالى "المتين" يضر أرباب الخلوة، وينفع أهل الاستهزاء بالدين" [مفتاح الفلاح/23]. إنها سخرية من الأسماء الحسنى لا يتفوه بها إلا من رحل عقله عن رياض الإسلام. أسماء الله كلها جميلة ومعبرة ولجميع الخلق، لا يوجد اسم خص به قوم ما دون غيرهم.

كما يجعل الشيخ حسن الشاذلي من نفسه نداً لله تعالى بقوله الذي ذكره الشعراني: "اللهم ادرج أسمائي تحت أسمائك، وصفاتي تحت صفاتك، وأفعالي تحت أفعالك، وأغنني حتى تغن بي، وأحيني حتى تحيا بي" [الطبقات الكبرى]، وفي موضع آخر يصف جبته بالقول: "ما في الجبة إلا الله"! صحيح أن الله في كل مكان وأقرب للإنسان من حبل الوريد، لكن هذا لا يعني التهكم بهذه الطريقة المبتذلة.

وهذا الغوث الأعظم ابن عربي يصف الله تعالى بقوله: "الرجل والمرأة صورتان من صور الله" [كتاب تنبيه الغبي إلى تكفير ابن عربي/ برهان الدين البقاعي]. الله تعالى ليس كمثله شيء فما الغرض من هذا التشبيه؟ لاحظ أن القصد من حديثة هو القول بوحدة الوجود.



يُقيم الشيخ الصوفي التلمساني القرآن الكريم كتقييم الشيطان: "القرآن كله شرك، والتوحيد في كلامنا" [مجموعة الرسائل والمسائل]، كيف التوحيد في كلامكم وأنتم تشركون بالله وتجعلون من أنفسكم الضالة أنداداً لله تعالى؟

كما ذكر محمد بهاء الدين البيطار في كتاب [النفحات الأقدسية388/1]:

ومـــا الكلـــب والخنزيـــر إلا إلهنـــا * * * ومـــا الله إلا راهـــب فـــي كنيســـة

ويقول أبو يزيد البسطامي: "خرجت من الله إلى الله، حتى صاح مني في: يا من أنا أنت" [تذكرة الأولياء160/1]. كلام لا يصدر إلا عن مجذوب أو زنديق.

وهذا نموذج من شعر الحلاج:

كفـــرت بـــدين الله والكفـــر واجـــب * * * لـــدي وعنـــد المســـلمين قبـــيح

الكفر عند الحلاج واجب! وهناك من يدافع عنه بذريعة حرية الفكر، وإنه مات مظلوماً.

ويعتبر نفسه والذات الإلهية صنوان بقوله:

أنـــا مـــن أهـــوى ومـــن أهـــوى أنـــا * * * نحـــن روحـــان حللنـــا جســـدا

لاحظ أن هذا الشعر يمثل نزعة خطيرة في الفكر الصوفي، لم يختص به الحجاج فقط، وقارنه بقول الخميني: "إن لنا حالات مع الله نكون فيها هو نحن، ونحن هو. إلا إنه هو هو، ونحن نحن" [مصباح الهداية/ الخميني]. إنه كفر صريح، ويتعارض من الآية الكريمة: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾، كذلك تكراره قول أجداده الصفويين: "إننا لا نعبد إلهاً يقيم بناءاً شامخاً للعبادة والعدالة والتدين ثم يقوم بهدمه بنفسه، ويجلس يزيداً ومعاوية وعثمان وسواهم من العتاة في مواقع الإمارة على الناس. ولا يقوم بتقرير مصير الأمة بعد وفاة نبيه"، وهذا اللوم الذي يوجهه الصفويون للذات الإلهية يمثل محوراً مهما في الفكر الشعوبي تمتد جذوره إلى عدة قرون مضت، حيث ورد بنفس الصيغة عند النعماني: "إن ربهم هو الذي كان محمداً رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم نبيه وخليفته بعده أبو بكر، ونحن لا نقول بهذا الرب ولا بذلك النبي. أن الرب الذي خليفة نبيه أبو بكر ليس ربنا ولا ذلك النبي نبينا" [الأنوار النعمانية/ تحقيق محمد علي القاضي الطباطبائي]. إنه دين جديد لا علاقة له بالإسلام!

كما يذكر الشعراني: "حكي أن أبو عبد الله عمرو بن عثمان المكي رأى الحسين بن منصور الحلاج يوماً وهو يكتب شيئاً فقال: ما هذا؟ فقال: هو ذا أعارض القرآن؛ فدعا عليه وهجره، قال الشيوخ: الذي أصاب الحلاج وحل به من البلاء كان من ذلك الدعاء رضي الله عنه" [الطبقات الكبرى87/1]. العجيب في هذا الأمر أن الحلاج لم يجد سوى كتاب الله الحكيم ليعارضه، سبحان الله!

ويذكر الغزالي [في كتابه المفصح بالأحوال] بأن الصوفية: "يشاهدون في يقظتهم الملائكة وأرواح الأنبياء، ويسمعون منهم أصواتاً، ويقتبسون منهم فوائد"، هذا حديث من يدعي إحياء الدين، فكيف بمن يريد أن يميته؟ وهناك آلاف الشواهد التي يمكن الاستدلال بها على شركهم، وليست [شطحات] كما يحلوا للبعض تسميتها.

إن التهجم على الذات الإلهية المقدسة، وإسباغهم المعجزات والكرامات على أنفسهم الضالة، كانت من أهم أسباب تعرضهم لسخط الحكام والانتقام منهم. على الرغم من أنهم لم يطمحوا في الحكم أو ينافسوا الخلفاء على كراسيهم علناً؛ لكنهم لو قاموا بذلك كان أهون من التعرض للذات الإلهية



المقدسة. والأنكى من هذا كله يسمون أنفسهم "العارفون بالله"! فهل من يعرف الله يشرك به، أم يزداد إيماناً به؟ ويطهر نفسه من الذنوب ويتجنب الكبائر. وإذا كان من يعرف الله على هذه الشاكلة فلا عتب إذن على من يجهله. وقد صدق الشيخ التهانوي بقوله: "إن من الصوفية من هم زنادقة" [كشاف إصطلاحات الفنون117/3]. والدليل أثبت من أن يُدحض.

يذكر الشعراني عن أبي عبد الله وهب بن منبه: "كان رضي الله عنه يقول: قرأت نيفاً وتسعين كتاباً من كتب الله عز وجل فوجدت فيها كلها: أن كل من وكل إلى نفسه شيئاً من المشيئة فقد كفر"، وكان الشيخ يقول: إن الله عز وجل يقول: في بعض الكتب المنزلة: يا ابن آدم! كم لي عليك نعم ما قمت لي بما يجب عليك، أذكرك وتنساني، وأدعوك فتفر مني، خيري إليك نازل وشرك إلى صاعد" [الطبقات الكبرى37/1]. حسنا! هل يوجد حقاً نيف وتسعون كتاباً لله؟ وفي أي مكتبة قرأها. ومن أين جاء بقول الله المشار إليه؟ هل موجود في الكتب المنزلة؟ وإن كان ليدلنا عليه، وله الأجر والثواب.

كما أنهم يسخرون من كتاب الله ويعتبرون أورادهم وما يسمونه "بالسماع" تثير خشيتهم أكثر من كتاب الله! فيذكر القطب الغوث الشيخ عبد السلام الأسمر الفيتوري الحازمي: "قلت فيه أغثني بدواء واردي! وإذا بالنداء من الهواء: يا عابد السلام خذ دواء وأردك الرباني! فشيعت بصري إلى السماء وأنا أقول: سبحان الملك القدوس، وكررتها وإذا بدف عظيم هابط علي من السماء مرتج موتور فتلقيته وجعلت أضربه لنستريح بسماعه حين هيجان الحال واحتراق الوجد فكان في سماعه دواء واردي، ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم" [الأنوار السنية والمنن البهية]. سبحان الله أداة موسيقية تنزل من السماء لتطرب الشيخ!

وقيل للجنيد: فما بال أصحابك إذا سمعوا القرآن لا يطربون؟ قال: وأي شيء في القرآن يطرب في الدنيا؟ القرآن حق نزل من عند حق لا يليق بصفات الخلق عند كل حرف منه على الخلق واجب لا يخرجهم منه إلا الوفاء لله عز وجل به، فإذا سمعوه في الآخرة من قائله أطربهم، قيل له: فما بالهم يسمعون القصائد والأشعار والغناء فيطربون" [الطبقات الكبرى85/1].

وقال أبو عثمان الحيري النيسابوري: السماع على ثلاثة أقام:

القسم الأول: للمبتدئين والمريدين يستدعون بذلك الأحوال الشريفة، ولكن يخشى عليهم في ذلك الفتنة والرياء.

القسم الثاني: للصادقين يطلبون به الزيادة في أحوالهم ويسمعون من ذلك ما وافق أوقاتهم.

القسم الثالث: لأهل الاستقامة من العارفين رضي الله عنهم" [الطبقات الكبرى84/1].

كما ذكر الشعراني: "كان أبو يعقوب يوسف بن الحسين الرازي رضي الله عنه إذا سمع القرآن لا تقطر له دمعة، وإذا سمع شعراً قامت قيامته، ثم يلتفت إلى الحاضرين ويقول: أتلومون أهل الري على قولهم يوسف بن الحسين زنديق هم معذورون رضي الله عنه؟" [الطبقات الكبرى89/1]. لاحظ أهل الري!

وقيل لأبي إسحاق إبراهيم بن إسماعيل الخواص له: ما بال الإنسان يتواجد عند سماع الأشعار، ولا يتواجد عند سماع القرآن؟ فقال: لأن سماع القرآن صدعة، لا يمكن أحداً أن يتحرك فيها لشدة غلبتها،



وشدة الأشعار ترويح للنفس فتتحرك فيه والله أعلم" [الطبقات الكبرى95/1]. صدعت رؤوسنا يا رجل بهذا الكفر المبين!

كما ذكر العباس أحمد بن محمد بن سهل بن عطاء الآدمي: "قوام الإسلام وشرائعه بالمنافقين، وقوام الإيمان وشرائعه بالعارفين" [الطبقات الكبرى95/1]. لم يوضح الشيخ من المنافقين؟ لكن الذي أقام الإسلام وأسس شرائعه هو الله تعالى ونبيه صلى الله عليه وسلم! وكان أبو الحسن علي بن إبراهيم الحصري يقول: "مكثت زماناً إذا قرأت القرآن لا أستعيذ بالله من الشيطان الرجيم، وأقول مَن الشيطان الرجيم حتى يحضر كلام الحق"، لكنه يقول أيضاً: "وقد أمر الله عز وجل أشرف المرسلين صلى الله عليه وسلم بالاستعاذة من الشيطان" [الطبقات الكبرى123/1]. اعتراف بأمر الله من جهة، ومعارضته من جهة أخرى!

أما ابن مشيش فقد ذكر: "اللهم زج بي في بحار الأحدية، وانشلني من أوحال التوحيد، وأغرقني في عين بحر الوحدة، حتى لا أرى ولا أسمع ولا أحس إلّا بها" [عقيدة الصوفية وحدة الوجود الخفية/194]. نقول: اللهم لا تبخل بهذا الشيخ الكافر عن جهنم!

ذكر عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر: "كلمة التوحيد لا إله إلا الله التي هي خير الذِّكر وأفضله وأكمله لا تكون مقبولة عند الله بمجرّد التلفّظ بها باللسان فقط، دون قيامٍ من العبدِ بحقيقة مدلولها، وتطبيق لأساس مقصودها من نفي الشرك وإثبات الوحدانية لله، مع الاعتقاد الجازم لما تضمّنته من ذلك والعمل به، فبذلك يكون العبد مسلماً حقاً، وبذلك يكون من أهل لا إله إلا الله" [فقه الأدعية والأذكار/185]. هذا هو الحق بعينه، فالتوحيد ليس إطلاق اللفظ دون الإيمان به.

الصفويون يبادلون المتصوفة هذا الضلال، مع أن علي بن أبي طالب ذكر عن النبي صلى الله عليه وسلم الحديث: **«أفضل ما قلتُ أنا والنبيّون عشيةَ عَرَفَةَ: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملكُ وله الحمدُ وهو على كلِّ شيءٍ قدير»** [أخرجه الطبراني/874]. لكن هذا القول يناقضه المئات من الأحاديث والخطب المنسوبة للإمام علي نفسه.

يذكر أبو جعفر: "نحن لسان الله، ونحن وجه الله، ونحن عين الله في خلقه"، وكذلك قوله: "إن الله خلطنا بنفسه فجعل ظلمنا ظلمه وولايتنا ولايته" [كتابا الكافي والتوحيد]. ويضيف الكليني بأن "الأئمة هم وجه الله، الذي لا يفنى" مفسراً قوله تعالى: **﴿وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلالِ وَالإِكْرَامِ﴾** [الرحمن:27]، وجاء في شرح المازنداني على الكافي بأن: "قول الإمام ينسخ القرآن والشرائع وأن حديث كل واحد من الأئمة هو قول الله عز وجل" [كتاب شرح المازنداني على الكافي]. ويضيف المجلسي بأن "الرجل إذا أراد أن يناجي ربه فما عليه إلا أن يناجي الإمام ويحرك شفتيه فيأتيه مطلبه" شرك صريح لا غبار عليه!

إنهم يستخفون بالذكر الحكيم أيضاً، يذكر الشعراني عن الشيخ شعبان المجذوب: "كان الشيخ شعبان المجذوب يقرأ سوراً غير السور التي في القرآن على كراسي المساجد يوم الجمعة، وغيرها فلا ينكر عليه أحد، وكان العامي يظن أنها من القرآن لشبهها بالآيات في الفواصل، وقد سمعته مرة يقرأ على باب دار على طريقة الفقهاء الذين يقرءون في البيوت فصغيت إلى ما يقول فسمعته يقول: "وما أنتم في تصديق هود بصادقين، ولقد أرسل الله لنا قوماً بالمؤتفكات يضربوننا، ويأخذون أموالنا، وما لنا



من ناصرين"، ثم قال: اللهم اجعل ثواب ما قرأناه من الكلام العزيز في صحائف فلان، وفلان إلى آخر" [الطبقات الكبرى4214/2]. لاحظ نفس منطق الرافضة عندما ادعوا بأن القرآن محرف وأن الآيات تلاعب بها كبار الصحابة، مع أن الله تعالى أنزل الذكر وحفظه، والله نعم الحافظين.

يحرض المتصوفة أتباعهم على عدم عمل فعل الخير، ويتمادوا بحثهم على زرع بذور الحقد والضغينة بين المسلمين لإيقاظ الفتنة كأنها سكنت يوماً ما. فقد نسب الكليني لخالد القلانسي: "قلت لأبي عبد الله: ألقى الذميَ فيصافحني! قال: امسح يدك بالتراب وبالحائط. قلت: فالناصبي؟ قال: اغسله" [الكافي475/2]. بل أحياناً تصل دعواهم إلى القتل كموقف الصفويين من إحلال سفك دماء أهل السنة.

روى الشيخ الصدوق عن داود بن فرقد قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام المصدر ما تقول في الناصب؟ قال: حلال الدم لكني أتقي عليك، فإن قدرت أن تقلب عليه حائطاً، أو تغرقه في ماء لكيلا يشهد به عليك فافعل. قلت: فما ترى في ماله؟ قال: خذه ما قدرت" [وسائل الشيعة 463/18].

ويذكر الشعراني: "وقائع الشيخ عبد القادر بن عنان أخو الشيخ محمد كثيرة مع الحكام، ومشايخ العرب لأنه كان كثير العطب لهم، وكان يقول: كل فقير لا يقتل من هؤلاء الظلمة عدد شعر رأسه فما هو فقير" [الطبقات الكبرى354/2].

ويذكر الشعراني عن إبراهيم بن عصيفير كلام يغير العجب منه: "كان رضي الله عنه يقول: لخادمه أوصيك أن لا تفعل الخير في هذا الزمان فينقلب عليك بالشر" [الطبقات الكبرى370/2]؛ فهل بقي عندهم من الإسلام شيئاً؟ وذكر د. زكريا سليمان بيومي من طريف أخبار الصوفية "أن الأكراد عظموا شريفاً صالحاً مر عليهم في سفره، ولحبهم فيه أرادوا قتله ليبنوا عليه قبة يتوسلون بها" [الطرق الصوفية بين الساسة والسياسة/23].

افترى الصفويون على الله تعالى بأقوال تعبر عن شعوبية مقيتة ولا يعقلها لبيب، فعن محمد بن يعقوب النهشلي، عن الرضا، عن آبائه عليهم السلام، عن النبي صلّى الله عليه وآله، عن جبرئيل عن ميكائيل عن إسرافيل، عن الله جل جلاله: "إن علياً حجتي في السماوات والأرضين على جميع من فيهن من خلقي، لا أقبل عمل عامل منهم إلا بالإقرار بولايته، مع نبوة أحمد رسولي، وهو يدي المبسوطة على عبادي، وهو النعمة التي أنعمت بها على من أحببته من عبادي، فمن أحببته من عبادي وتوليته عرفته ولايته ومعرفته، ومن أبغضته من عبادي أبغضته لانصرافه عن معرفته وولايته، فبعزتي حلفت وبجلالي أقسمت أنه لا يتولى علياً عبد من عبادي إلا زحزحته عن النار وأدخلته الجنة، ولا يبغضه عبد من عبادي ويعدل عن ولايته إلا أبغضته وأدخلته النار وبئس المصير" [بحار الأنوار8/65]. العجب أن السند هم ثلاث ملائكة! ولا نفهم لماذا ثلاثة وليس واحداً منهم، ألا يكفي واحد منهم للافتراء عليه؟ ولاحظ ركة الحديث المنسوب للخالق "مع نبوة أحمد رسولي"!

يقول الشيخ علي الجفري: "قال الله في الحديث القدسي: "يا دنيا من خدمنا فاخدميه ومن خدمك فاستخدميه، فقد أمرها الله" [معالم السلوك للمرأة المسلمة/81]. ولا يوجد هذا الحديث قدسياً أو غير قدسي.



تدعي العقيدتان بأن الشيخ والإمام يسمع كلام الله تعالى مباشرة، وليس عن طريق الوحي كما هو عليه الأمر عند الأنبياء والرسل. فشيخ الطريقة الختمية محمد الميرغني يدعي بأن الله كلمه قائلاً له: "أنت تذكرة لعبادي، ومن أراد الوصول إلى فليتخذك سبيلاً" [للمزيد راجع الطريقة الختمية/ السيد محمد عثمان الميرغني].

كما ادعى بأن النبي محمد صلى الله عليه وسلم كلمه قائلاً: "من قَبَل جبهتك كأنما قبل جبهتي، ومن قَبَل جبهتي دخل الجنة" ربما الشيخ معجب بقُبل الجبين! ويقول الغزالي: "من لف رأسه بخرقة وجلس في مكان أظلم رأى الله، وعرف كل شيء، وشاهد الكون أعلاه وأسفله" [كتاب تفنيد الصوفية/ عبد الرحمن عبد الخالق]. الله نور، والنور مضاد للظلام يا شيخ!

بالنسبة للصفويين يحدثنا المجلسي في بحار الأنوار بقوله: "وليس الوحي إلى الأئمة من باب الإلهام فقط وإنما تقر في الأسماع بأوامر وتوجيهات مباشرة من المَلك، وأنه يسمعه كصوت السلسلة ويأتيه المَلك في صورة أعظم من جبرائيل وميكائيل"، ويضيف الكليني في الكافي: "ويأتيهم المَلك في المنام واليقظة وفي البيوت والمجالس، وأن الله أمدهم بخمسة أرواح منها روح القدس. وأنهم بروح القدس يعلمون ما تحت العرش وما تحت الثرى"، حسناً ما هي الأرواح المتبقية، وما الغرض منها طالما لديهم روح القدس العجيبة؟ لدينا مثل يقول: القط بسبعة أرواح.

فيما يتعلق بالتحكم في الظواهر الطبيعية:

وهذه من الإشكالات الفلسفية في العقيدتين، فكل منهما يدعي بأن أقطابه أو الأئمة هم علة الوجود، وينسبون لهم حدوث لظواهر الطبيعية! فعند الصفوية: "إن النبي صلى الله عليه وسلم وعلي وفاطمة والأئمة الإثنى عشر هم العلل الأربع لخلق العالم" [للمزيد راجع كتاب شرح الزيارة/ أحمد الأحسائي]. لاحظ أن الإمام علي حُسب مرتين في الثانية مع الأئمة 12! و"أن الأئمة هم "النور" المنزل من السماء المذكور في قوله تعالى: **﴿وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ أُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾** [الأعراف:157] [راجع كتاب الكافي]. وإن "الله خلق الملائكة من نور علي" [المعالم الزلفى/259]. كذلك: "الأئمة هم أركان الأرض الذين يحفظونها من أن تميد بأهلها" [الكافي 252/1] وأن "الحوادث الكونية من زلازل وبراكين وفيضانات ورعد وبرق من أفعال الإمام"بمعنى حملوا الإمام مسؤولية كل من يموت بسبب البراكين والفيضانات والزلازل. وإن"الرعد والبرق من أمر الإمام علي" [الاختصاص للمفيد/327].

وأضافو أسماء غريبة لله تعالى لا نعرف من أين استقوها وجعلوا بها حظوة؟ ذكر الكليني مثلاً: "إن رمضان اسم من أسماء الله الحسنى" [الكافي69/4]. وعن أبي عبد الله أنه كان يقول: "آه اسم من أسماء الله الحسنى. فمن قال آه: فقد استغاث بالله" [مستدرك الوسائل148/2]. نقول: آه منكم يا أئمة! وربما لم يسمع الإمام أبو عبد الله بحديث جده الشريف: **«إن لله تسعة وتسعين اسماً، مائة إلا واحداً، من أحصاها دخل الجنة»** [أخرجه البخاري2691/6]. كما جاء في مراجعهم الضالة "بأن اسم الأحد اسم من أسماء الله تعالى" [وسائل الشيعة350/11]. ليبتهج النصارى بيوم الأحد عن هذا الكشف الإمامي!

بالنسبة للمتصوفة فإن الغوث "الأقطاب" هم علة الوجود. ويزعم الشيخ عطاء الله السكندراني [في كتابه لطائف المنن] بأنه: "لولاهم ما أرسلت السماء قطرها، ولا أظهرت الأرض نباتها".



ويزيد الشعراني: "كان الشيخ الرفاعي قطب الأقطاب في الأرض، ثم انتقل إلى قطبية السماء، فصارت السموات السبع في رجله كالخلخال" [كتاب لطائف المنن/ الشعراني]. شيخ بخلخال صورة طريفة أتخيله عندما يمشي به!

يذكر المستشرق "ألان أنترمان" أن اليهود تؤمن بفكرة الشخيناه وملخصها: "إن الله على الرغم من أنه واحد إلا أنه ينطوي في واحديته على جانب أنثوي، وإنه أن أراد أن يستأنس قليلاً فأطلق جانبه الأنثوي هذا" [اليهود عقائدهم الدينية وعباداتهم/ المقدمة].

وهي ذات الفكرة التي تبناها وطورها ابن عربي بقوله: "إن ربه يتجلى أعظم تجلٍ في صورة أنثى ينتهبها ذَكر، لذلك فإن مضاجعة العاشقين طوال الليل هي نوع من العبادة! والعاشق عابد لا تستغرقه اللذة بأنثى، بل بالرب المتجسد في الأنوثة، فالرب ليس إلا مادة ولا يُرى إلا في مادة" [الموسوعة الصوفية/404]. وهذا غيض من فيض.



3) تأويل آيات الذكر الحكيم

جاء في سورة الصف: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَى إِلَى الإِسْلامِ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [الصف:7].

بعد أن نفض الصفويون والمتصوفة أيديهم من دس الكلام الذي افتروا به على الله ورسوله تفرغوا إلى تفسير القرآن الكريم تفسيراً ما أنزل الله به من سلطان، وشذوا عن كل التفاسير التي سبقهم فيها كبار المفسرين.

فقد افترى الصفويون على الذات المقدسة؛ فادعوا وجود سورتين محذوفتين من القرآن الكريم هما "الولاية والنور"، من ثم ادعوا تحريف القرآن الكريم، وألف شيخهم الطبرسي كتابه التافه "فصل الخطاب في إثبات تحريف كلام رب الأرباب". وعجيب أمر هذا الدعي الأخطل وهذيانه، فهل هناك أرباب آخرين يتزعمهم رب العزة؟ وهل رب الأرباب كما يسميه غير قادر على حفظ كتابه المبين؟ وهذا الدي المنحرف صاحب التحريف له مقام كبير في العتبات المقدسة.

وهذا نص سورة النورين التي ذكرها النوري: "يا أيها الذين آمنوا آمنوا بالنورين أنزلناهما يتلوان عليكم آياتي ويحذرانكم عذاب يوم عظيم * نوران بعضهما من بعض وأنا السميع العليم* إن الذين يوفون ورسوله في آيات لهم جنات النعيم * والذين كفروا من بعد ما آمنوا بنقضهم ميثاقهم وما عاهدهم الرسول عليه يقذفون في الجحيم * ظلموا أنفسهم وعصوا الوصي الرسول أولئك يسقون من حميم * إن الله الذي نور السموات والأرض بما شاء واصطفى من الملائكة وجعل من المؤمنين أولئك في خلقه يفعل الله ما يشاء لا إله إلا هو الرحمن الرحيم * قد مكر الذين من قبلهم برسلهم فأخذهم بمكرهم إن أخذي شديد أليم * إن الله قد أهلك عاداً وثمود بما كسبوا وجعلهم لكم تذكرة أفلا تتقون * وفرعون بما طغى على موسى وأخيه هارون أغرقته ومن تبعه أجمعين * ليكون لكم آية وإن أكثركم فاسقون * إن الله يجمعهم في يوم الحشر فلا يستطيعون الجواب حين يسألون * إن الجحيم مأواهم وإن الله عليم حكيم * يا أيها الرسول بلغ إنذاري فسوف يعلمون * قد خسر الذين كانوا عن آياتي وحكمي معرضون * مثل الذين يوفون بعهدك أنّي جزيتهم جنات النعيم * إن الله لذو مغفرة وأجر عظيم * وإن عليّا من المتقين * وإنا لنوفيه حقه يوم الدين * ما نحن عن ظلمه بغافلين وكرمناه على أهلك أجمعين * فإنه وذريته لصابرون* وإن عدوهم إمام المجرمين * قل للذين كفروا بعدما آمنوا طلبتم زينة الحياة الدنيا واستعجلتم بها ونسيتم ما وعدكم الله ورسوله ونقضتم العهود من بعد توكيدها وقد ضربنا لكم الأمثال لعلكم تهتدون * يا أيها الرسول قد أنزلنا إليك آيات بينات فيها من يتوفاه مؤمنا ومن يتوليه من بعدك يظهرون * فأعرض عنهم إنهم معرضون * إنا لهم محضرون* في يوم لا يغني عنهم شيء ولا هم يُرحمون * أن لهم جهنم مقاما عنه لا يعدلون* فسبح باسم ربك وكن من الساجدين* ولقد أرسلنا موسى وهارون بما استخلف فبغوا هارون* فصبر جميل فجعلنا منهم القردة والخنازير ولعناهم إلى يوم يبعثون * فاصبر فسوف يبصرون* ولقد آتينا بك الحكم كالذين من قبلك من المرسلين وجعلنا لك منهم وصيا لعلهم يرجعون * ومن يتولى عن أمري فإني مرجعه فليتمتعوا بكفرهم قليلا فلا تسأل عن الناكثين * يا أيها الرسول قد جعلنا لك في أعناق الذين



آمنوا عهدا فخذه وكن من الشاكرين* أن عليّا قانتاً بالليل ساجداً يحذر الآخرة ويرجوا ثواب ربه قل هل يستوي الذين ظلموا وهم بعذابي يعلمون * سنجعل الأغلال في أعناقهم وهم على أعمالهم يندمون * إنا بشرناك بذريته الصالحين * وإنهم لأمرنا لا يخلفون* فعليهم مني صلوات ورحمة أحياء وأمواتاً يوم يبعثون على الذين يبغون عليهم من بعدك غضبي إنهم قوم سوء خاسرين* وعلى الذين سلكوا مسلكهم مني رحمة وهم في الغرفات آمنون * والحمد لله رب العالمين".

كما ورد في كثير من أدعيتهم صفة: "اللهم يا رب الأرباب، وإله الآلهة" وهذا ما تلاحظه في مراجعهم الرئيسة[كبحار الأنوار292/7، ووسائل الشيعة 340/6، ومستدرك الوسائل 87/2]، لكن أحاديثهم كالعادة تناقض نفسها فقد ذكر شيخ الصفوية المجلسي: "لا يجوز أن يقال أنت خير الآلهة! لما لم يكن غيره إلها" [بحار الأنوار263/14]، أو هي التقية دينهم ودين أئمتهم.

ثم ادعوا "أن الإمام علياً مذكور في القرآن (1154) مرة "بمعنى أن القرآن محرف! وألف شيخهم البحراني كتاباً حول هذا الزعم الباطل سماه "اللوامع النورانية في أسماء علي وأهل بيته القرآنية".

هناك الكثير من هذه التفاهات التي ساقها هذا الأمعي وامثاله كالقمي والعياشي لإثبات ما لا يمكن إثباته من دعواهم الباطلة التي لا تنطلي سوى على الجهلة وضعيفي الإيمان أمثالهم. إنها دعوات ماكرة يمكن لأي فرقة وبشر أن يدعيها لنفسه،وهذا ما حذر منه الإمام علي نفسه عندما أوصى أحد عمالة" لا تحاججهم بالقرآن فإنه حمال أوجه".

ثم جاءوا بفرية أخرى هي: "أن القرآن ثلاثة أثلاث، ثلث في مدح الأئمة، وثلث في أعدائهم، وثلث سنن وأحكام" [الكافي والبرهان وتفسير الصافي]، كأنهم يتحدثون عن كتاب معركة صفين وليس الكتاب المبين.

ولم تنتهِ تخاريفهم عند هذا الحد! فقد ادعوا: "أن للقرآن ظهراً وبطناً. فما حرم الله في القرآن هو الظاهر لكن الباطن من ذلك أئمة الجور، وكذلك كل ما أحل الله هو الظاهر لكن الباطل في ذلك أئمة الحق" [الغيبة للنعماني وتفسيرالعياشي].

وقولهم إن "ظاهر القرآن هو التوحيد والنبوة والرسالة لكن باطنه في الدعوة للإمامة والولاية" [مرآة الأنوار].

وانتهى بهم المطاف لتسخير آيات القرآن بما يتفق ومخططاتهم الشريرة، منها قوله: ﴿وَلا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ [الكهف:110]، ففسروها بأن لا يشرك مع الإمام علي أحداً في الخلافة [تفسير العياشي 353/2]. ومنها ما جاء في سورة الفاتحة: ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلا الضَّالِّينَ﴾ [الفاتحة:7]، ففسروا الضلال بأن المقصود به الضالين عن إمامة علي [تفسير القمي].

ومنها ما جاء في سورة القلم: ﴿وَقَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ وَهُمْ سَالِمُونَ﴾ [القلم:43]، ففسروا الدعوة بأنها الدعوة لإمامة علي [تفسير القمي والصافي].

ووصلت بهم السفاهة إلى الادعاء بأن: "البعوضة (المذكورة في سورة البقرة/26) هي علي بن أبي طالب" [تفسير القمي].

وأن الإمام علي هو الذباب المذكور في السورة الحج(73) ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ﴾.



وأن الأئمة هم النحل في قوله تعالى في سورة النحل(68) ﴿وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ﴾ [تفسير القمي].

كما فسر الكاشاني ما جاء في سورة النحل (51): ﴿وَقَالَ اللَّهُ لا تَتَّخِذُوا إِلَهَيْنِ اثْنَيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ﴾بأن المعنى: "لا تتخذوا إمامين إنما هو إمامٌ واحد" [تفسير البرهان373/2]. وفسر القمي ما جاء في سورة الزمر (69) ﴿وَأَشْرَقَتِ الأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا﴾ بأنه يعني حسب قول الإمام الصادق "أي بنور إمام الأرض، فيستغني الناس بنور الإمام عن نور الشمس والقمر" [تفسير القمي253/2]. "وأن علياً هو الشمس في قوله تعالى: ﴿وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا﴾ [الشمس:1] فعلي هو الشمس وضحاها هو المهدي المنتظر" [تفسير القمي].

و"أن الأئمة هم الدين كله كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ﴾ أي ولاية علي [تفسير القمي]. وأنهم الإسلام كما في قوله تعالى: ﴿فَلا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ أي لولاية علي [مرآة الأنوار].

وأنهم "الأمة" فالأمة هم الأئمة وشيعتهم وإن قلوا [بحار الأنوار].

كما "أن الصراط والميزان والحساب بيد الأئمة يوم القيامة" [رجال الكشي/337].

وأن الشرك في القرآن الكريم هو "الإشراك في ولاية علي" كما في قوله تعالى: ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [الزمر:65] أي لئن أشركت في إمامة علي غيره [تفسير القمي].

وأن معنى قوله تعالى: ﴿وَلا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ أي "يسلم لعلي ولا يشرك معه أحداً في الخلافة" [تفسير العياشي353/2]. وأن ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آدَمَ مِنْ قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا﴾ [طه:115] المراد به عهد النبي محمد صلى الله عليه وسلم والأئمة من بعده فهم أصحاب العز [علل الشرائع/122].

وفسر القمي ﴿مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ﴾ [الرحمن:19] بأن المقصود بهما علي وفاطمة [تفسير القمي345/2].

كما فسر القمي الآية الكريمة: ﴿وَلا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ * فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [آل عمران:[170-169]]، عن أبي بصير عن أبي عبد الله، قال: هم والله شيعتنا، إذا دخلوا الجنة، واستقبلوا الكرامة من الله استبشروا بمن لم يلحق بهم من إخوانهم من المؤمنين في الدنيا ألا خوف عليهم ولا هم يحزنون" [تفسير القمي/115].

وفسروا أيضاً الآية الكريمة: ﴿هَذَا وَإِنَّ لِلطَّاغِينَ لَشَرَّ مَآبٍ﴾ [ص:55]، هم الأولان "الصديق والفاروق" وبنو أمية ثم ذكر من كان بعدهم ممن غصب آل محمد حقهم فقال: ﴿وَآخَرُ مِنْ شَكْلِهِ أَزْوَاجٌ * هَذَا فَوْجٌ مُقْتَحِمٌ مَعَكُمْ﴾ [ص:58-59]، وهم بنو السباع، فيقول بنو أمية: ﴿لا مَرْحَبًا بِهِمْ إِنَّهُمْ صَالُوا النَّارِ﴾ [ص:59]، فيقول بنو فلان: ﴿بَلْ أَنْتُمْ لا مَرْحَبًا بِكُمْ أَنْتُمْ قَدَّمْتُمُوهُ لَنَا﴾ [ص:60]، وبدأتم بظلم آل محمد ﴿فَبِئْسَ الْقَرَارُ﴾، ثم يقول بنو أمية: ﴿رَبَّنَا مَنْ قَدَّمَ لَنَا هَذَا فَزِدْهُ عَذَابًا ضِعْفًا فِي النَّارِ﴾ [ص:61] يعنون الأولين، ثم يقول أعداء آل محمد في النار: ﴿مَا لَنَا لا نَرَى رِجَالًا كُنَّا نَعُدُّهُمْ مِنَ الأَشْرَارِ﴾ [ص:62]، في الدنيا وهم شيعة أمير المؤمنين عليه السلام: ﴿أَتَّخَذْنَاهُمْ سِخْرِيًّا أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمُ الأَبْصَارُ﴾ [ص:63]، ثم قال: ﴿إِنَّ ذَلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ النَّارِ﴾ [ص:64] فيما بينهم. وذلك قول الصادق:



"والله إنكم لفي الجنة تحبرون، وفي النار تطلبون" [تفسير القمي/571]. جعلوا من القرآن الكريم كأنه أحد محاورات أفلاطون، أخذ ورد بين الآيات دون مراعاة لكونها مكية أو مدنية أو الأخذ بأسباب نزولها وزمن نزولها، وتفسير كبار العلماء. مثلاً فسر القمي قوله تعالى في سورة النحل: ﴿وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ﴾ بأن المقصود "الفحشاء هم أبو بكر، والمنكر عمر، والبَغْي عثمان" [تفسير القمي/218]. وبذلك فسحوا المجال واسعاً أمام أعداء الإسلام للطعن بالقرآن الكريم، والحقيقة أن علماء السنة لولا خوفهم من الله تعالى لردوا الكيد بنفس الطريقة، ولكنهم بحمد الله ولطفه هم المسلمون الحقيقيون وليسوا المزيفين.

كذلك كان شأن المتصوفة: فقد استهانوا بالقرآن الكريم. على سبيل المثال لأبي عبدالرحمن السلمي تفسير للقرآن الكريم سماه "حقائق التفسير"، قال عنه الإمام محمد الذهبي: "لهُ كتاب يُقال لهُ حقائق التفسير وليته لم يصنفه! فإنه تحريف وقرمطة، ودونك الكتاب فسترى العجب" [التفسير والمفسرون 386/2].

يذكر ابن عطاء الله السكندري بأن "لكل آية ظاهر وباطن، وحدّ ومطلع" [عقيدة الصوفية وحدة الوجود الخفية/194]، كما نقل ابن عطاء عن بعض شيوخه، أنه فسر الآية ﴿يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنَاثًا﴾، بالحسنات، وفسر الآية ﴿وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذُّكُورَ﴾ بالعلوم، و﴿أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَاثًا﴾ بالعلوم والحسنات، و﴿وَيَجْعَلُ مَنْ يَشَاءُ عَقِيمًا﴾ بأنها تعني لا علم، ولا حسنة" [عقيدة الصوفية وحدة الوجود الخفية/194].

وهذا قطبهم ابن عربي [في كتابه الفتوحات المكية 70/1] يتغنى بهذه الأبيات متفاخراً بنفسه لحد التجاوز على الله وكتابه العزيز:

أنـــا القـــرآن والســـبع المثـــاني * * * وروح الـــروح لا روح الأوانـــي

وفسروا آيات الله بما لا يرتضيه الله! قال الشيخ عبد الغني النابلسي بأن الآية من سورة طه: ﴿فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى﴾ [طه:12] تعني اخلع صورتك الظاهرة والباطنة، وتعنيان الجسم والروح، ولاتنظر إليهما لأنهما نعلاك"، وهناك من فسرها بأنها تعني "دنياك وآخرتك"، ولا نعرف كيف سيفسرون قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ يُرِيدُ الآخِرَةَ﴾ و﴿الآخِرَةُ خَيْرٌ لِمَنِ اتَّقَى﴾. ولماذا لم يُستعاض بكلمة النعل بدلاً عنها؟ تعالى الله عن سفاهتهم وخبثهم.

ومن تفسير علي بن عثمان للآية الكريمة: ﴿إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ﴾ [النمل:34]، قوله: الملك هو الله عز وجل، والقرية قلبك، فسد المنزل على المتوطن وأزعجهم، والمراد بالمتوطن الرياء والنفاق وسوء الخلق والتزوير والبهتان والفساد والطغيان وكل ما هو خلاف رضا الرحمن، والمراد بأعزّة تلك الشياطين فيذلّهم ويهينهم" [قلادة الجواهر/325]. وفسروا قوله تعالى في سورة النساء: ﴿وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ﴾ بأنها تعني القلب.

كما فسر سهل بن عبد الله الآية من سورة البقرة: ﴿لا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ [البقرة:35] بأنها تعني لا تهتموا بغير ربكم، وليس القصد منها أن تأكلوا من الشجرة.

وادعي ابن عربي بأن أبا النبي عيسى هو جبريل أو ملك آخر بقوله: "فتمثل لها جبريل أو الملك بشراً سوياً، وقال لها أنا رسول ربك لأهب لك غلاماً زكياً، فوهبها عيسى عليه السلام، فكان انفعال عيسى عن الملك المتمثل في صورة الرجل، لذلك خرج على صورة أبي ذكراً بشراً روحاً، فجمع بين



الصورين اللتين كان عليهما أبوه الذي هو الملك" [الفتوحات المكية لابن عربي183/3]. بالتأكيد كل فرد لا يحترم القرآن الكريم، يمكنه أن يأول الآيات كيفما شاء، كما فعل هؤلاء الكفرة.



4) الإساءة إلى الرسل والأنبياء

مثلما تهكم الأئمة وشيوخ المتصوفة على الذات الإلهية المقدسة، كان الأنبياء بصورة عامة والنبي محمد صلى الله عليه وسلم خصوصاً محوراً للكذب والتهكم من قبلهم، وقد اتبعوا في ذلك عدة أساليب سوف نستعرض بعضها.

أشار عبد الكريم الجيلي في معراجه الجنوني: "رأيت نوحاً عليه السلام في هذه السماء جالساً على سرير خُلق من نور الكبرياء بين أهل المجد والثناء، فسلمت عليه وتمثلت بين يديه، فرد علي السلام ورحب بي وقام" [الإنسان الكامل/100]. ويضيف كذلك: "اجتمعت في السماء مع يوسف عليه السلام، فرأيته على سرير من الأسرار كاشفاً عن رمز الأنوار، عالماً بحقيقة ما انعقدت عليه أكلة الأحبار، متحققاً بأمر المعاني، مجاوزاً عن قيد الماء والأواني، فسلمت تحية وافد إليه، فأجاب وحياً ثم رحب بي" [المصدر السابق/100].

ويذكر عبد الوهاب الدباغ: "كل ما أعطيه سليمان في ملكه، وما سخر لداود، وما أكرم به عيسى، أعطاه الله وزيادة لأهل التصرف من أمة النبي، ومكنهم من القدرة على إبراء الأكمه والأبرص، وإحياء الموتى" [الإبريز12/2] لاحظ نفس الحديث ذكره الأئمة كما أشرنا له سابقاً.

كما ينقل السلمي قول ابن يزدنار وهو يحدث أصحابه: "وردت القيامة، فرأيت آدم عليه السلام، والناس يسلمون عليه، ويصافحونه، فذهبت لأصافحه، وأُسلم عليه فقال: اغرب عنى! أنت الذى وقعت فى أولادى الصوفية! لقد قرت عيناى بهم، فجاء قوم فحالوا بينى وبينه" [طبقات الصوفية/112].

كما يذكر أبو الحسن الشاذلي: "بني إسرائيل صدقوا بموسى حين لم يروه، وكذبوا بمحمد صلى الله عليه وسلم حين رأوه، مع أن محمداً صلى الله عليه وسلم أعظم من موسى، وإنما ذلك حسداً منهم، وعدواناً، وشقاء منهم" [الطبقات الكبرى12/1]. مع أنه لا يجوز المفاضلة بين الأنبياء كما جاء في الحديث النبوي الشريف.

ذكر الشعراني بأنه سمع شيخه علي الخواص يذكر: أن نوحاً عليه السلام أبقى من سفينته لوحاً على اسم علي بن أبي طالب رضي الله عنه يرفع عليه إلى السماء. فلم يزل محفوظاً في صيانة القدرة، حتى رُفع علي بن أبي طالب" [طبقات الشعراني44/2]. محفوظاً في صيانة القدرة! لكن كيف عرف الشيخ ذلك طالما لا توجد حتى في الإسرائيليات هذه الحتوته؟

وفي معراج الجيلاني هناك لقاءات متعددة مع الأنبياء والملائكة انتهاءا بالله تعالى.

يذكر الشيخ إبراهيم بن أبي المجد:

نعم نشأتي في الحب من قبل آدم * * * وسرى في الأكوان من قبل نشأتي
أنا كنت في العلياء مع نور أحمد * * * على الحرة البيضاء في خلوتي
أنا كنت في رؤيا الذبيح فداءه * * * بلطف عنايات، وعين حقيقة
أنت كنت مع إدريس لما أتى العلا * * * وأسكن في الفردوس أنعم بقعة
أنا كنت مع عيسى على المهد ناطقاً * * * وأعطيت داوداً حلاوة نغمة



أنــا كنــت مــع نــوح بــما شهــــد الــورى * * * بحــاراً، وطوفانــاً علــى كـــــف قــدرة [راجع الطبقات الكبرى189/1].

وبقدر تعلق الأمر بالصفويين، فقد جاء في كتبهم عن علي بن أبي طالب قوله: "إن الله عرض ولايتي على أهل السماوات وعلى أهل الأرض، أقر بها من أقر، وأنكر من أنكر، أنكرها يونس عليه السلام فحبسه الله في بطن الحوت حتى أقر بها" [بصائر الدرجات10/2]. لماذا أنكرها يونس دون غيره؟ ما سبب عداء الرافضة للنبي يونس هل هو من بني أمية؟ ولا نستطيع أن نقول ما سبب عداء النبي يونس لعلي لوجود عدة قرون بينهما!

من خطبة الإمام علي كما ذكرها رجب البرسي: "أنا آدم الأول، أنا نوح الأول، أنا صاحب نوح ومنجيه، أنا صاحب أيوب المبتلى وشافيه، أنا أقمت السماوات بأمر ربي، أنا صاحب إبراهيم، أنا سر الكليم أنا الناظر في الملكوت، أنا المسيح حيث لا روح يتحرك ولا نفس يتنفس غيري، أنا المتكلم على لسان عيسى في المهد" [مشارق أنوار اليقين في أسرار أمير المؤمنين/170].

ويضيف النعماني لهراء صاحبه البرسي: "إن الإمام علياً كان مع كل الأنبياء فيما جرى لهم من محن ومصائب، فهو الذي جعل النار برداً وسلاماً على إبراهيم! وكان مع نوح في سفينته وأنقذه من الغرق! ومع موسى في عبور البحر ومع عيسى وكذا سائر الأنبياء" [الأنوار النعمانية25/1]. وأضاف: "أن الأنبياء جميعاً سينـزلون إلى الدنيا حتى يقاتلوا مع علي بن أبي طالب" [المصدر السابق41/53]. عجباً! لماذا لم ينزلوا ويقاتلوا مع خاتم الأنبياء، عوضا عن القتال مع صهره؟ هل صهر النبي صلى الله عليه وسلم أعلى منزلة عندهم من النبي محمد صلى الله عليه وسلم نفسه؟ ولماذا لم يقاتلوا معه في حروبه الثلاثة على المسلمين "حروب الحمل وصفين والنهروان"؟

ومن جنايات أبي جعفر على النبي داود عليه السلام: "إن الله عز وجل أوحى إلى داود عليه السلام أن ائت عبدي دانيال فقل له: إنك عصيتني فغفرت لك، وعصيتني فغفرت لك، وعصيتني فغفرت لك، فإن أنت عصيتني الرابعة لم أغفر لك! فلما كان في السحر قام دانيال فناجى ربه فقال: فوعزتك لئن لم تعصمني لأعصينك ثم لأعصينك ثم لأعصينك" [الكافي 316/2]. حتوتة عجيبة! أي نبي هذا الذي يحلف بالله من جهة ويتحداه من جهة أخرى؟ وما فرقه عن الكفار والزنادقة الذين عصوا الله تعالى وتحدوه؟ اتركوا الأنبياء الأموات بسلام وكفاكم ما فعلتم بالأئمة!

كما يذكر المجلسي: "أن اسم الله الأعظم اثنان وسبعون حرفاً، وبحرف واحد استطاع صاحب سليمان أن يجلب بلقيس وليس معه غير هذا الحرف، أما الأئمة فعندهم كل الاثنين والسبعين حرفاً ولم يبق عند الله إلا حرف واحد فقط" [المصدر السابق37/27]. وماذا فعلوا في حروفهم يا ترى؟ وهل نفعتهم في الكشف عن السموم، أو الهروب من السجن، أو النصر على الأعداء؟!

ويذكر البحراني: "أن الله أخذ ميثاق النبيين بولاية علي" [في المعالم الزلفى/303]، ولماذا لم يأتِ ذكر الميثاق المزعوم في الكتب السماوية طالما هو مهم لهذه الدرجة؟ هل الذبابة والبعوضة والحمار المذكورة في القرآن الكريم أهم من الميثاق مع علي؟

ويذكر مرجعهم الطبرسي: "أن الله لم يبعث نبياً قط إلا بالولاية" [مستدرك الوسائل للطبرسي195/2].

كما يذكر مفسرهم الكاشاني: "أن جميع الأنبياء والرسل كانوا لعلي مجيبين" [تفسير الصافي61/1].



يبدو أن الكاشاني لديه محرار لقياس درجة الحب عند الأموات!

من غرائب ما جاء عن المجلسي حديث للإمام زين العابدين يثير المواجع بما يضمه من الضحالة الفكرية معللاً سبب مشكلة النبي يونس عليه السلام، بأن "رفض النبي يونس عليه السلام لولاية الإمام علي وخلفه بحجة عدم معرفتهم، كان سبباً لسخط الرب عليه؛ فأوحى للحوت أن يلتقمه. ويكمل لنا الحوت الراوي ما تبقى من الحتوته: "فمكث في بطني أربعين يوماً يطوف معي البحار في ظلمات ثلاث وينادي: لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين، قد قبلت ولاية أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، والأئمة الراشدين من ولده" بعد أن اعترف النبي بخطئه واعترف بالولاية. أمر الله الحوت أن يقذفه للبر. ويستطرد زين العابدين القول: "ارجع أيها الحوت إلى وكرك! فاستوى الماء" [بحار61 الانوار/53] عجباً هل للحوت وكر يا إمام؟ الوكر جمعه أوكر وأوكار يعني عش الطائر، سواء كان على شجرة أو في جبل أو خرق في حائط. يقول الشاعر:

كأن فؤادي حين جدَّ مسيرها * * * جناح غراب رام نهضاً إلى الوكر

هكذا عُرف الوكر في لسان العرب ومختار الصحاح والمعجم الوسيط وتاج العروس وقاموس المعاني وغيرها. واستعيرت الكلمة بشكل مجازي لتطلق أيضاً على المكان الذي يختبيء فيه اللصوص والجواسيس. وشتان بين الطيور واللصوص والجواسيس. قد قبلنا بـ[موبي ديك- الحوت الناطق]! فمن أين أتى زين العابدين بالوكر والحوت المتكلم؟

كما فسر الحويزي رواية حوت النبي يونس بطريقة أطرف فقال: "دخل عبد الله بن عمر على زين العابدين، فقال: يا ابن الحسين! أنت الذي تقول: أن يونس بن متى إنما لقي من الحوت ما لقي، لأنه عرضت عليه ولاية جدي، فتوقف عندها؟ قال: بلى! ثكلتك أمك! قال: فأرني آية ذلك أن كنت من الصادقين؟ فأمر بشد عينيه بعصابة وعيني بعصابة، ثم أمر بعد ساعة بفتح أعيننا، فإذا نحن على شاطئ البحر تضرب أمواجه، فقال ابن عمر: يا سيدي! دمي في رقبتك، الله الله في نفسي، فقال: هنيئة وأريه إن كنت من الصادقين؟ ثم قال: يا أيتها الحوت! قال: فأطلع الحوت رأسه من البحر مثل الجبل العظيم وهو يقول: لبيك لبيك يا ولي الله! فقال: من أنت؟ قال: حوت يونس يا سيدي! قال: ائتنا بالخبر، قال: يا سيدي! أن الله تعالى لم يبعث نبياً من آدم إلى أن صار جدك محمد إلا وقد عرض عليه ولايتكم أهل البيت، فمن قبلها من الأنبياء سلم وتخلص، ومن توقف عنها وتتعتع في حملها لقي ما لقي آدم من المصيبة، وما لقي نوح من الغرق، وما لقي إبراهيم من النار، وما لقي يوسف من الجب، وما لقي أيوب من البلاء. وما لقي داوُد من الخطيئة، إلى أن بعث الله يونس، فأوحى الله إليه أن يا يونس! تول أمير المؤمنين" [تفسير نور الثقلين 435/3]. ألا يخجل هؤلاء الحمقى من سرد هذه الخرافات! هناك قصة أجنبية تدعى موبي ديك لا تقل ظرافة عن قصة زين العابدين! لكن إن كان زين العابدين يتحدث هكذا! فما بالنا بشين العابدين!

هناك المئات من الشواهد والحوادث المتقاربة التي يتقاسم بطولتها الأئمة والمتصوفة، والتي تعد من الخوارق التي تجعل العلم يسخرمن تفاهتها وعقلية من ابتكرها وصدقها، وتجعل المغرضون يسيئون من خلالها إلى الدين الإسلامي، ويطعنوا في رموزه. وهي بالطبع منسوبة للأئمة من قبل الشعوبيين، ولا علاقة لهم بها.



أما الإساءات إلى النبي محمد صلى الله عليه وسلم فقد اتخذت عدة أشكال، منها:

1) اللقاءات الخيالية مع النبي صلى الله عليه وسلم:

غالبا ما يدعي المتصوفة أنهم التقوا بالنبي محمد صلى الله عليه وسلم تارة في النوم وتارة في اليقظة، وتارة أثناء المعراج، وتارة وهو ميت وتارة وهو حي.

يذكر "ألان أنترمان" هذه الظاهرة بقوله: "ظهرت إحدى الحركات الداعية لاستخدام الصوفية لحل المشكلات التي ظهرت في الشريعة اليهودية، وذلك بتلقي وحي إلهي من خلال الرؤى المنامية. ومثل هذه المحاولات ظهرت بشكل واضح في كتاب "أسئلة وأجوبة من الله" الذي كتبه يعقوب هاليفي وصاغ فيه الأسئلة بعد أن ذهب إلى مكان منعزل، وراح يصلي ويردد أسماء الله العظمى، وأعطاه الله الإجابة في رؤاه المنامية، وكانت غالباً مشفوعة بآيات من الكتاب المقدس" [اليهود عقائدهم الدينية وعباداتهم/ 184]. أي الأصل من اليهودية! ومن رواياتهم ما تحدث عنه المولى العارف بالله الشيخ محمد أمين عن العارف الوفائي بقوله: "رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فحدثني عن نفسه: لست بميت، فموتي عبارة عن تستري عمن لا يفقه عن الله. وأما من يفقه عن الله فها أنا ذا أراه ويراني"، بمعنى أن النبي صلى الله عليه وسلم حاشاه من هذا الافتراء نسف ما جاء في سورة الزمر: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ﴾ [الزمر:30].

ويتحدث الصفويين بأن النبي صلى الله عليه وسلم قال للإمام علي بأنه بعد أن يموت "النبي" يغسله ويجلسه ويأخذ منه العلوم، وسبق الإشارة إلى الحديث.

2) خيانة جبريل في إيصال رسالة النبوة:

وهذا أمر غريب. فقد رفض محمد بن علي أبو جعفر الشلمغاني الشريعة - وكان يسمي محمداً وموسى بالخائنين - زعماً منه أن هارون أرسل موسى، وأن علياً أرسل محمداً فخاناهما. صُلب في خلافة الراضي سنة 322هـ [الكامل لابن الأثير241/6].

الصفويون كذلك لهم نفس الرأي؛ فهم يرددون في نهاية صلاتهم ضاربين بأيديهم على أفخاذهم "خان الأمين - ثلاث مرات - والله ما كان الأمين أميناً"! أو أخرى "خان الأمين وصدها عن حيدره" [راجع طرائف المقال/ السيد علي البروجردي232/2].

ويقصدون بحيدرة الإمام علي. أول من طرح مسألة هذه الخيانة هي فرقة الغرابية التي شبهت النبي صلى الله عليه وسلم وعلي بن أبي طالب بغرابين! عجباً لماذا غرابين؟ قولوا طائرين جميلين! وذكر الشيخ المفيد عن علي بن إسماعيل بن عيسى، عن صفوان بن يحيى، عن رفاعة بن موسى عن أبي عبد الله عليه السلام: "أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يملي على علي عليه السلام صحيفة، فلما بلغ نصفها وضع رسول الله صلى الله عليه وآله رأسه في حجر علي، ثم كتب علي عليه السلام حتى امتلأت الصحيفة، فلما رفع رسول الله صلى الله عليه وسلم رأسه قال: من أملى عليك يا علي؟ فقال: أنت يا رسول الله! قال: بل أملى عليك جبرئيل" [الاختصاص/275].

3) عدم إكمال الرسالة النبوية:

المتفق عليه عند جميع المسلمين أن الرسول صلى الله عليه وسلم بلغ الكلام المبين للعباد كاملاً كما أنزل عليه، بدليل ما جاء في سورة المائدة: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾، وكذلك في قوله تعالى في سورة



المائدة: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ أن الله لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾، ونزلت الآية في عام الحديبية باتفاق المفسرين، وليس في حجة الوداع، كما يدعي الرافضة في حديث الغدير، ولم يكن الإمام علي في صحبة النبي صلى الله عليه وسلم بل كان مبعوثاً إلى اليمن. والفرق الزمني بين عامي الحديبية وحجة الوداع حوالي أربعة أعوام.

يقول ابن عجيبة في شرحه لحكم ابن عطاء الله السكندري: "أما واضع هذا العلم "التصوف" فقد علمه الله للنبي عبر بالوحي والإلهام، فنزل جبريل أولاً بالشريعة، فلما تقررت. نزل ثانياً بالحقيقة، فخص بها بعضاً دون بعض" [شرح الحكم العطائية/5].

إنه اتهام صريح للرسول صلى الله عليه وسلم بأنه لم يكمل الرسالة وبلغ بعضاً ما أنزل إليه، بمعنى إنه اتبع أهواءه في اختيار الآيات. ويدعي المتصوفة بأن النبي صلى الله عليه وسلم لم يكمل الرسالة السماوية لذلك فهو يأتيهم أو يزورهم في المنام، ليبلغهم الأخبار والأذكار والأوراد مكملاً رسالته النبوية. فابن عربي مثلاً زعم بأن كتابه المسمى "فصوص الحكم" قد دله عليه النبي محمد صلى الله عليه وسلم في المنام وأمره بتبليغه للناس، "فجردت القصد والنية لإبرازه كما خطه النبي صلى الله عليه وسلم من غير زيادة ولا نقصان"، لكن النبي صلى الله عليه وسلم كان أمياً! فكيف خطه؟

يدعي الصفويون بأن أن الإمامة استمرار للنبوة [للمزيد راجع كتاب عقائد الإمامية للشيخ المظفر] بمعنى أن الرسالة لم تكتمل! ويزعمون بوجود كتب الجفر وقرآن فاطمة وغيرها وهي تكمل الرسالة.

كما يعتقد الرافضة أن الرسول صلى الله عليه وسلم قد "بلغ جزءاً من الشريعة، وجعل الباقي عند علي بن أبي طالب ليبلغه" [تعليق شهاب الدين النجفي على إحقاق الحق للتستري2/ 288].

ويذكر مرجعهم المعاصر بحر العلوم: "لما كان الكتاب العزيز متكفلاً بالقواعد العامة دون الدخول في تفصيلاتها، احتاجوا إلى سنة النبي، والسنة لم يكمل بها التشريع؛ لأن كثيراً من الحوادث المستجدة لم تكن على عهده صلى الله عليه وسلم، احتاج أن يدخر علمها عند أوصيائه ليؤدوها عنه في أوقاتها" [مصابيح الأصول/4]. كما ادعى الخميني بأن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يبلغ رسالته بقوله: "من الواضح أن النبي لو كان قد بلغ بأمر الولاية طبقاً لما أمره الله، وبذل المساعي في هذا الأمر لما نشبت في البلدان الإسلامية كل تلك الخلافات والمشاحنات والمعارك، ولما ظهرت ثمة خلافات في أصول الدين وفروعه" [كشف الأسرار/155].

لقد حمل الخميني المقبور النبي صلى الله عليه وسلم خلافات الأمة والمشاحنات والمعارك، مبرئا الأئمة وأعوانهم الذين كانوا ومازالوا سبب البلوى والمحن في هذه الأمة منذ خلافة علي بن أبي طالب ولحد الآن. إن هذه الطروحات تنسف ما جاء في من سورة المائدة: ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِينًا﴾، وفي العقيدتين هناك العديد من الروايات التي تنتقص من النبي المصطفى صلى الله عليه وسلم. منها قول أمير محمد الكاظمي القزويني: "الأئمة من أهل البيت عليهم السلام أفضل من الأنبياء" [الشيعة في عقائدهم وأحكامهم/73].

4) الأحاديث المكذوبة والمنسوبة للنبي صلى الله عليه وسلم:



ذكر أحمد أمين: "أما الاحاديث الشريفة فقد جمعت في عصر التدوين "العصر العباسي الأول أي في منتصف القرن الهجري الثاني" فقد جمع الحديث في مكة ابن جريج وهو رومي الأصل. وفي المدينة محمد بن إسحاق ومالك بن أنس. وفي البصرة الربيع بن صبيح وسعيد بن أبي عروة وحماد بن سلمة. وفي الكوفة سفيان الثوري. وفي الشام الأوزاعي. وفي اليمن معمر. وفي خراسان ابن المبارك. وفي مصر الليث بن سعد. لم يبق من أعمالهم سوى "الموطأ" لمالك بن أنس" [ضحى الإسلام/2]، وهذا يعني أن كتاب مالك هو الأصل لأنه الأقدم.

من الأمور البشعة أن تنسب لإنسان ما لم يتحدث به، فتلك جناية سيما إذا كان الغرض من الادعاء المنسوب تحقيق مصلحة ذاتية أو جماعية. ويأخذ الحال شأواً أبعد عندما يتعلق الأمر بالنبي محمد صلى الله عليه وسلم؛ لأن الإسلام بني على القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، والطعن في الأحاديث هي محاولة خطيرة وخسيسة لتدمير الركيزة الثانية في الصرح الإسلامي العالي. وقد جاء في الحيث النبوي الشريف عن أنس بن مالك: **«من تعمد علي كذباً، فليتبوأ مقعده في النار»** [أخرجه مسلم]. وأيضاً الحديث النبوي الذي رواه الإمام علي بن أبي طالب: **«لا تكذبوا علي! فإن من يكذب علي يلج النار»** [أخرجه مسلم].

والحقيقة أن المحاولات الشعوبية للطعن بالأحاديث النبوية الشريفة ليست حالة جديدة في التأريخ الإسلامي، وقد ساعد عدم تدوين الأحاديث النبوية في زمن الرسول صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين على التلاعب بها وتحريفها، سيما أنها دونت بعد موت الصحابة. لاحظ حتى كتاب مالك لم يشفع له! فقد نسبوا لمالك أحاديث كاذبة، علمنا أن له كتاب واضح وأمين، ولا توجد فيه الأحاديث المنسوبة له زوراً! أليس من يريد أن يحاجج مالك أن يرجع إلى كتابه الموطأ، بدلاً من الإعتماد على ما نسب إليه؟

بذل العلماء الأخيار جهوداً حثيثة لتنقية الأحاديث من شوائب الشعوبية، فقد ذكر ابن كثير: "جمع البخاري (2762) حديثاً غير مكرر من مجموع (200000) حديث. أما تلميذه مسلم فقد جمع (4000) حديث غير مكرر" [الباعث الحثيث في شرح اختصار علوم الحديث]. وبذلك يكون الفارق بين الصحيحين (1238) ويتبين من هذا كثرة الأحاديث الضعيفة والباطلة! من المعروف أن الأحاديث النبوية تقسم إلى ثلاثة أقسام كما صنفها محمد فؤاد شاكر:

أولها: الأحاديث المتواترة: وتعني مارواه الصحابة والجيل الذي تلاهم "التابعين"، وجيل تابعي التابعين "الجيل الثاني بعد الصحابة".

ثانيها: الأحاديث المشهورة: وهي أحاديث رواها صحابي أو مجموعة منهم ولم تبلغ حدود التواتر من، ثم رواها في عصر التابعن وعصر تابعي التابعين فبلغت حد التواتر.

ثالثها: أحاديث الآحاد: لم تبلغ حدود التواتر لا في عهد الصحابة، ولا في عهد التابعين، لذلك فإنها غير مبنية على اليقين وإنما الظن، حديث رواه واحد عن واحد ... الخ" [حديث الآحاد ومكانته في السنة].

ضمت أمهات كتب الصوفية عدداً هائلاً من الأحاديث النبوية الكاذبة والضعيفة، ومنها كتاب إحياء علوم الدين لأبي حامد الغزالي، وقد تحدث أبو بكر الطرطوشي عن الكتاب بقوله: "شحن كتابه بالكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم وما على بسيط الذكر أكثر كذباً منه" [راجع كتاب الرسائل/



عبد اللطيف آل الشيخ137/3]. وهو نفس رأي الإمام الذهبي حيث قال: "فيه من الأحاديث الباطلة جملة" وكذلك كتاب قوت القلوب لأبي طالب المكي الذي وصفه ابن كثير بقوله: "ذكر فيه أحاديث لا أصل لها، بدعه الناس وهجروه" [البداية والنهاية319/11].
فمن تلك الأحاديث الباطلة عند المتصوفة: "ما أنزل الله عز وجل آية إلا لها ظهر وبطن، ولكل حرف حد، ولكل حد مَطلع " [رواه أبو عبيد في فضائله]. ومنها الحديث الذي استشهد به ابن عربي: "زدني فيك تحيراً" الذي قال عنه شيخ الإسلام ابن تيمية: "لم يروِ هذا الحديث أحد من أهل العلم بالحديث، ولا هو في شيء من كتب الحديث، ولا في شيء من كتب من يعلم الحديث، بل ولا من يعرف الله ورسوله" [مجموعة الرسائل والمسائل45/4].
وفي محاولة يائسة من شيخهم علي الهجويري لإثبات وجود التصوف في زمن النبي محمد صلى الله عليه وسلم نسب للنبي صلى الله عليه وسلم الحديث: "من سمع صوت أهل التصوف ولا يؤمن على دعائهم، كتب عند الله من الغافلين" [كشف المحجوب]. ونسب أيضاً للنبي صلى الله عليه وسلم: "عليكم بلباس الصوف، تجدون حلاوة الإيمان في قلوبكم" [كشف المحجوب للهجويري241/1]. وآخر: "بطن جائع أحب إلى الله من سبعين عابداً غافلاً" [كشف المحجوب للهجويري569/2]. ومنها ما نبه عليه شيخ الإسلام ابن تيمية: "كنت نبياً وآدم بين الماء والطين" [الرد على البكري/9]. حيث يعني أن خلق النبي صلى الله عليه وسلم سبق خلق أبو البشرية آدم عليه السلام. أي الابن يسبق ولادة الأب! وكذلك الحديث الذي أشار إليه الملا علي قاري: "كنت أول النبيين في الخلق وآخرهم في البعث" [الأسرار المرفوعة/271].
كما نسب السهروردي [عوارف المعارف] هذا الحديث للنبي صلى الله عليه وسلم: "خيركم بعد المائتين رجل خفيف الحاذ. قيل: وما خفيف الحاذ يا رسول الله؟ قال: الذي لا أهل له ولا ولد"، ونسب الشيخ بدر السرهندي للنبي صلى الله عليه وسلم الحديث: "رأيت ربي في سكك المدينة على صورة شاب أمرد" [حضرات القدس]. كما نسبوا له حديث: "لو أحسن أحدكم ظنه بحجر لنفعه"، وآخر ذكره أبو طالب المكي: "البسوا الصوف وشمروا، ولوا في أنصاف البطون، تدخلوا ملكوت السما" [قوت القلوب]. ونسب الجرجاني في تعريفه للفلسفة الحديث التالي للنبي صلى الله عليه وسلم: "تخلقوا بأخلاق الله" [التعريفات/37]. ولا أصل لهذا الحديث في الصحاح والسنن. وقد أورده الغزالي أيضاً: "حتى قيل تخلقوا بأخلاق الله"، ولكن الغزالي لم ينسبه للنبي صلى الله عليه وسلم [إحياء علوم الدين324/4]. وكذلك فعل الكاشاني في كتابه [اصطلاحات الصوفية].
بقدر تعلق الأمر بالصفويين فإن معظم أحاديثهم عن النبي صلى الله عليه وسلم لا صحة لها، فهي أما تتعارض مع القرآن الكريم، أو مع أحاديث أهل السنة، أو لا تستقيم مع سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم وزمن الحديث ومكانه، أو أنها لا تتوافق مع قيم الإسلام ومبادئه السمحاء، أو أنها تتعارض مع العقل والمنطق السليم. مما حدا بشيخ الإسلام ابن تيمية أن يصفهم بقوله: "يسقون الناس شراب الكفر في آنية الأنبياء"، قال شيخهم المعاصر عبد الله فياض: "إن الاعتقاد بعصمة الأئمة جعل الأحاديث التي تصدر عنهم صحيحة دون أن يشترطوا إيصال سندها إلى النبي صلى الله عليه وسلم، كما هو الحال عند أهل السنة" [تاريخ الإمامية/140]. هو يعترف بأنه لا سند لأحاديثهم، ولمعرفة



مستوى التشويه في الأحاديث النبوية، يمكن استنتاجه من قول المازندراني في شرحه لكتاب الكافي: "يجوز من سمع حديثاً عن أبي عبد الله رضي الله عنه أن يرويه عن أبيه أو عن أحد من أجداده، بل يجوز أن يقول: قال الله تعالى" [شرح جامع على الكافي272/2].

وهذا ما كرره مرجعهم محمد تقي الحكيم بزعمه: "ألحق الشيعة الإمامية كل ما يصدر عن أئمتهم الاثنا عشر من قول أو فعل أو تقرير بالسنة الشريفة" [سنة أهل البيت/9].

سنأخذ نماذج منها:

فقد نسب الكليني حديثاً للنبي صلى الله عليه وسلم يقول فيه: "يا علي! من زارني في حياتي أو بعد مماتي، أو زارك في حياتك أو بعد موتك، أو زار ابنيك في حياتهما أو بعد موتهما. ضمنت له يوم القيامة، وأن أخلصه من أهوالها وشدائدها، حتى أصيره معي في درجتي" [الكافي580/4].

ونسب موسى بن جعفر الصادق للنبي صلى الله عليه وسلم الحديث: "لا تستخفوا بفقراء شيعة علي، فإن الرجل منهم يشفع بعدد ربيعة ومضر" [بحار الأنوار59/8].

كما نسب مفسرهم القمي إلى النبي صلى الله عليه وسلم الحديث: "من تمتع مرة أمن سخط الجبار، ومن تمتع مرتين حُشر مع الأبرار، ومن تمتع ثلاث مرات زاحمني في الجنان" [من لا يحضره الفقيه366/3].

والحمد لله لا يفكر أهل السنة بمزاحمة نبيهم المصطفى في الجنان! ونسب البهائي في الكشكول حديثا جاء فيه: "لا تقوم الساعة على أمتي حتى يخرج قوم من أمتي اسمهم الصوفية، ليسوا مني وإنهم يهود أمتي" واضح كذب الحديث، فلم تقم الساعة على أمة محمد صلى الله عليه وسلم كما ادعى البهائي. كما أن هذا الحديث يتناقض مع قصة القائم حيث تمتليء الدنيا جوراً وليس تصوفاً لتقوم الساعة!

ذكر محمد بن علي بن شاذان بسنده عن علي بن أبي طالب قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "يا علي! أنت أمير المؤمنين، وإمام المتقين. يا علي! أنت سيّد الوصيين، ووارث علوم النبيين وخير الصديقين، وأفضل السابقين. يا علي! أنت زوج سيدة نساء العالمين، وخليفة خير المرسلين. يا علي! أنت مولى المؤمنين. يا علي! أنت الحُجّة بعدي على النّاس أجمعين، استوجب الجَنّة من تولاّك، واستحق النّار من عاداك. يا علي! والذي بعثني بالنبوة، واصطفاني على جميع البرية، لو أن عبداً عبد الله ألف عام - وفي حديث آخر - ثم ألف عام ما قُبل ذلك منه إلاّ بولايتك، وولاية الأئمة من ولدك، فإن ولايتك لا يقبل الله تعالى إلاّ بالبراءة من أعدائك، وأعداء الأئمة من ولدك، بذلك أخبرني جبرائيل" [المناقب المائة/ المنقبة التاسعة/6].



5) علوم النبي صلى الله عليه وسلم محدودة

يذكر ابن عربي: "أن الولي يعلم علمين بخلاف النبي، فإنه لا يعلم إلا علماً واحداً فقط، وأن الولي يعلم علمين: علم الشريعة وعلم الحقيقة، أي الظاهر والباطن، والتنزيل والتأويل؛ حيث أن الرسول من حيث هو رسول ليس له علم إلا بالظاهر والتنزيل والشريعة، فإذا رأيت النبي يتكلم بكلام خارج عن التشريع فمن حيث هو ولي عارف؛ ولهذا مقامه من حيث هو عارف أتم وأكمل من حيث هو رسول أو ذو تشريع وشرع" [فصوص الحكم145/1].

ويذكر البسطامي: "تالله إن لوائي أعظم من لواء محمد" [لطائف المنن/125]. ويضيف أبو يزيد البسطامي: "لوائي من نور تحته الجان والإنس كلهم من النبيين" [شطحات الصوفية لبدوي/143].

ومنه ما ذكره الشيخ المناوي البسطامي بأنه خاطب علماء الدين: "أخذتم علمكم ميتاً عن ميت، وأخذنا علمنا عن الحي الذي لا يموت" [الكواكب الدرية/246] ويقول أيضاً: "خضنا بحراً وقف الأنبياء بساحله" [جواهر المعاني63/2].

أما الرافضة فإنهم اعتبروا الإمامة أعلى من النبوة، وهذا يعني بالنتيجة أن الأئمة أعلم من الأنبياء، فقد ذكر المجلسي: "الإمامة أعلى مرتبة من النبوة" [حياة القلوب10/3].

وعن أبي عبد الله قال: "والله لقد أعطينا علم الأولين والآخرين. فقيل له: أعندك علم الغيب؟ فقال له: ويحك! إني لأعلم ما في أصلاب الرجال وأرحام النساء" [بحار الأنوار27/26].

وذكر الكليني: "أن الأئمة يعلمون علم ما كان وما يكون، وأنه لا يخفى عليهم شيء. عن أبي عبدالله عليه السلام أنه قال: إني لأعلم ما في السماوات وما في الأرض وأعلم ما في الجنة وما في النار، وأعلم ما كان وما يكون" [أصول الكافي/160]. وقوله: "إن الأئمة يعلمون متى يموتون، وأنهم لا يموتون إلا باختيارهم، قال أبوعبدالله عليه السلام: أي إمام لا يعلم ما يصيبه فليس ذلك بحجة لله على خلقه" [أصول الكافي/158]. وقوله: "إن الأئمة لو ستر عليهم لأخبروا كل امرئ بما له وما عليه، قال أبوجعفر عليه السلام: لو كان لألسنتكم أوكئة لحدثت كل امرئ بما له وعليه" [أصول الكافي/193].

النتيجة التي تخرج بها من هذه الأحاديث هي: أن علوم الأئمة أكثر من علوم النبي صلى الله عليه وسلم قوة وتنوعاً!



6) المولد النبوي قصة مشتركة

قال المقريزي موضحاً أصل بدعة الاحتفال بالمولد النبوي: "أول من أقام المولد النبوي هم العبيديون، وقد ابتدعوا فيه عدة بدع؛ فهم يحتفلون فيه احتفالاً صاخباً، ويوزع فيه الحلوى والكعك، وتوزع هذه الحلوى على المشاهد والقراء والفقراء، ثم تقرأ الحضرة بحضرة الوالي، وتوزع الأموال، ثم يخطب فيهم الخطيب إلى أن يصل إلى ذكر النبي صلى الله عليه وسلم فيقول: وإن هذا يوم مولده إلى ما من الله به على ملة الإسلام من رسالته، ثم يختم كلامه بالدعاء للخليفة، ثم ينصرف الوالي وينصرف الناس" [الخطط المقريزية490/1].

وقيل إن الغرض من الاحتفال بالمولد النبوي هو للترحيب بالنبي صلى الله عليه وسلم، فقد ذكر الشيخ محمد علوي المالكي: "يعتقد بعض الصوفية أن النبي صلى الله عليه وسلم يحضر بجسده الشريف مجلس الاحتفال، وقد يوضع له البخور والطيب على أساس أنه يتبخر به ويتطيب، كما يوضع له الماء على أساس أنه يشرب منه، لذا يتبركون بهذا الماء بعد انتهاء المولد" [الاحتفال بالمولد/24].

وفي الوقت الذي ترك الرافضة الاحتفال بالمولد النبوي، لأنهم انشغلوا بولادات ووفيات أئمتهم علاوة على المراسيم التي لا تعد ولا تحصى، استمر المتصوفة على إقامة المراسم للاحتفال بالمولد النبوي.



7) التهكم على النبي صلى الله عليه وسلم بالروايات والأحاديث

نسب القمي إلى النبي صلى الله عليه وسلم بأنه دخل عليه ملك له (24) وجهاً فقال النبي: "حبيبي جبريل، لم أرك في مثل هذه الصورة. فقال الملك: لست بجبرائيل. أنا محمود، بعثني الله عز وجل أن أزوج النور من النور. قال النبي صلى الله عليه وسلم: مَن مِن مَن؟ قال: فاطمة من علي" [معاني الأخبار/103].

يلاحظ:

أولاً: أن النبي صلى الله عليه وسلم لا يعرف الغيب لذلك تساءل عن الزوج والزوجة؟

ثانياً: أنه لم يميز بين جبرائيل ومحمود؟

ثالثاً: أن النبي صلى الله عليه وسلم كأب لفاطمة لم يؤخذ رأيه في زواج ابنته.

رابعاً: أن هذا الزواج تم بين نورين وليس بين بشر. وأنه زواج قرره الله وليس الزوج والزوجة.

خامساً: أن الملك صاحب (24) وجه! ولم يتوصل العلم لحد الآن لهكذا أبعاد! وما حاجة الملك ل(24) وجه؟ هل للتقية أيضاً؟

سادساً: أن فاطمة لم تكن راغبة أصلاً بالزواج من علي بسبب فقره ومظهره، فقد كان أصلعاً، عظيم البطن، وقصير القامة، وكثيف الشعر واللحية.

عن الحسن البصري: "شرب من جرة النبي صلى الله عليه وسلم في بيت أم سلمة، فقال: من شرب من هذا الماء؟ فقيل الحسن. فقال النبي: سيسري إليه من علمي بقدر ما شرب! [تذكرة الأولياء للعطار22/1].

وفي هذه الرواية تناقض واضح:

أولاً: أن النبي صلى الله عليه وسلم لا يعلم الغيب طالما سأل عمن شرب من جرته!

ثانياً: أن النبي صلى الله عليه وسلم يعلم الغيب لأنه عرف بنقص الماء، مع أن الجرة من الفخار وليس الزجاج؟ الأهم من هذا ما علاقة الماء بالعلم؟ وإن كان الحديث صحيحاً لماذا لم يسرِ العلم على أزواجه ممن يشربن من نفس الجرة؟

ثالثا: ولد البصري ولد عام (22هـ) أي بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم بأحد عشر عاماً؛ فكيف شرب من جرة النبي صلى الله عليه وسلم؟ وهذا غيض من فيض.

وفيما يتعلق بالمتصوفة، يذكر الشيخ العز بن عبد السلام عن أبي طالب المكي بأن رجلاً دخل على النبي صلى الله عليه وسلم وعنده "قوم يقرؤن القرآن وآخرون ينشدون الشعر، فقال للنبي: قرآن وشعر! فأجابه النبي صلى الله عليه وسلم: من هذا مرة، ومن هذا مرة" [حل الرموز ومفاتيح الكنوز/63].

كما يدعي السهروردي بأن النبي صلى الله عليه وسلم قد أباح العزوبة لأمته: "سمعنا عن الجيلي أن بعض الصالحين قال له: لم تزوجت؟ فقال: ما تزوجت حتى قال لي رسول الله، فقال له: الرسول يأمر بالرخص، وطريق القوم: التزم بالعزيمة" ويذكر ابن عجيبة: "ما قيل في النبي يقال في الولي" [الفتوحات الإلهية/264].



ويدعي ابن سبعين: "لقد كذب ابن أبي كبشة - يقصد النبي صلى الله عليه وسلم - عندما قال: **«لا نبي بعدي»** انظر إلى الإسفاف وسوء الأدب!

ويذكر أحد شيوخهم بأنه رأى النبي صلى الله عليه وسلم في منامه فسأله: أتحبني؟ فرد الشيخ: "اعذرني! فحب الله قد شغلني عنك"، فلم يرى النبي مندوحة من إيجاد مخرج من الحرج فقال للشيخ: "من أحب الله فقد أحبني" [تذكرة الأولياء41/2] نفس الحديث يتكرر، لكن مع رابعة العدوية وليس الشيخ المجهول!

لنستمع إلى الرد على هولاء الأئمة والشيوخ من رجل نصراني وليس مسلماً وهو كارين أرمسترونج: "لقد وجدت النبي محمد شخصية مثالية، ولديه دروس مهمة ليست فقط للمسلمين، وإنما للعالم كله" [كتاب محمد نبي هذا العصر] بلا تعليق!



5) أبواب الجنة والنار بيد الأئمة والشيوخ!

جاء في سورة الممتحنة: ﴿إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ [الممتحنة:4]، وفي سورة الأعراف يأمر الله نبيه صلى الله عليه وسلم أن يخاطب الناس بقوله: ﴿قُلْ لا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعاً وَلا ضَرّاً إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ﴾، لكن الشعوبيين كالعادة أدخلوا الأئمة والشيوخ في هذه المسألة كشركاء لله تعالى في خاصية مميزة وهي حكم الجنة والنار، وليس بصفة الشفاعة وإنما بصفة اتخاذ القرار، والأمر كما في قول البسطامي، الذي أشار إليه ماسينيون: "مر أبو يزيد على مقبرة يهود فقال: ما هؤلاء حتى تعذبهم؟ كُف! عظام جرت عليهم القضايا. اعف عنهم!" [مجموع نصوص غير منشورة لماسنيون/31]، يا للصفاقة! إنه يأمر الله تعالى ولا يستسمحه بالعفو!

ذكر المجلسي في البحار: "أن علياً يدخل الجنة من يشاء، ويدخل النار من يشاء"، وفي تفسير الفرات للكوفي وبحار المجلسي ورد: "إن الديان يوم القيامة ليس الله. وإنما علي بن أبي طالب"، وفي رجال الكشي جاء: "إن الإمام يستطيع أن يضمن الجنة لمن يشاء"، وفي شرح إحقاق الحق للمرعشي نُسب للإمام علي: "أنا الذي بيدي مفاتيح الجنان ومقاليد النيران".

الأغرب منه ما ورد في كتاب علل الشرائع، فقد نسب لأبي عبد الله: "إذا كان يوم القيامة وضع منبراً يراه جميع الخلائق يقف عليه رجل يقوم ملك عن يمينه وملك عن يساره، فينادي الذي عن يمينه يقول: يا معشر الخلائق هذا علي بن أبي طالب صاحب الجنة يدخل الجنة من يشاء، وينادي الذي عن يساره: يا معشر الخلائق هذا على بن أبي طالب صاحب النار يدخلها من يشاء"! كأننا نحصر مزاداً علنياً! حسنا ما الذي أبقاه الإمام علي ـ حاشاه من ذلك الإفك المبين ـ لله تعالى؟ أليست هذه وسوسة من الشيطان؟

وذكروا بسذاجتهم المعهودة بأن "حلقة باب الجنة من ياقوتة حمراء على صفائح الذهب، فإذا دقت الحلقة على الصفيحة طنت وقالت: يا علي" [روضة الواعظين111/1]. كأنهم يتحدثون عن قصر ملكي وليس جنة عرضها السموات والأرض!

كما نُسب للإمام الحسن بن علي القول: "إن حبنا ليساقط الذنوب من بني آدم كما تساقط الريح الورق من الشجر" [اختبار معرفة الرجال للكشي/117].

ونسب لجعفر للصادق القول: "إلينا الصراط، وإلينا الميزان، وإلينا حساب شيعتنا، والله إننا لكم أرحم من أحدكم بنفسه" [المصدر السابق/337]. الحمد لله حساب أهل السنة ليس بيدهم!

كما جاء في بصائر الدرجات عن جعفر الصادق هذا القسم العجيب: "أما والله لا يدخل النار منكم اثنان. لا والله ولا واحد"، بما معناه: مهما فعلتم من ذنوب وكبائر وحتى شرك بالله فالجنة مأواكم! فقسم الصادق لا يختلف عن مفاتيح الجنة التي وزعها دجال قم الخميني على الأطفال في حربه على العراق ليفتحوا ثغرات في حقول الألغام. لكن لماذا يقسم الإمام كذباً؟ ونتساءل من أنى للصادق هذه القدرة الإلهية؟ لعل هذا ما شرحه الكليني بحديث منسوب للصادق نفسه: "قد ضمنا لكم الجنة بضمان الله عز وجل، وضمان رسوله" [روضة الكافي180/8].



يبدو أن الصادق لم يضمن الجنة لشيعته فحسب بل لمن أحبهم أيضاً، حتى لو كان على غير دين أو مذهب! حيث خاطب شيعته: "من أحبكم على ما أنتم عليه دخل الجنة، وإن لم يقل كما تقولون" أهذه جنة الله أو روضة للصادق يدخل فيها من يشاء؟ أليس هذا الشرك يوجب حكم الردة عليه، لكونه يتجاوز على الله وقدراته وصلاحياته ويكذب على الله وعلى الناس؟ أليست هذه الطريقة هي نفسها التي اتبعتها الكنيسة في توزيع صكوك الغفران على النصارى؟

لا حدود لتخاريفهم أبداً! فالجنة كما يزعمون خُلقت من نور الحسين: "أن الله خلق الجنة من نور الحسين" [المعالم الزلفى/249]. وأن "الإمام يستطيع أن يضمن الجنة لمن يشاء" [رجال الكشي ص431]. و"الآخرة للإمام يضعها حيث يشاء ويدفعها إلى من يشاء" [الكافي 409/1]. وأن الله أمهر فاطمة الجنة والنار وربع الأرض" [المعالم الزلفى ص 249] وهنا نقع في حيرة إن كان مهرها ربع الأرض! فلماذا خاصمت أبي بكر الصديق رضي الله عنه على قطعة أرض تافهة ليست بذات أهمية؟

وينسب للصادق القول: "لقد مات الرسول وهو ساخط على أمته إلا الشيعة"، حديث خبيث تفوح منه رائحة الدس الصفوي والافتراء على الرسول صلى الله عليه وسلم والإمام الصادق نفسه ـ حاشاه من هذا الافتراء المقيت ـ هل مات الرسول فعلاً ساخطاً على أمته؟ وعلى ماذا سخطه؟ على نجاح رسالته ونشر الإسلام؟ أم على إكمال الدين؟ أم على توحيد العرب تحت راية الإسلام؟ وهل كان هناك شيعة في زمنه واسترضوه؟ ومن البقية الذين سخط عليهم النبي صلى الله عليه وسلم؟ أهل السنة أم هناك فرق أخرى؟ أليس هذا الحديث يعني فشل النبي صلى الله عليه وسلم ـ معاذ الله ـ من توحيد المسلمين في زمنه فتشتتوا إلى نحل وملل وهو عائش بينهم؟ فكيف الحال بعد موته؟ لا نفهم كيف تنسب كل تلك الأكاذيب لإمام يصفونه بالصادق! فإن كان الصادق هكذا فما بالك بالكاذب؟ وهل هذه أخلاق الحفيد التي يجازي بها جده المصطفى. ألا بئس الخلف غير البار!

سار المتصوفة على نفس درب الضلال، فأحاطوا شيوخهم بهالة من القدسية الفارغة والمغالاة فيها. إنهم من جهة يسخرون من الجنة، ومن جهة أخرى يمنحون شيوخهم مفاتيحها! فقد ذكر البسطامي: "لله عباد لو بدت له الجنة بزينتها لضجوا منها، كما يضج أهل النار من النار" [النور من كلمات ابن طيفور للسهلجي/147].

وقال إبراهيم بن أدهم: "اللهم إنك تعلم أن الجنة لا تزن عندي جناح بعوضة"! يا لرخصها ليس بعوضة بل جناحها! ربما النار تزن عنده وزناً كبيراً! [راجع جمهرة الأولياء لأبي الفيض المنوفي الحسيني130/2].

ويذكر مطرف بن عبد الله بأنه لو خُير بين الجنة والنار أو أن يصير تراباً "لاخترت أن أصير تراباً" [الطبقات للشعراني33/1]، لماذا إلى التراب والنار تشتاق إليك يا شيخ؟

وذكر محمد العربي السائع العمري التجاني: "أما الكرامة الثالثة للشيخ أحمد بن محمد التجاني فهي دخول الجنة لمن رآه رضي الله عنه في اليومين الاثنين والجمعة، فهي من كراماته رضي الله عنه" [بغية المستفيد/ 216]. وهو نفس قول الإمام علي كما جاء في أحد خطبه السابقة الذكر: "أنا الذي بيدي مفاتيح الجنان ومقاليد النيران".



كما يذكر علي حرازم عن الشيخ أبي العباس التيجاني أن النبي صلى الله عليه وسلم أخبره: "كل من أحب التيجاني فهو حبيب النبي صلى الله عليه وسلم، ولا يموت حتى يكون ولياً قطعاً"، ومرة أخرى يدعي أن النبي صلى الله عليه وسلم التقى به يقظة لا مناماً ولا رؤية، وقال له: "كل من أحسن اليك بخدمة أو غيرها أو أطعمك، يدخلون الجنة بلا حساب ولا عقاب"! لاحظ أنها حيلة ماكرة لاستجداء الطعام من الناس! وقد اشتهر العارف "أبو الذبيح إسماعيل بن محمد الحضرمي" بقوله المأثور: "من قبل قدمي دخل الجنة"! وكان كبار القوم وصغارهم وعلماؤهم وشيوخهم يتسابقون "ماراثون" لتقبيل قدمه القذرة! إذن الفرائض وأعمال البر والتقوى والإيمان الصحيح والابتعاد عن المحرمات والكبار اختصرت جميعاً بقدم الشيخ!

ويذكر الشيخ إبراهيم الدسوقي: "بيدي أبواب النار أغلقتها، وبيدي جنة الفردوس فتحتها. من زارني أسكنته جنة الفردوس" [كتاب الطبقات للشعراني153/1]. كأن الشيخ بواب عمارة!

ويتساءل أبو زيد البسطامي: "ما النار؟ ويجيب على سؤاله: والله لئن رأيتها لأطفئتها بطرف مرقعتي" [كتاب تلبيس إبليس لابن الجوزي].

ويذكر شيخ الصوفية محمد عثمان الميرغني: "من رآني، ومن رأى من رآني إلى خمسة لا تمسه النار" [كتاب تاج التفاسير لمحمد عثمان الميرغني/4]. حسناً! لقد رأى أبو لهب وأبو جهل النبي صلى الله عليه وسلم؛ فهل هذا يعني بأنهم لن يدخلوا النار؟

يذكر الشيخ عطار النيسابوري [في كتابه تذكرة الأولياء] بأن شمعون المجوسي "وضع يده في النار فلم تحترق فأسلم، فكتب له الحسن البصري كتاباً ضمن له الجنة، فأمضى الله ما كتبه الحسن ونفذه" ولم يخبرنا البصري لمن عَنونَ كتابه المذكور لله تعالى أم للملائكة؟ كما أن شمعون عندما وضعه يده في النار كان مجوسياً! فلماذا يسلم طالما كرمت النار عابد النار؟ هل هذا الحديث فيه مدح للمجوسية أم للإسلام؟ تعالى الله عن سفاهاتهم. يذكر الشيخ أحمد التيجاني: "ليس لأحد من الأولياء أن يدخل كافة أصحابه الجنة بغير حساب ولا عقاب إلا أنا وحدي، بلغوا، بلغوا، ما بلغو من الذنوب" [كشف الحجاب/273]. ويذكر أحمد الصياد: "والله إني لأعرف الجنة قصراً قصراً، وأعرف النار حانوتاً حانوتاً، وأعرف أصحابها في الدنيا واحداً واحداً" [نشر المحاسن/176]. قد عرفناها قصوراً ولكن حوانيتا! كيف يا شيخ هل أنت في سوق؟

في الوقت الذي يذكر فيه البسطامي: "ما الجنة؟ لعبة صبيان" [مجموع نصوص غير منشورة/30].

تجده في الأحاديث القادمة في قمة الإيمان مما يكشف دجلهم بفعل التناقضات العجيبة، ومنها للبسطامي نفسه:

قال: "لست أتعجب من حبي لك فأنا عبد فقير، ولكني أتعجب من حبك لي وأنت ملك قدير" [شطحات الصوفية لبدوي/156]، وقال: "المحبة هي أن تستقل الكثير من نفسك، وأن تستكثر القليل من حبيبك" [شطحات الصوفية لبدوي/211]. وقال: "هذا فرحي بك أنا أخافك؛ فكيف فرحي بك إذا أمنتك" [شطحات الصوفية لبدوي/225]. وآخر: "كان أبو يزيد إذا ذكر الله عز وجل يبول الدم" [شطحات الصوفية لبدوي/161]. وفي رواية أخرى تناقضها تماماً: "إن البسطامي صعد على سور بسطام مجتهداً أن يذكر الله فلم يقدر لجلال هيبته، فلما طلع الفجر نزل فبال الدم" [شطحات الصوفية لبدوي/204].



بلا أدنى شك البسطامي هو سلطان الكفر والبدع ومع هذا يحذر الناس منها! حيث يقول: "تقول الناس أن شهادة لا إله إلا الله هي مفتاح الجنة وقد صدقوا، لكن لا يفتح المفتاح إلا بمغلاق ومغلاق لا إله إلا الله أربعة أشياء: لسان بغير كذب ولا غيبة، وقلب بغير مكر ولا خيانة، وبطن بغير حرام ولا شبهة، وعمل بغير هوى ولا بدعة" [شطحات الصوفية لبدوي/111]. متاهات في متاهات لا تخرج منها بفائدة.



6) المعجزات والكرامات

المعجزة في اللغة مشتقة من العجز أي الضعف، وعجز عجزًا من باب تعب، وأعجزه الشيء فاته وأعجزت زيدًا وجدته عاجزًا وعجزته تعجيزًا جعلته عاجزًا، وعاجز الرجل إذا هرب فلم يقدر عليه، ومعنى الإعجاز: الفوت والسبق. يقال عجز عن الأمر إذا قصر عنه، كما جاء في سورة المائدة: ﴿أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِيَ سَوءَةَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ﴾، وفي سورة التوبة: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِى اللهِ﴾.

يعرف الماوردي المعجزة بقوله: "هي ما خرق عادة البشر من خصال لا تستطاع إلا بقدرة إلهية تدل على أن الله تعالى خصه بها تصديقاً على اختصاصه برسالته، فيصير دليلاً على صدقه في ادعاء نبوته إذا وصل ذلك منه في زمان التكليف، وأما عند قيام الساعة إذا سقطت فيه احوال التكليف فقد يظهر فيه من أشراطها ما يخرق العادة فلا يكون معجز المدعي نبوة" [أعلام النبوة للماوردي/58].

وذكر البغدادي بأن حقيقة المعجزة على طريق المتكلمين هي: "ظهور أمر خارق للعادة في دار التكليف لإظهار صدق ذي نبوة من الأنبياء، أو ذي كرامة من الأولياء، مع من يتحدى به عن معارضة مثله" [أصول الدين/170].

وذكر الزرقاني: "أن المعجز أمر خارق للعادة يعجز البشر متفرقين ومجتمعين على الإتيان بمثله" [مناهل العرفان في علوم القرآن].

وضع العلماء شروطاً للمعجزة:

أولاً: أن يكون مبعثها الله تعالى.

ثانياً: أنها خارقة للعادة وغير ما اعتاد عليه الناس من سنن الكون والظواهر الطبيعية.

ثالثاً: أن تكون المعجزة قولاً أو فعلاً مقرونة بالتحدي للمكذبين أو الشاكين.

رابعاً: أن تكون بدعوة من رسول ونبي فقط، وموافقة للدعوى.

خامساً: أن تكون سالمة عن المعارضة والسحر والكذب والافتراء، فمتى أمكن أن يعارض هذا الأمر ويأتي بمثله، بطل أن تكون معجزة.

الخلاصة: أن المعجزة أمر يجريه الله على يدي الرسل الأنبياء، ويكون على خلاف ما اعتاده الناس من سنن الكون وقوانينه، والغرض منها هو إثبات صدق نبوتهم. مثل تحول عصا النبي موسى إلى حية، وانشقاق القمر للنبي محمد صلى الله عليه وسلم. في حين تعد الكرامة حالة يجريها الله تعالى على أيدي الصحابة والأولياء كموضوع سارية الجبل مع أمير المؤمنين عمر الفاروق. وهي تخالف ما تعارف عنه الناس من نظام أو سنن ونواميس الطبيعة مثل ولادة مريم العذراء للسيد المسيح وجلب ثمار الشتاء صيفاً؛ لذا فالمعجزة حالة وقتية محددة في ظرف مكاني وزماني معين استوجبتها ظروف استثنائية وهي تخص الرسل والأنبياء فقط. أما الكرامة فتخص الأولياء وحالتها أيضاً وقتية، لكنها قد لا تكون مستوجبة الحدوث عند توفر نفس ظروف. وإذا اعتبرت الكرامة معجزة، فإن مدعيها يكون قد كفر لأنه بذلك يدعي النبوة.



يلاحظ أن ما يسمى معجزة عند الأنبياء والأئمة تدعى كرامة عند الأولياء مع أن الاختلاف هو في الكلمة وليس الفعل، أي الكرامة في حقيقتها لا تختلف عن المعجزة وربما تتجاوزها قوة وغرابة، المتصوفة أكثر حرصاً من الصفويين من ناحية التسمية "كرامة" وليس "معجزة"؛ لأنهم أيضاً يرتقون بكرامات شيوخهم إلى مستوى المعاجيز عند الأئمة، كالعروج للسماء، وإحياء الموتى وعلم الغيب وغيرها. فسموها كرامات، بينما أصر الصفويون على اعتبارها معاجيز كما هو واضح في عناوين كتبهم، ووصفهم لمعاجيز أئمتهم.

صنف السفاريني الخوارق إلى ستة أصناف: المعجزة والإرهاص والكرامة والاستدراج والمعونة والإهانة. واعتبر الكرامة أمر خارق للعادة غير مقرون بدعوى النبوة، يقوم به رجل صالح ذو اعتقاد صحيح [لوامع الأنوار البهية290/2]. ويذكر عبد القاهر البغدادي [أصول الدين/174] بأن كلاهما متساوية في كونها ناقضة للعبادات. موضحاً بأن الفرق بين المعجزة والكرامة: أن صاحب المعجزة يفصح عنها علناً متحدياً من لا يصدقه، في حين يجتهد صاحب الكرامة في كتمانها. وكرامات الأولياء كثيرة تقف بخجل وتواضع أمامها معاجيز كل الرسل والأنبياء.

يتساءل تاج الدين السبكي: "ما بال الكرامات في زمن الصحابة وإن كثرت في نفسها قليلة بالنسبة لكرامات الأولياء"؟ وقد شخص الإمام أحمد بن حنبل العلة بقوله: "لأن الصحابة كان إيمانهم قوياً، فلم يحتاجوا إلى زيادة يقوى بها إيمانهم، وغيرهم ضعيف الإيمان في عصره، فاحتاج إلى تقوية إيمانه بإظهار الكرامة" [مدارج السالكين5/1].

المعجزة عند الصفويين كما عرفها مرجعهم الطوسي هي الأمر الخارق للعادة، يأتي بها مدعي النبوة بإرادة الله، وتكون دليلاً على صدق دعواه، وهي تستلزم شروطاً هي: أن تكون خارقة للعادة، وأن تكون من فعل الله تعالى أو جارية مجرى فعله، أن تتعذر على الخلق جنسه أو صفته المخصوصة، وأن تتعلق بالمدعي على وجه التصديق لدعواه" [الاقتصاد في الاعتقاد/250]. أي أن شيخهم يعترف بأن الأئمة هم مدعو النبوة من خلال تعريفه هذا.

كما يرى هاشم البحراني بأن: "معجزات الأنبياء والأئمة دليل على صدقهم على الله في دعواهم النبوة والإمامة؛ لأن العجز الخارق للعاده فعله الله" [مدينة المعاجز41/1]، لاحظ أن جمع الأنبياء والأئمة في دليله! على العموم عارض الكثير من العلماء والمفكرين حديث المعجزات والكرامات لعدة أسباب، منها: أنها تعكس العبث في الفعل السماوي، وأن ظهورها في غير الأنبياء يقلل من قيمة معجزاتهم وكراماتهم، وهذا من شأنه أن يجعل المعجزة والكرامة مفهوماً واحداً. وكانت محاور المتصوفة حول كراماتهم تتجسد في إحياء الموتى والكلام معهم، ورؤية الذات المقدسة ومحادثتها، ورؤية النبي صلى الله عليه وسلم والكلام معه. المشي على الماء والدخول في النار وطي المسافات، الكلام مع الحيوان والجماد وانصياعهما لأوامرهم. علم الغيب وإحياء الموتى، والقدرة على إبراء العلل والأمراض والشفاعة وغفران الذنوب. والتحكم والتصرف بالكون.

الطامة الكبري أنهم يجعلوننا مشركين إذا لم نقتنع بها! بمعنى أن تؤدي الفرائض كلها وتبتعد عن الكبائر كلها، وتحصر أعمالك بالبر والتقوى، فهذه المسائل لا تنفعك إن أنكرت كراماتهم وتخاريفهم. ويحصر الشيخ ابن عطاء الله السكندري الكرامات بطرفين هما: الجواز والوقوع. من ثم يجعل من الجواز وجوباً أي وقوعاً! محذراً بأن "جحد الكرامة في الولي هي جحد لقدرة الله العزيز القدير"



[كتاب لطائف المنن]! بربكم أي منطق أعوج هذا! سيما أن بعض الكرامات تتجاوز حدود المنطق والعقل؛ فكيف لا نجحدها؟

إن الاعتماد على خوارق الشيوخ والأئمة، وفبركة القصص والأساطير من وحي ألف ليلة وليلة، الغرض منه رفع مكانة ومنزلة الأئمة والشيوخ في نفوس الأتباع، وتحميلهم على الرضوخ والطاعة العمياء لهم، من ثم تدريجياً تتحول الطاعة إلى تقديس من ثم في نهاية المطاف إلى عبادة البشر. حتى هذه المعاجيز والكرامات توجه أحياناً لأغراض تتعارض مع تعاليم الإسلام كمعصية الله أو رسوله أو تتنافي أحياناً مع الأخلاق العامة. وإلا فأية كرامة للمعاصي كالسرقة والقدرة على الجماع؟ يذكر الدباغ: "أن الولي صاحب التصرف يمد يده إلى جيب من شاء فيأخذ منه ما شاء من الدراهم" أي وليٌ نصاب يمتهن السرقة!

اقرأ هذه الأعاجيب التي يريدون منا أن نصدقها:

فأحد شيوخهم يختم القرآن (360000) ختمة في اليوم الواحد. أي (15000) ختمة في الساعة! أو(250) ختمة في الدقيقة الواحدة. وهذا الأمر يذكرنا بمثل غربي[Han leser som fanden leser Bibelen [ترجمته: "السيد يقرأ مثلما يقرأ الشيطان الإنجيل". وآخر لم يأكل ويشرب لمدة (40) عاماً. وآخر أمر الشمس بالغروب لإكمال سفره! ربما أزعجه الحر الشديد [للمزيد راجع كتاب صور من الصوفية. لأبي العزائم جاد الكريم].

وفي ترجمة النبهاني للشيخ بركات الخياط يذكر بأنه "إذا قدموا له لحم الضأن واشتهى لحم حمام ينقلب في الحال إلى حمام" [جامع كرامات الأولياء]! وفي كتاب تذكرة الأولياء للشيخ عطار النيسابوري يحدثنا عن الحسن البصري بأنه كان يصلي الصلاة الأولى في البصرة، والثانية في مكة، والثالثة في البصرة وهكذا دواليك، وهذا ما يسمونه طي المسافات.

ومن كرامات الشيخ ذو النون المصري أنه كان في سفر في سفينة، فسُرق من أحد ركابها جوهرة ثمينة واتهم الشيخ بسرقتها "فإذا بآلاف الأسماك تخرج وفي فم كل سمكة جوهرة لتقدمها إلى ذو النون" [كتاب تذكرة الأولياء/ الشيخ عطار النيسابوري]. يبدو أن هيئة أو تصرف الشيخ أثار الشكوك حوله، لذلك اتهموه دون غيره. كل هذه التخاريف ويحذرونا بأن "من لايصدق هذه الكرامات فقد كفر" الكفر أن تصدق هذه الخزعبلات.

وكذلك الأمر مع الصفويين؛ فالإمام علي يطوي الأرض والسماء كالسوبرمان أيضاً بقوله: "أنا الذي أجوز السماوات السبع والأرضين السبع في طرفة عين" [مشارق أنوار اليقين في أسرار أمير المؤمنين].

وقال المجلسي إن: "الإمام علي لو شاء أن يجوب الدنيا والسموات السبع ويرجع في أقل من طرفة عين لفعل" [بحار الأنوار 39/27].

ومن تخاريف هاشم البحراني أن النبي محمد صلى الله عليه وسلم أخبر الإمام علي رض بأن الشمس سوف تحدثه، وفي اليوم لتالي سلم عليها الإمام قائلاً: "السلام عليك ورحمة الله وبركاته أيها الخلق السامع المطيع. فردت الشمس - ربما بخجل وحياء متوردة الخدين - وعليك السلام ورحمة الله وبركاته يا خير الأوصياء" [مدينة المعاجز 220/1]! لاحظ يناديها بصيغة المذكر وليس المؤنث! كأنك تشاهد أحد أفلام الكارتون حيث الشمس تتحدث وتضحك وتمرح.



وفي كتاب "دلائل الرضا" عن عبدالله بن جعفر الحميري، بإسناد الحميري إلى سليمان الجعفر، إلى أبي الحسن الرضا عليه السلام: كنت معه وهو يريد بعض أمواله، فأمر غلاماً له يحمل له قباء، فعجبت من ذلك وقلت: ما يصنع به! فلما صرنا في بعض الطريق، نزلنا إلى الصلاة وأقبلت السماء تمطر، فألقوا القباء علي وعليه، وخر ساجداً فسجدت معه، ثم رفعت رأسي وبقي ساجداً، فسمعته يقول: يا رسول الله يارسول الله! فكفَ المطر" لكن المطر خير للعباد فلماذا كفه الإمام؟ هل الخشية من البلل؟ وهل الإمام عالم بالأنواء الجوية، أم أن الجو كان غائماً فعرف؟ وفي [كتاب الأنوار النعمانية 25/1] ورد عن الإمام علي رضي الله عنه بأنه: "كان مع يوسف وأنجاه من كيد إخوته. وكان مع سليمان على البساط وسخر له الريح".

وفي [كتاب إثبات الوصية للمسعودي الهذلي/160] أن بعضهم قال للإمام علي رضي الله عنه بأن الفرات قد فاض بمائه "فقام حتى توسط الجسر، ثم ضربه بعصاه ضربة فنقص ذراعين، ثم ضربة ضربة أخرى فنقص ذراعين" لاحظ القصة مع أبو يزيد البسطامي: "عندما بلغ دجلة بغداد، انضمت الدجلة بعضها إلى بعض كرامة له. فقال أنا أحمل من هذا الجانب إلى الجانب الآخر بدانق" [شطحات الصوفية لعبد الرحمن بدوي/121].

ويذكر المجلسي: "إن الإمام علي قال لأصحابه يوماً "غضوا أعينكم" ففعلوا فنقلهم إلى مدينة أخرى غريبة أهلها أعظم من طول النخل، وأخبرهم أن هؤلاء قوم عاد ثم صعق فيهم الإمام علي صعقة فأهلكتهم" [بحار الأنوار39/27]. مع أن الحفريات الأثرية أثبتت أن الإنسان القديم لا يختلف حجمه كثيراً عن الإنسان الحالي، ولم يعثر على مثل هذه الأجساد العملاقة في أي مكان إلا في أفلام الخيال.

كذلك نسبوا للإمام المفترى عليه من المهد إلى اللحد قوله: "أنا الذي أقتل مرتين وأحيي مرتين وأظهر كيف شئت" [للمزيد راجع كتاب مشارق أنوار اليقين في أسرار أمير المؤمنين لرجب البرسي/ 170]. متى قتل مرتين وأحيي مرتين؟ وهناك المئات من تلك الأحاديث المفبركة يمكن الرجوع إليها بيسر.

هذه بعض من المعاجيز المضحكة، كتحول الملائكة من التسبيح إلى الطحن والحضانة!

يروي محسن عقيل عن أم أيمن: "مضيت ذات يوم إلى منزل سيدتي ومولاتي فاطمة الزهراء لأزورها في منزلها، وكان يوماً حاراً من أيام الصيف، فأتيت إلى باب دارها، وإذا أنا بالباب مغلق فنظرت من شقوق الباب وإذا بفاطمة الزهراء نائمة عند الرحى، ورأيت الرحى تدور وتطحن البر، وهي تدور من غير يد تديرها، والمهد أيضاً إلى جانبها والحسين نائم فيه، والمهد يهتز ولم أر من يهزه، ورأيت كفاً تسبح لله قريباً من كف فاطمة الزهراء. قالت أم أيمن: فتعجبت من ذلك فتركتها ومضيت إلى سيدي رسول الله صلى الله عليه وسلم وسلمت عليه. وقلت: يا رسول الله! إني رأيت اليوم عجباً ما رأيت مثله أبداً! فقال لي: ما رأيت يا أم أيمن؟ فقلت: إني قصدت منزل فاطمة الزهراء، فلقيت الباب مغلقاً، فإذا أنا بالرحى تطحن البر، وهي تدور من غير يد تديرها، ورأيت مهد الحسين بن فاطمة يهتز من غير يد تهزه، ورأيت كفاً يسبح لله قريباً من كف فاطمة الزهراء، ولم أر شخصه. فقال: يا أم أيمن اعلمي أن فاطمة الزهراء صائمة، وهي متعبة جائعة، والزمان قيض، فألقى الله عليه النعاس فنامت. فسبحان من لا ينام، فوكل الله ملكاً يطحن عنها قوت عيالها، وأرسل الله ملكاً آخر يهز مهد ولدها الحسين، لئلا يزعجها عن نومها، ووكل الله ملكاً آخر يسبح الله عز وجل قريباً من كف



فاطمة يكون ثواب تسبيحه لها؛ لأن فاطمة لم تفتر عن ذكر الله عز وجل، فإذا نامت جعل الله ثواب تسبيح ذلك الملك لفاطمة. فقلت: يا رسول الله أخبرني من يكون الطاحن، ومن الذي يهز مهد الحسين ويناغيه ومن المسبح؟ فتبسم النبي صلى الله عليه وسلم ضاحكاً وقال: أما الطحان فهو جبرائيل، وأما الذي يهز مهد الحسين فهو ميكائيل، وأما الملك المسبح فهو إسرافيل" [معاجز أهل البيت/138].

وذكر رستم الطبري الشيعي "عن إبراهيم بن سعد: رأيت محمد بن علي يضرب بيده إلى ورق الزيتون فيصير في كفه دراهماً فأخذت منه كثيراً وأنفقته في الأسواق فلم يتغير" [دلائل الإمامة/398]!

إذن لماذا كان يأخذ حصته من الغنائم في الفتوحات التي لم يشارك فيها لا هو ولا أولاده؟

وأخرى: "قال لي محمد بن علي بن عمر التنوخي: رأيت محمد بن علي وهو يكلم ثوراً فحرك الثور رأسه. فقلت: لا ولكن تأمر الثور أن يكلمك. فقال: علمنا منطق الطير وأوتينا من كل شئ. ثم قال للثور: قل لا إله إلا الله وحده لا شريك له، فقال الثور! ثم مسح بكفه على رأسه" [نوادر المعجزات/181]، ونحن نقول: لا حول ولا قوة إلا بالله، أي ثور يصدق حديث الثيران؟

وأخرى لعماد الدين محمد بن علي الطوسي: "عن إسماعيل بن عباس الهاشمي قال: جئت إلى أبي جعفر يوم عيد، فشكوت إليه ضيق المعاش، فرفع المصلى فأخذ من التراب سبيكة من ذهب فأعطانيها. فخرجت بها إلى السوق فكان فيها ستة عشر مثقالاً من الذهب" [الثاقب في المناقب/526].

وأخرى: "إذا أطال أحد من الناس صوته أمام علي فينظر له ويقول له: اخسأ. يتحول رأسه إلى رأس كلب. ثم إذا تراجع هذا الإنسان وطلب العفو ليعيد له رأسه كما كان يقوم علي فيحرك شفتيه فيعود الرأس كما كان" [الثاقب في المناقب/343]. أخزاكم الله! كم جنيتم على هذا الرجل؟ وتدعون أنكم من أتباعه، كان على حق عندما ذمكم وتبرأ منكم بقوله: "يا أشباه الرجال ولا رجال، حلوم الأطفال وعقول ربات الحجال، لوددت أني لم أركم ولم أعرفكم، معرفة جرت والله ندماً وأعقبت صدماً، قاتلكم الله لقد ملأتم قلبي قيحاً، وشحنتم صدري غيظاً، وجرعتموني نغب التهام أنفاساً، وأفسدتم علي رأيي بالعصيان والخذلان" [نهج البلاغة/70].

وهذه بعض من كرامات المتصوفة:

ذكر أبو العزايم جاد الكريم: "من كرامات الشيخ أحمد الرفاعي أنه إذا كان ألقى الدرس سمعه الأصم والسميع، والقريب والبعيد، وأن الله أحيا له الميت، وأقام له المقعدين، وقلب له الأعيان، وصرفه في الخلق" [الطريقة الرفاعية/134].

ويذكرون كذلك أن الله أبرد لأتباعه النيران، وأزال لهم فاعلية السموم، وألان لهم الحديد، وأذل لهم السباع والأفاعي، وأخضع لهم طغاة الجن، وصرفهم في العوالم، وأطلعهم على عجائب الأسرار" [صور من الصوفية/ 8]. لاحظ أن الأئمة أيضاً لا تحرقهم النيران كما حصل مع موسى الكاظم.

وجاء في ترجمة محمد بن عبد الله بن علوي بن الفقيه: "له كرامات خارقة للعادات منها، أنه كان جالساً عند بعض أصحابه فقام مسرعاً وثوبه يتقاطر ماء فسأله عن قيامه فقال: انخرق مركب بعض أصحابي فاستغاث بي فحشوت الخرق بثوبي حتى أصلحوا ما انخرق فيه وعاد على ما كان عليه" [المشرع الروي186/1].



ذكر الزبيدي في ترجمة إسماعيل الجبرتي الصوفي: "إن الشيخ حضر مرة سماعاً فلما كان في أثناء السماع، إذا به قد صرخ صرخات كثيرة، وجعل يجري في الطابق وهو يقول الجلبة، الجلبة! ثم استقام وأخذ يشير بيده كالذي يمسك شيئاً، ثم وقف ما شاء الله كذلك! ثم رجع إلى السماع! فلما كان بعد ليالٍ وصل الشيخ يعقوب المخاوي من السفر وأخبر أنه حصل عليهم في البحر ليلة كذا ريح عاصف وتغير البحر حتى أشرفوا على الهلاك، قال: فقلت: يا شيخ إسماعيل الغارة يا أهل يس، قال: فرأيته والله بعيني وقد أقبل على وجه الماء كالطائر، وأمسك الجلبة بيده حتى استقرت، وسلمنا الله تعالى ببركته" [طبقات الخواص/102].

كما ذكر أحمد بن حسن العطاس: "حكى سيدي رضي الله عنه عن الحبيب عبد الله بن عمر بن يحي أنه لما وصل إلى مليبار دخل على الحبيب علوي بن سهل، فرأى في بيته تصاوير طيور وديكة وغيرها. فقال: يا مولانا! إن جدكم صلى الله عليه وسلم يقول: يكلف الله صاحب التصاوير يوم القيامة أن ينفخ فيها الروح"! فقال له الحبيب علوي: عادِ شيء غير هذا؟ فقال: لا. قال: فنفخ الحبيب علوي تلك التصاوير، فإذا الديكة تصرخ والطيور تغرد. فسلم له الحبيب عبد الله بن عمر له حاله" [تذكير الناس بكلام أحمد العطاس/155].

وروى محمد أبو الهدى عن الشيخ شمس الدين محمد بن عثمان أنه "خرج مع الشيخ الكبير السيد أحمد ذات يوم إلى الصحراء فبينما هما سائران في الصحراء إذ رأوا أسداً كاسراً مفترساً لشاب، وقد خلع كتفه من جسده ومكث يأكله فزجره الشيخ الكبير السيد أحمد زجراً شديداً وقال له: أي خلق الله! ما نهيتكم عن أذية الخلق الذين يمرون ببلادنا! فنطق السبع وأتى إلى حضرة الشيخ مسلماً عليه بلسان عربي فصيح، فقال له: أي سيد السادات، وصاحب الجود والكرامات، لي سبعة أيام ما أكلت شيئاً وأنا دائر على ولدي فما وجدته، وهذا الشاب قد أرسله الله إلى رزقاً مقسوماً بسبب غضب والدته عليه، فأنتم تريدون قطع نصيبي من ذلك الأمر إلى الله ثم إليكم. فلما سمع كلامه لم يعبأ به؛ بل التفت إليه بنظر الغضب والجلال فوقع السبع ميتاً ومسح عليه بيده المباركة فعاد كما كان أولاً؛ بل أسدّ وأقوى. وقال الشيخ للشاب: ما اسمك؟ قال: اسمي داود بن إبراهيم. فقال له الشيخ: أي داود أسلخ غريمك فسلخه، وأخذ الجلد ومضى إلى والدته وأخبرها بالقصة" [قلادة الجواهر/91]. وانتهت شهرزاد عن الكلام المباح، فقد أدرك شهريار الصباح.



7) المبالغة في الأرقام

من الصفات المشتركة بين العقيدتين المبالغة في الأرقام، ولا نقصد هنا المغالاة، مع أن هذه المبالغة هي جزء من المغالاة بصورة عامة. ولكننا سنحددها بجانب أحادي وهو الأعداد.
الحقيقة أن هذه المبالغة العددية من نتاج مركب النقص الذي يعاني منه الرافضة والمتصوفة بشكل عام، باعتبار أنهم أقلية ولا يشكلون إلا نسبة ضئيلة من مجموع المسلمين في العالم، مما انعكس على المغالاة العددية بطريقة مفزعة للتعويض عن هذا النقص، لذلك تراهم يهولون في أعدادهم بشكل فاضح، كالزيارات المليونية، والتظاهرات المليونية .. وغيرها، في الوقت الذي يصغرون فيه من شأن بقية المسلمين.
وهذا ما يحدث حاليا في العراق وايران، حيث يشكل أهل السنة من العرب والأكراد وبقية الأقليات ما لا يقل عن 60% من السكان، ولكن نظام الملالي يتعامل معهم كأقلية، ويحاول أن يمسخ عروبة العرب في إقليم عربستان. وكذلك الحال في العراق فهم لا يشكلون أكثر من 40% من السكان، لكنهم لعبوا لعبة ذكية بتقسيم أهل السنة إلى العرب السنة والأكراد السنة، في حين هم يجمعون الأكراد الشيعة والتركمان والفرس وغيرها من الأقليات إلى نسبتهم، في تصنيف جغرافي بعيد عن المنطق؛ لأن السكان يصنفوا إما على أساس الدين والمذهب، أو على أساس العرق والقومية، ولا يخلط بين التصنيفين، وهذا ما تجده في جغرافية السكان لدول العالم.
مركب النقص هذا أنتج ما يسمى بالمظلومية التي استعاروها من اليهود لكسب شفقة ورأفة العالم بهم على أساس أنهم مظلومون، فهم يتباكون على المظلومية الكاذبة حتى وهم في سدة الحكم! كما هو الحال في العراق، ولا يعرف التأريخ ظلاماً مثلهم. وإن كان لليهود هولوكوست واحد فإن للرافضة مائة هولوكوست. والحق أنهم نجحوا نجاحاً باهراً في تسويق خطة المظلومية على العالم العربي والإسلامي. فهم يدعون مثلاً في العراق بأنهم الأكثرية وهذا يعطيهم الحق في الحكم، في حين لا يوجد تعداد سكاني في العراق حسب المذهب، وهم يرفضون إجراء التعداد السكاني رغم أن وزير التخطيط "علي شكري" من الشيعة المتطرفين! أما السبب؟ لكي لا تفتضح نسبتهم الحقيقية، ولكي يستمروا في قتل وتشريد أهل السنة حتى يكونوا أكثرية، وهذا ما جرى في بغداد والبصرة. مع أن منطق الأكثرية الذي يتشدقون به لا يعني إقصاء الأقليات وتهميشها. ولا هو يتوافق مع النهج الديمقراطي الذي يدعونه.
لكن المثير في الأمر: أنهم يرفضون حكم الأكثرية لأهل السنة في سوريا! مع أن العلويين لا يشكلون أكثر من 10% من سكان سوريا، بل هم يحاربون أهل السنة في سوريا ويقفون مع المذهب النصيري مع أن مراجعهم يكفرون هذا المذهب الضال!
ولم تتوقف المبالغة على أعدادهم بل تراهم يسوقونها في أحاديثهم بطريقة مبتذلة ولا مبرر لها. فهم يوزعون الحسنات بالملايين على أتباعهم دون الاعتماد على النصوص القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة، بل يعتمدون على أحاديث وروايات منسوبة لأئمتهم أو ممن يحسبون عليهم، وهم براء



منهم، الرواة أصلاً لم يعيشوا مع الأئمة إلا ما ندر، كان الأئمة يعيشون في المدينة، والرواة يعيشون في الكوفة! وهذه حالة نادرة في التأريخ!

على سبيل المثال: مرجع رواياتهم الرئيسي جابر الجعفي الذي روى (70000) حديث عن الأئمة، قال عنه الكشي - وهذا مؤرخ شيعي وليس من النواصب -: "سألت أبا عبد الله عليه السلام عن أحاديث جابر؟ فقال: ما رأيته عند أبي قط إلا مرة واحدة، وما دخل عليّ قط" [رجال الكشي/191].

ومرجع أحاديثهم الثاني هو زرارة بن أعين الذي قال عنه أبو عبد الله: "لعن الله زرارة، لعن الله زرارة، لعن الله زرارة" [رجال الكشي،133].

ويقدم لنا الإمام الصادق صورة متكاملة عن رواة الشيعة بقوله: "كان المغيرة بن سعيد يتعمد الكذب على أبي ويأخذ كتب أصحابه، وكان أصحابه المستترون بأصحاب أبي ياخذون الكتب من أصحاب أبي فيدفعونها إلى المغيرة، فكان يدس فيها الكفر والزندقة ويسندها إلى أبي، ثم يدفعها إلى أصحابه فيأمرهم أن يثبتوها في الشيعة، فكل ما كان في كتب أصحاب أبي من الغلو فذاك مما دسه المغيرة بن سعيد في كتبهم" [المصدر السابق/196].

كالعادة مشوا المتصوفة على نفس طريق الرافضة في المبالغة الرقمية، كما سيتضح في النصوص التالية.

فيما يتعلق بالمتصوفة:

قال محمد بن واسع: "قدمت مكة، فلقيت بها سالم بن عبد الله بن عمر؛ فحدثني عن أبيه عن جده عمر، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "من دخل السوق فقال لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد، يحيي ويميت، وهو حي لايموت، بيده الخير، وهو على كل شيء قدير، كتب الله له ألف ألف حسنة، ومحا عنه ألف ألف سيئة، ورفع له ألف ألف درجة" [طبقات الصوفية/118].

وذكر الشيخ أبو يعقوب يوسف بن أيوب الهمداني: "اعلم أن الله خلق من نور بهائه سبعين ألف ملك من الملائكة المقربين، وأقامهم بين العرش والكرسي في حضرة الإنس لباسهم الصوف الأخضر، ووجوههم كالقمر ليلة البدر فقالوا متواجدين والهين حيارى خاشعين سكارى منذ خلقوا مهرولين من ركن العرش إلى ركن الكرسي لما بهم من شدة الوله، هم صوفية أهل السماء فإسرافيل قائدهم، ومرشدهم، وجبرائيل رئيسهم ومتكلمهم، والحق تعالى أنيسهم ومليكهم فعليهم السلام من الله عز وجل" [الطبقات الكبرى137/1].

وذكر الشيخ السهروردي: "الزائر لأم عبيدة يمشي على أجنحة الملائكة، وله بكل نفس ألف ألف حسنة" [بوارق الحقائق/224].

ويضيف الشنقيطي نقلاً عن الشيخ التيجاني حول صلاة الفاتح: "بأن كل ما تذكره من صلاة وأذكار وأدعية على النبي صلى الله عليه وسلم لو توجهت بها (100) ألف عام، وتذكرها كل يوم (100) ألف مرة، ما بلغت مرة واحدة من صلاة الفاتح" [الفتوحات الربانية للشنقيطي/115]!

ومن العجائب ما ذكره العلامة محمد البشير: "أن تلاوة صلاة الفاتح مرة واحدة تعادل ستة آلاف ختمة من القرآن" [الطرق الصوفية/39].



ولديهم صلاة أخرى تسمى "جوهرة الكمال" ادعى الشيخ أحمد التجاني أنه أخذها عن النبي صلى الله عليه وسلم وأخبره أنها تعادل تسبيح العالم (3) مرات![للمزيد راجع الهدية الهادية إلى الطريقة التجانية].

كما قال الشيخ المتصوف أحمد بن عروس عن الشفاعة: "كل إصبع من أصابعي يشفع في سبعين ألفاً" [الوصية الكبرى لعبد السلام الفيتوري/85] إنه صاحب الإصبع الذهبي!

وذكر محمد عثمان عبده البرهاني: "طلب سيدي إبراهيم الدسوقي في عالم الأرواح أن يزداد له في جسمه فزيد ثم طلب أن يزداد أكثر فأكثر فزيد وهكذا، حتى سأله الجبار جل وعلا عما يريد من كبر جسمه فقال: يارب أنت قلت وقولك الحق في كتابك العزيز: ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ [هود:119]، وأنا أريد أن أملأ جهنم لوحدي حتى لا يصلاها أحد! فقال جل وعلا: أتتكرم على كريم يا إبراهيم؟ إنا شفعناك في سبعين ألف مع كل فرد منهم سبعون ألفاً، وكل هذا غير من أخذ طريقتك، وغير من دخل مقامك وزارك" [كتابه تبرئة الذمة في نصح الأمة/314] سبق أن علقنا على هذه الرواية الكاذبة.

كما نسب محمد أبو الهدى للرفاعي القول: "صحبت ثلاثمائة ألف أمة ممن يأكل ويشرب ويروث وينكح، ولا يكمل الرجل عندنا حتى يصحب هذا العدد ويعرف كلامهم وصفاتهم وأسماءهم وأرزاقهم وآجالهم، قال يعقوب الخادم، فقلت له: يا سيدي! إن المفسرين ذكروا أن عدد الأمم ثمانون ألف أمة فقط! فقال ذلك مبلغهم من العلم" [قلادة الجواهر/68].

ونسب محمد بن سليمان الجزولي حديثاً كاذباً للنبي صلى الله عليه وسلم جاء فيه: "ما من عبد صلى علي إلا خرجت الصلاة من فيه، فلا يبقى بر ولا بحر ولا شرق ولا غرب إلا وتمر به وتقول: أنا صلاة فلان بن فلان صلى على محمد المختار خير خلق الله، فلا يبقى شيء إلا وصلى عليه، ويخلق من تلك الصلاة طائر له سبعون ألف جناح، وفي كل جناح سبعون ألف ريشة، وفي كل ريشة سبعون ألف وجه، في كل وجه سبعون ألف فم، في كل فم سبعون ألف لسان، يسبح الله تعالى بسبعين ألف لغة، ويكتب الله له ثواب ذلك كله" [دلائل الخيرات/16]. يبدو أن الشيخ من هواة الرقم (7)!

قال البسطامي: "استقبلني ملك يقال له: نيائيل، فمد يده وأقعدني على كرسي له موضوع على شاطئ بحر عجاج، ثم رأيت كأني عرجت إلى السماء السابعة، فإذا بمائة ألف صف من الملائكة استقبلني. كل صف مثل الثقلين ألف ألف مرة، مع كل ملك لواء من نور، تحت كل لواء ألف ألف ملك، طول كل ملك مسيرة خمسمائة عام" [اللمع/464]. وروى ابن عربي عن النخشبي وهو يحث أحد مريديه على رؤية البسطامي: "لو رأيت أبا زيد مرة، كان خيراً لك من أن ترى الله ألف مرة" [رسائل ابن عربي/5].

فيما يتعلق بالصفويين:

نسبوا للإمام الرضا حديثاً عن وفاة الحسين بن علي يصور لنا فيه تأخر الملائكة عن نجدته، فآل مصيره إلى الموت بسبب تأخرهم، ربما لزحمة المواصلات! يقول الرضا: "لقد بكت السموات السبع والأرضون لقتله، ونزل إلى الأرض من الملائكة (4000) لنصرته. فوجدوه قد قتل، فهم عند قبره شُعث، غُبر" وهم في وضع التأهب بانتظار القائم لينضموا لجيشه[الأنوار النعمانية239/3].



أولاً: هنيئا لأهل الكوفة الذين خذلوا الحسين وأذلوه، فلم يكن موقفهم سبباً لمقتله بل الملائكة المتقاعسون عن النجدة.

ثانياً: كان من المفروض أن يوضح لنا الرضا سبب تأخر الملائكة عن نجدة من [خلق الله الجنة من نوره، ويزوره مع كل الأنبياء في قبره]؟ لنتبين السبب كي نعذرهم أو نلومهم عن تأخر النجدة؟

ثالثاً: أن الملائكة كما يفترض يعلمون كل شيء! فكيف يبررون تأخرهم عن نجدة الحسين، ولم يضبطوا الوقت؟

رابعاً: الرضا يضعنا في حيرة أيضاً! طالما أن الإمام يموت باختياره كما يشيرون في أحاديثهم فكيف ينقذه الملائكة وهم لا يملكون هذا الخيار؟

خامساً: هل وجود الملائكة قرب القبر هو بسبب غضب الرب عن تأخرهم؟ أم بسبب الندم والأسف ومعاقبة النفس؟ كما يفعل البعض في عاشوراء من بكاء وتطبير وضرب بالزناجيل.

سادساً: إذا كان لدي القائم (4000) من الملائكة المطوعين في جيشه! فلماذا لا يخرج من الحفرة ويقاتل بهم؟ طالما أنه لا يحتاج سوى إلى (300) من الأنصار الصالحين والمخلصين؟

سابعاً: يدعون في رواياتهم بأن الإمام الحسين خُير ما بين الشهادة أو النصر، فاختار الشهادة! **قال الإمام الباقر: "لما نزل النصر على الحسين بن علي حتى كان بين السماء والأرض ثم خيّر: النصر أو لقاء الله؛ فاختار لقاء الله "** [أصول الكافي465/1]**.** وبهذا إما الإمام الباقر يكذب، أو الإمام الرضا، أو الرواة!

من مبالغاتهم ما جاء عن الإمام الصادق: "نِعم المسجد مسجد الكوفة، صلى فيه ألف نبي وألف وصي، الصلاة فيه تعدل بألف صلاة" [شجرة طوبى/13]. كذلك: "من زار قبر الحسين كتب له ألف حجة وألف عمرة وألف أجر شهيد وثواب ألف نسمة وأجر ألف صائم وثواب ألف صدقه، ووكل به ملك كريم وإن مات سنته حضرته الملائكة ويحضرون معهم أكفانه ويشيعونه إلى قبره ويفسح له في قبره من بصره ويؤمن من ضغطة القبر ومن منكر ونكير ويعطى كتابه بيمينه ويعطى يوم القيامة نور يضيء ما بين المشرق والمغرب وينادى هذا من زار الحسين شوقاً إليه فلا يبقى أحد يوم القيامة إلا تمنى يومئذٍ أنه كان من زوار الحسين" [كامل الزيارات/134] عجباً لماذا لم يرد اسم الكوفة في القرآن الكريم طالما هي مهمة لهذه الدرجة؟ لدينا العكس تماماً، قال الشعبي: "الكوفة أول مصر نزع الشيطان بين أهله" [تأريخ الطبري251/4]. و**قال الإمام أحمد: "أهل الكوفة لو قدروا أن يلطخوا كل أحد لفعلوا"** [مسائل الإمام أحمد لابن هانئ201/2]**.**

كما قال المجلسي: "من زار الحسين يوم عاشوراء حتى يظل عنده باكياً لقي الله يوم القيامة بثواب ألفي ألف حجة وألفي ألف عمرة وألفي ألف غزوة" [بحار الأنوار]. من يقرأ هذه الأفكار الضالة لا يفكر بالحج والعمرة!

وجاء [في كتاب منهاج الصالحين للخوئي14/1] بأن "الصلاة عند ضريح الإمام علي كرم الله وجهه أفضل بمائتي ألف صلاة" لاحظ! إنهم يحرضون أتباعهم على ترك الفرائض والتوجه للزيارات، وهذا الخوئي صاحب المؤسسة المالية الكبرى في بريطانيا ليس من المراجع القديمة.



ونَسبوا للإمام الصادق القول: "من زار قبر الحسين يوم عرفة كتب الله له ألف ألف حجة مع القائم. وألف ألف عمرة مع الرسول صلى الله عليه وسلم، وعتق ألف ألف نسمة، وحمل ألف ألف فرس في سبيل الله" [الوافي للفيض الكاشاني2476/14]. الإمام يحب لغة الملايين!

وذكر الكاشاني بأن "ثواب صلاة ركعة واحدة في حرم الحسين كثواب من حج ألف حجة، واعتمر ألف عمرة، واعتق ألف رقبة، ووقف في سبيل الله ألف ألف مرة مع نبي مرسل" [كتاب الوافي للفيض الكاشاني 14/ 1478]. هذه ركعة واحدة فما بالك بمائة ركعة! أي تساوي [100000000] وقفة في سبيل الله! لله درك يا كاشاني!

ذكر أبي حمزة الثمالي: "من لعن الجبت [الصدِّيق] والطاغوت [الفاروق] لعنة واحدة كتب الله له سبعين ألف ألف حسنة، ومحا عنه ألف ألف سيئة، ورفع له سبعين ألف ألف درجة، ومن أمسى يلعنهما لعنة واحدة كتب له مثل ذلك، قال مولانا علي بن الحسين: فدخلت على مولانا أبي جعفر محمد الباقر، فقلت: يا مولاي حديث سمعته من أبيك، قال: هات يا ثمالي، فأعدت عليه الحديث قال: نعم يا ثمالي! أتحب أن أزيدك؟ فقلت: نعم يا مولاي، فقال: من لعنهما لعنة واحدة في كل غداة لم يكتب عليه ذنب في ذلك اليوم حتى يمسي، ومن أمسى لعنهما لعنة واحدة لم يكتب عليه ذنب في ليلة حتى يصبح، قال: فمضى أبو جعفر، فدخلت على مولانا الصادق، فقلت: حديث سمعته من أبيك وجدك، فقال: هات يا أبا حمزة! فأعدت عليه الحديث، فقال: حقاً يا أبا حمزة، ثم قال عليه السلام: ويرفع ألف ألف درجة، ثم قال: إن الله واسع كريم" [ضياء الصالحين/513].

لأول مرة نسمع في تأريخ الأديان بأن لعن أقرب الناس للنبي صلى الله عليه وسلم يحقق كل هذه الجوائز السخية! الغريب في الأمر أنهم لا يلعنون إبليس! ولا يرون في لعنه فائدة واحدة من الفوائد المذكورة. هل صحابة الرسول صلى الله عليه وسلم ألعن من إبليس؟ ألا لعنة الله على الظالمين. أين أنتم من قوله تعالى: **﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاء عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاء بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعاً سُجَّداً يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّنَ اللهِ وَرِضْوَاناً سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْراً عَظِيماً﴾**.



الصفويون والمتصوفة لهم عدة قواسم مشتركة:

أولها: أنهما من فرق الغلاة، فقد وصف شيخ الإسلام ابن تيمية المتصوفة بقوله: "إن فيهم من الغلو والشرك والمروق عن الشريعة ما شاركوا به الرافضة في بعض صفاتهم، وفيهم من الكذب ما قد يقاربون به الرافضة في ذلك أو يساونهم أو يزيدون عليهم".

وذكر الإمام القزويني [في كتابه سراج العقول] عن إمام الحرمين أنه كان يقول: "حين يسئل عن كلام غلاة الصوفية، لو قيل لنا: فصلوا ما يقتضي التكفير من كلامهم مما لا يقتضيه، لقلنا هذا طمع في غير مطمع، فإن كلامهم بعيد المدرك، وعر المسلك، يغترف من تيار بحر التوحيد، ومن لم يحط علماً بنهايات الحقائق لم يحصل من دلائل التكفير على وثائق" [الطبقات الكبرى11/1].

وسئل شيخ الإسلام تقي الدين السبكي عن حكم تكفير غلاة المبتدعة، وأهل الأهواء، والمتفوهين بالكلام على الذات المقدسة. فقال: "اعلم أيها السائل أن كل من خاف من الله عز وجل استعظم القول بالتكفير لمن يقول لا إله إلا الله محمد رسول الله؛ إذ التكفير أمر هائل عظيم الخطر؛ لأن من كفر شخصاً بعينه، فكأنه أخبر أن عاقبته في الآخرة الخلود في النار أبد الآبدين" [الطبقات الكبرى11/1].

ثانيها: أن الأئمة والشيوخ لهما أحاديث وحوادث متشابهة، أحدهما يسرق من الآخر، كما ستلاحظ في الحوادث القادمة في هذا الباب.

ثالثها: أن القوى المعادية للإسلام تدعمهما بقوة سواء في زمن الاستعمار القديم أو الوقت الحاضر لغاية لا تخفى عن لبيب.

رابعاً: إنهما أحد الأسباب المهمة في تخلف الأمة وانتشار البدع والجهل والأمية.

خامساً: لهما تأثير سحري على أتباعهما، ويمكن أن يوجهونهم إلى ما لا يحمد عقباه، كما جرى في فتوى المرجع الشيعي علي السيستاني بإعلان الجهاد الكفائي ضد أهل السنة.

وهناك قواسم أخرى يمكن أن يستشفها القارئ الكريم من خلال الاطلاع على المؤتلفات القادمة.

هذه بعض من أوجه التشابه الأخرى بين العقيدتين من خلال ما جاء في مصادرهم الرئيسة، ولا شك أن هذا المؤتلف يعكس وحدة المنبع ووحدة المصب. والأمثلة الواردة هي تتمة لما ذكرناه من قواسم مشتركة بين العقيدتين الصفوية والصوفية في المباحث السابقة.

وقبل التي واللتيا نلاحظ أن صفات الأئمة عند الشيعة لا تختلف عن صفات الأقطاب عند المتصوفة، وقد درس ابن خلدون هذه الخصائص المشتركة في مقدمته المشهورة. كما أن فكرة الأبدال عند المتصوفة لا تختلف عن عقيدة الصفويين بأن علياً في السحاب، وابن الحنفية في جبال رضوي.

وحدة غطاء الرأس:

يلبس مشايخ الصوفية العمامة السوداء "البيضاء أحيانا" كما يفعل السادة الذين ينسبون أنفسهم أيضاً لآل البيت. ويذكر الشيخ محمد مهدي الرفاعي "بأن لبس العمامة السوداء والبيضاء من سنن رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولهذا كان زي إمامنا السيد أحمد الرفاعي [رض] العمامة السوداء"، ويستشهد كبار المتصوفة كالشعراني ومحمد الرفاعي بخطبة الهرطقة المنسوبة للإمام علي بن أبي



طالب التي يقول فيها: "أنا جنب الله، أنا القلم واللوح، أنا العرش، أنا الكرسي، أنا السماوات السبع والأرضون" [راجع الجواهر والدرر للشعراني2/311].

الخلوة:

من التوافقات أيضاً: أن الخلوة الرفاعية السنوية تبدأ في اليوم الحادي عشر من محرم تزامناً مع قدسية هذه الفترة عند الصفويين، حيث تجري مراسم عاشوراء في نفس الشهر! وإن لشهر محرم أهمية عند المتصوفة، فقد ورد في مقدمة كتاب فصوص الحكم حول قدسية شهرمحرم: "أما بعد فإني رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في مبشرة أريتها في العشر الآخر من محرم سنة سبع وعشرين وستمائة بمحروسة دمشق وبيده كتاب، فقال لي: هذا كتاب فصوص الحكم خذه، واخرج به إلى الناس ينتفعون به، فقلت: السمع والطاعة لله ولرسوله، وأولي الأمر منا كما أمرنا فحققت الأمنية، وأخلصت النية، وجردت القصد والهمة إلى إبراء هذا الكتاب كما حده لي رسول الله صلى الله عليه وسلم من غير زيادة ولا نقصان" [فصوص الحكم].

ويذكر القطب الغوث الشيخ عبد السلام الأسمر الفيتوري الحازمي: لقنت دعاء يقال في يوم عاشوراء دبر كل صلاة سبع مرات من بعد صلاة الصبح إلى العشاء الأخيرة: "بسم الله الرحمن الرحيم. وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم، حسبنا الله ونعم الوكيل نعم المولى ونعم النصير سبحان الله ملء الميزان، ومنتهى العلم ومبلغ الرضا وزنة العرش لا ملجأ ولا منجأ من الله إلا إليه سبحان الله عدد الشفع والوتر وعدد كلمات الله التامات كلها، أسألك السلامة برحمتك يا أرحم الراحمين، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم وهو حسبي ونعم الوكيل، نعم المولى ونعم النصير، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، اللهم إني حرست نفسي وأهلي ومالي، وما حضرني وما غاب عني بالحي الذي لا يموت، وألجأت ظهري في حفظ ذلك للحي القيوم، وأصبحت وأمسيت في جوار الله الذي لا يرام ولا يستباح وفي ذمته وضمانه الذي لا يخفى ضمان عبده، واستمسكت بالعروة الوثقى ربي ورب السموات والأرض لا إله إلا هو فاتخذه وكيلاً، توكلت على الله واعتصمت بالله وفوضت أمري إلى الله نعم القادر الله، فالله خير حفظاً وهو ارحم الراحمين، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه عدد خلق ورضاء نفسه وزنة عرشه ومداد كلماته، أسأل الله الكريم رب العرش العظيم أن يحفظني ويعافيني ويرحمني إنه على ما يشاء قدير إنك أنت الرحمن الرحيم بديع السموات والأرض الحي القيوم القريب المجيب ذو الجلال والإكرام أرحم الراحمين لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين. الله بارك لي في عمري، ولا تهلكني فإنك قلت قولت الحق في محكم كتابك أدعوني استجب لكم، وقلت فإني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان، فأحييني على السنة واحفظني من فتنة المحيا والممات، ولا تعذبني فإنك غني عن عذابي يا واحد يا فرد يا صمد يا أول يا آخر فإني أعددت لكل هول وشدة لا إله إلا الله ولكل نعمة الحمد لله ولكل غضب الشكر لله ولكل أعجوبة سبحان الله ولكل ضيق حسبي الله ولكل ذنب استغفر الله ولكل هم وغم ما شاء الله ولكل قضاء وقدر توكلت على الله ولكل مصيبة إنا لله وإنا إليه راجعون، ولكل طاعة ومعصية لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ



بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ * فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾ [التوبة:128-129]" [الأنوار السنية والمنن البهية].

ترتيب الأئمة واحد:

يلاحظ بأن المتصوفة يأخذون بترتيب الأئمة حسب ما هو مذكور في المذهب الإثنى عشري، حيث يبدأ من الإمام علي ثم الحسن والحسين، يليهم زين العابدين ومحمد الباقر وجعفر بن محمد الباقر، ثم موسى بن جعفر الكاظم، وعلي بن موسى الرضا، ومحمد بن علي الجواد، وعلي بن محمد الهادي، والحسن بن علي العسكري وينتهون بالمهدي المزعوم. وهو ترتيب انفرد به الإمامية فقط ولا تأخذ به بقية الفرق الشيعية.

طاعتهم مفروضة على الكون:

ذكر الخميني: "إن أئمتنا يتحكمون في قرارات هذا الكون" [الحكومة الإسلامية/54].

قال المجلسي: "عن سماعَة بن مهران قال: كنت عند أبي عبد الله عليه السلام، فأرعدت السماءُ وأبرقت، فقال أبو عبد الله عليه السلام: أما إنه ما كان من هذا الرعد ومن هذا البرق فإنه من أمر صاحبكم، قلت: من صاحبنا؟ قال: أمير المؤمنين عليه السلام" [بحار الأنوار33/27].

ويذكر علي بن أبي طالب: "أنا صاحب الزلازل والرجف، أنا صاحب الكسوف والخسوف" [مشارق أنوار اليقين في أسرار أمير المؤمنين لرجب البرسي/170].

ونسب للإمام علي بن أبي طالب قوله لعمر النبتيني: "أعط طاقيتي هذه للشيخ عبد الوهاب الشعراني وقل له يتصرف في الكون" [جامع كرامات الأولياء 135/2].

وفي كتاب [البرهان المؤيد للرفاعي/94] أن الله تعالى قد "صرف الأولياء في الأكوان وجعلهم يقولون للشيء كن فيكون".

وزعم النبهاني أن أحد الأولياء قال: "تركت قولي للشيء كن فيكون تأدّباً مع الله" [جامع كرامات الأولياء 158/2].

وذكر المحقق النراقي في كتابه مستند الشيعة: "إن الإنسان يرتفع بهما يرتفع حتى يعد بمنزلة الملائكة، بل بمنزلته تبارك وتعالى كما ورد في قوله تعالى: "عبدي أطعني تكن مثلي".

يذكر الشعراني عن الشيخ محمد أبو المواهب الشاذلي "سئل في معنى قول بعضهم:

مقام النبوة في برزخ * * * فويق الرسول ودون الولي

"يعني أن مقام النبوة يعطي للأخذ عن الله بواسطة وحي الله، ومقام الرسالة يعطي تبليغ ما أمره الله به للعباد، ومقام الولاية الخاصة يعطي الأخذ عن الله بالله من الوجه الخاص. قال: وهذه الحقائق الثلاثة كلها موجودة فيمن كان رسولا فافهم!" [الطبقات الكبرى288/1]. الحقيقة لم نفهم! ليس لأننا لا نفهم، بل لأنك لا تفهم ما تريدنا أن نفهمه.

طاعتهم مفروضة على الجبال:

نسب الصفويون لجعفر الصادق القول: "إذا قال المؤمن لهذه الجبال أقبلي أقبلت. فإذا بالجبال أقبلت. فقال لها الصادق: على رسلك! إني لم أردك" [بصائر الدرجات/325] تصور الجبل يمشي!



وعن الفضل بن عياض: "لو أن ولياً من أولياء الله تعالى أمر هذا الجبل أن يميد لماد. فتحرك الجبل. فقال له: اسكن! لم أردك بهذا فسكن!"[الرسالة القشيرية687/2]. لكن لماذا قال اسكن! بدلاً عن اثبت! السكون للرياح وليس للجبال.

طاعتهم مفروضة على الأشجار:

يذكر القطب الغوث الشيخ عبد السلام الأسمر الفيتوري الحازمي: "مما أنعم الله به علي أنه قد كلمتني الأطيار وجاءت إلى الأشجار والأحجار تمشى بلا واسطة، ومما أنعم الله به علي رؤيتي للباري في منامي ألفي مرة، ومما أنعم الله به علي مكالمتي مع الملائكة والجن والوحوش والهوام، ومما أنعم الله به علي اجتماعي بأصحاب الكهف، ومكالمتي في سيدي عمران بألفاظ من حي ساحل حامد، ومما أنعم الله به علي حفظي التوراة والإنجيل والزبور والفرقان والبخاري ومسلماً ومختصر خليل والرسالة والمدونة والعلوم الدينية التي كانت عند الخضر عليه السلام" [الأنوار السنية والمنن البهية].

كذلك: "حدثنا محمد بن عمر قال: رأيت محمد بن علي يضع يده على منبر فتورق كل شجرة من نوعها، وإني رأيته يكلم شاة فتجيبه".

وذكر الكليني قصه أخرى لإثبات إمامة موسى بن جعفر وأحقيته بها من أخوته الكبار بأن شخصاً جاء إلى موسى بن جعفر فسأله عن الإمام من هو؟ فقال: إن أخبرتك تقبل؟ قال: بلى جعلت فداك قال: أنا هو. قال: فشيء أستدل به. قال: اذهب إلى تلك الشجرة - وأشار بيده إلى أم غيلان - فقل لها: يقول لك موسى بن جعفر: أقبلي! قال: فأتيتها فرأيتها والله تخد الأرض خداً حتى وقفت بين يديه، ثم أشار إليها فرجعت" [الأصول من الكافي 253/1]. الأشجار صحيح كائنات حية أما تتحدث وتطيع فهذا ما لم يحصل مع الأنبياء والرسل. ولماذا القسم؟

طاعتهم مفروضة على الأنهار وما فيها:

يذكر الشعراني عن العارف بالله سيدي محمد وفا: "أخبرني عن نفسه رضي الله تعالى عنه وسمي وفا لأن بحر النيل توقف فلم يزد إلى أوان الوفاء فعزم أهل مصر على الرحيل فجاء إلى البحر، وقال اطلع بإذن الله تعالى فطلع ذلك اليوم سبعة عشر ذراعاً وأوفى فسموه وفا" [الطبقات الكبرى235/1].

ويذكر زين الدين البياضي: "لما رجع علي بن أبي طالب من صفين كلم الفرات فاضطربت وسمع الناس صوتها بالشهادتين والإقرار له بالخلافة وفي رواية عن الصادق عليه السلام عن آبائه عليهم السلام أنه ضربها بقضيب فانفجرت وسلمت عليه حيتانها، وأقرت له بأنه الحجة" [الصراط المستقيم20/1]. حسناً الفرات نهر فلماذا يؤنثه الإمام؟

كما قال المجلسي: "عن أبي بصير عن أبي عبدالله عليه السلام قال: مد الفرات عندكم على عهد علي عليه السلام فأقبل إليه الناس فقالوا: يا أمير المؤمنين نحن نخاف الغرق، لأن في الفرات قد جاء من الماء ما لم ير مثله، وقد امتلات جنبتاه فالله الله، فركب أميرالمؤمنين عليه السلام والناس معه وحوله يميناً وشمالاً، فمر بمسجد سقيف فغمزه بعض شبانهم، فالتفت إليه مغضباً، فقال: صعار الخدود لئام الجدود، بقية ثمود، من يشتري مني هؤلاء الأعبد؟ فقام إليه مشائخهم فقالوا له: يا أمير المؤمنين إن هؤلاء شبان لا يعقلون ما هم فيه، فلا تؤاخذنا بهم، فو الله إن كنا لهذا لكارهين، وما منا أحد يرضى هذا الكلام لك فاعف عنا عفا الله عنك! قال: فكأنه استحيا فقال: لست أعفو عنكم إلا على أن لا ارجع



حتى تهدموا مجلسكم وكل كوة وميزاب وبالوعة إلى طريق المسلمين، فإن هذا اذى للمسلمين، فقالوا: نحن نفعل ذلك، فمضى وتركهم، فكسروا مجلسهم وجميع ما أمر به حتى انتهى إلى الفرات وهو يزخر بأمواجه، فوقف والناس ينظرون، فتكلم بالعبرانية كلاماً فنقص الفرات ذراعاً، فقال: حسبكم؟ قالوا: زدنا، فضربه بقضيب كان معه فإذا بالحيتان فاغرة أفواهها، فقالت: يا أمير المؤمنين عرضت ولا يتك علينا فقبلناها ما خلا الجري والمارماهي والزمار، فقال عليه السلام: إن بني إسرائيل لما تفرقوا من المائدة فمن كان أخذ منهم براً كان منهم القردة والخنازير، ومن أخذ منهم بحراً كان الجري والمارماهي والزمار، ثم أقبل الناس عليه فقالوا: هذه رمانة ما رأينا مثلها قط جاء بها الماء وقدأ حبست الجسر من عظمها وكبرها فقال: هذه رمانة من رمان الجنة، فدعا بالرجال بالحبال فأخرجوها، فما بقي بيت بالكوفة إلا دخله منها شئ" [بحار الأنوار230/41]. لاحظ الإمام العربي يتكلم بالعبرانية في أرض عربية مع قوم عرب وفي نهر عربي! كما أنه يخاطب الفرات كمذكر هذه المرة وليس مؤنثاً!

نظرتهم الطريفة للكرة الأرضية [واقفة على ثور!]:

يذكر عبد الكريم الجيلي: "إن الله تعالى لما بسط الأرض جعلها على قرني ثور يسمى البرهوت، وجعل الثور على ظهر الحوت في هذا البحر يسمى البهموت" [الإنسان الكامل/117].

ويذكر أبو عبد الله أنه سئل عن الأرض: على أي شيء هي؟ قال: على الحوت، قلت: فالحوت على أي شيء هو؟ قال: على الماء، قلت: فالماء على أي شيء هو؟ قال على الصخرة، قلت: فعلى أي شيء الصخرة؟ قال: على قرن ثور أملس، قلت: فعلى أي شيء الثور؟ قال: على الثرى، قلت فعلى أي شيء الثرى؟ فقال: هيهات عند ذلك ضل علم العلماء" [تفسير القمي59/2].

وها قد وصل العلماء إلى القمر وصوروا الكرة الأرضية وبقية الكواكب، ولم يروا الثور البرهوت ولا حوت أبو عبد الله! لكن مع هذا فهنالك الكثير من الثيران تصدق قصة الثور.

قدرتهم الفسيولوجية [تغيير الحنس!]:

من التخاريف الصفوية: أن الإمام الحسن مارس مهنة الطب "الجراحة التناسلية" عبر تغير الجنس! فقد جاء إليه رجل شامي مع زوجته ذاكراً له كلاماً خاصاً! ثم سأل الإمام بتهكم أن يثبت دعواه بالمعاجز، وذلك بأن يحوله إلى امرأة ويحول زوجته إلى رجل! غضب الإمام غضباً شديداً من سخريته ودندن بطلاسم ونظر إليهما. وفجأة تحول الشامي إلى امرأة وضعت يدها على وجهها حياء وهربت، ثم أقبلت امرأته بصورة رجل. وأخذا بعضهما وذهبا. وبعد مدة عاد الاثنان بصحبة طفل لهما واعتذرا من الحسن عن فعلهما فأعادهما إلى طبيعتهما! ولم يتحفنا الكاتب بالنهاية المألوفة لقصص ألف ليلة وليلة وعاشا عيشة سعيدة! [مدينة المعاجز لعبد الحسين دستغيب260/3]. لاحظ أن الإمام مارس السحر، حيث دندن بطلاسم، والطلاسم من أعمال السحرة.

ذكر الغوث عبد الله اليافعي عن أحد الشيوخ تمتعه بنفس قدرة الإمام الحسن بتغيير الجنس. حيث جاء الشيخ رجل يطلب أن تولد زوجته ولداً، فطالبه الشيخ بمائة دينار، وبعد مدة رجع الرجل للشيخ وقال له بأن امرأته ولدت أنثى! فقال الشيخ: لأن المبلغ كان أقل من مائة دينار! فذهب الرجل وأتى بالنقد



ليكمل المبلغ وأعطاه للشيخ. فقال له الشيخ: اذهب فقد أوفينا لك كما أوفيت لنا. فعاد الرجل إلى منزله ليجد ولداً محل الأنثى! [نشر المحاسن الغالية/22].

وقال الشيخ عبد الرحيم البرعي في ديوانه مادحاً شيخه الشيخ أحمد الطيب البشير مؤسس الطريقة السمانية، قال: إن شيخه أتاه رجل فطلب منه مولوداً ذكراً، فقال له: هل عندك بنات؟ قال: نعم! قال الشيخ: كم؟ قال: ست بنات، قال الشيخ: أحضر منهن واحدة. فأحضرها، ومسح الشيخ عليها بيده فانقلبت ذكراً" [رياض الجنة/111] سبحان الله!

السياحة في الأفلاك والعوالم:

نسب الصفويون للإمام علي بن الحسين أنه "دخل في أربعة عشر عالماً، كل عالم أكبر من الدنيا ثلاث مرات" [بصائر الدرجات الكبرى/320].

ويذكر الكلاباذي عن أحد شيوخهم: "دخل ثلاثمائة وستين عالماً غير عوالم السماوات والأرض" [التعرف لمذهب أهل التصوف/73].

كما ذكر أبو طالب المكي عن أبو يزيد البسطامي: "دخلت ألف مدينة لله في ملكه، أدناها ذات العماد" [قوت القلوب70/2]. مزايدات في العوالم!

الأئمة والأقطاب هم عرش الله:

نسب الصفويون للإمام علي القول: "أنا اللوح، وأنا اقلم، وأنا العرش" [مشارق أنوار اليقين لحافظ رجب البرسي/159].

وقال أبو يزيد البسطامي: "أنا العرش والكرسي" [تذكرة الأولياء لفريد الدين العطار/99].

أسرارهم الغريبة:

نسب الصفويون لجعفر الصادق القول: "عندنا سر من أسرار الله، وعلم من علم الله، أمرنا الله بتبليغه فبلغناه. فلم نجد له موضعاً ولا أهلاً ولا حمالة يحتملونه" [منهاج العابدين/3].

ونسب الغزالي لعلي بن الحسين الملقب بزين العابدين هذا الشعر:

فـــرب جـــوهر علـــم لـــو أبـــوح بـــه * * * لقيـــل لـــي أنـــت ممـــن يعبـــد الوثنـــا
ولاســـتحل رجـــال مســـلمون دمـــي * * * يـــرون أقـــبح مـــا يأتونـــه حسنـــا

ونقل الشعراني عن شيخه محمد الحنفي. وههنا كلام لو أبديناه لكم لخرجتم مجانين؛ لكننا نطويه عمن ليس من أهله".

التناقض في الأجوبة:

نسب الكليني نقلاً عن زرارة بن أعين: "سألت أبا جعفر عن مسألة فأجابني، ثم جاءه رجل فسأله عنها فأجابه بخلاف ما أجابني. ثم جاءه رجل آخر فأجابه بخلاف ما أجابني وأجاب صاحبي" [الكافي65/1].

ويذكر ابن زروق عن الشيخ الجنيد: "كان يجيب على المسألة الواحدة بجوابين مختلفين" [قواعد التصوف لابن زروق/11]



بالطبع هم يسئلون عن الدين ولكنهم لا يفتون على الوجه الصحيح. كأن تسأل الإمام: هل يجوز الامتناع عن صلاة الجمعة؟ فيجيب نعم! ويسأله آخر نفس السؤال، فيجيب كلا! ماذا تسمي هذا الإمام؟

نزول الوحي على الأئمة والشيوخ:

ذكر الكليني بأن "الوحي ينزل في كل ليلة من ليالي القدر على الأئمة" [أصول الكافي303/1]. وكذلك "أن الملائكة تأتيهم وتطأ فرشهم، وأنهم يرونهم صلوات الله عليهم أجمعين" كذلك"ليس الوحي إلى الأئمة من باب الإلهام فقط وإنما تقر في الأسماع بأوامر وتوجيهات مباشرة من الملك وأنه يسمعه كصوت السلسلة، ويأتيه الملك في صورة أعظم من جبرائيل وميكائيل" [بحار الأنوار 358/26]. كما يدعي "يأتيهم الملك في المنام واليقظة وفي البيوت والمجالس" [أصول الكافي 272/1].

كذلك يذكر الشيخ المتصوف عبد العزيز الدباغ "أن الولي ينزل عليه الملك بالأمر والنهي" [الإبريز للدباغ/151].

لديهم الشفاعة حصرياً لأتباعهم!

نسب لجعفر الصادق القول: "نشفع لشيعتنا فلا يردنا ربنا" [كتاب المحاسن/138]. وكذلك قوله: "إذا كان يوم القيامة نشفع في المذنب من شيعتنا" [فضائل الشيعة/109].

وقال الشيخ المتصوف أحمد بن عروس عن الشفاعة: "كل أصبع من أصابعي يشفع في سبعين ألفا" [الوصية الكبرى لعبد السلام الفيتوري/85].

الجفر الإمامي والصوفي:

ذكر المجلسي بأنه يوجد عند الأئمة "سجل فيه أسماء أهل النار إلى يوم القيامة" [بحار الأنوار 26/124]. وكذلك يوجد "عند الأئمة كتاباً يسمى "ديوان الشيعة" فيه أسماء الشيعة إلى يوم القيامة، فمن أراد أن يعرف هل هو من أهل الجنة أو أهل النار فيمكنه أن يسأل الإمام عن نفسه فإن وجده الإمام في الديوان فهو من شيعة أهل البيت ومن أهل الجنة وإن لم يجده فمعنى هذا أنه ليس على ملة الإسلام أصلاً" [بحار الأنوار 123/26].

ويقول شيخ المتصوفة القطب الشاذلي: "أعطيت سجلاً مد البصر، فيه أصحابي وأصحاب أصحابي إلى يوم القيامة عتقاء من النار" [جامع الأصول في الأولياء/116]. وذكر علي حرازم عن الشيخ التيجاني "مما أكرم الله به قطب الأقطاب، أن يعلمه علم ما قبل وجود الكون، وما وراءه، وما لا نهاية له، وأن يعلمه علم جميع الأسماء القائم بها نظام كل ذرة من جميع الموجودات، وأن يخصصه بأسرار دائرة الإحاطة، وجميع فيوضه، وما احتوى عليه" [جواهر المعاني في فيض التيجاني79/2].

عُرف الله تعالى من خلال الأئمة والشيوخ:

ذكر الكليني: "الأوصياء هم أبواب الله عز وجل التي يؤتى منها، ولولاهم ما عُرف الله عزوجل، وبهم احتج الله تبارك وتعالى على خلق" [الكافي193/1].

ويقول الشيخ ابن عربي: "فلا مظهر لله إلا نحن، ولا ظهور لنا إلا به، فبه عرفنا أنفسنا وعرفناه وبنا تحقق ما يستحق الإله" [الفتوحات المكية]. بما معنى ليس للرسل والأنبياء من فضل على العباد، والفضل حصرياً للأئمة والشيوخ.



حب الأئمة والشيوخ جواز سفر للجنة:

يذكر شيخ الطائفة محمد بن الحسن الطوسي: "من أحب علي لن يدخل النار حتى لو كان كافراً أو يهودياً أو نصرانياً" [أمالي الطوسي/312].

ويقول الشيخ الشعراني: "إن الموحد سعيه بأي وجه كان توحيده يدخل الجنة، حتى لو لم يكن مؤمناً بكتاب الله ورسوله، فهو يدخل الجنة" [اليواقيت والجواهر85/2].

نساء فيهنَّ عيب خلقي:

يزعم الشيخ التيجاني: "إن الأنبياء لم يخرجوا من أمهاتهم من المحل المعتاد للولادة، وإنما من تحت سرة أمهاتهم تنزيهاً لهم" [كتاب جواهر المعاني لعلي حرازم].

وجاء حديث عن الحسن العسكري: "إنا معشر الأوصياء ليس نحمل في البطون، وإنما نحمل في الجنوب [يقصد الجنب]. ولا نخرج من الأرحام وإنما نخرج من الفخذ الأيمن من أمهاتنا" [كشكول يوسف البحراني20/3]! تصور امرأة تحمل في فخذها فأية صورة كريكاتورية ستكون، وهل هذه امرأة طبيعية؟ لقد حملت سيدة نساء العالمين مريم العذراء السيد المسيح في بطنها وولد من المكان الطبيعي للولادة؛ فهل نساء الأئمة أعلى منزلة من العذراء؟ مع هذا فإن حديثاً آخر لا يقصره عن الجنب الأيمن بل الأيسر أيضاً! فقد ورد في نفس الكتاب: "إن فاطمة ولدت الحسن والحسين من فخذها الأيمن، وزينب وأم كلثوم من فخذها الأيسر" عجباً! هل كن يعانين من تشوهات خلقية فتحول مكان الجماع والولادة من "بين الفخذين" إلى "جانب الأفخاذ"؟ وما الغرض من هذا التخريف؟ لربما استمد الخميني من هذا الحديث نظرية التفخيذ!

الجرب ثمن الكراهية:

قال الشيخ أحمد الرفاعي: "من أناب الله بنا غنم، الحق يقال: نحن أهل بيت ما أراد سبنا سالب إلا سلب، ولا نبح علينا كلب إلا جرب، ولا هم على ضربنا ضارب إلا ضرب، ولا تعالى علينا حائط إلا وخرب" [البرهان المؤيد/31]. ونسبوا لعلي بن أبي طالب القول: "نحن بنو عبد المطلب ما عادانا بيت إلا وقد خرب، ولا عاوانا كلب إلا وقد جرب، ومن لم يصدق فليجرب" [كتاب زيد بن علي/100].

مهابط الملائكة:

قال الشيخ أحمد الرفاعي: "إذا صلح القلب صار مهبط الوحي والأسرار والأنوار والملائكة" [طبقات الشعراني/141]. ويذكر الطوسي: "بينما ولد المهدي المنتظر كانت الملائكة تهبط وتصعد وتسلم عليه" [كتاب الغيبة/240]. ورُوِيَ عن الإمام الرضا: "إنّ في خراسان بقعة سيأتي عليها زمان تكون مختلف الملائكة لا تزال تهبط فيها فوج من الملائكة وتصعد فوج، حتى ينفخ في الصور، فقالوا: يا ابن رسول الله وما هي البقعة؟ قال: هي بأرض طوس، وإنّها والله روضة من رياض الجنّة" عجباً! هل هي قبور أم مطارات للملائكة؟ ولماذا مطارا طوس وخراسان؟

القدرة الإلهية عند الأئمة والشيوخ:

قال الشيخ أحمد الرفاعي: "إذا تمكن العبد من الأحوال بلغ محل بالقرب من الله تعالى، وصارت همته خارقة للسماوات السبع، وصارت الأرضون كالخلخال في رجله، وصار صفة من صفات الحق جل وعلا لا يعجزه شيئ، وصار الحق تعالي يرضى لرضاه ويسخط لسخطه" [طبقات الشعراني/142].



كما يقول الشيخ الجيلانى:"أنا هو الواحد الصمد، أنا الذاكر المذكور ذكرًا لذاكر، أنا الشاكر المشكور شكراً بنعمه، أنا السامع المسموع في كل نعمة، أنا الواحد الفرد الكبير" [كتاب الفيوضات الربانية في المآثر والأوراد القادرية/47].

ويقول علي بن أبي طالب: "أنا ولي الحساب، أنا صاحب الصراط والموقف، أنا قاسم الجنة والنار، أنا مقدر الأقوات، أنا منشر الأموات، أنا منزل القطر، أنا منور الشمس والقمر والنجوم، أنا أقيم القيامة، أنا أقيم الساعة" [مشارق أنوار اليقين في أسرار أمير المؤمنين لرجب البرسي/170].

كما يذكر الحلاج: "إني مغرق قوم نوح، ومهلك عاد وثمود".

ويقول علي بن أبي طالب: "أنا صاحب يوم النشور أنا صاحب نوح ومنجيه".

وأيضاً: "أنا مزيل الدول، وأنا مبيد الكفرة" [شرح إحقاق الحق للسيد المرعشي/22]، وجاء في [مشارق أنوار اليقين في أسرار أمير المؤمنين لرجب البرسي/170]. إنه كلام باطل. فقد نسبوا لأنفسهم أفعال لا يقدر عليها إلا الله تعالى.

التشبيه المأخوذ عن السيد المسيح عليه السلام:

علي بن أبي طالب والحلاج كلاهما كالسيد المسيح شُبه لهم ولم يُقتل، ورُفعا إلى السماء.

ذكر شريف يحيى الأمين: "فلما قتل علي عليه السلام. قال ابن سـبأ: لم يمت ولم يقتل وإنما قتل ابن ملجم شيطان تصور بصورة علي، وعلي في السحاب، والرعد صوته والبرق سوطه، وأنه ينزل بعد هذا إلى الأرض ويملؤها عدلاً، وهؤلاء يقولون عند سماع الرعد: وعليك السلام يا أمير المؤمنين. وقال ابن سبأ: إن علياً صعد إلى السماء كما صعد عيسى ابن مريم عليه السلام، وقال: كما كذبت اليهود والنصارى في دعواها قتل عيسى عليه السلام، كذلك كذبت النواصب والخوارج في دعواها قتل علي، وإنما رأت اليهود والنصارى شخصاً مصلوباً شبهوه بعيسى عليه السلام كذلك القائلون بقتل علي رضي الله عنه رأوا قتيلاً يشبه علياً فظنوا أنه علي" [موسوعة الفرق الإسلامية/الغلاة].

كما ذكر حسن بن موسى النوبختي: "أصحاب عبد الله بن سبأ وكان ممن أظهر الطعن عـلى أبي بكر وعمر وعثمان والصـحابة وتبرأ منهم، وقال إن عليا عليـه السلام أمر بذلك فأخـذه علي فسأله عن قوله هذا فأقر به فأمر بقتله. فصاح الناس إليه: يا أمير المؤمنين! أتقتل رجلاً يدعو إلى حبكم أهل البيت وإلى ولايتك والبراءة من أعـدائك؟ فصيره إلى المدائن ... إلى أن قال: ولما بلغ عبد الله بن سبأ نعي علي بالمدائن قال للذي نعـاه: كذبت لو جئتنا بدمـاغه في سبعين صرة، وأقمت على قتله سبعين عدلاً لعلمنا أنه لم يمت ولم يقتل ولا يموت حتى يملك الأرض" [فرق الشيعة].

وذكر الشعراني عن الحلاج: "وضرب ألف سوط، فلم يتأوه، وقطعت يداه، ورجلاه، وصلب، ثم أحرق بالنار، ووقع الاختلاف فيه بين الناس أهوى الذي صلب؟ أم رفع كما وقع في عيسى عليه الصلاة والسلام؟" [الطبقات الكبرى15/1]. كما يذكر الشعراني عن الأستاذ سيدي علي كان يقول: "إن علي بن أبي طالب رضي الله عنه رفع كما رفع عيسى عليه السلام، وسينزل كما ينزل عيسى عليه السلام" [الطبقات الكبرى261/1].

أعداؤهم أولاد زناة:



يذكر الشعراني عن سيدي إبراهيم المتبولي: "رماه أهل بيت من متبول باللواط مع ولدهم. فقال: هتك الله ذراريهم، فمن ذلك اليوم صار أولادهم مخانيث، وبناتهم زناة إلى يومنا هذا" [الطبقات الكبرى307/1]. وذكر الكليني بنفس الصدد عن الإمام الصادق: "والله يا أبا حمزة! إن الناس كلهم أولاد بغايا ما خلا الشيعة" [الروضة الكليني/431].

كما قال البحراني: "ما من مولود يولد إلا وإبليس من الأبالسة بحضرته، فإن علم أنه من شيعتنا حجبه عن ذلك الشيطان، وإن لم يكن من شيعتنا أثبت الشيطان أصبعه السبابة في دبره، فكان مأبوناً، وذلك أن الذكر يخرج للوجه، فإن كانت امرأة أثبت في فرجها فكانت فاجرة" [تفسير البرهان 300/2].

الطعن بمصر وشعبها:

يذكر الشعراني علي بن شهاب جدي الأدنى: سمعت أخي إبراهيم المتبولي رضي الله عنه يقول: طعام مصر سم في الأبدان. وكذلك جاءته والدته بالكعيكات التي كان يتقوت منها على عادته فأخذت قميصه تغسله فوجدت فيه أثر احتلام، فقالت: إني أخاف عليك من أهل هذا البلد؛ فإن كنت في طاعة فسافر معي أزوجك في بلدي" [الطبقات الكبرى338/1].

يذكر المجلسي: "بئس البلاد مصر! أما إنها سجن من سخط الله عليه من بني إسرائيل" [بحار الأنوار210/57].

ويذكر الكليني عن أبي الحسن الرضا: سمعته يقول "وذكر مصر"، فقال: "قال النبي صلى الله عليه وسلم: لا تأكلوا في فخارها، ولا تغسلوا رؤوسكم بطينها؛ فإنه يذهب الغيرة، ويورث الدياثة" [الكافي368/6].

وروي عن يحيى بن عبد الله عن الحسن رفعه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: انتحوا مصر ولا تطلبوا المكث فيها، ولا أحسبه إلا قال: وهو يورث الدياثة" [الكافي211/57]. وعن أبي جعفر عليه السلام قال: "إني أكره أن أطبخ شيئاً في فخار مصر، وما أحب أن أغسل رأسي من طينها، مخافة أن تورثني تربتها الذل، وتذهب بغيرتي" [الكافي211/57]. والعجب أن يكون هناك من المصريين شيعة بعد سماع هذا الطعن في شرفهم!

إرجاع ملك الموت تأجيل مهمته:

ورد في سورة النحل: ﴿فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ [النحل:61]، في حين يذكر محمد عثمان عبدة عن شيخ البرهتية :"ذهب أحد المريدين إلى المستشفى للعلاج وذهبت له ومعه أحد أبناء الطريقة فقلت: إن هذا الفتى من أقاربي اعتنى به فلن أستطيع أن أعوده كل يوم. فجاء عزرائيل ملك الموت لقبض روحه فقال له: إلى أين؟ قال: أريد أن أقبض روح هذا المريد! فقال: لا تقبض روحه لأن الشيخ أوصاني بالمحافظة عليه! فقال له ملك الموت عزرائيل: إذا لم ترد موته اقرأ له الحزب السيفى من أوراد الطريقة سبع مرات كل يوم! فقرأ له الحزب السيفي فرأى المريض الجنة ورتبته فيها فقال لأخيه الذي يقرأ له الحزب السيفي حفاظاً عليه من الموت: أستحلفك بالله ورسوله أن تكف عن قراءتك لي الحزب السيفى لأنني أريد أن أموت فأدخل الجنة" [قبس من نور/74].



كما يذكر الشعراني عن الشيخ محمد الشربيني: "لما ضعف ولده أحمد، وأشرف على الموت، وحضر عزرائيل لقبض روحه قال له: الشيخ ارجع إلى ربك فراجعه، فإن الأمر نسخ فرجع عزرائيل، وشفي أحمد من تلك الضعفة، وعاش بعدها ثلاثين عاماً" [الطبقات الكبرى365/2].

ويذكر الشيخ المفيد: "جاء الخبر بذلك عن الصادق عليه السلام فروي عنه أنه قال: كان القتل قد كتب على إسماعيل مرتين، فسألت الله في دفعه عنه فدفعه"، وقد يكون الشيء مكتوباً بشرط فيتغير الحال فيه" [تصحيح إعتقادات الإمامية/65]. لاحظ أنه لا يوجد ملك اسمه عزرائيل في القرآن والسنة كما ذكرنا!

روح القدس:

لروح القدس أهمية عند المتصوفة والصفوية، وغالباً ما يشيرون لها في أحاديثهم.

يقول السهروردي عن الأولياء بأنهم "يتعلمون العلم من روح القدس بلا تعلم بشرى، وتطيعهم مادة العالم العنصري الكوني، ويخبرونه بالجزئيات الواقعة في الماضي والمستقبل" [كتاب اللمحات والإشراق لشهاب الدين السهروردي/172].

ويذكر الكليني بأن "الله أمدهم [أي: الأئمة] بخمسة أرواح منها روح القدس، وأنهم بروح القدس يعلمون ما تحت العرش وما تحت الثرى [أصول الكافي272/1].

أهمية البصاق لكونه ترياق؟

روى الكليني في الصحيح عن علي بن مهزيار قال: رأيت أبي جعفر الثاني يتفل في المسجد الحرام فيما بين الركن اليماني والحجر الأسود ولم يدفنه. كما روى محمد تقي المجلسي عن محمد بن علي بن مهزيار أيضاً الظاهر أنه لبيان الجواز أو يقال إنه من خصائصهم عليهم السلام؛ لأنه ليس في بصاقهم خباثة بل يتشرف المسجد به" [روضة المتقين في شرح من لا يحضره الفقيه للصدوق203/2].

ويذكر شيخهم حسن الفهيد بأن الإمام الصادق بصق على نواة تمرة، فأنبتت وأثمرت وأكلوا منها.

ويذكر الشعراني: "ركب الشيخ أحمد السطيحة على فرس في حجر خادم، فانكسرت ركبته فصاح اذهبوا بي إلى الشيخ أحمد السطيحة فأتوه به، فضحك الشيخ عليه، وقال: تزاحمني على الكساح تب إلى الله، ورقبتك تطيب فتاب واستغفر، فأخذ الشيخ زيتاً، وبصق فيه، وقال: ادهنوا به رقبته فدهنوها فطابت" [الطبقات الكبرى367/2].

يذكر الشعراني: "من كرامات الشيخ أحمد السطيحة: أن امرأة تكسحت، وعجز الأطباء عن دوائها مدة أربع سنين فدخل الشيخ لها، وبصق في شيء من الزيت، وقال: ادهنوا بدنها فدهنوها في حضرة الشيخ فبرئت" [الطبقات الكبرى367/2].

ويلاحظ أن ما يسمى بالسادة في العراق يستخدمون البصاق لعلاج الجهلة سيما الأطفال.

مطابخ السماء في خدمتهم!

ذكر الشيخ شمس الدين الحنفي: "دعا الإمام أبو حنيفة رضي الله عنه يوماً فنزلت عليه مائدة من السماء من حيث لا يعلم" [الطبقات الكبرى311/1].

كما ذكر المجلسي: "ثبت أن فاطمة بنت محمد صلى الله عليه وسلم حين دخلت إلى مخدع لها، فصفت قدميها، فصلت ركعتين، ثم رفعت باطن كفيها إلى السماء وقالت: إلهي وسيدي هذا محمد



نبيك، وهذا علي ابن عم نبيك، وهذان الحسن والحسين سبطا نبيك، إلهي أنزل علينا مائدة من السماء كما أنزلتها على بني إسرائيل أكلوا منها وكفروا بها، اللهم أنزلها علينا فإنا بها مؤمنون! قال ابن عباس: والله ما استتمت الدعوة فإذا هي بصحفة من ورائها يفور قتارها، وإذا قتارها أزكى من المسك الإذفر، فاحتضنتها ثم أتت بها إلى النبي صلى الله عليه وسلم وعلي والحسن والحسين، فلما أن نظر إليها علي بن أبي طالب عليه السلام قال لها: يافاطمة من أين لك هذا؟ ولم يكن عهده عندها شيئاً! فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: كُل يا أبا الحسن ولا تسأل! الحمد لله الذي لم يمتني حتى رزقني ولداً مثلها مثل مريم بنت عمران ﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [آل عمران:37] [بحار الأنوار74/43].

الملائكة خدم لهم:

لم ينجوا الملائكة من سهام الصفويين والمتصوفة؛ فهم ينزلون من السماء على الأئمة والشيوخ مثلما ينزلون على الأنبياء، حسبما زعموا! ولم يكتفوا بهذه التخاريف بل جعلوا الأئمة أعلى منزلة منهم ومن بقية الأنبياء الذين ينزلون عليهم، وتمادوا في غييهم أكثر فجعلوهم خدام للأئمة. فقد زعموا أن الله جل جلاله ناجى الإمام علي بحضور جبريل! جاء ذلك برواية عن [حمران بن أعين] أنه سأل أبي عبد الله بن جعفر عن هذا الأمر؟ فأجابه: أجل قد كان بينهما مناجاة بالطائف، نزل بينهما جبريل [بصائر الدرجات للصفار/430]. ويبدو أن الصفار لم يكتف بمناجاة واحدة لذلك أضاف مناجاة أخرى في يوم العقبة، وأخرى يوم حنين، ويوم وفاة الرسول عندما غسله.

كما جاء في كتبهم: "إن الملائكة ما هم إلا خدم للأئمة ومحبيهم. وأن جبريل من جملة هؤلاء الخدم" [إكمال الدين لابن بابويه/147].

وأورد الكليني: "إن الوحي بإرادة الإمام فإذا أراد أن يعلم شيئاً من أمور الغيب علمه" [أصول الكافي 258/1].

كما أورد المجلسي: "إن الأئمة يذهبون إلى عرش الرحمن كل يوم جمعة ليطوفون به ويأخذون من العلوم ما شاءوا" [بحار الأنوار26/88].

ويذكر الشيخ المفيد بأن نزول الملائكة على الأئمة أمر معقول: "إن العقل لا يمنع من نزول الوحي على الأئمة، وإن كانوا أئمة غير أنبياء" [أوائل المقالات في المذاهب والمختارات/75].

كما روى محمد بن الحسن الصفار: "سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول حول: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾ [الإسراء:85]، قال: ملك أعظم من جبرئيل وميكائيل لم يكن مع أحد ممن مضى غير محمد، وهو مع الأئمة يسددهم" [بصائر الدرجات الكبرى481/9].

وحديث آخر عن أبي عبد الله قال: "إن علياً عليه السلام كان يوم بني قريظة وبني النضير، كان جبرئيل عن يمينه، وميكائيل عن يساره يحدثانه" [المصدر السابق341/7].

وآخر: "إن جعفراً وأباه الباقر جاءهما جبريل وملك الموت بصورة شيخ طويل جميل أبيض الرأس واللحية، ورجل أدم حسن الوجه والشيمة وكان الأول جبريل، والثاني ملك الموت" [المصدر السابق253/5].



كما ذكر الخميني بأن "للإمام مقاماً محموداً، ودرجة سامية، وخلافة تكوينية تخضع لولايتها وسيطرتها جميع ذرات هذا الكون. وإن من ضروريات مذهبنا أن لأئمتنا مقاماً لا يبلغه ملك مقرب، ولا نبي مرسل" [الحكومة الإسلامية].

لاحظ أن فكرة تصرف الأئمة في الكون الذي ذكرها الخميني مستمدة من النصرانية، حيث يعتقدون بأن تلاميذ المسيح الإثنى عشر يمكنهم التصرف بالكون وغفران الذنوب ودينونة الخلائق والملائكة يوم القيامة" [مجلة المنار493/5/16] وهذا ما يمكن ملاحظته أيضاً في إنجيل متى [19/16 و18/18].

وزعموا بأن الإمام علياً سأل النبي صلى الله عليه وسلم هذا السؤال البليد: أنت أفضل أم جبرائيل؟ فأجابه: إن الله فضل الأنبياء المرسلين على ملائكته المقربين، وفضلني على جميع النبيين، والفضل بعد ذلك لك وللأئمة من بعدك، إن الملائكة خدامنا، وخدام محبينا" [مصباح الهداية/124] وهذا افتراء على النبي صلى الله عليه وسلم وعلى الإمام علي رضي الله عنه.

بالرجوع إلى قصة اليهودي الذي شكا للنبي صلى الله عليه وسلم بأن أحد المسلمين لطمه عندما تفاضلا بينه وبين موسى عليه السلام، قال الرسول صلى الله عليه وسلم: «لا تخيروني بين الأنبياء»، وفي روايات أخرى: «لا تفضلوني على موسى»، وكذلك: «لا تفضلوني على الأنبياء، ولا على يونس بن متى».

كذلك حال المتصوفة، حيث يزعم السهروردي بأن "الشيخ للمريدين أمين الإلهام، كما أن جبرائيل أمين الوحي" [عوارف المعارف].

ومن القائلين أن الملائكة تنزل على الأنبياء والأولياء هو الشيخ نجم الدين البكري [فوائح الجمال وفواتح الجلال/10]. وجاء في كتاب [الإبريز/ الشيخ عبد العزيز الدباغ/151] رد قاسٍ على الغزالي وهو: "أن الغزالي غلط في التفريق بين نزول الملك على النبي والوليّ، مع أن النبي والوليّ كلاهما ينزل عليه الملك".

ويضيف الشيخ عبد العزيز الدباغ بأن "ما ذكروه في الفرق بين النبي والوليّ من نزول الملك وعدمه فليس بصحيح؛ لأن المفتوح عليه سواء كان ولياً أو نبياً لا بد له أن يشاهد الملائكة بذواتهم على ما هم عليه، ويخاطبهم ويخاطبونه، وكل من قال: إن الوليّ لا يشاهد الملك ولا يكلمه فذاك دليل على أنه غير مفتوح عليه" [الإبريز للشيخ عبد العزيز الدباغ/151].

كما يذكر الشيخ الرندي عن أحد مشايخه قوله: "إن الملائكة تزورني فأنس بها، وتسلم عليّ فأسمع تسليمها" [غيث المواهب العلية للشيخ النفزي الرندي262/1].

وهذا يذكرنا بقول الرافضة مع فاطمة، فقد نقل الكليني عن الإمام الصادق عليه السلام: "إنّ فاطمة مكثت بعد رسول الله صلى الله عليه وآله خمسة وسبعين يوماً، وكان دخلها حزن شديد على أبيها، وكان جبرئيل عليه السلام يأتيها، فيحسن عزاءها على أبيها، ويطيّب نفسها، ويخبرها عن أبيها ومكانه، ويخبرها بما يكون بعدها في ذريتها وكان علي عليه السلام يكتب ذلك، فهذا مصحف فاطمة عليها السلام" [الكافي240/1]، وهذه محاولة سقيمة لتشبيه فاطمة بالسيدة العذراء! وأين الأخيرة من الأولى؟ فقد جاء في سورة آل عمران: ﴿وَإِذْ قَالَتْ الْمَلاَئِكَةُ يَا مَرْيَمُ أن الله اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ﴾.



وقد جاء في الفتوى رقم [12849] للرئاسة العامة للبحوث والإفتاء عن السؤال: ما حكم من يدعي أن جبريل عليه السلام ينزل على بعض الأشخاص بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم كما يقولون: إنه ينزل على فاطمة ليواسيها؟ كان الجواب: ادعاء نزول جبريل على بعض الأشخاص بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم ليس بصحيح.

ويذكر الشعراني بأن أحد الأولياء كان عندما يُسئل يستأذن سائله ليمنحنه مهلة كي يتصل بجبرائيل ليوافيه بعد ذاك بالجواب. وذكر عبد العزيز الدباغ بأن في كل مدينة يوجد حوالي (70) ملك يعينون الشيوخ "على ماذا يعينونهم، فهم عاطلون بلا عمل" ويصف هيئاتهم بأنهم "على شكل بني آدم، منهم خواجه، ومنهم فقير ومنهم طفل صغير" [الإبريز/165]. ومن ملحهم ما ذكره أبو بكر الحسين بن علي بن بزدانيار "روي أن إسرافيل تسربل بجناحيه حياء من ربه عز وجل" [الطبقات الكبرى114/1]. لا نعرف من أين يستقون معلوماتهم عن الملائكة؟

الطين دواء الجهلة والحمقى:

يشير علماء المسلمين إلى أن أكل التربة غير محرم نصاً، لكنه مكروها، وطالما ضر صحة البشر صار محرماً.

قال الشيخ محمد بن حسين بن علي الطوري القادري الحنفي: "وأكل الطين مكروه" [تكملة البحر الرائق338/2]. ويرى ابن حزم بأن "أكل الطين لمن لا يستضر به حلال، وأما كل ما يستضر به من طين أو اكثار من الماء أو الخبز فحرام لأنه ليس مما فصل تحريمه لنا فهو حلال، وأما كل ما أضر فهو حرام لقول النبي صلى الله عليه وسلم: "إن الله كتب الإحسان على كل شيء" [المحلى439/7].

يرى الصفويون في تربة الحسين دواءا فاعلا لكل الأمراض، أي صيدلية كاملة زائداً ما ما يتم اكتشافه من أدوية في المستقبل! قال ابن سابور الزيات: "عن جابر بن يزيد الجعفي قال: سمعت أبا جعفر محمد بن علي يقول: طين قبر الحسين عليه السلام شفاء من كل داء، وأمان من كل خوف" [طب الأئمة/52].

وذكر الشيخ الطبرسي عن أبو الحسن موسى: "لا يستغني شيعتنا عن أربع: عن خمرة يصلي عليها، وخاتم يتختم به، وسواك يستاك به، وسبحة من طين قبر الحسين فيها ثلاث وثلاثون حبة، متى قلبها ذاكراً لله كتب الله له بكل حبة أربعين حسنة، وإذا قلبها ساهياً يعبث بها كتب الله له عشرين حسنة" [مكارم الأخلاق/49].

قال أبو الحسن: "كُلُّ طِينٍ حَرَامٌ مِثْلُ الْمَيْتَةِ وَالدَّمِ وَلَحْمِ الْخِنْزِيرِ إلا طِينَ قَبْرِ الْحُسَيْنِ فإن فِيهِ شِفَاءً مِنْ كُلِّ دَاءٍ وَلَكِنْ لا يُكْثَرُ مِنْهُ وَفِيهِ أَمَانٌ مِنْ كُلِّ خَوْف" [الكافي378/3].

وقال القمي: "لا يجوز مطلقاً على المشهور بين العلماء أكل شيء من التراب أو الطين إلا تربة الحسين المقدسة استشفاء من دون قصد الالتذاذ بها بقدر الحمصة. والأحوط أن لا يزيد قدرها على العدسة، ويحسن أن يضع التربة في فمه ثم يشرب جرعة من الماء ويقول: اللهم اجعله رزقاً واسعاً، وعلماً نافعاً، وشفاء من كل داء وسقم" [مفاتيح الجنان/547].

وأراد الله تعالى أن يفضح المنافقين على أيدي أئمتهم كأبي عبد الله بقوله: "أكل الطين يورث النفاق" [الكافي265/2]. وعن أبي جعفر: "أَكْثَرُ مَصَائِدِ الشَّيْطَانِ أَكْلُ الطِّينِ وَهُوَ يُورِثُ السُّقْمَ فِي الْجِسْمِ وَيُهَيِّجُ



الدَّاءَ وَمَنْ أَكَلَ طِيناً فَضَعُفَ عَنْ قُوَّتِهِ الَّتِى كَانَتْ قَبْلَ أن يَأْكُلَهُ وَضَعُفَ عَنِ الْعَمَلِ الَّذِى كَانَ يَعْمَلُهُ قَبْلَ أن يَأْكُلَهُ حُوسِبَ عَلَى مَا بَيْنَ قُوَّتِهِ وَضَعْفِهِ وَعُذِّبَ عَلَيْهِ" [الكافي266/6].

كالعادة توجد آراء متناقضة حول أكل التربة حتى عند المجددين منهم، فالخميني لا يجيزها "على الأحوط" كما جاء في قوله: "يُحرم أكل الطين، وهو التراب المختلط بالماء حال بلته، وكذا المدر، وهو الطين اليابس، ويلحق بهما التراب على الأحوط" [تحرير الوسيلة164/2].

والسيستاني يجيز أكل تربة الحسين فقط "أي يستثنى من الطين طين قبر الإمام الحسين عليه السلام للاستشفاء، ولا يجوز أكله لغيره" [منهاج الصالحين302/3]، والخوئي يحددها بمقدار حبة حمص!

العجيب أن هؤلاء المراجع عندما يمرضون يسارعون إلى أوروبا لغرض العلاج! مع أن تربة الحسين بقربهم! الخوئي وبعده السيستاني رحلوا لبريطانيا للعلاج ولم يستخدموا صيدلية الحسين الجامعة. لكن لنضعهم في زاوية حرجة حسب وصية النبي صلى الله عليه وسلم للإمام علي، وكما جاء في واحد من أهم مراجعهم: "فيما أوصى به النبي صلى الله عليه وآله إلى علي عليه السلام: يا علي! ثلاثة من الوسواس: أكل الطين، وتقليم الأظفار بالاسنان، وأكل اللحية" [الخصال62/1].

كذلك حال المتصوفة، فقد ذكر النبهاني عن كرامات عبد الله بن محمد بن يوسف اليمني الضجاعي: "منها ما روي عن الفقيه الكبير أحمد بن موسى بن عجيل أنه رأى النبي صلى الله عليه وسلم وهو يقول له: أن أردت أن يفتح الله عليك بالعمل فخذ من تراب قبر الضرير شيئاً وابتلعه على الريق، ففعل الفقيه ذلك فظهرت عليه بركته وذلك أيام بدايته" [جامع كرامات الأولياء95/1].

ويذكر السلمي عن قبر معروف الكرخي: "قبرُه ببغدادَ ظاهرٌ، يُسْتَشْفي به، ويُتَبَرَّك بزيارتِه"، ويضيف

سمعتُ أبا الحسن بن مِقْسَم المُقْرِئ ببغدادَ، يقول: سمعتُ أبا على الصَّفَّارَ، يقول: سمعتُ إبرهيمَ بنَ الجَزَرِيِّ، يقولُ: "قبر معروف التِّرْياقُ المُجَرَّبُ" [طبقات الصوفية/39].

ومن عجيب أحاديثهم ما ذكره أبو صالح محمد المليجي الشافعي: كان الشيخ الشعراني "يأكل التراب مدة شهرين، ولكن عناية الله جعلته يسيغ التراب فيجد فيه طعم لحم المرق" [المناقب الكبرى]، كيف يكون طعم التراب كطعم المرق؟

عدد الأئمة [13] وليس[12]:

وقع الصفويين في حيرة حول عدد الأئمة، فهناك أحاديث تشير إلى أن عددهم (12) وأخرى تشير إلى أن عددهم (13) وغيرها. ذكر الكليني عن ذريح قال: سألت أبا عبد الله عن الأئمة بعد النبي صلى الله عليه وسلم، فقال: كان أمير المؤمنين رضي الله عنه إماماً، ثم كان الحسن إماماً، ثم كان الحسين إماماً، ثم كان علي بن الحسين إماماً، ثم كان محمد بن علي إماماً، من أنكر ذلك كان كم أنكر معرفة الله تبارك وتعالى ومعرفة رسول الله" [أصول الكافي/106].

حسناً: ولماذا توقف الإمام عند الإمام الخامس ولم يكمل العدد طالما أنه يعرف علم الغيب؟ وأين هو النص الإلهي؟ هل توقف النص عند الإمام الخامس؟ كما ذكر الشيخ الكليني عن محمد بن يحيى، عن محمد بن الحسين، عن ابن محبوب، عن أبي الجارود، عن أبي جعفر عليه السلام عن جابر بن عبد الله الأنصاري قال: "دخلت على فاطمة عليها السلام وبين يديها لوح فيه أسماء الأوصياء من ولدها،



فعددت اثني عشر آخرهم القائم عليه السلام، ثلاثة منهم محمد وثلاثة منهم علي" [الكافي532/1]. أي مع الإمام علي سيكون العدد (13).

وقال الشيخ الصدوق: "حدثنا محمد بن موسى بن المتوكل رضي الله عنه قال: حدثني محمد بن يحيى العطار، وعبد الله بن جعفر الحميري، عن محمد بن الحسين بن أبي الخطاب، عن ابن محبوب عن أبي الجارود، عن أبي جعفر عليه السلام، عن جابر بن عبد الله الأنصاري قال: "دخلت على فاطمة عليها السلام وبين يديها لوح فيه أسماء الأوصياء من ولدها فعددت اثني عشر آخرهم القائم ثلاثة منهم محمد، وأربعة منهم علي صلوات الله عليهم أجمعين" [كمال الدين وتمام النعمة/269].

وذكر الحر العاملي عن الحسن بن محبوب، عن أبي الجارود، عن أبي جعفر عليه السلام، عن جابر قال: "دخلت على فاطمة عليها السلام وبين يديها لوح فيه أسماء الأوصياء من ولدها فعددت اثنى عشر آخرهم القائم ثلاثة منهم محمد، وأربعة منهم علي" [وسائل الشيعة244/16].

كذلك وقع المتصوفة في نفس الفخ، حيث يذكر محمد فهد الشقفة: "لدى تصفحي مواضيع كتاب بوارق الحقائق للرواس وجدت نقاطاً تحتاج إلى بيان منها "ذكر ناشر هذا الكتاب ومحققه في ذيل صحيفة 141-142 ناقلاً عن "روضة العرفان" لمؤلفها السيد محمود أبو الهدى خليفة الرواس قال فيها: "الأئمة الاثنا عشر" رضي الله تعالى عنهم أئمة آل بيت الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم، تشمل إمامتهم كثيراً من المعاني اختلف فيها الفرق، ثم يذكر رأيين لفرقتين من الشيعة الاثني عشرية من هؤلاء الأئمة" [التصوف بين الحق والخلق/141].

بساط الريح الصوفي والصفوي:

قال رستم الطبري عن أبي جعفر: حدثنا أحمد بن منصور الرقادي عن شاذان بن عمرو عن مرة بن قبيصة بن عبد الحميد، قال: قال لي جابر بن يزيد الجعفي: رأيت مولاي الباقر عليه السلام وقد صنع فيلاً من طين فركبه وطار في الهواء، حتى ذهب إلى مكة عليه ورجع، فلم أصدق ذلك منه حتى لقيت الباقر عليه السلام فقلت له: أخبرني جابر عنك بكذا وكذا، فصنع مثله، وركب وحملني معه إلى مكة وردنِ" [نوادر المعجزات صفحة،127].

ذكر ابن الحاج: "حكي عن بعض المريدين أنه كان يحضر مجلس شيخه ثم انقطع، فسأل الشيخ عنه فقالوا له: هو في عافية، فأرسل خلفه فحضر، فسأله ما الموجب لانقطاعك؟! فقال: يا سيدي، كنت أجيء لكي أصل والآن قد وصلت فلا حاجة تدعو إلى الحضور، فسأله عن كيفية وصولة! فأخبره: أنه في كل ليلة يصلي ورده في الجنة. فقال له: يا بني والله ما دخلتها أبداً، فلعلك أن تتفضل علي فتأخذني معك لعلي أن أدخلها كما دخلتها أنت، قال: نعم، فبات الشيخ عند المريد، فلما أن كان بعد العشاء جاء طائر فنزل عند الباب فقال المريد للشيخ: هذا الطائر الذي يحملني في كل ليلة على ظهره إلى الجنة، فركب الشيخ والمريد على ظهر الطائر فطار بهما في ساعة ثم نزل بهما في موضع كثير الشجر فقام المريد ليصلي وقعد الشيخ، فقال له المريد: يا سيدي، أما تقوم الليلة؟ فقال الشيخ: يا بني، الجنة هذه وليس في الجنة صلاة، فبقي المريد يصلي والشيخ قاعد، فلما طلع الفجر جاء الطائر ونزل فقال المريد للشيخ: قم بنا نرجع إلى موضعنا. فقال له الشيخ: اجلس ما رأيت أحداً يدخل الجنة ويخرج منها، فجعل الطائر يضرب بأجنحته ويصيح حتى أراهم أن الأرض تتحرك بهم، فبقي المريد يقول



للشيخ: قم بنا لئلا يجري علينا منه شيء، فقال له الشيخ: هذا يضحك عليك يريد أن يخرجك من الجنة، فاستفتح الشيخ يقرأ القرآن، فذهب الطائر وبقيا كذلك إلى أن تبين الضوء وإذا هم على مزبلة والعذرة والنجاسات حولهما، فصفع الشيخ المريد وقال له: هذه هي الجنة التي أوصلك الشيطان إليها، قم فاحضر مع إخوانك. أو كما جرى" [المدخل لابن الحاج215/3].

ربما المتصوفة أقل جنوناً من الصفويين فهم استعانوا بطائر وليس بفيل كما فعل الصفويون! إنه فيل يا ناس! اتقوا الله وارحموا عقولنا. وزن الفيل في المتوسط ما بين 5455 - 6800 كيلو غرام. وإذا كان هندي ففي المتوسط وزنه [3600] كيلو غرام.

الطريف أن أحد الشيعة عندما جادلته في الأمر قال: "أخي لا تنس أن هذا الفيل إنتاج إمامي، وليس هندي، إنه صناعة وطنية في معمل الباقر"!

وحدة الوجود:

يتهم العلماء المتصوفة بالكفر لقولهم بوحدة الوجود، وهي هرطقة مأخوذة عن الإغريقية سيما من فلسفة هيراقليطس، الذي يرى الله في كل شيء وفي كل ظاهرة فهو الماء والهواء والنار والليل والنهار وهكذا. كذلك في العقائد الهندية القديمة التي تعتبر النفس البشرية جزءاً من النفس العليا أي الذات الإلهية المقدسة. وقد حورها ابن عربي وابن سبعين وغيرهم لتتناسب مع معتقدهم. فقد عرفه القاشاني: "شهود الوجود الحق الواحد المطلق الذي الكل به موجود بالحق، فيتحد به الكل من حيث كون كل [شيء] موجوداً به معدوماً بنفسه، لا من حيث أن له وجوداً خاصاً اتَّحد به، فإنه محال" [اصطلاحات الصوفية/24].

وذكر محمود أبو الفيض المنوفي "هو شهود الحق من غير حلول أو ملابسة كما يحدث من الأجسام للأجسام" [نظرية الإتصال عند الصوفية/32].

كما عرفه البعض "هو اتحاد شيء مع شيء آخر بنحو يصبح الاثنان شيئاً واحداً، وذلك عندما تزول من الإنسان كل صفة من صفات الجسم، ويزول عنه كل ما هو غير روحاني، وعندما يتم ذلك يتحد الإنسان بالله، ويصبح كل ما لله من الصفات والإمكانيات لهذا الإنسان، بنحو تكون الكلمتان وهما [الله] و[الإنسان] هما تعبير عن معنى واحد" [المصدر السابق/33].

ومن هراء ما قاله شيخهم علي الهروي: "وأما الحيوانات فلنا منهم شيوخ، ومن شيوخنا الذين اعتمدت عليهم الفَرس فإن عبادته عجيبة، فما استطعت أن أتصف بعبادتهم. أن السالكين يرون الله بالطريقة التجلية، فيرون الله في جميع الأشياء من إنسان ونباتات وحيوانات بل ويتجلى الله في شكل فَرس" [رشحات عين الحياة/133].

ويذكر الششتري في [إيقاظ الهمم/43].

محبوبي قد عم الوجود * * * وقد ظهر في بيض وسود
وفي النصار مع اليهود * * * وفي الخنازير مع القرود
وفي الحروف مع النقط * * * أفهمني قط أفهمني قط

الحقيقة أن هذه العقيدة لا تقتصر على المتصوفة، بل الأئمة أيضاً يؤمنوا بها، حيث يقول الإمام



الصادق: "لنا مع الله حالات نحن فيها هو، وهو نحن، إلا أنه هو هو، ونحن نحن" [شرح الزيارة الجامعة الكبيرة/107].

ويذكرعن الشيخ الكاشاني"كان يقول بعقيدة وحدة الوجود، وله رسالة في ذلك، جرى فيها مجرى ابن عربي وعبر عنه ببعض العارفين" [لؤلؤة البحرين/121].

ويقول أبو بكر بن سالم العلوي: "لا موجود في الحقيقة إلا الله" [مفتاح السرائر وكنز الذخائر/35]. يرى الخميني"لهذا لو طلب أحد حاجته من الحجر والمدر لا يكون شركاً، مع أنه قد فعل فعلاً باطلاً. ومن ناحية أخرى نحن نستمد من أرواح الأنبياء المقدسة والأئمة الذين أعطاهم الله قدرة. لقد ثبت بالبراهين القطعية والأدلة النقلية المحكمة حياة الروح بعد الموت، والإحاطة الكاملة للأرواح على هذا العالم" [كشف الأسرار/30]. متفقا مع قول ابن عربي"للحق يعبد فيه، ولذلك سموه كلهم إلهًا، مع اسمه الخاص بحجر، أو شجر، أو حيوان، أو إنسان، أو كوكب، أو مَلَك" [فصوص الحكم/380] في حين يذكر العلامة الآلوسي"لم يعهد التوسل بالجاه والحرمة عن أحد من الصحابة رضي الله تعالى عنهم" [تفسير روح المعاني187/4]

ـ خزائن العلم بيدهم وليس بيد الله!

يدعي الصفويون والمتصوفة بأن لديهم خزائن علم الله، وهي خزائن لم يدعيها الرسل والأنبياء، ولا نفهم كيف حصلوا عليها؟ سيما أن الأمر واضح، كما ورد في سورة الأنعام/55([قُل لاَّ أَقُولُ لَكُمْ عِندِي خَزَآئِنُ الله وَلا أَعْلَمُ الْغَيْبَ)]. وهذا توجيه من الله تعالى لرسوله المصطفى، وهو ينهي كل نقاش في هذا الموضوع، لأن الخزائن تعني من جملة ما تعني علم الغيب والإحاطة بكل العلوم. قال الكليني"إن الإمام لا يخفى عليه كلام أحد من الناس ولا طير ولا بهيمة ولا شيء فيه الروح، فمن لم يكن هذه الخصال فيه فليس هو بإمام" [الكافي225/1]. يذكر السيد المرعشي من قول الإمام علي"أنا وارث العلوم، أنا معارف العوارف، أنا ذخيرة الذخائر، أنا إرث الوارث" [شرح إحقاق الحق351/22].

وعن أبي جعفر قال"وجدنا في كتاب علي عليه السلام"أن الارض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين"أنا وأهل بيتي الذين أورثنا الله الارض ونحن المتقون والارض كلها لنا" [المصدر السابق408/1]. لكن ما هو كتاب علي؟ أن كان يقصد القرآن فهو ليس كتاب علي! وان كان يقصد كتاب آخر فلم يترك لنا علي كتابا! وآخر لأبي عبد الله"إني لأعلم ما في السماوات وما في الارض وأعلم ما في الجنة وأعلم ما في النار، وأعلم ما كان وما يكون، قال: ثم مكث هنيئة فرأى أن ذلك كبر على من سمعه منه فقال: علمت ذلك من كتاب الله عزوجل، أن الله عزوجل يقول فيه تبيان كل شئ"]بصائر الدرجات/76].

وفيما يتعلق بالمتصوفة، يقول أبو سعيد الخَرَّازَ"للعارفين خزائنُ أودعوها عُلوماً غريبةً، وأنباءَ عجيبةً؛ يتكلَّمون فيها بلسان الأَبَدِيَّة، ويخبرون عنها بعبارة الأَزَلِيَّة" [طبقات الصوفية/74]. وذكر ابن عربي"إن علومنا كلها محفوظة من الخطأ" [الفتوحات المكية/ الباب306]. وقوله كذلك "جميع ما كتبته وأكتبه إنما هو عن إملاء إلهي وإلقاء رباني أو نفث روحاني" الفتوحات المكية/373]. وآخر"إعلم أن علومنا وعلوم أصحابنا ليست من طريق الفكر وإنما هي من الفيض الإلهي" الفتوحات المكية/ الباب46]



ـ الحجر الأسود له فاه ويتكلم.
الأصل في كلام الحجر مأخوذ عن الإسرائيليات، فقد ورد النص"أن الحجر يصرخ من الحائط، فيشهد له الجائز من الخشب" [سفر حبقوق11/2].
قال الشعراني"ذكر الشيخ محيي الدين في باب الحج من الفتوحات المكية: أن الكعبة كلمته، وكذلك الحجر الأسود، وأنها طافت به، ثم تلمذت له وطلبت منه ترقيتها إلى مقامات في طريق القوم، فرقاها لها وناشدها أشعارا وناشدته" [الأجوبة المرضية]. كما ذكر الطبرسي"لما قتل الحسين أرسل محمد بن الحنفية إلى علي بن الحسين وقال له: قتل أبوك رضي الله عنه وصلى على روحه ولم يوص وأنا عمك وصنو أبيك، وولادتي من علي عليه السلام في سني وقديمي أحق بها منك في حداثتك، فلا تنازعني في الوصية ولا الإمامة ولا تحاجني. فرد عليه علي بن الحسين: انطلق بنا إلى الحجر الأسود حتى نتحاكم عليه ونسأله عن ذلك، فانطلقا حتى أتيا الحجر الأسود، فقال علي بن الحسين لمحمد بن الحنفية: ابدأ أنت فابتهل إلى الله عز وجل وسله أن ينطق لك الحجر، ثم سل. فابتهل محمد في الدعاء وسأل الله، ثم دعا الحجر فلم يجبه! ثم دعا الله علي بن الحسين عليهما السلام، فتحرك الحجر حتى كاد أن يزول عن موضعه، ثم أنطقه الله عز وجل بلسان عربي مبين، فقال: اللهم أن الوصية والإمامة إلى علي بن الحسين" [الورى للطبرسي/ 258].
ـ الشمس عشق وغروب من أجل المحبوب!
نقل المجلسي عن أم جعفر وأم محمد بنتي محمد بن جعفر، عن أسماء بنت عميس وهي جدتها قالت"خرجت مع جدتي أسماء بنت عميس وعمي عبدالله بن جعفر حتى إذا كنا بالضهياء حدثتني أسماء بنت عميس قالت: يا بنية كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذا المكان، فصلى رسول الله صلى الله عليه وآله الظهر ثم دعا عليا فاستعان به في بعض حاجته، ثم جاءت العصر، فقام النبي صلى الله عليه وآله فصلى العصر، فجاء علي عليه السلام فقعد إلى جنب رسول الله صلى الله عليه وآله فأوحى الله إلى نبيه، فوضع رأسه في حجر علي حتى غابت الشمس لا يرى منها شئ على أرض ولا جبل، ثم جلس رسول الله صلى الله عليه وآله فقال لعلي عليه السلام: هل صليت العصر؟ فقال: لا يا رسول الله انبئت أنك لم تصل، فلما وضعت رأسك في حجري لم أكن لاحركه، فقال: اللهم أن هذا عبدك علي احتبس نفسه على نبيك فرد عليه شرقها، فطلعت الشمس، فلم يبق جبل ولا أرض إلا طلعت عليه الشمس، ثم قام علي عليه السلام فتوضأ وصلى ثم انكسفت" [بحار الأنوار91/ 167].
مع أن النبي صلى الله عليه وسلم كما هو واضح من القصة لم يصلٍ أيضا! فلماذا دعاها لعلي ولم يدعوها لنفسه.
كما ذكر رجب البرسي قول الإمام علي "أنا الذي ردت لي الشمس مرتين" [مشارق أنوار اليقين في أسرار أمير المؤمنين/170]. علق الإمام أحمد عن الحديث"لا أصل له"! وقال ابن الجوزي [موضوع]، وقال ابن حزم "الرافضة لا يختلفون في أن الشمس ردت على علي بن أبي طالب مرتين، أفيكون في صفاقة الوجه، وصلابة الخد، وعدم الحياء، والجرأة على الكذب أكثر من هذا على قرب العهد وكثرة الخلق" [الفصل في الملل والأهواء والنحل126/4].



ذكر المتصوفة بعض من كرامات إسماعيل بن محمد الحضرمي أبي العباس"أنه قصد مدينة زبيد في بعض الأيام، فقاربت الشمس الغروب وهو بعيد من المدينة، فخشي أن تغلق الأبواب دونه، فأشار إلى الشمس أن تقف، فوقفت حتى بلغ مقصده" [الأجوبة المرضية589/1]. ومنها أيضاً "دخل بعض الأولياء السياحين إلى تريم مع غروب الشمس، فحبس الشمس عن الغروب ليصلي العصر فأشرفت عليه امرأة من بيتها وكاشفته وقالت له: فك الشمس علينا لنفطر" [تذكير الناس/254]. قال السبكي في "مما حكي من كرامات الحضرمي واستفاض: إنه قال يوما لخادمه وهو في سفر: قل للشمس تقف حتى نصل إلى المنزل! وكان في مكان بعيد وقد قرب غروبها، فقال لها الخادم: قال لك الفقيه إسماعيل قفي! فوقفت حتى بلغ مكانه ثم قال للخادم: أما تطلق ذلك المحبوس؟ فأمرها الخادم بالغروب فغربت، وأظلم الليل في الحال. [طبقات الشافعيين51/5]. هذه المرة خادم يحبس الشمس وليس شيخا!

في حين ورد في الحديث النبوي"ما حبست الشمس على بشر الا على يوشع بن نون" [أخرجه احمد وصححه ابن حجر]. وأصله"غَزَا نَبِيٌّ من الأنبياء فَقَالَ لِقَوْمِهِ: لا يَتْبَعْنِي رَجُلٌ مَلَكَ بُضْعَ امْرَأَةٍ وَهُوَ يُرِيدُ أن يَبْنِيَ بِهَا وَلَمَّا يَبْنِ بِهَا، وَلا أَحَدٌ بَنَى بُيُوتًا وَلَمْ يَرْفَعْ سُقُوفَهَا، وَلا أَحَدٌ اشْتَرَى غَنَمًا أو خَلِفَاتٍ وَهُوَ يَنْتَظِرُ وِلادَهَا، فَغَزَا فَدَنَا مِنْ الْقَرْيَةِ صَلاةَ الْعَصْرِ أو قَرِيبًا مِنْ ذَلِكَ فَقَالَ لِلشَّمْسِ: إِنَّكِ مَأْمُورَةٌ وَأَنَا مَأْمُورٌ، اللَّهُمَّ احْبِسْهَا عَلَيْنَا. فَحُبِسَتْ حَتَّى فَتَحَ الله عَلَيْهِ"

ـ المناعة ضد النار

الجلوس في النار وعدم أذائها للأئمة والشيوخ واحدة من البدع التي يتشدق بها أتباعهم، ولا نعرف لم يستعجلون النار في الدنيا! وهناك نار في الآخرة تنتظر أهل الزيغ والبدع بشوق! جاء في سورة مريم72/68[[فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيّاً * ثُمَّ لَنَنزِعَنَّ مِن كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَنِ عِتِيّاً * ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِالَّذِينَ هُمْ أَوْلَى بِهَا صِلِيّاً * وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْماً مَّقْضِيّاً * ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيّاً]].

ذكر الصفويون عن موسى بن جعفر أنه لما حصل خلاف بينه وبين أخيه عبد الله وكان أكبر ولد جعفر عن الإمامة، أمر موسى بجمع حطب في وسط الدار وأرسل إلى أخيه عبد الله يسأله أن يصير إليه، فلما صار إليه ومع موسى جماعه من الإمامية، فلما جلس موسى أمر بطرح النار في الحطب فاحترق ولا يعلم الناس السبب فيه، حتى صار الحطب كله جمرا ثم قام موسى وجلس بثيابه في وسط النار وأقبل يحدث الناس ساعة، ثم قام فنفض ثوبه ورجع إلى المجلس، فقال لأخيه عبد الله: أن كنت تزعم أنك الإمام بعد أبيك، فاجلس في ذلك المجلس" [كشف الغمه للأربلي73/3].

بالنسة للمتصوفة ذكر ابن خلكان عن الرفاعي"ولأتباعه أحوال عجيبة من أكل الحيات وهي حية، والنزول إلى التنانير وهي تضطرم من النار فيطفؤونها ويقال: أن في بلادهم يركبون الأسود" [وفيات الأعيان172/1]. وفضح شيخ الإسلام ابن تيمة دجلهم عندما تحداهم بإدخال اصبعه وأصبع واحد منهم في النار بعد غسلهما من المواد وتعقيمهما فرفضوا! [راجع الفتاوى455/11]. والطريف أن مناعتهم ضد النار تشمل من يجاورهم وكذلك حاجاتهم. ذكر يوسف النبهاني"من كرامات الشيخ أحمد بن أدريس رضي الله عنه أن شخصا اشترى لحما ووضعة في ثوبه وأدركته الصلاة، فصلى معه رضي الله عنه، وبعد انقضاء الصلاة ذهب بلحمه إلى بيته ووضعه في القدر، وأوقد عليه النار فلم تؤثر فيه



فأكثر عليه من النار فلم تفد فيه شيئاً، فأخبر بذلك الشيخ رضي الله عنه فقال: نحن بشرنا أنه من صلى معنا لم تمسه النار"

وجاء في ترجمة علي بن حسين العطاس نفس إسطوانة موسى بن جعفر "أنه أشعل النار في نفسه داخل غرفته، فدخلوا عليه فوجدوه جالساً على مصلاه مبتسماً وهو يقول: يا نار كوني برداً وسلاماً على إبراهيم، فسألوه عن الحادثة"فقال: إني أسمع الناس يقولون إني ولي فأردت أن أتحقق ذلك من نفسي لا غير" [تاج الأعراس على مناقب صالح بن عبد الله العطاس/303] مجنون يظن نفسه النبي إبراهيم.

ومن كرامات علي بن حسين العطاس "أن ركاب بغلته انكسر، فأمر خادمه بإرساله إلى الحداد ليصلحه، فوضعة في النار، مراراً فلم تؤثر فيه شيئاً، فرجع إلى الشيخ فأخبره بذلك، فقال له الشيخ: أنا عبد من عبيد الله أكرمني بأنه من جاورني لم تحرقه النار، فكيف بمن جاوره في بلده الأمين، وكان رجل بالمجلس لا يرى للجوار أثراً فانتفع من هذه الواقعة وعرف فضل الجوار ومراعاة الجيران" [جامع كرامات الأولياء579/1].

ـ الهاتف السماوي

تدعي العقيدتان بوجود هواتف سماوية من السماء للأئمة والشيخ، تارة يعزفون عن تسمية صاحب النداء، وتارة يدعون أن مبعثها هو الذات الإلهية المقدسة، وأخرى الملائكة. وأحيانا يصل بالصفويين الإسفاف مدعين أن الأصوات تناجي غيرالمعصوين مثل فاطمة بنت أسد. فقد ذكر الصدوق قول فاطمة بنت أسد"إنّي فضّلت على مَن تقدّمني من النساء، لأنّ آسية بنت مزاحم عبدت الله عزّ وجل سرّاً في موضع لا يحبّ أن يُعبد الله فيه إلّا اضطراراً، وإنّ مريم بنت عمران هزّت النخلة اليابسة بيدها حتّى أكلت منها رطباً جنياً، وإنّي دخلت بيت الله الحرام فأكلت من ثمار الجنّة وأرزاقها، فلمّا أردت أن أخرج هتف بي هاتف: يا فاطمة، سمّيه علياً، فهو علي، والله العليّ الأعلى يقول: إنّي شققت اسمه من اسمي" [الأمالي/194]. وجاء أيضاً في قول هذه المدعية"إنّ الله تعالى اختارني وفضّلني عليهما وعلى كل من مضى قبلي من نساء العالمين لأنّي ولدت في بيته العتيق وبقيت فيه ثلاثة أيام آكل من ثمار الجنّة وأوراقها، فلمّا أردت أن أخرج وولدي على يدي هتف بي هاتف وقال: يا فاطمة سمّيه علياً! فأنا العلي الأعلى وإنّي خلقته من قدرتي وعزّ جلالي وقسط عدلي واشتققت اسمه من اسمي وأدّبته بأدبي وفوّضت إليه أمري ووقفته على غامض علمي وولد في بيتي وهو أوّل من يؤذّن فوق بيتي ويكسّر الأصنام ويرميها على وجهها ويعظّمني ويمجّدني ويهلّلني وهو الإمام بعد حبيبي ونبيي وخيرتي من خلقي محمد رسولي ووصيه، فطوبى لمن أحبّه ونصره، والويل لمن عصاه وخذله وجحد حقّه" [كنز الفوائد252/1]. دجل واضح كضوء الشمس. والحقيقة أن الكعبة التي تدعي إنها ولدت فيها كانت مليئة حينها بالإصنام، اي أن الإمام علي ولِد في وسط الأصنام، فأي شرف في ذلك؟ وكانت نساء قريش اللواتي تتعسر ولادتهن يأتينٌ للكعبة للحصول على بركة الأصنام لتسهيل ولادتهنٌ، ويبدو هذا هو سبب زيارتها للكعبة.

أما الصوفية فقد ذكر أبو بكر الكلاباذي عن أبو سعيد الخراز"بينما أنا عشية عرفة قطعني قرب الله عز و جل عن سؤال الله ثم نازعتني نفسي بأن أسأل الله تعالى فسمعت هاتفا يقول أبعد وجود الله تسأل الله غير الله" [التعرف لمذهب أهل التصوف]. وقال أبو حمزة الخراساني "حججت سنة من السنين فكنت



أمشـي فوقعت فـي بئـر فنـازعتني نفسـي بـأن أسـتغيث فقلت: لا والله لا أستغيث! فمـا اسـتتممت هـذا الخـاطر حتـى مرٌّ بـرأس بـالبئر رجـلان، فقـال أحـدهما للآخـر: تعـال حتـى نطـم رأس هـذا البئـر مـن الطريق! فأتوا بقصب وبارية وهممت أن أصيح ثم قلت يا من هو أقرب إلى منهما وسكت حتى طموا ومضوا فإذا أنا بشيء قد دلى برجليه في البئر وهو يقول: تعلق بـي! فتعلقت بـه، فـإذا هـو سبع وإذا هاتف يهتف بي ويقول لـي: يـا أبـا حمـزة هـذا حسـن نجينـاك مـن التلـف فـي البئـر بالسبع. حسـنا لمـاذا يطمان البئر وفيه منفعة لهما وللغير؟ وهل الشيخ أعمى ليقع في البئر؟ البئر يُحاط عادة بالصخور من كل جانب حتى يمكن إنزال الدلو فيه، وهو ليس فخ ليقع فيه الشيخ. كما ذكر أبو بكر الكلاباذي عنه أيضا"سمعت بعض أصحابنا يقول"قـال أبـو الوليد السـقاء قـدم إلـى أصـحابنا بومـا لبنـا، فقلت هـذا يضرني! فلما كان يوم من الايام دعوت الله تعالى فقلت اللهم اغفر لي فإنك تعلم أني ما أشركت بك طرفة عين! فسمعت هاتفا يهتف بي ويقول: ولا ليلة اللبن؟ ومنها "قال أبو سعيد الخراز كنت في الباديـة فنـالني جـوع شـديد فطـالبتني نفسـي بـأن أسـأل الله طعامـا فقلت ليس هـذا مـن فعـل المتـوكلين، فطالبتني نفسي بأن أسأل الله صبرا فلما هممت بذلك سمعت هاتفا يقول:

ويزعـــــــم أنه منا قريب... وأنا لا نضيع من أتانا

ويسألنا القوى عجزا وضعفا... كأنا لا نــراه ولا يرانا

مما ذكره الشيخ يوسف النبهان عن الإمام علي"أن واحداً من محبيه سرق وكان عبداً أسود فأتى به إلى الإمام علي فقال: له أسرقت؟ قال: نعم.فقطع يده، فانصرف من عنده فلقيه سلمان الفارسي وابن الكواء فقال ابن الكواء: من قطع يدك؟ فقال: أمير المؤمنين ويعسوب المسلمين وختن الرسول وزوج البتول.فقال: قطع يدك وتمدحه؟ فقال: ولِمَ لا أمدحه! وقد قطع يدي بحق وخلصني من النار، فسمع سلمان ذلك فاخبر به علياً فدعا الأسود ووضع يده على ساعده وغطاه بمنديل ودعا بدعوات، فسمعنا صوتاً من السماء ارفع الرداء عن اليد، فرفعناه فإذا اليد قد برأت بإذن الله تعالى" [جامع كرامات الأولياء1/388].

ـ مكرمة طي الارض

يقول الكلاباذي عن الصوفية "أجمعوا على إثبات كرامات الأولياء، كالمشي على الماء، وكلام البهائم، وطي الأرض، وظهور الشئ في غير موضعه" [التعرف لمذهب أهل التصوف/44]. ويضيف ابن عطاء الله السكندري"ثم أن الكرامة قد تكون طيّا للأرض ومشيا على الماء، واطلاعا على كوائن كانت وكوائن لم تكن بعد من غير طريق العادة، وتكسير الطعام أو الشراب، أو إتيانا بثمرة في غير أوانها، أو إيجاب الدعوة بإتيان مطر في غير وقته، أو صبرا عن الغذاء مدة تخرج عن طور العادة" [لطائف المنن/43]. يضيف "فإن طي الأرض لو عجز عنه أو فقده ما نقص ذلك من رتبتك عنده إذا قمت له بالوفاء في العبودية وطي أوصاف النفوس، لو لم تقدم عليه به لكنت من المغبونين وحشرت في زمرة الغافلين" [لطائف المنن/44]. كما ذكر عن علي بن خالد الزيدي قوله: كنت في العبادة ودخل الإمام الجواد وأخذني بطي الأرض إلى مسجد في الكوفة وإلى مسجد الرسول والمسجد الحرام ثم أرجعني. وهنا يجب القول أن رسول الله صلى الله عليه وسلم عندما أخرجوه من مكة ذهب إلى غار ثور وكان ذهابه على قدميه، ومن ثم ذهب إلى المدينة، ولم تكن له معجزة طي الأرض، وأما الإمام



الجواد والذي لم يكن له مقام النبوة فقد طويت له الأرض! أن هؤلاء الغلاة غالوا في الأئمة قدر ما استطاعوا" [شطحات الصوفية لبدوي/207].

- الإستعانة بالكواكب

إنها نوع من الكهانة يمارسها الصفويون والمتصوفة وهي تتعارض من أحكام القرآن والسنة النبوية. فقد ذكر الشيخ البوني"فأول ساعات السعد الساعة الأولى من يوم الأحد والاثنين والخميس والجمعة، فإن فاتت الأوائل فالثوامن أو ما مر بها كوكب سعيد، ولكن يراعى الكوكب المناسب طبعه لطبع العمل المطلوب، وأوقات عمل الشر ما عدا هذه الساعات. وأعلموا أن الكواكب السبعة السيارة تمر في كل يوم وليلة فلا يتوقف الطالب على يوم بعينه بل كل ساعة يمر بها كوكبها يعمل فيها العمل اللائق بذلك الكوكب، حتى ذكر عن الاستاذ أنه وضع في يوم وليلة أربعة وعشرين عملا متضادة أجابت روحانياتها في الوقت هذا ظاهر لا يحتاج إلى دليل، وإذا كانت كواكب السعد صاعدة كان أبلغ في أعمالها، وإذا كان كواكب النحس هابطة كانت أبلغ في أعمالها وانتقال ذلك المطلوب" [منبع أصول الحكمة/7].

ويذكر الخميني: "يكره إيقاع الزواج والقمر في برج العقرب، وفي محاق الشهر، وفي أحد الأيام المنحوسة في كل شهر وهي سبعة: اليوم الثالث، واليوم الخامس، واليوم الثالث عشر، واليوم السادس عشر، واليوم الوحد والعشرون، واليوم الرابع والعشرون، واليوم الخامس والعشرون من كل شهر" [تحرير الوسيلة 238/2].

لكن كلام الإمام علي يسفه الآراء المذكورة: "أيها الناس! إياكم وتعلم النجوم إلا ما يهتدى به في بر أو بحر فإنها تدعو إلى الكهانة، والمنجم كالكاهن والكاهم كالساحر، والساحر كالكافر، والكافر في النار" [نهج البلاغة157/1].

من هو إمام المتقين؟

إن لقب إمام المتقين يخص النبي محمد صلى الله عليه وسلم. قال عروة بن الزبير بأن عبد الله بن الزبير قال في مكة: "إن أناساً أعمى الله قلوبهم، كما أعمى أبصارهم يفتون بالمتعة [يقصد ابن عباس قبل أن يرجع عن فتواه] وكان قد كف بصره، فناداه فقال: إنك لجلف جاف، لعمري! لقد كانت المتعة تفعل على عهد إمام المتقين [يقصد رسول الله]. فقال له الزبير: فجرب نفسك، فوالله لئن فعلتها لأرجمنك بأحجارك" [صحيح مسلم1406/27].

كما ورد لفظ إمام المتقين في حديث خالد بن المهاجر بن سيف الله بقوله عندما أفتى لرجل سأله عن المتعة فأجابه بنعم. فاعترض عليه ابن أبي عمرة الأنصاري بقوله: "تمهل! قال خالد والله لقد فُعلت في عهد إمام المتقين. فقال له ابن أبي عمرة: إنها كانت رخصة في أول الإسلام لمن اضطر لها، كالميتة والدم ولحم الخنزير، ثم أحكم الله الدين فنهى عنها" [صحيح مسلم1406/27].

وبغض النظر عن الأحاديث فالنبي صلى الله عليه وسلم هو إمام المتقين بلا شك، ولا يستحق هذا اللقب غيره.

لكن الشعوبيين أسبغوا هذا اللقب على الإمام علي بعد أن انتزعوه من النبي صلى الله عليه وسلم بلا وجه حق. والمصيبة أنهم أوكلوا نزعه وإضفائه على الإمام علي بحديث منسوب للنبي صلى الله عليه



وسلم نفسه! ذكر محمد بن علي بن شاذان بسنده عن علي بن أبي طالب قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "يا علي أنت أمير المؤمنين، وإمام المتقين. يا علي أنت سيّد الوصيين، ووارث علوم النبيين وخير الصديقين، وأفضل السابقين. يا علي أنت زوج سيدة نساء العالمين، وخليفة خير المرسلين. يا علي أنت مولى المؤمنين. يا علي أنت الحُجّة بعدي على النّاس أجمعين، استوجب الجَنّة من تولاّك، واستحق النّار من عاداك. يا علي والذي بعثني بالنبوة، واصطفاني على جميع البرية، لو أن عبداً عبد الله ألف عام" وفي حديث آخر "ثم ألف عام ما قُبل ذلك منه إلاّ بولايتك، وولاية الأئمة من ولدك، فإن ولايتك لا يقبل الله تعالى إلاّ بالبراءة من أعدائك، وأعداء الأئمة من ولدك، بذلك أخبرني جبرائيل" [المناقب المائة/ المنقبة التاسعة/6].

كذلك أشار إليه الحاكم في المستدرك: "أوحى الله إلي في علي ثلاثاً: إنه سيد المؤمنين، وإمام المتقين، وقائد الغر المحجلين" [المستدرك139/3]. وقد علق الإمام الذهبي على سند الحديث بأن "عمرو بن الحصين العقيلي وشيخه يحيى بن العلاء الرازي متروكان، والحديث موضوع".

كذلك شأن المتصوفة، فقد نسبوا للشيخ عبد القادر الجيلاني (99) اسما وردت في كتاب [الفيوضات الربانية/72]. منها ما جاء في الاسم رقم (49) وهو "يا إمام المتقين".

السماح بالتدخين والتحشيش:

بدأ تعاطي الحشيشة من قبل الصوفية في خراسان، مثلما انبثقت فرقة الحشاشين الشيعية منها أيضاً، ثم انتشر في بقية الأمصار. يذكر أحمد بن علي المقريزي بكتابه [المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار "الخطط المقريزية" بأن "مشايخ الصوفية في خراسان كانوا أول من اكتشف التأثير المبهج للحشيش سنة658هـ، وأنه يقلل من الشهية للطعام، ويمنع التهيج الجنسي، فيصون الصوفي عن الرذيلة. وهكذا كان انتشار الحشيشة من الصوفية إلى غيرهم "تحت هذه الحجة الواهية.

ومن طريف ادعاءاتهم أن جعلوا أمر تعاطيهم القنب سراً "لأن الله خص الصوفية به" هنيئاً لكم به!

ويكمل عبد المنعم الحفني القول "لم يكن متصوفة العراق يعرفونها حتى وفد عليهم هرمز فاشتهرت هناك. وبسبب تعاطيهم الحشيشة غلبت السفالة على الأخلاق، وارتفع ستر الحياء والحشمة بين الناس، وجهروا بالسوء من القول، وتفاخروا بالمعايب" [الموسوعة الصوفية/ 369]. وهم يدعون بأن الله تعالى خصهم بها مع كل هذه المفاسد!

ذكر شمس الدين الأفلاكي: "أن مريداً لمولانا جلال الدين الرومي كان يشكو من ثقل في رأسه وكثرة نومه، فوصف له أن يشرب السائل الحليبي المستخرج من الخشخاش" [مناقب العارفين في أخبار جلال الدين الرومي654/1].

كما ذكر الشيخ أحمد عثمان مطير شيخ الطريقة القادرية في اليمن: نُقل عن الشيخ الكبير عبد القادر الجنيد أنه نام ذات ليلة فرأى النبي صلى الله عليه وسلم ومعه أبو بكر وعمر رضي الله عنهما وبين أيديهم شيء من القات، قال: فناولني النبي صلى الله عليه وسلم شيئاً من القات، ففزعت من النوم وأنا قابض على القات في يدي، ومعي ندم عظيم لماذا لم أسأله عن فائدة القات؟ فرجعت إلى منامي فرأيته صلى الله عليه وسلم هو وأصحابه على ما هم عليه فسألته فقال النبي صلى الله عليه وسلم: يا عبد القادر إنه نزل به جبريل الآن! يا عبد القادر كُلْ مِنْه فإن آكله لا ينطق إلا بالصواب" [الدرة الفريدة في



تاريخ محافظة الحديدة/41]. النبي يوصي بالقات! لعن الله من افترى عليه في الصحو والنوم! ولماذا لا يسأل هذا الشيخ المفتري الأطباء عنه؟

لهذا ليس من الصدفة أن يصدر بعض مراجع الصفوية فتاوى تبيح تعاطي الحشيشة، فلهم في شيوخهم من فرقة الحشيشة وشيوخ المتصوفة أسوة سيئة. فقد ذكر النعماني عن الشيخ المجلسي: "حتى أن التقي المجلسي طاب ثراه كان يشربه "الحشيش" في صوم التطوع، ويترك استعماله في الصوم الواجب، حذرا من كلام العوام، ولهم في التحريم دلايل" [روضات الجنات55/4]، الشيخ لا يستحي من الله تعالى، بل من كلام العوام!

ويضيف أيضاً: "وهذه الحشيشة، قد أقبل عليها الناس إقبالاً عظيماً لا يمكن ردعهم عنه"، ونقل الميرزا جواد التبريزي فتوى الخوئي [سؤال رقم1286] هل تجوز زراعة الترياق والهيروين وبيعهما، خصوصاً مع فرض إمكان الانتفاع بهما ببعض الفوائد؟ أجاب الخوئي: لا مانع من ذلك في حد نفسه، ما لم يترتب عليه مفسدة" [كتاب صراط النجاة417/2]، عجباً يا خوئي ما الذي يترتب على الهيروئين الخير والصالح أم الشر والمفاسد؟

فيما يتعلق بالتدخين، يدعي المتصوفة بأن النبي صلى الله عليه وسلم أمر المتصوفة بشرب الدخان، فقد جاء في كتاب جواهر البحار لإمام الصوفية في القرن الحادي عشر يوسف النبهاني، عند ذكره شيئاً من سيرة إمام الصوفية آنذاك عبد الغني النابلسي: "ومن جواهر العارف النابلسي، قوله رضي الله عنه في رحلته الحجازية المذكورة: جاء إلى مجلسنا السيد عبد القادر أفندي على عادته، وكان يقرأ علينا في مختصر صحيح البخاري في أواخره فقرأ الحديث الذي أخرجه البخاري، عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "من رآني في المنام فسيراني في اليقظة ولا يتمثل الشيطان بي"، فتكلمنا على هذا الحديث بما تيسر، وذكرنا رسالة الشيخ السيوطي التي سماها "إنارة الحلك في إمكان رؤية النبي والملك"، وذكرنا بعض قصص وآثار، فأخبرنا السيد عبد القادر المذكور بأن هذه الرسالة عنده، وجاء بها إلينا بعد ذلك في ضمن مجموع.

ثم جرت معه مذاكرة في شرب الدخان فأخبرنا عن الشيخ أحمد بن منصور العقربي عن شيخنا الشريف أحمد بن عبد العزيز المغربي، أنه كان يجتمع بالنبي صلى الله عليه وسلم مراراً عدة، وأنه مرض مرضاً شديداً، فسأل النبي صلى الله عليه وسلم عن شرب الدخان فسكت النبي صلى الله عليه وسلم ولم يرد له الجواب، ثم أمره باستعماله" [كتاب جواهر البحار في فضائل النبي المختار100/4].

وألف العارف بالله قطب الشام الشيخ عبد الغني النابلسي القادري الدمشقي كتاباً سماه [الإصلاح بين الإخوان في إباحة شرب الدخان].

ومما جاء فيه:

ألا يا أيها الصوفي ميلاً * * * إلى الدخان علك أن توفق

ولولا أن في الدخان سراً * * * لما فاحت روائحه وعبق

ففي الدخان سر الله يبدو * * * وشاهده المحقق التي برمق

والمثير في المسألة أن الرافضة سمحوا بتدخين الصائم خلال صومه، حيث ينقل مصطفى الخميني ما مضمونه: "سمعت من بعض أن السيد الجليل السيد محمد الفشاركي قدس الله نفسه يقول بجواز



التدخين في شهر رمضان، ولعله التزم بذلك في مجلس الدرس والله العالم" [كتاب الصوم/389]. وجاء في فتوى المرجع الشيعي محمد الصدر.

بسم الله الرحمن الرحيم

إلى سماحة ولي أمر المسلمين الإمام محمد الصدر الموسوي

سؤال: هل صحيح بأن سماحتكم قال إن السجائر غير مفطرة وذلك بعدم دخولها بالغبار الغليظ؟ فنرجو من سماحتكم الإجابة على هذه المسألة.

جزآكم الله خير جزاء المحسنين

خادمكم الأقل [مرتضى البهادلي]

الجواب: بسمه تعالى.

الأمر كذلك! ولكنني قلت بالاقتصار على حال الضرورة.

التوقيع والختم الشريف. محمد الصدر الموسوي

لكن من يحدد الضرورة وبأي وسيلة؟ كل المدخنين يشعرون بضرورة تدخينهم.

أما المرجع الأعلى علي السيستاني فأجاز التدخين، ولكن حدده بثلاث سجائر يومياً! فقد "أفتى السيستاني بجواز تدخين ثلاث سيجارات فقط لا غير للصائم الذي أدمن على التدخين ولا يقوى على تركه ويخشى على دينه من الفساد أن هو ترك الصيام من أجل التدخين"، ولكنه المرجع الظريف عوض الصائمين بالعلكة!

السؤال(19): وزعت فتوى لسماحتكم تقول بأن مضغ العلك في نهار رمضان لا يعد من المفطرات؛ فهل هذا الحكم مختص بما ليس له طعم أم شامل بجميع الأنواع الموجودة في الأسواق؟

الجواب: لا بأس بمضغ العلك في حال الصوم وإن وجد له طعماً في ريقه ما لم يكن لتفتت أجزاء منه إلا إذا كانت مستهلكة في الريق في بداية المضغ، فلا بد للصائم من الاجتناب عنه لا مع زوال تلك الأجزاء ولو بمضغ سابق [المصدر. موقع السيستاني/ استفتاءات حول الصوم مسائل مستحدثة].



الباب التاسع

1) هل المتصوفة من أهل السنة؟

"من الخطأ الحديث عن التقارب بين المذهب الصوفي والمذهب السني" آنا ماري شيمل.
إن العقائد التي تجعل من الأئمة والشيوخ شخصيات خرافية تنافس الذات الإلهية المقدسة في خصائصها الربوية، وتسبغ عليهم علوم الله، وتُصعدهم على أكتاف الرسل والأنبياء، مستبدلة أحاديثهم الشريفة بترهات وتخاريف الشيوخ والأئمة، وتنسب للأخيرين المعجزات والخوارق المستوحاة من الأساطير والخرافات القديمة، بعضها يثير الشجون، والآخر يثير الضحك. وتجعل من الرقص والتحشيش والهلوسة ولغة الطلاسم ركناً مهماً من أركان العبادة، وتعظم شأن الشيوخ والأئمة رغم أنهم لم يقدموا للإسلام شيئاً يستحق الذكر، بل العكس هو الصواب. مثل هذه العقائد خبيثة كالسرطان تدمر خلايا الأمة الإسلامية، ولا بد من استئصالها قبل أن تنهي الجسد الذي أضعفته ولم تعد عنده المناعة الكافية ليصمد طويلاً لو لا إسعافه من قبل الخيرين من علماء الدين، ومن المؤسف أن ينضم إلى هذا الرهط الضال بعض من شيوخ أهل السنة ممن باع ضميره بالمال والمزايا الدنيوية منظماً إلى الجبهة المعادية للإسلام.
سنناقش في هذا الباب مجموعة من الأسئلة التي يفترض أن يفكر فيها كل من ينكر وجود علاقة وثقى بين الصفوية والصوفية، أو ممن يؤمن بأنهما عقائد إسلامية بحتة، أو ينسب التصوف لأهل السنة وهم منه براء.
أولاً: لمن تنسب الصفوية؟ ومن أسسها؟ وهل هي وليدة التصوف أم لا؟
ثانياً: هل المتصوفة من أهل السنة فعلا؟
ثالثاً: ألا يمكن الجمع بين العقيدتين وتوظيفهما سياسياً كما فعل إسماعيل شاه ومن خلفه الخميني؟ بمعنى إمكانية تحول التصوف إلى أداة تخدم أغراض سياسية بحتة لا علاقة لها بالدين؟
بالطبع هنا تكمن الخطورة، ولا بد من الحذر منها، قبل أن يسبق السيف العذل، ولات ساعة ندم.
ينتسب الصفويون كما مثبت تأريخياً إلى صفي الدين إسحاق بن جبرائيل الأردبيلي العلوي الحسني، المولود سنة 650هـ (1334م)، وكان شيخاً لإحدى الطرق الصوفية، أخذ الطريقة من شيخه إبراهيم الزاهد الكيلاني، وكان له عدد من الأتباع والمريدين، وقد تشيع مع ابنه صدر الدين موسى وتلته جماعته. وانتقلت الدعوة الصفوية إلى مرحلة جديدة باعتناق خواجة علي سياهبوش، حفيد صفي الدين التشيع، ودعا أتباعه إليه، فحوّل بذلك مسار دعوة جدّه من التصوف إلى التشيع، وسار أبناؤه وأحفاده من بعده على نهجه الضال، وكثر أتباع الصفويين بفعل الترغيب والترهيب، فاتخذ جنيد بن شيخ شاه من نفسه سلطاناً على أردبيل، وهي من مدن أذربيجان المعروفة، وبدأ يتطلع للتوسع ونشر نفوذه خارجها. دخل جنيد، ومن بعده ابنه حيدر في حروب شرسة مع الدول والقبائل المجاورة.



وتجدر الإشارة بأن صفي الديني حسني، يرجع نسبه إلى الإمام الحسن وهو فارسي، كما أن بداية الدعوة بلاد فارس أيضاً.
يذكر د. كولن تيرن [في كتابه التشيع والتحول في العصر الصفوي]: "مع تولي الجنيد لقيادة الطريقة، بدأت الطريقة تتحول إلى منظمة عسكرية معلنة الميل الديني إلى التشيع، الذي تزايد إلى حدود بعيدة مع تولي "حيدر" ابن الجنيد قيادة الطريقة بعد أبيه، الذي سارع إلى تنصيب الشاه إسماعيل الصفوي على العرش في تبريز لتدخل إيران مرحلة جديدة من تاريخها"، وذكر الخوانساري أحد أعمدة الصفوية عن إسماعيل الصفوي: "كان بدء خروجه من بلاد جيلان مع بعض الصوفية المريدين له ولآبائه العرفاء الراشدين" [روضات الجنات 332/2].
كما تذكر آنا ماري شيمل [في كتابها الأبعاد الصوفية في الإسلام] بأن فقه جعفر الصادق: "كان له دور في صياغة بعض الأفكار الصوفية. وقد اتضحت العلاقة بينهما عندما انسلخت جماعة صوفية في مدنة أردبيل عن أحدى الطرق الصوفية لتشكل واجهة دعائية للفكر الشيعي في إيران، وقد أدى تأثر تلك الفرقة إلى انتصار الشام إسماعيل الصفوي، وجعل مذهب الإثنى عشري مذهب الدولة الرسمي وأطلق على الشاه إسماعيل الصوفي العظيم"، والحقيقة أن جعفر الصادق ليس له فقه مدون، وإنما نتف من هنا وهناك، ولم يعرف فقيهاً كما عرف بقية رجال الفقه في عهده، فقد كان فقهه على قدر حاله، والذين نقلوا عنه كانوا في الكوفة وليس المدينة، ولم يثبت تأريخياً أنه زار الكوفة أو عاش فيها.
بالنسبة للمتصوفة: يلاحظ أن الكوفة كانت موطن التشيع وموطن التصوف، فقد ذكر ماسينيون بأن كلمة صوفي كانت أول أمرها مقصورة على الكوفة وشيوخهم في التصوف كربيع بن خيثم وأبو إسرائيل الملائي وجابر بن حيان وكليب الصيداوي وعبدك ومنصور بن عمار وأبو العتاهية. وكانت كلمة صوفي تطلق على زهاد الشيعة في الكوفة. ويضيف ماسينيون عن أهل الكوفة: "كانوا على مذهب الشيعة مع ميل إلى المرجئة" [التصوف لماسينيون/29]. وأجمع المؤرخون بأن أوائل المتصوفة الثلاثة هم من الكوفة "أبو هاشم الكوفي، جابر بن حيان الكوفي، عبد الكريم الصوفي". وتلك ليست صدفة! اثنان منهما كانا من أعيان الشيعة والآخر عبد الكريم مجهول النسب وكان يسمى "أبو هاشم الزاهد" والأخبار عنه قليلة وقد اتهم بالزندقة والدهرية، وترجم سيرته أبو نعيم الأصبهاني في موسوعته المعروفة "حلية الأولياء" وأشاد به دون أن يفيدنا بمعلومات وافية عنه. وقد تضاربت الأخبار بشأنه، فعده بعضهم مارقاً كما سيلاحظ فيما بعد.
تجاهل المؤرخون الذين كتبوا عن الفرق الإسلامية عقيدة المتصوفة، وإن تناولها أحدهم كانت بأسطر أو صفحات قليلة لا تغني الباحث شيئاً. كما أن بعض المؤرخين لم يدخلوا الصوفية ضمن إطار الفرق الإسلامية كابن حزم الذي وصفهم: "قوم لا تعرف فرقهم"!
والبعض الآخر حسبهم على السنة لغاية ما، لكنهم تعاملوا معهم بحذر شديد مثل عباس بن منصور الذي ذكر عنهم: "لم يشذ عن مذهب السنة سوى فرقة واحدة تسمت بالصوفية، يتقربون لأهل السنة وهم ليسوا منهم، فقد خالفوهم في الاعتقاد والأفعال" [البرهان في معرفة عقائد أهل الأديان]، طالما أن عقائدهم لا تتوافق مع عقيدة أهل السنة فعلى أي أساس اعتبروا من أهل السنة؟ من المعروف أن عقائد الفناء والرجعة والكشف والرياضة الروحية والعزلة والمعجزات والعصمة ووحدة الوجود لا



يأخذ بها أهل السنة. يذكر د. عبد المنعم الحفني: "الصفوية وإن كانت صوفية اسما، إلا أنها شيعية جوهراً ومبنى" [راجع كتاب الموسوعة الصوفية/ 256].

يذكر بهذا الصدد العلامة الشهيد إحسان إلهي ظهير الذي اغتاله الصفويون الجدد "بَثٌّ التشيع أفكاره، ودس معتقداته بين الصوفية عن قصد، عامداً إلى تشويش المسلمين في عقائدهم ومعتقداتهم، وتبكيت أهل السنة عن الاعتراض عليهم وزيغهم وضلالهم، بإبراز طائفة تنتمي إليهم، وتُحسب عليهم، وتحمل نفس المعتقدات التي تشتمل عليها هي، وهذا أمر خطير في تأريخ الطوائف والفرق" [إحسان إلهي ظهير - التصوف المنشأ والمصدر/135].

ويذكر إبراهيم بن عمر البقاعي: "إن التصوف أكثر دناءة ولؤماً وكيداً، ابتدعه الشيطان ليسخر معه عباد الله في حربه لله ولرسله. إنه قناع المجوسي الذي يتراءى بأنه رباني، بل قناع كل صوفي ناصب العداوة للدين الحق. فتش فيه تجد برهمية، وبوذية، وزرادشتية، ومانوية وديصانية. وتجد فيه أفلاطونية، وغنوصية، وتجد فيه يهودية ونصرانية ووثنية جاهلية، تجد فيه كل ما ابتدعه الشيطان من كفر" [مصرع التصوف/8].

ويذكر أبو المظفر الإسفرايني: "الذين وضعوا دين الباطنية كانوا من أولاد المجوس، وكان ميلهم إلى دين أسلافهم، ولكنهم لم يقدروا على إظهاره مخافة سيوف المسلمين" [التبصر/84].

إذن هو ليس عقيدة بل مجموعة طقوس دينية وفلسفية مختلفة، تلاقحت فيما بينها لتنتج الوليد الممسوخ الصوفية.

وفيما يتعلق بجابر بن حيان فهو من غلاة الشيعة، وأصله من خراسان، ذكر عنه ماسينيون: "هو شيعي من الكوفة وصاحب كيمياء له في الزهد مذهب خاص" وعن تصوفه يذكر نيكلسون: "كان يسمى جابر الصوفي، وقد تقلد علم الباطن كما تقلد ذو النون المصري"، أما كراوس فقد اعتبره: "من غلاة الشيعة، كان يعتقد مثل الغلاة والنصيرية بعقيدة تناسخ الأرواح".

وقد كتب عنه السيد محسن الأمين: "أبو موسى جابر بن حيان الطرسوسي الكوفي المعروف بالصوفي. من أصحاب الإمام جعفر الصادق وأحد أبوابه، ومن كبار الشيعة. فيلسوف حكيم ومؤلف مكثر في الحيل والنرنجيات والعزائم" [أعيان الشيعة87/15]! لاحظ العبارة المثيرة بأنه تلميذ الصادق وأحد أبوابه ومكثر من الحيل والنرنجيات! السؤال: هل تعلمها من أستاذه الصادق؟ ثم متى وكيف تلقى العلم عن جعفر الصادق وقد توفي بعده بستين عاماً؟ وهذا مما حدا بابن النفيس بأن ينكر أصل شخصية جابر وحقيقته. لقد بشر جابر بعصر جديد لقرب ظهور المهدي المنتظر [مسكين عالمنا المبشر فلم تتحقق بشارته بعد 12 قرناً من وفاته] الذي سيعمل نقلة نوعية بتحويل العالم من مسار الظلم والفساد إلى مسار العدل والرخاء.

ومن غرائب قوله: إن الوحي ظهر بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم ست مرات، وسيتزامن ظهوره السابع بظهور المهدي، وفي سفسطته يعتبر المهدي "الناسوت" والإمام علي "اللاهوت" وسيحل اللاهوت في الناسوت! وهذه تعابير مستقاة من النصرانية والإغريقية ولا علاقة لها بالإسلام مطلقاً.

إذن المؤسس الثاني للتصوف من غلاة الشسعة.



أما الثالث فهو عبد الكريم الصوفي المكنى "عبدك"، ويذكر عنه السمعاني في كتابه الأنساب: "بأن حفيده محمد بن علي بن عبدك الشيعي، كان مقدم الشيعة"، ويذكر الشيبي بأنه كان "جامعاً لاتجاهات عديدة ومختلفة نابعة عن التشيع الممتزج بالزهد"، ورغم أن الشيبي استخدم الزهد بدلاً عن التصوف والأول هو مظهر من مظاهر الثاني، لكنه يصل في النهاية إلى أن "التصوف في أصوله الأولى كان متصلاً بالتشيع" [الصلة بين التصوف والتشيع293/1]. وكلمة "متصلاً" تبدو كلمة سطحية ومخففة لا تعبر عن جوهر الصلة الوثيقة بين التصوف والتشيع! وقد استخدمها الشيبي عوضاً عن القول "التصوف ابن التشيع"، ربما بسبب انتمائه المذهبي والله أعلم.

ويصف ماسنيون عبدك بأنه: "آخر شيوخ فرقة شيعية في الكوفة أطلقوا على أفرادها اسم صوفي"، كما يذكر الطبري في تأريخه بأن أهل الكوفة بعد تخاذلهم عن نصرة الإمام الحسين، أظهروا ندمهم وسموا أنفسهم التوابين أو البكائين وأخذوا يكفرون عن خطيئتهم بالمغالاة في العبادة مثل كثرة البكاء واعتزال الناس وحياة الزهد ولبس الملابس الخشنة. لاحظ هي نفس المظاهر التي ستتطور فيما بعد إلى قواعد وخصائص للتصوف. إذن المؤسس الثاني من غلاة الشيعة!

ونود الإشارة بهذا الصدد أن المتصوفة ادعوا بأنهم أخذوا خرقة التصوف من الإمام علي، وأن معروف الكرخي أسلم على يد الرضا، وبشير الحافي تاب على يد موسى بن جعفر، وشقيق البلخي تعلم على يد الكاظم وهكذا. وهناك من كتابات الإمام علي الواردة في نهج البلاغة للشريف الرضي ما يؤيد التوجه الصوفي مثلاً: "الأخذ بأقوال المتصوفة كقوله الإمام علي "كمال الإخلاص له في نفي الصفات عنه، لشهادة كل صفة أنها غير الموصوف، وشهادة كل موصوف أنه غير الصفة، فمن وصف الله سبحانه، فقد قرنه، ومن قرنه، فقد ثناه، ومن ثناه فقد جزأه، ومن جزأه فقد جهله، ومن جهله، فقد أشار إليه، ومن أشار اليه فقد حده، ومن حده فقد عده، ومن قال: فيم؟ فقد ضمه، ومن قال: علام؟ فقد أخلى منه" [شرح النهج لمحمد عبدة/8].

تذكر المستشرقة آنا ماري شيمل عن ورثة فلسفة شهاب الدين السهروردي بأنهم كانوا "من فلاسفة الشيعة، حيث كانت تشكل ركناً مهماً للتقاليد الفارسية في أواخر العصر الوسيط، وكان الملا صدر الدين الشيرازي من أكثر المتأثرين بفلسفة السهروردي، وبانتقال الفرس للهند اصطحبوا معهم فلسفة الإشراق. والحقيقة أن الطرق الصوفية التي كان لها دوراً بارزاً في نشر التشيع وتوسيع رقعته الجغرافية هي "النوربخشية، المشعشعية، النعمتللاهية".

السؤال الآخر: هل كان شيوخ التصوف على مذهب السنة؟

من المعروف أن المذاهب السنية ترفض التصوف رفضاً قاطعاً، وقد وصفه الإمام ابن حنبل بأنه يشط بالمسلمين بعيداً عن فرائضهم، بل إن تلميذي ابن حنبل وخشيش اعتبرا التصوف نوعاً من الزندقة. وأجمع أهل السنة على تكفير ابن عربي بعد أن قال بوحدة الوجود، واعتبروا التصوف مذهب دخيل على الإسلام يجمع بين رهبانية الشام، وأفلاطونية الأغريق، وزرادشتية الفرس، وفيدا الهند. وهذه حقيقة كما لاحظناها في المباحث السابقة. فكثير من المصطلحات الصوفية مستمدة من النصرانية كاللاهوت والناسوت والربوية وغيرها. حيث يذكر ابن الخفيف سألت رويم بن محمد عن التصوف فأجاب: هو إفناء الناسوتية وظهور اللاهوتية.



وأكد على هذه الحقيقة العديد من العلماء والمؤرخين العرب كالبيروني، ومن غير العرب مثل داراشكوة، حيث وضحا العلاقة والتشابه بين "الأوبنشاد أو اليوغاسوترا" وأفكار المتصوفة الأوائل. وكذلك غولتسهير الذي يرى أن للعقائد الهندية والأفلاطونية الجديدة نصيب كبير من عقيدة التصوف، ويلاحظ أن هذه المصادر هي نفسها التي بُني عليها التشيع الصفوي.

من الملاحظات المهمة:

أولاً: أن المستشرقين بشكل عام يشيدون بالتصوف ويدافعون عنه بضراوة أكثر مما يدافعون عن النصرانية وهذه حالة تثير الغرابة! وإذا استثنينا القلة منهم التي خدمت الإسلام، فإن الكثرة منهم كان تكيد له علناً أو سراً.

ثانياً: أن المتصوفة وجهوا نقداً حاداً لفقهاء السنة، وسخروا منهم ومن علومهم، لكنهم لم يوجهوا أي نقد لعلماء الشيعة، بل أخذوا الكثير من عقائدهم المار ذكرها! كيف نفسر هذا الموقف المحير؟ على سبيل المثال يذكر مجد الدين البغدادي: "على الصوفي أن لا يميل إلى مذهب بعينه من مذاهب الإسلام، بل أن يوفق بينها جميعاً" [تحفة البررة]. فهل هذا ما ينطبق فعلاً على الصوفية؟ وأي المذاهب هو الأقرب للمتصوفة إذا أخذنا بكلام البغدادي؟ أول ما يتبادر إلى الذهن، أن مذاهب أهل السنة ترفض عقائد العصمة والرجعة والولاية والتقية ووحدة الوجود، والفناء في الذات المقدسة، وتأليه الإمام علي؟

ثالثاً: كيف نفسر انتساب المتصوفة لذرية الإمام علي، وتعظيمهم الأئمة لدرجة الغلو؟ فقد "اعتبر المتصوفة الإمام علي حلقة مهمة في السلسلة الروحية. كثيراً منهم امتلكهم الإحساس بأنهم يرتبطون ببيت النبوة دون أن يتشيعوا سياسياً" [الأبعاد الصوفية في الإسلام لآنا ماري شيمل/95]. حتى خرقة التصوف التي اتخذوها أصلاً لطريقتهم نسبوها للإمام علي رضي الله عنه رغم أن الإمام نفسه لم يحدد نفسه بملبس خاص.

رابعاً: اعتبارهم الإمام علي رئيس الموحدين، فقد جاء في كتبهم نفس الخطبة التي نسبها البرسي للإمام علي [السابق ذكرها]، فالإمام علي هو رئيس الموحدين وليس النبي محمد صلى الله عليه وسلم حيث ذكروا بأن "الفضل الكبير عند أهل الكشف ظهور الحقيقة الإنسانية والهداية والأسرار الإلهية، ويؤيد هذه الأنفاس قول أمير المؤمنين ورئيس الموحدين باب مدينة العلم علي بن أبي طالب رضي الله عنه وكرم وجهه في خطبة كان يخطبها فقال: أنا نقطة باء بسم الله الرحمن الرحيم، وأنا جنب الله الذي فرطتم فيه، وأنا العرش، وأنا الكرسي، وأنا السماوات والأرضون" [الجواهر في مناقب الشيخ أبي بكر بن سالم تاج الأكابر/100].

هنا توجد ملاحظتان الأولى: أنهم تارة يعتبرون الإمام علي رئيس الموحدين، وتارة أخرى يعتبرون إبليس شيخ الموحدين كما ذكر الحلاج! إنه جمع غريب في الرئاسة بين علي وإبليس.

الملاحظة الثانية: أن التنقيط لم يكن في عهد الإمام علي ليذكر أنه نقطة الباء، وإنما في عهد عبد الملك بن مروان، إن أول من أحدث التعديل في الكتابة والتنقيط على الحروف كان أبو الأسود الدؤلي بناءً على طلب من والي البصرة زياد، وجرى ذلك بعد وفاة الإمام علي، والدليل على ذلك وجود نسخة من القرآن الكريم بخط علي بن أبي طالب بدون تنقيط. ثم أكمل تلميذاً الدؤلي المهمة وهما



يحيى بن يعمر، ونصر بن عاصم، فقسّما الحروف إلى مهملة أي خالية من النقط، وعددها عشر حرفاً: أ، ح، د، ر، س، ص، ط، ع، ك، ل، م، هـ، و، وإلى معجمة أي مشتملة على النقط، وعددها أربعة عشر حرفاً وهي: ب، ت، ث، ج، خ، ذ، ز، ش، ض، ظ، غ، ف، ق، ن.

خامساً: اعتراف رموز التصوف بأن أصل الطريقة هو علي بن أبي طالب. يُنسب لسيدي أبي العباس المرسي القول: "طريقتنا الشاذلية لا تنسب للمشارقة ولا للمغاربة بل هي من واحد عن واحد إلى الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم، وكان سيدنا علي هو أول الأقطاب ثم ابنه الحسن بعده في القطبانية رضي الله عنهما"، ويستطرد: "ولنرجع إلى الكلام على سيدي فتح الله العجمي أنه لما توفي شيخه ياقوت العرشي تتلمذ للشيخ صدر الدين الناكوري ودخل طريقته وخدمه مدة بطرق إرادة كالأولى وانتفع منه انتفاعاً رضي الله عنه وأرضاه ونص كلامه الحمد لله وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم. يقول العبد الفقير لله فتح الله بن يوسف العجمي الخراساني لما توفي شيخنا كبير القدر ياقوت العرشي رضي الله عنه ونفعنا به وبأسراره آمين أخذت هذه الطريقة الثانية الأدهمية على سبيل الإرادة عن الشيخ صدر الدين الناكوري وهو أخذها عن نصير الدين محمود الأوهى عن نظام الدين الشيخ زيد الخالدي عن فريد الدين الشكركنجي عن معين الدين الحبشي عن عثمان الهروي عن حاجي بن حاجي شريف الزندي عن خاله مورود بن يوسف عن أبيه محمد بن سمعان عن أبيه سمعان عن خاله محمد بن احمد أبدال عن خاله أبي أحمد عن فرشنافه عن أبيه أبي إسحاق إبراهيم الشامي الشافعي عن ممشاد الدينوري عن هبيرة البصري عن حذيفة المرعشي عن الشيخ الكبير الشهيد أبي إسحاق إبراهيم بن أدهم بن الزجاج عن الفضيل بن عياض عن عبد الواحد بن زيد عن الكميل بن زياد عن على بن أبي طالب رضي الله عنه" [الأنوار السنية والمنن البهية].

كما يذكر الشعراني: "لما كتب ملك الروم إلى عبد الملك بن مروان يتهدده، ويتوعده، ويحلف ليحملن إليه مائة ألف في البر ومائة ألف في البحر، أو يؤدي إليه الجزية، كتب عبد الملك إلى الحجاج أن اكتب إلى محمد بن الحنفية تتهدده، وتتوعده، ثم أعلمني بما يرد عليك فكتب إليه فأرسل ابن الحنفية كتابه إلى الحجاج يقول: أن لله عز وجل ثلاثمائة وتسعين نظرة إلى خلقه، وأنا أرجو أن ينظر الله إلى نظرة يمنعني بها منك، فبعث الحجاج بذلك الكتاب إلى عبد الملك، فكتب مثل ذلك إلى ملك الروم، فقال ملك الروم: ما خرج هذا منك، ولا كتبت أنت به ولا خرج إلا من بيت نبوة رضي الله عنه" [الطبقات الكبرى28/1].

لاحظ الدجل: ملك الروم عرف بأن الكلام مصدره من بيت النبوة، ويكتب رضي الله عنه في جوابه!

يذكر القطب الغوث الشيخ عبد السلام الأسمر الفيتوري الحازمي: "أما التلقين فأخذته عن أستاذي عبد الواحد بن محمد الدوكالي المذكور وسيدي عبد الواحد أخذه عن شيخه فتح الله بن فتح الله بن سعيد الشهير بأبي رأس القرزاني مولدا الساحلي دارا البرناوي قبرا الجعبري نسبا، وهو أخذ عن الشيخ أبي العباس أحمد بن أبي عبد الله الساحلي مولداً القيرواني داراً وقبراً العبدري نسباً الشهير بأبي تليس عن الشيخ أبي الفتح الأمي المحمدي عبد الله أبي راوي بن الفتح علي الشهير بالوصدي دفين مدينة سوسة القلعي مولداً اللواتي نسباً عن الشيخ الكبير العارف بالله سيدي أحمد بن محمد بن عبد الله بن أبي بكر ابن عروس الشهير بابن الهواري التميمي نسباً التونسي داراً وقبراً عن الشيخ العابد



الزاهد معين الدين ياقوت بن عبد الله عرف العرشي الحبشي مولداً ومنشئاً الإسكندراني قبراً عن الشيخ القدوة الإمام الكامل المتبع سيدي أبي العباس أحمد بن عمر المرسي الإسكندراني داراً وقبراً عن الشيخ الولي الصالح الجامع بين الطريقة والحقيقة أبي الحسن علي بن عبد الله بن عبد الجبار الشهير بالشاذلي دفين عيذاب عن الشيخ الكبير قطب دائرة العلا عبد السلام بن أبي بكر بن مشيش عن الشيخ عبد الرحمن الزياتي المدني وعن العطار عن الشيخ تقي الدين عن فخر الدين عن نور الدين عن تاج الدين الشهير بالعلي عن شمس الدين أبي الحسن القزويني عن إبراهيم البصري عن أحمد المرواني عن سعيد عن فتح السعودي عن سعد الغزواني وعن الصافي عن جابر عن السيد الشريف الحسن السبط عن أبيه علي بن أبي طالب رضي الله عنه" [الأنوار السنية والمنن البهية/ المقدمة].

لاحظ! أنهم يعترفون بألسنتهم بأن أصل طرقهم الصوفية هم الأئمة ابتداءا من علي بن أبي طالب انتهاء بمهديهم، ومنهم من يمد أصلها للنبي صلى الله عليه وسلم.

سادساً: أن أهل السنة يعتمدون بالدرجة الأولى في تفسير الشريعة على القرآن الكريم وتليه الأحاديث النبوية الشريفة، مع قبول الأحاديث النبوية الصحيحة الإسناد، وغير الضعيفة والمحرفة، فلا تأويل، ولا تعطيل، ولا تمثيل. في حين يعتمد المتصوفة على الإلهام والكشف ونزول الوحي على شيوخهم أو لقاءاتهم المزعومة يقظة أو رؤية أو أحلام مع النبي صلى الله عليه وسلم والخضر. كما أن الصفويين لا يأخذون بالقرآن الكريم والسنة النبوية وإنما على ما نُسب لأئمتهم من روايات وأحاديث.

سابعاً: أن الإيمان بفكرة خاتم النبوات وخاتم الولايات، وخاتم الأنبياء ليس النبي محمد صلى الله عليه وسلم عند الرافضة بل المهدي المزعوم، الذي سيكمل الرسالة وينجح فيما لم ينجح فيه الرسول من نشر العدالة وإنهاء الظلم، كما ذكر الخميني. وخاتم الأولياء بدعة أحدثها الحكيم الترمذي الفارسي.

يذكر الشيخ سيدي الإمام أحمد أبو العباس المرسي: "والله ما كان اثنان من أصحاب هذا العلم في زمن واحد قط إلا واحداً بعد واحد إلى الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه" [الطبقات الكبرى1/228].

كما يذكر الشعراني: "اجتمع سيدي الشيخ موسى المكنى بأبي عمران على الشيخ أبي مدين رضي الله تعالى عنه فلما قدم عليه قال له: إلى من تنسب؟ قال: إلى السلطان مولاي أبي عبد الله قال: وما ينتهي نسبك؟ فأجاب: إلى السيد محمد بن الحنفية بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه" [الطبقات الكبرى1/234]. ويضيف: "كان رضي الله عنه يقول: في قوله عليه الصلاة والسلام لعلي رضي الله عنه: "أنت مني وأنا منك"، أي أنت مني وجوداً فإني أنا المتعين بك لنفسي، وأنا منك شهوداً لأنك الذي توجدني عرفاناً للمؤمنين المتعرفين، وبذلك حصلت بينهما الإخوة في إفادة كل منهما الآخر، فقال له: أنت أخي في الدنيا والآخرة: "أي في زمن ختم النبوات، وفي زمن ختم الولايات" [الطبقات الكبرى1/279].

قال الشيخ محمد أبو المواهب الشاذلي: "كناني سيدي يحيى بن أبي الوفاء بأبي عابد، فرأيت سيدي علياً رضي الله عنه، وقال لي: هذه الكنية لا تصلح لك إنما تصلح لأرباب الأثقال، وإنما كنيتك أبو حامد. قال: ثم رأيت النبي صلى الله عليه وسلم، فقال: كنيتك عندنا أبو حامد، وكذلك في السماء، وقد دخلت، في دائرة بني الوفاء ومقامك كبير، وأنت ولي" [الطبقات الكبرى1/295].



ثامناً: القول بأن القرابة تعصم عن الذنوب. يرى الصفويون أن الأئمة معصومين عن الذنوب وأن أتباعهم مشمولون بصيغة العفو الإلهي، وسبق أن استعرضنا بعضاً من أقوالهم. ويؤمن المتصوفة بهذه الفكرة أيضاً، حيث يذكر شيخهم أبو بكر ابن شهاب آل باعلوي: "نعتقد في أهل البيت أن الله سبحانه وتعالى تجاوز عن جميع سيئاتهم لا بعمل عملوه، ولا بصالح قدموه، بل بسابق عناية من الله لهم" [رشفة الصادي من بحر فضائل بني نبي الهادي/85]. لكن ما معنى سابق عناية؟ طالما لا خير فعلوه، ولا صالح قدموه.

تاسعاً: المغالاة في تبجيل فاطمة زوجة علي، والقول بدعوة نور فاطمة، يذكر أحمد مبارك السلجماسي عن الديوان الصوفي وهو في غار حراء حسب زعمهم: "تجلس مولاتنا فاطمة مع جماعة النسوة اللاتي يحضرن الديوان في جهة اليسار، وتكون مولاتنا فاطمة أمامهن رضي الله عنها وعنهن قال رضي الله عنه وسمعتها رضي الله عنها تصلي على أبيها صلى الله عليه وسلم ليلة من الليالي وهي تقول: اللهم صلِّ على من روحه محراب الأرواح والملائكة والكون! اللهم صلِّ على من هو إمام الأنبياء والمرسلين! اللهم صلِّ على من هو إمام أهل الجنة" [الإبريز/168].

ويذكر الشيخ أبو الفضل الأحمدي: "شجرة طوبى في منزل الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وهي حجاب مظهر نور فاطمة الزهراء رضي الله عنها فما من جنة، ولا درجة، ولا بيت، ولا مكان إلا وفيه فرع من شجرة طوبى، وذلك ليكون سر نعيم كل درجة ونصيب كل ولي فيها من نورانية فاطمة في حجاب ذلك الفرع" [الطبقات الكبرى415/2]. عقيدة النور مقتبسة كما هومعروف من الزرادشتية.

عاشراً: خص الإمام علي بالفتوة مع وجود من هو أفتى منه، فقد ذكر الشيخ شمس الدين الحنفي "إني أسقي من بين بحرين بحر النبوة، وبحر الفتوة. يعني ببحر الفتوة علي بن أبي طالب رضي الله عنه" [الطبقات الكبرى317/1].

أحد عشر: تفضيل الأربعة على بقية الصحابة بحديث نبوي كاذب! يذكر الشعراني عن الشيخ علي الخواص بأنه كان يقول في معنى حديث: "إن الجنة تشتاق إلى أربعة عمار، وعلي، وسلمان، وبلال"، إنما خص رسول الله صلى الله عليه وسلم هؤلاء الأربع لأنهم أرواح الجنان، وأسماؤهم أشد مناسبة للجنة؛ لأن عماراً رضي الله عنه من العمارة، وعلياً رضي الله عنه من العلو، وسلمان من السلامة، وبلالاً من البلل الذي هو الرحمة قال، وهؤلاء الأربعة هم الموكلون بالأنهار الأربعة المذكورة في القرآن فيغرفون منها بحسب حصة كل أحد، ومشربه من التوحيد، واستعداده" [الطبقات الكبرى393/2]. لاحظ هؤلاء الصحابة هم الذين يعتبرهم الرافضة لم يرتدوا بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم من بين كل المسلمين. والطريف أن ينسب بلالاً إلى البلل ويفسره بالرحمة بعد أن حار الشيخ في مصدره.

اثنى عاشر: القول بأن علوم الأئمة والشيوخ أعلى من علوم الأنبياء والرسل، وهي تتعارض مع عقيدة أهل السنة تماماً، كما تجسد في قول البسطامي: "خضنا بحراً وقف الأنبياء بساحله".

ثلاثة عشر: الإعفاء من الفرائض، وبقدر تمسك أهل السنة بالفرائض فإن المتصوفة لا يعترفون بها، بل يعدونها طقوس عبادية لعوام الناس، ويعفون أنفسهم منها وأحيانا يسخرون منها! كما شهدنا في



المباحث السابقة. حتى أن مخالفة الشريعة وارتكاب الكبائر لا يرون فيها مضرة؛ لأن شرعهم مستمد من الله مباشرة، فتسقط عنهم التكاليف الشرعية والمحرمات، وهذا ما يقوله الرافضة.

أربعة عشر: كما أن أهل السنة يرفضون المعجزات لغير الرسل والأنبياء؛ فهي تتم بإرادة الله تعالى وليس بإرادتهم، في حين يعتقد المتصوفة بأن علماءهم يعرجون إلى السماء ويطيرون في الهواء ويطوون المسافات، ولهم القدرة على إحياء الموتى وإنزال الأمطار وشفاء المرضى وترويض الحيوانات المتوحشة وفهم لغاتها وغيرها من التخاريف والترهات التي يقول بها الرافضة أيضاً.

خمسة عشر: التصرف بالجنة والنار، يعتقد المتصوفة بأن الجنة تحت تصرف شيوخهم فهم يدخلون من يشاءوا ويمنعون من يشاءوا. ويسخرون من الخوف من النار؛ لأن الخوف صفة للعبيد وليس الأحرار، والرافضة يعتقدون بأن أئمتهم يدخلونهم الجنة بغض النظر عن ذنوبهم وكبائرهم. وهذا القول يتعارض مع عقيدة أهل السنة تماماً.

ستة عشر: عدم اعتماد القرآن الكريم والسنة النبوية، فهم يعتمدون على أقوال شيوخهم حتى وإن خالفت القرآن والسنة النبوية، وما يدخلونه شيوخهم في عقولهم من أوهام وأفكار هجينة مقتبسة من عدة ديانات وفلسفات. ولا شك أن هذا الأمر هو خروج سافر عن خط الله جل ذكره: **﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾** [الأنعام:153]؛ لذا لا نستغرب من عدم تدريسهم للقرآن الكريم في الحوزات العلمية ولا الخاقانات ولا يحفظ علمائهم وشيوخهم إلا القليل من السور القصيرة، ولا تجد من بينهم حافظاً للقرآن الكريم، ولا تلاوة للقرآن من شيعي أو متصوف، في حين يعتمد أهل السنة على القرآن والسنة النبوية بالدرجة الأساس.

سبعة عشر: تأليه الإمام علي بن أبي طالب، من المعروف أن من الطرق الصوفية التي ألهت الإمام علي هي "البريلوية" و"البكتاشية"، ودعائهم الرئيس يطلق عليه "دعاء السيف"، والذي يُذكر فيه: "نادِ عليا مُظهر العجائب، تجده عوناً لك في النوائب. كل هم وكل غم سينجلي بولايتك ياعلي! يا علي أدركني يا علي! أدركني يا أبا الحسن! يا أبا تراب! يا ذا الجلال والجمال والهيبة والكمال" بل إن البكتاشيين هم أصحاب عقيدة التثليث المأخوذة من النصرانية، وحوروها إلى "الله، محمد، علي". وهم يحلون شرب الخمر ويعلنون "التولية والتبريه" وتعني ولاية الأئمة عليهم السلام، والتبرئة من الشيخين أبي بكر وعمر رضي الله عنهما.

والقزلباشية ألهت الإمام علي، ويقيم أتباعها مراسيم عاشوراء ويندبون ويلطمون على الحسين كالإمامية. وقد عُرف عنهم عدم حلاقة شعر الرأس وهم يحلون الخمر ولا يصلون، ويصومون العشرة أيام الأولى من محرم فقط [للمزيد راجع الشبك لأحمد حامد الصراف].

والطريقة الهمدانية التي تنسب للفارسي الشيعي علي بن شهاب الهمداني كان لها دور مميز في نشر التشيع في إيران، وأن الشيخ نوربخش وهو شيعي - مات في الري - مؤسس الطريقة النوربخشية التي ساعدت في نشر التشيع في فارس والهند بعد هروب شيخها طاهر بن رضا القزويني إلى الهند.

والطريقة النعمتللاهية التي أسسها نعمة الله العلوي الذي سكن كرمان تحولت إلى المذهب الشيعي وتوسعت في فارس والهند وساهمت في نشر التشيع.



والمشعشعية التي أسسها محمد بن فلاح بن هبة الله كان على المذهب الاثنى عشري وقد ادعى في خوزستان بأنه المهدي المنتظر، وتحولت جماعته إلى المذهب الشيعي، وبسط نفوذه على الأهواز، وكانوا جماعته قطاع طرق وينهبون الحجاج. وادعى مؤسس الطريقة المهدوية "محمد بن يوسف الجنبوري" بأنه المهدي المنتظر وتوفي في خراسان.

من الجدير بالإشارة أن الشعراني ترجم في طبقاته لـ(436) من شيوخ الصوفية و(16) من النساء منهم: السيدة عائشة بنت جعفر الصادق والسيدة نفيسة بنت الحسن بن زيد.

لذا لو ضعنا كل هذه المسائل بنظر الاعتبار، وأجرينا مقارنة بين المذهبين السني والشيعي من حيث قربهما من التصوف، سنخرج بنتيجة لا تقبل الجدل وهي أن المذهب الشيعي هو الأقرب إلى التصوف وليس المذهب السني.



2) نظرة في عقائد الأقطاب والشيوخ

سنتحدث بشكل موجز عن أعمدة الفكر الصوفي بعد الرجوع إلى أنسابهم، ونمر بشكل سريع على عقائدهم؛ لنعرف هل هم فعلاً من أهل السنة؟ أم من الشيعة؟

الشيخ عطار النيسابوري مهد الشيخ [في كتابه تذكرة الأولياء] هذه المقدمة الغريبة: "حضرة الإمام جعفر الصادق هو قطب الصوفية الأكبر"، واستعرض في تذكرته كرامات جابر بن حيان الذي أخذ تصوفه وعلومه مثل الكيمياء عن جعفر الصادق! حيث يذكر جابر: "أخذت علومي جميعها عن جعفر الصادق معدن الحكمة، وأنا لست سوى ناقل ومرتب" [دائرة المعارف الإسلامية ج6/7 ب. كراوس/ م. بلسنر]. مع أنه - كما يشاع - لم يلتقِ بالصادق، وربما التقى به أثناء الحج، فقد عاش جابر كل عمره في اليمن والكوفة وليس المدينة. ولا نعرف ما علاقة الصادق بعلم الكيمياء! فهذا شيخ الطائفة الطوسي يذكر: "لم نوجب أن يكون الإمام عالماً بما لا تعلّق له بالأحكام الشرعية" [تلخيص الشافي1/252]. ومما ذكره النيسابوري من تخاريف: "إن جابراً أعطى تمرة لأحد الناس ليأكلها، فوجد نواتها قد تحولت إلى الذهب.

يشير الخوانساري [في كتابه روضات الجنات وأحوال العلماء والسادات ج134/8] بأن قطبهم الجنيد قد لبس الخرقة الصوفية على يد خاله "السري السقطي"، وهذا بدوره لبسها من معروف الكرخي الذي بدوره لبسها على يد الإمام موسى الرضا. مؤكداً بأن جابر بن حيان كان تلميذاً للإمام جعفر الصادق، كما أن كبير المتصوفة الشيخ عبد الكريم الصوفي المكنى "بعدبك" كان من علماء الشيعة كما صنفه السمعاني [في كتابه الأنساب185/9]، وهو ممن يؤمن بأن الإمامة تتم بالنص الإلهي. وقد ذكر عنه ماسينيون "كان عبدك الصوفي آخر أئمة مذهب من مذاهب التصوف الإسلامي، نشأ في الكوفة ويكاد يكون شيعياً" [التصوف/25].

وهذا شيخهم عبد الوهاب الشعراني من كراماته: "أن علي بن أبي طالب قال لعمر النبتيني: أعط طاقيتي هذه للشيخ عبد الوهاب الشعراني، وقل له أن يتصرف في الكون" [جامع كرامات الأولياء2/135].

وهذا الشيخ أحمد بن حسن العطاس يذكر في دعاء ما بعد صلاة التراويح: "اللهم بحق فاطمة وأبيها وبعلها وبنيها اقبل دعاءنا، ولا تخيب رجاءنا" [دعاء التراويح/ المقدمة].

وهذا الشيخ إبراهيم بن حيدر الكردي الصفوي يتحدث عن معرفة الله وإدراكه بأنها "لا تستقل العقول بإدراكها عن طريق الفكر وترتيب المقدمات، وإنما يدرك بنور النبوة والولاية" [قصد السبيل إلى توحيد الحق الوكيل/ إبراهيم الكوراني].

أما الشيخ نجم الدين الكبري فقد ادعى أنه أبصر النبي صلى الله عليه وسلم بصحبة الإمام علي رضي الله عنه فترك النبي صلى الله عليه وسلم وصافح الإمام علي بدعوى أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول: "من صافح علياً دخل الجنة" إذن! أمسى دخول الجنة عن طريق المصافحة فقط! وليس الإيمان بالله تعالى وأداء الفرائض وعمل الخير! هل هذه البدعة يتقبلها عقل المؤمن الذي يعرف



الإسلام حقاً؟ وأي خلق من الشيخ وهو يتجاهل مصافحة النبي صلى الله عليه وسلم ويتوجه إلى صهره؟ فعلاً سوء تربية وقلة ذوق من الشيخ!

كما أن من كبار الصوفية إبراهيم بن أدهم، وقد أطلق عليه الخوانساري لقب: "السلطان العارف، شيخ المشايخ، الصوفي المشهور، جوهر العارفين"، وأنهى سيرته بأنه ختم سياحته في خدمة الإمام الباقر بمكة، وقد صحب ثلاثاً من أئمة الشيعة المعصومين الباقر والصادق والسجاد، وإنه كان من شيعتهم" [روضات الجنات وأحوال العلماء والسادات139/1].

ومن مشايخ الصوفية شقيق بن إبراهيم البلخي، ذكر الخوانساري بأنه "كان معروفاً بالتصوف، وهو من تلامذة الإمام موسى بن جعفر الكاظم. كما أنه صحب جعفر الصادق، وتحادثا عن الفتوة. وكان من الإمامية المخلصين. استشهد في بلاد ما وراء النهر بتهمة الرفض" [الكنى والألقاب للقمي35/2]، الرجل مُتهم بالرفض، بمعنى أمره محسوم لا يحتاج إلى نقاش.

ومن شيوخهم محمد معصوم شيرازي الفارسي الذي يذكر "لا بد لكل سلسلة من سلاسل التصوف من الأزل إلى الأبد، أن تكون متصلة بمحمد سيد العالمين وأمير المؤمنين علي" [طرائق الحقائق لمعصوم شاه 251/1].

ويذكر شيخهم أبو الفيض المنوفي الحسيني بأن الإمام علي هو أول من أخذ البيعة لطرق الأولياء، وأنه أول ملقن بالذكر والسر. مضيفاً: "خُص رسول الله بباطن الشريعة وكان أول من تكلم به علي، ومن ثم أخذه عن علي أول الأقطاب وأخذه عنه ولده الحسن" [جمهرة الأولياء122/1]. وفي قول آخر: "كان من أوائل أهل الطرق علي بن الحسين، وابنه محمد بن علي، وابنه جعفر بن محمد" [المصدر السابق163/1].

ومن أقطاب الصوفية معروف بن فيروز الكرخي، أصله صابئي، وهم من مخلفات الغنوصية القديمة، وكان من موالي علي بن موسى الرضا، واشتغل حاجباً له كل حياته. وقد توفي بعد تدافع الناس على باب مولاه، فتحطمت ضلوعه ومات.

ذكر عنه الخوانساري: "هو الشيخ العارف وقد نُسبت إليه بوابيه مولانا الرضا"، وترجم سيرته قائلاً بأنه كان من تلاميذ جعفر الصادق، وشغل سقاءا لداره، ومَحرماً على أسراره. وهو خال وأستاذ الجنيد والسري السقطي. وقد قال للأخير: "إذا كان لك حاجة إلى الله فأقسم عليه بي"، والقسم بغير الله كما هو معروف من شعائر الشيعة فقط، ويحرمه أهل السنة.

يذكر السلمي: "أسلم معروف الكرخي على يد عليّ بن موسى الرِّضَا، وكان بعد إسلامه، يحجُبُه؛ فازدحم الشِّيعةُ يوماً على باب عليّ بنِ موسى، فكسروا أَضْلُعَ معروفٍ، فمات ودُفِن ببغداد" [طبقات الصوفية/39].

كما يذكر عبد الصمد المصري عن نسب السيد البدوي هو أحمد بن علي بن علي بن إبراهيم بن محمد بن أبي بكر بن إسماعيل بن عمر بن علي بن عثمان بن حسين بن محمد بن موسى بن يحي بن عيسى بن علي بن محمد بن حسن بن جعفر بن علي بن موسى بن جعفر الصادق بن محمد بن علي بن حسين بن علي بن أبي طالب" [الجواهر السنية في النسبة والكرامات الأحمدية/ مخطوط مكتبة جامعة الملك سعود برقم7415 ق9551].



من كبار مشايخ الصوفية بشر بن الحارث وسماه الخوانساري: "الشيخ العارف الكاشف المتصوف الصافي، أحد أركان التصوف وفرسان الحقيقة، وأنه كان من علماء الإمامية"، وكان من أصحاب الخمر واللهو حتى تاب على يد الإمام موسى الكاظم، ولقب بالحافي؛ لأنه خرج حافياً من داره بعد أن مر به الإمام. والشيخ محمد بن ناصر مؤسس الطريقة المحمدية ادعى إنه رأى عام1734 الحسن بن علي، وأطلعه بنفسه على أسرار الطريقة المحمدية.
من مشايخ الصوفية أبو يزيد البسطامي، وهو خراساني من عائلة مجوسية الأصل وأسلمت، جده هو سروشان. يذكر د. إبراهيم الدسوقي: "عالم شطحات أبي يزيد يكاد يكون عالماً زرادشتياً"/ وهو أول من استخدم كلمة "السكر" في التصوف. وقد أخذ سائر العلوم والمعارف ومنها السلسلة الطيفورية عن الإمام جعفر الصادق بعد أن خدمه (18) عاماً. وأن الصادق قال له: "امض إلى بسطام، وادع الناس إلى الله سبحانه تعالى وإلى رسوله وإلى أوليائه"، وهذ أمر غير صحيح؛ لأن الإمام الصادق توفي عام 148 هـ، وطيفور سنة 261 هـ. وحاول الخوانساري أن يجد مخرجاً من هذه الورطة مدعياً بأنه "ربما يكون المقصود بذلك اعتصامه بحبل ولاء أهل البيت، واستلامه حجر مولانا الصادق، والتزامه بالمذهب الحق الجعفري" [روضات الجنات 152/4]. تبرير أسخف من الادعاء، ولو ترك الخبر على عماه لكان أفضل.
ومن أقوال البسطامي: "إذا وقفت بين يدي الله تعالى فاجعل نفسك كأنك مجوسي تريد أن تقطع الزنار بين يديه" [شطحات الصوفية لبدوي/90].
كذلك كان شيخهم أبو نصر السراج الطوسي، وهو صاحب أقدم مؤلف في التصوف، عرف بتشيعه ومن أقواله: "إن لأمير المؤمنين علي رضي الله عنه خصوصية من بين جميع أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم"، كذلك قوله: "وأما علي كرم الله وجهه فذاك مدينة العلم، وأول آخذ لبيعة الطريق، وأول ملقن بالذكر والسر من الرسول صلى الله عليه وسلم".
وفيما يتعلق بأبي منصور الحلاج فقد كان جده مجوسياً من أهل فارس وعاش في وسط زرادشتي تماماً، كما أشار ابن كثير في ترجمته له، مفيداً بأن ذلك قد ترك آثاراً واضحة على مستقبله.
وذكر د. إبراهيم الدسوقي عنه: "من بين التهم التي كانت توجه للحلاج الترويج للمجوسية والإلحاد"، فقد عرف عنه التلون فتارة من السنة وأخرى من المعتزلة، وتارة من المتصوفة وهكذا! كما ذكر نور الله التستري [في كتابه مجالس المؤمنين] بأن "الحلاج لما كان من الشيعة الإمامية، كان يدعو الناس إلى نصرة أهل البيت، ويبشرهم بالفرج وخروج الصاحب من أرض طالقان عما قريب، اتهموه بالزندقة والخروج عن الدين ليقتلوه بهذه الوسيلة"، كما ذكر ابن النديم في الفهرست بأن الحلاج كان يظهر تشيعه للملوك والحكام، وكان يظهر تصوفه للصوفية والعوام. أي منافق أو تقية، وكلاهما من صفات الشعوبيين.
أما مجدد الطريقة الرفاعية بهاء الدين محمد المكنى "الرواس الرافعي" فقد ادعي بأنه التقى النبي صلى الله عليه وسلم ليلاً على شاطئ نهر وقال له: "جدد! جدد! جدد وتمسك بولدي أحمد الرفاعي! فهو أعظمهم منزلة بعد أولياء القرون الثلاثة، ولا يجيء مثله إلى يوم القيامة غير المهدي العسكري" [بوارق الحقائق/212].



ومن كبار شيوخهم ابن عجيبة الحسني صاحب كتاب "الفتوحات الإلهية" الذي افترى فيه عن النبي صلى الله عليه وسلم، واختار معاوية رضي الله عنه ليقذف بسمعته! مدعياً أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان يتواجد - حاشاه من هذا الطعن - هو والصحابة [لم يذكر أسماءهم، فقد ذكر معاوية فقط!] فبلغ النبي ذروة تواجده حتى سقط رداؤه عن منكبه، فلما فرغوا قال له معاوية: ما أحسن لعبكم يا رسول الله! فرد الرسول: مه مه يا معاوية! ليس بكريم من لم يهتز عند ذكر الحبيب! لاحظ استخدام ابن عجيبة كلمة "لعبكم" بدلاً عن "تواجدكم" لغرض الإساءة لمعاوية!

ويتحفنا الشيخ المجذوب بقوله: إن النبي صلى الله عليه وسلم هو أول من وضع علم التصوف، حيث نزل جبريل على النبي صلى الله عليه وسلم مرتين، بالشريعة أولاً من ثم بالحقيقة"، منوها بأن "وأول من تكلم في التصوف وأظهره هو الإمام علي وأخذه عنه الحسن البصري" [إيقاظ الهمم في شرح الحكم].

ومنهم بهاء الدين حيدر بن علي الآملي، وهو علوي مغالي ألف كتاب "جامع الأسرار ومنبع الأنوار"، مبيناً فيه بأن العقيدة الصوفية تتوافق تماماً مع العقيدة الإمامية، وأثبت فيه بالبراهين بأن التصوف ابن التشيع، والفرق بينهما لا يتجاوز سوى أن الشيعي مؤمن عادي، والصوفي مؤمن ممتحن، وبالنظر لاشتغال المتصوفة بالعلوم الإلهية، استنبط بأنهم يمثلون الشيعة الخاصة. ومن أفكاره أن الإمام علي خلق من نفس محمد، وهو الإنسان الكامل، ويؤمن الآملي أيضاً بعقيدة المهدي المنتظر.

ومن كبار المتصوفة أبو نعيم الأصبهاني صاحب كتاب حلية الأولياء، وترجم له المجلسي بأنه "من محدثي العامة ظاهراً، إلا أنه من خلص الشيعة في باطن أمره، وكان يتقي ظاهراً" ومن يطلع على كتاب أبي نعيم سيعرف بأنه لم يكن من محدثي السنة مطلقاً، ففي كتابه لم يترجم لمعاوية أو لعمرو بن العاص. كما أنه أفرد فقط للإمام علي بعد ورود اسمه دون سائر الصحابة! وقال عنه: "أعطي تسعة أعشار الحكمة، ولسائر الناس جزء واحد، وأنه وهو أول من تكلم في الأحوال والمقامات"، وقد وصف جماعته المتصوفة بأنهم "المحققون الموالون للعترة" [للمزيد راجع كتاب اللمع/179].

من كبار شيوخهم علي الهجويري صاحب كتاب "كشف المحجوب"، وقد أرجع نسبه لآل البيت وكان كأبي نعيم أفرد فقط للإمام علي بعد ورود اسمه دون سائر الصحابة!

وهذا الشيخ محمود أبو الهدي يتحدث عن آل البيت قائلاً: "أشرف المذاهب فيهم، هو مذهب أهل الحق من رجال الله العارفين، هم أئمة العترة الإثنى عشر، كل واحد إمام لآل زمانه، وصاحب مرتبة الغوثية المعبر عنها بالقطبية الكبرى" [روضة العرفان/142]، وبعد أن يذكر أسماءهم يصف السيد أحمد الرفاعي بحديث مكذوب عن النبي صلى الله عليه وسلم "هو ثالث عشر أئمة الهدى من أهل بيتي" نقلاً عن أحد شيوخهم ورؤيته للنبي صلى الله عليه وسلم.

وهذا محمد بن علي بن الحسن الترمذي، المكنى بالحكيم الترمذي وهو أول من أدخل الولاية في العقيدة الصوفية في كتابه "ختم الأولياء" ويحدثنا عن رؤيا زوجه الفارسية حيث أوحي لها "باللغة الفارسية" بأنها كُرمت بثلاثة أشياء من الله "جلالي، عظمتي وقدرتي"، فنالت بذلك علوم الأولين والآخرين، وهي نفس التخاريف التي نُسبت لفاطمة بنت النبي صلى الله عليه وسلم.



وادعى الترمذي أنه بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم جعل الله في أمته (40) صديقاً من أهل بيته تقوم بهم الأرض ويتوالى الأمر من السلف إلى الخلف حتى الآخرة، محرفاً بذلك حديث النبي صلى الله عليه وسلم: "أهل بيتي أمان لأمتي"، والترمذي صاحب بدعة "خاتم الأولياء" تشبيها بـ"خاتم الأنبياء"، ويدعي "بأن لواء الولاية بيد الولي يوم القيامة، وهو يشفع لقومه كالنبي" وغالباً ما يدعم دعاويه بأحاديث نبوية ضعيفة من صنع الوضاعين لا وجود لها في الصحاح والسنن والمسانيد.

ومن أقطابهم الشيخ أحمد الرفاعي، ويدعي تلامذته بأنه ينتسب لآل البيت، واعتبروه الإمام الثالث عشر بعد المهدي المنتظر. وهم يزعمون أن أحد الشيوخ ممن كان ينكر نسب الرفاعي لآل البيت جاءته رؤيا يوم القيامة، وشاهد الرفاعي واقفاً يمين فاطمة بنت محمد صلى الله عليه وسلم فاستنجدها! لكنها أعرضت عنه لأنه أنكر نسب الشيخ لها، ثم تقول له بعدها "الأدب! الأدب مع السيد أحمد فإنه قطعة من كبدي" [كتاب الرفاعية/ عبد الرحمن دمشقية/38].

ويؤمن أصحاب الطريقة الرفاعية بأن شيخهم هو الإمام الثالث عشر حقاً. ومن أحفاد الرفاعي الشيخ محمد مهدي الصيادي واعتبر نفسه الغوث الأكبر، وقد ألف كُتيب سماه "الدرة البيضاء" ذكر فيه بأن الله خلق النبي صلى الله عليه وسلم من نوره وأن آل الرسول هم من أجزائه النورانية أيضاً. وهو نفس ما تذكره المصادر الصفوية حيث أورد المجلسي "أنهم أنوار الله" [بحار الأنوار]. و"أن الله خلق الملائكة من نور علي"، كذلك القول: "أن الله خلق الجنة من نور الحسين" [المعالم الزلفى/249] وفكرة النور مأخوذة كما هو معروف عن الزرادشتية. وهذا شيخهم أبو الظفر ظهير الدين القادري يذكر "القطبية كانت للأئمة الاثنى عشر بطريق الاستقلال، ولكن بعدهم بطريق النيابة" [الفتح المبين/18].

ومن شيوخهم أبو بكر الكلاباذي الذي يذكر بأن "الإمام زين العابدين كان من رجال التصوف، وممن نطق بعلومهم، وعبر عن مواجيدهم ونشر مقاماتهم ووصف أحوالهم" [التعرف لمذهب أهل التصوف/36].

ونفس الكلام أعاده مع الإمام الباقر بقوله: "إنه من رجال التصوف وممن نطق بعلومهم، وعبر عن مواجيدهم ونشر مقاماتهم ووصف أحوالهم"! وهذا الشيخ محمد مهدي الرواس يذكر عن مشاهداته في الحضرة الحسينية: "رأيت لامعة نور النبي تتجلى في ذلك المشهد، ورأيت الخضر يطوف بالمرقد. ورأيت القطب الغوث صاحب الوقت بيده مكنسة، يكنس حائط القبة" [بوارق الحقائق/ 216].

وحول لقائه بالمهدي قال: "تصدر على منصة البروز من بطون الغياب سيدي الإمام الحجة المهدي المنتظر فرجفت فرائضي لرؤيته. ثم قال: يا مسلمين يا بلمعين يا منعلهي، يا ما نقول يا تعليمليا يا فوايس واجفر" [بوارق الحقائق/319]، الغريب أن الشيخ الرواس فهم المقصود من هذار المهدي ولم يتحفنا بتعريف طلاسمه هل كان يمدح أم يشتم! ولا نعرف كيف سيفهم جيش المنتظر تعليمات قائدهم وهو يتحدث بهذه اللغة العجيبة؟

كذلك الإخوان الفارسيان وهما: "أبو حامد الغزالي صاحب إحياء علوم الدين والذي لخصه بالفارسية بعنوان: "كيمياوي سعادت" الذي ضمنه أحاديث مكذوبة نسبها للنبي صلى الله عليه وسلم ولا تجد لها أساساً في الصحاح والسنن، وهي تمجد الجوع والخلوة والفقر وبقية صفات المتصوفة، وسبق أن ناقشنا هذا الموضوع وسنرجع إليه في الجزء الأخير "نظرة حول تعليقات القراء الأفاضل".



أما أخوه أحمد الغزالي فكانت له مؤلفات بالفارسية أهمها "سوانح"، وقد نحى منحى أخيه حامد.
وهذا الشيخ أحمد بن مبارك السلجماسي يتحدث عن ديوان جماعته الذي يحضره جميع الرسل والأنبياء والملائكة وأمهات المؤمنين وفاطمة وكبار الصحابة ويستطرد في تخاريفه: "وتجلس مولاتنا فاطمة مع جماعة النسوة اللاتي يحضرن الديوان - أي زوجات الأنبياء - وتكون إمامهن، ويجري الحديث باللغة السريانية وليست العربية! [الإبريز/168]. لا نفهم سر اهتمام الأئمة والمتصوفة بالسريالية والعبرية مع زعمهم بمعرفة ملايين اللغات؟
وهذا شيخهم علي الخواص الذي أقيمت على رؤياه ضريح للسيدة زينب الكبرى بنت الإمام علي في مصر، ولم تطأ قدمها مصر مطلقاً باعتراف معظم المؤرخين والرحالة كابن ميسر وابن تغري بردي وابن الزيات المصري ونور الدين السخاوي وابن ظهيرة المصر والسيوطي وياقوت الحموي.
ومن كبار شيوخهم الشيخ ابن أبي المجد، يذكر الشعراني عنه: "هو إبراهيم بن أبي المجد بن قريش بن محمد بن أبي النجاء بن زين العابدين بن عبد الخالق بن محمد بن أبي الطيب بن عبد الله الكاتم بن عبد الخالق بن أبي القاسم بن جعفر الزكي بن علي بن محمد الجواد بن علي الرضا بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي الزاهد بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب القرشي الهاشمي رضي الله عنهم أجمعين" [الطبقات الكبرى189/1].
وهذا جلال الدين الرومي صاحب الطريقة المولوية يقول: "انظر إلى العمامة! أحكمها فوق رأسي. بل أنظر إلى زنار زرادشت حول خصري. مسلم أنا، لكني نصراني. وبرهمي وزرادشتي"، وهو صاحب فكرة الحقيقة العلوية التي يقول فيها: "منذ كانت صورة تركيب العالم: كان الإمام علي. منذ نقشت الأرض وكان الزمان: كان الإمام علي. ذلك الفاتح الذي انتزع باب خيبر بجملة واحدة: كان الإمام علي"، لو كان بقوة أربعين رجلاً لكان أكثر بسالة من خالد بن الوليد وسعد بن أبي وقاص.
أما قطبهم عبد القادر الكيلاني فهو من منطقة كيلان، وأرجع البعض نسبه إلى الحسن بن علي وآخرين إلى الحسين بن علي، وآخرون أنكروا نسبه للعرب واعتبروه أعجمياً من الفرس، وهذا الرأي هو الأقوى. فقد ذكروا بأنه رأى النبي صلى الله عليه وسلم ظهر يوم16شوال سنة521هـ وعاتبه: يا بني! لِم لا تتكلم؟ فأجابه: أبتاه أنا رجل أعجمي كيف أتكلم مع فصحاء بغداد؟ فقال النبي: افتح فمك. ففتحه الشيخ، فتفل فيه النبي سبع مرات وقال له: الآن تكلم مع الناس وادعوا إلى ربك بالحكمة والموعظة. عجباً! هل هناك حاجة إلى سبع بصقات ليتكلم العربية ويدعو إلى ربه؟ وكيف يدعو النبي صلى الله عليه وسلم بأبتاه؟ وذكر الشيخ أبو سليمان داود المنبجي"كنت عند الشيخ عقيل المنبجي فسمعنا عن شاب أعجمي شريف اسمه عبد القادر" [طبقات الشعراني127/1].
ويقال إنه بلغ (الولاية) وعمره (10) سنوات، وقد عًرف بدرجته عند سماعه قول الملائكة عند قدومه: "افسحوا لولي الله حتى يدخل" [قلائد الجوهر/9]. ووصفت أمه حاله وهو رضيع بقولها كان لا يرضع من ثدييها - بمعنى صائم - وفسروا هذه الظاهرة الشاذة بأنه "اشتهر ببلدنا بأنه إذا ولد للأشراف ولد لا يرضع في شهر رمضان"! [نفحات الإنس للجامي/507]. على ماذا يعيش الطفل في شهر الرحمة؟ وهذه الحكاية مستقاة من نظرائهم الصفويين مدعين بأن الإمام الحسين لم يرضع من ثدي فاطمة. أي أمومة ناقصة هذه!



ومن كبار شيوخهم عبد الكريم الجيلي صاحب كتاب "الإنسان الكامل"، وكتابه مشحون بالكفر والتهجم على الذات الإلهية، وبقدر تعلق الأمر بمبحثنا هو دفاع الجيلي عن المجوس واعتبارهم موحدين! مبرراً أن أصحاب الثنوية قد عبدوا الله من حيث نفسه تعالى لأنه - أي جل جلاله - جمع الأضداد بنفسه ويتوصل بسفسطته إلى أن الثنوية عبدوا الله انطلاقاً من هذه الأضداد باعتباره النور والظلمة معاً، ويضيف: "عبد المجوس الله من حيث الأحدية، فالنار أقوى الاستقصاءات وأرفعها، فهي مفنية لجميع الطبائع بمحاذاتها، لا تقاربها طبيعة إلا واستحالت إلى نار لقوتها الغالبة، ولهذه اللطيفة عبدوا النار وحقيقتها الله تعالى"!

ويضيف لتخاريفة التافهة عن المجوس: "عبدوا النار، وما عبدوا إلا الواحد القهار" [الإنسان الكامل/126].

ومن شيوخهم الشيخ الشيخ العز ابن عبد السلام والذي نسب للإمام علي القول: "لو عرفت الله بمحمد ما عبدته، ولو عرفت محمداً بالله ما احتجت محمد. لكن الله عرفني بنفسه"! أي تعارف بلا وساطة حتى بدون الملائكة!

وينقل عن الإمام علي بن أبي طالب قوله: "إن بين جنبي علما لو قلته لخضبتم هذه من هذه. ثم ينشد شعراً:

إني لأعلم علماً لو أبوح به * * * لقيل لي أنت ممن يعبد الوثنا" [حل الرموز ومفاتيح الكنوز للشيخ العز بن عبد السلام/85].

لا نفهم سر كتمان علي العلم وحرمان المسلمين منه، وكيف سيبرر موقفه السلبي أمام الله تعالى الذي حث المسلمين على نشر العلم والانتفاع به وليس كتمانه؟ ثم هل من يملك العلم يوصف بأنه وثني؟ ما علاقة الوثنية بالعلم سوى أنها نقيضه!

ومنهم أبو علي الروذباري، واسمه أحمد بن محمد "هو من ذرية كسرى، سكن مصر، وكان شيخها، وبها مات سنة اثنتين وعشرين، وثلاثمائة، ودفن بالقرافة قريباً من ذي النون المصري. صحب الجنيد والنوري، وأبا حمزة البغدادي، وكان حافظاً للحديث ظريفاً عارفاً بالطريقة، وكان يفتخر بمشايخه، فيقول: شيخي في التصوف الجنيد، وفي الفقه أبو العباس بن سريج، وفي الأدب ثعلب، وفي الحديث إبراهيم الحربي" [الطبقات الكبرى106/1].

وهذا الشيخ أحمد بن محمد التجاني يُذكر عنه: "سأل أحمد بن محمد التجاني سيد الوجود، وعلم الشهود، صلى الله عليه وسلم في كل نفس مشهود، عن نسبه وهل هو من الأبناء والأولاد، أو من الآل والأحفاد، فأجابه صلى الله عليه وسلم بقوله: "أنت ولدي حقاً". كررها ثلاثاً صلى الله عليه وسلم، وقال: نسبك إلى الحسن بن علي صحيح" [جواهر المعاني228/2].

وهذا قطبهم الأعظم وكبريتهم الأحمر محمد بن علي الأندلسي المكنى بابن عربي وقد ترجم له الإمام الذهبي وأشار إلى وصف شيخه ابن عبد السلام السلمي بأن ابن عربي "شيعي سوء وكذاب" [ميزان الاعتدال 659/3].

ومن المعروف عنه في عام 1201 التقى بفتاة فارسية هام بها وكتبا معاً "ترجمان الأشواق"، وكان وقتها مُحرِماً. ويشهد ابن عربي في الفتوحات المكية [196/1] لآل البيت بالعصمة والحفظ الإلهي



ويعتبرهم "الأقطاب الذين لا غنى للناس عنهم"، ويؤمن بعقيدة المهدي ونوابه، ويصفهم بقوله إن الله أطلعهم على الكشف الإلهي، وهم من الأعاجم وليس فيهم عربي رغم أن لسانهم عربي! ويذكر عن بركة أهل البيت، أن أحداً من أمة محمد لا يكتب شقياً، ولا يبقى في النار، بل يخرجون منها جميعاً، وإن بقي أحد منهم فيها، فإنها تكون عليه برداً وسلاماً ببركة أهل البيت" [الفتوحات المكية127/2]. ربما يشير بشكل خفي إلى عقيدة الطينة عند الشيعة! وقد أخذ الخميني الكثير من أفكاره.

ويذكر عن عقيدة المهدي: "لا بد من خروج المهدي لكن لا يخرج حتى تمتلئ الأرض جوراً وظلماً فيملؤها قسطاً وعدلاً، ولو لم يكن من الدنيا إلا يوم واحد طوّل الله تعالى ذلك اليوم حتى يلي ذلك الخليفة وهو من عترة رسول الله صلى الله عليه وسلم من ولد فاطمة رضي الله عنه جده الحسين بن علي بن أبي طالب، ووالده حسن العسكري بن الإمام النقي بالنون ابن محمد التقي ابن الإمام على الرضا ابن الإمام موسى الكاظم ابن الإمام جعفر الصادق ابن الإمام محمد الباقر ابن الإمام زين العابدين علي بن الإمام الحسين ابن الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه" [كتاب اليواقيت والجواهر في بيان عقائد الأكابرج143/2].

هل من يملك هذه العقائد يعد من أهل السنة؟ ثم ما هي الفائدة من أن يملأ المهدي الأرض عدلاً في آخر الزمان؟ ومن سيستفيد من هذا العدل في اليوم الأخير في حياة البشرية؟

ويلاحظ أن كثرة تناقضات أفكار ابن عربي ساعدت الصوفيين على المراوغة بشأن أفكاره وتكييفها حسب مزاعمهم، ويؤكد هذا المنحى الأستاذ أبو العلا عفيفي المتخصص بالفكر الصوفي والاستشراقي في تحقيقه لكتاب ابن عربي "فصوص الحكم"، بقوله: "إنه يعتمد تعقيد البسيط، وإخفاء الظاهر، فعباراته تحتمل غالباً معنين".

دافع بعض أنصار ابن عربي عنه محاولين تبرئته مما نسب إليه من أفكار تناقض الشرع. لكن هذه المحاولات رغم قوتها لا تستطيع أن تعوم في لج التناقضات وتصل بهم وبه إلى بر الإيمان. حتى لو صح إلغاء "الفتوحات المكية وفصوص الحكم" المنسوبين له، الكتابان اللذان تضمنا فلسفته بالحلول ووحدة الوجود؛ لأن جميع كتبه الأخرى تتحدث عن هاتين الفكرتين. كما أن كبار المتصوفة لم يعارضوا أفكاره عندما شرحوها في كتبهم شرحاً وافياً وكافياً، ومنهم القدامى كالنابلسي والقاشاني، والمختصين الجدد مثل أبو العلا عفيفي وعثمان يحيى، ولم ينكر تلامذته وبقية المتصوفة هذين الكتابين بأنهما من مؤلفاته. ونود في الختام أن نشير إلى مقدمة د. عثمان يحيى لكتاب الفتوحات المكية حيث ذكر: "وموقف الشيخ ينبغي أن يدرس ويفهم في ضوء النظريات والتعاليم الشيعية" وهذا يكفي!

نفس هذه المزاعم تجدها عند بقية شيوخهم كعبد الوهاب الشعراني ومحمد مهدي الرفاعي المشهور بلقاءاته مع الأئمة الإثنى عشر حيث نفخوا في فمه لمباركته، وادعى أنهم أحياء يُرزقون. هذه المقولات توضح بأن السبب في عدم انتقاد المتصوفة لغلاة الشيعة وتسفيه آرائهم كقولهم بتحريف القرآن والتهجم على أمهات المؤمنين وكبار الصحابة وغيرها! فالعقائد الأساسية بينهما مشتركة كما لاحظنا؛ لذا يتضح مما سبق أن أعمدة الفكر الصوفي هم من الشيعة وليسوا من أهل السنة، وإن بعضهم على أقل تقدير أقرب للشيعة منه لأهل السنة.


البرهان
دليل الباحثين عن الحقيقة



3) الخميني أنموذج صارخ للصفوي الصوفي

الكثير من العرب عرفوا الخميني كزعيم ديني وسياسي ومفجر للثورة الإيرانية ضد الشاه بمساعدة قوى الاستكبار العالمي، وقد تنكر للقوى الحقيقية التي ساهمت في إنجاح الثورة ونكل بهم فأعدم وسجن ونفى واحتجز! وهذا ديدنه مع كل من أحسن إليه، فقد تنكر لحكومة العراق التي استضافته لعقدين من الزمان، وكذلك تنكر للأحزاب الإيرانية التي كان لها الدور الرئيسي في الإطاحة بنظام الشاه، كمجاهدي خلق والحزب الشيوعي الإيراني والحزب الديمقراطي الكردستاني الإيراني وغيرها، وتنكر لفرنسا التي آوته سنين مضحية بعلاقاتها مع الشاه، فعدها من دول الاستكبار العالمي.
من المعرف أن علماء المسلمين أجمعوا في المؤتمر الإسلامي الثالث في عام 1408هـ على تكفير الخميني، بسبب غلوه وطروحاته التي تتقاطع مع مبادئ الإسلام ومثله العليا، مثل تكفيره لأبي بكر الصديق وعمر وعائشة رضي الله عنهم جميعا وسبهم ولعنهم. ويمكن الرجوع إلى قرارات المؤتمر التي جمعت ونشرت في كتيب حينها، لكن القليل من يعرف شيئاً عن تصوفه، وهذا ما يمكن أن نلمسه بوضوح في كتاباته واستخدامه لمصطلحات الصوفية، وغالباً ما يستعير تعابيرهم السمجة وشطحاتهم الإلحادية كقوله: "إن لأئمتنا مقاماً لا يبلغه ملك مقرب ولا نبي مرسل"، وهو قول مأخوذ عن أحد شيوخ الصوفية: "إن الله يقذف في سر خواص عباده ما لا يطلع عليه ملك مقرب ولا نبي مرسل" [الطبقات الكبرى].
ونعزو قلة المعرفة بتصوف الخميني نتيجة عدم ترجمة كتبه الصوفية ومنها "تعليقات على شرح فصوص الحكم" و"مصباح الانس" و"رسالة لقاء الله" و"الجهاد الأكبر جهاد النفس" الذي حذا فيه حذو المتصوفة بالاعتماد على حديث منسوب للنبي صلى الله عليه وسلم: "رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر"، والجهاد الأكبر يقصد به جهاد النفس البشرية ضد نوازع الشر. إضافة إلى شعر الخميني العرفاني بالفارسية "ره عشق" و"باده عشق"، و"نقطة عطف"، و"منشور روحانيت".
لكن بعد وفاة الخميني تُرجم واحد من كتبه الصوفية بعنوان "الفناء في الحب" وهو كتاب شعري نثري يتضمن خلاصة الأفكار الصوفية للخميني، والحب يقصد به الله، والفناء كما هو معروف من أسس التصوف الذي يعني جعل الوجود واحداً، والغريب في موضوع كتابه العشقي إنه باشر بتأليفه قبل وفاته بفترة قصيرة، أي عندما كان الشعب العراقي والإيراني يسددان فاتورة عنجهيته من دمائهم البريئة برفضه كل المساعي الدولية والإسلامية والعربية لوقف نزيف الحرب. وفي الوقت الذي كانت فيه جبهات القتال مشتعلة، كان قلب روح الله الخميني مشتعلاً بلظى الحب الوجداني! وفي الوقت الذي كانت السماء فيه تزعر بأصوات الطائرات والمدافع، كان لسان السيد ينعر بالأسرار والعشق السماوي! ولما امتدت الحرب للمياه، كان السيد يفكر بالخمر والحانة والساقي!
يصف مقدم كتاب ديوان الخميني بأنه "أديب تصوف ودروشة وعرفان توصل إلى معرفة الله من خلال الكشف القلبي والفيض العشقي الإلهي العلوي، وليس من التبحر بالقراءة في القرآن وعلوم الدين! مضيفاً بأن "تعابير الإمام العشقية والخمرية تشبه تعابير أعلام العرفان الكبار مثل محي الدين



بـن عربـي ومولانـا جـلال الـدين الرومـي وفريـد الـدين العطـار، وعمـر بـن الفـارض وعبـد الله الأنصاري".

سبق أن استعرضنا أفكار المذكورين وشطحاتهم ومروقهم عن الشريعة وزندقتهم. بهذا يكون الخميني نموذجاً محدثاً للصوفي الصفوي، ودليلاً على أن الصوفية والصوفية وجهان لعملة واحدة. ونظراً لعروق الخميني الهندية، لذا فقد كان للديانات الهندية القديمة أثراً في تكوينه الذهني وتوجهه الكهنوتي والصوفي.

الحقيقة أن الخميني كما يخبرنا بنفسه قد تحسر في أواخر أيامه على تعلقه وانشغاله بحياة الدنيا على حساب الآخرة، وهو ما وصفه بـ "فخ إبليس" الذي وقع في حبائله ولم يسعفه الحظ ليصحح ما ارتكبه من جرائم بحق شعبه وبقية الشعوب، وقبل هذا وذاك بحق نفسه! فقد كان يُمني نفسه بانتهاج طريق الصوفية - لكان بفعله ذاك أراح واستراح - فقد جاء في رسالته لنجله الأكبر أحمد الخميني التالي: "رسالة من والد هرم بالٍ، أفنى عمره بحفنة ألفاظ ومفاهيم، مضيعاً حياته في إناء الأنا "النرجسية" وهو يُصعد أنفاسه الأخيرة متأسفاً على ماضيه، إلى ولده الشاب الذي يمتلك فرصة ليفكر كعباد الله الصالحين بتحرير نفسه من التعلق بالدنيا التي هي فخ إبليس الخبيث"؛ فهو إذن يعترف بأنه ضَيع حياته في النرجسية! وهي صفة ملازمة للغطرسة والعنجهية التي لا تليق برجل دين ولا بخلق الإسلام الذي عُرف بالتواضع والتسامح والسلم والأخاء.

من أهم الشخصيات الصوفية التي أثرت في الخميني: الحلاج وأبو يزيد البسطامي وصدر المتألهين الشيرازي والفيض الكاشاني وصدر الدين القونوي الذي يعتبره خليفة ابن عربي. وجلال الدين الرومي وعبد الكريم الجيلي وفريد الدين العطار ونجم الدين كبري وشهاب الدين السهروردي وابن عربي. يلاحظ أن معظمهم من الفرس.

وللحلاج وفلسفته "أنا الحق" أثر كبير في فكر الخميني، فقبل وفاته كتب قصيدة صوفية يناجي فيها ربه ولا نعرف هل يقصد به رب العباد أم رب آخر خاص به وبالصفويين! يقول فيها:

يا حبيبي أسرني خال على شفيتك.
وقد أبصرت عيونك النحيلة.
فصرت مثلها نحيلاً.
فرغت من نفسي وصرخت أنا الحق.
وطلبت الموت كمنصور الحلاج".

يلاحظ أن إعجاب الخميني بالحلاج ينبع من مصدرين:

أولهما: أصوله الهندية حيث كان الهنود يمجدون شخصية الحلاج وينعتونه بـ[شهيد الحب] وغالباً ما يذكره الباتانيون في أمثالهم الشعبية. تشير المستشرقة الألمانية آنا ماري شيمل بأنه "لا يوجد كتاب شعر صوفي باللغة السندية أو السيراكي إلا وتضمن إشارات عديدة للحلاج" [الأبعاد الصوفية في الإسلام/87].

ثانيهما: أن الحجاج فارسي الهوى رغم أصوله الهندية، ويعتبرونه الفرس وريث العقيدة الزرادشتية؛ لأنه تبنى فكرة الحلول التي يؤمن بها المجوس والصفويون من بعدهم. والفرس هم من أطلق على



الحلاج لقب "العالم الرباني" حسب وصف ابن الخفيف الشيرازي، ويعتبر فريد الدين العطار وجلال الدين الرومي من أبرز السائرين على خط الشيرازي. وقد وصف ابن النديم الحلاج بأنه "كان رجلاً محتالاً مشعوذاً، يتعاطى مذاهب الصوفية، وينتحل ألفاظهم ويدعي كل علم، وكان صفراً من ذلك كله. بل كان جاهلاً مقداماً متهوراً جسوراً على السلاطين، مرتكباً للعظائم، يروم إقلاب الدول، ويدعي الألوهية ويقول بالحلول" [الفهرست474/1].

وذكر عنه ابن كثير: "أجمع الفقهاء في زمانه على كفره وقتله"، ومع كل هذه الصفات السيئة كان الخميني متأثراً بعقيدة الحلاج! لربما يصدق عليهما القول: "شبيه الشيء منجذب إليه".

يلاحظ أن كلمة الحلاج في القصيدة "أنا الحق" بمعنى أنا الله، قد وردت في كتابه "الطواسين"، ولها حكاية ملخصها: عندما طرق الحلاج باب بيت الجنيد استفسر الأخير عن هوية الطارق؟ فأجابه الحلاج: أنا الحق! وقد استعارها الخميني في شعره السابق إعجاباً بها، وربما مستذكراً عبارة هندية مشهورة على غرارها "أنا براهما" الواردة في كتب الأبانيشاد الهندية. وكانت عبارة "أنا الحق" سبباً لاتهام الحلاج بالزندقة وقتله بإجماع الفقهاء في عصره، ومن الغرابة أن يستعيرها الخميني وهو يدرك جيداً أبعادها الإلحادية! علاوة على قربها من عبارة فرعون ﴿فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الأَعْلَى﴾ [النازعات:24]، وقد أنكر السيد أحمد الرفاعي عبارة الحلاج بشدة، موضحاً بأنه "لو كان الحلاج على الحق! ما قال أنا الحق" [البرهان المؤيد/36]. كما يلاحظ أن الإمام الغزالي قد عاب جماعته المتصوفة بانتساب طائفة من الزنادقة إليهم كالحلاج.

وقد رد آية الله العظمى أبو الفضل البرقعي في كتابه "كسر الصنم" على المتصوفة ومنهم الشيخ الشبشتري وسندهم في أصل مبدأ "أنا الحق" كما جاء في سورة القصص: ﴿فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِنْ شَاطِئِ الْوَادِ الأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَنْ يَا مُوسَى إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [القصص:30]، بأنه ينبغي علينا هنا أن نوضح أن الشجرة لا شعور لها حتى تنطق، وهذه الشجرة ليست هي الله، حتى تقول أنا الله، بل الله أوجد صوتاً في تلك البقعة المباركة في تلك الشجرة حتى تُسمع موسى وتأمره، كما قال يا موسى أنا الله رب العالمين، ولما عدّ الشيخ الشبستري الصوفي [في كتابه كلشن راز/2] الشجرة ناطقة وجعلها محقة لادعاء الألوهية: يقول لما صارت الشجرة إلهاً وقالت: أنا الحق فيحق لكل مرشد من باب أولى أن يقول: أنا الحق، ونحن رددنا على كفرياته في كتابنا "كلشن قدس" هو يقول شعراً بالفارسي ما ترجمته "يجوز قول أنا الحق من شجرة، فلماذا لا يجوز من بشر؟" هناك فرق بين الخالق والمخلوق. ومن يرى أنهما واحد فهو غارق في الكفر، والذي يقول عن نفسه أنا الحق! هو كافر مطلق، وليس لأحد أن يقول أنا الحق إلا الحق.

يذكر الخميني: "أيها المجلي الكامل لـ"أنا الحق" في العرش العلي العالمي"، ويسمي الخميني شيخه الحلاج بالمنصوري كما يظهر بشعره: "ما دمت المنصوري تظهر الطواف حول أنا الحق. مثيراً الضجيج والهيجان قبل أن ترى جمال الحبيب. دك جبل أنانيتك كموسى" لاحظ يحمل نفس نظرة عتاب الصوفية الذين عايشوا الحلاج كالشلبي والجنيد الذي عاتب الحلاج بقوله: "إنك أفشيت أسرار الربوية فأذاقك طعم الحديد" حيث يتفق الخميني معهم بضرورة كتمان أسرار العقيدة، وهي فكرة صفوية بحته نسبوها للأئمة زوراً. فهو يوصي أصدقائه الروحانيين بأن لا يفشوا أسرارهم لغير



أهلها، وذلك "لأن علم باطن الشريعة من النواميس الإلهية والأسرار الربوية، مطلوب ستره عن أيدي الأجانب وأنظارهم" بلا شك لا توجد عقيدة سرية وغير معلنة يمكن اعتبارها سليمة وأخلاقية! وإلا ما الغاية من كتمانها؟ فالدرزية والنصيرية والماسونية أمثلة على ذلك. الحقيقة تحب العري، والكذب يحب الغطاء.

من الشخصيات المؤثرة في الخميني هو القطب الكبير عبد الكريم الجيلي، ولعل ذلك بسبب تعاطفه من الفرس المجوس فهو صاحب المقولة: "أما المجوس فإنهم عبدوا الله من حيث الأحدية، فكما أن الأحدية مفنية لجميع المراتب والأسماء والأوصاف، كذلك النار فإنها أقوى الاستقصاءات وأرفعها فإنها مفنية لجميع الطبائع بمحاذاتها، لا تقاربها طبيعة إلا تستحيل إلى النارية لغلبة قوتها، فكذلك الأحدية لا يقابلها اسم ولا وصف إلا يندرج فيها ويضمحل، فلهذه اللطيفة عبدوا النار وحقيقتها ذاتها وتعالى" [الإنسان الكامل/126]. ويستمر الجيلي في حديثه مادحاً المجوس بقوله: "لما انشقت مشارم أرواح المجوس لعطر هذا المسك، زكمت عن شمه سواه. فعبدوا النار وهم ما عبدوا إلا الواحد القهار" [الإنسان الكامل/126]. أي أن الله هو النار! أنها العقيدة المجوسية تماماً.

ويذكر عن الزرادشتية وأصحاب الثنوية: "أما الثنوية فإنهم عبدوه من حيث نفسه تعالى؛ لأنه تعالى جمع الأضداد بنفسه، فشمل المراتب الحقية والمراتب الخلقية، وظهر في الوصفين بالحكمين، وظهر في الدارين بالنعتين، فما كان منسوباً إلى الحقيقة الحقية، فهو الظاهر في الأنوار وما كان منسوباً إلى الحقيقة الخلقية، فهو عبارة عن الظلمة، فعبدوا النور والظلمة لهذا السر الإلهي الجامع للوصفين والضدين والاعتبارين والحكمين كيف شئت من أي حكم شئت، فإنه سبحانه يجمعه وضده بنفسه. فالثنوية عبدوه من حيث هذه اللطيفة الإلهية مما يقتضيه في نفسه سبحانه وتعالى، فهو المسمى بالحق، وهو المسمى بالخلق، فهو النور والظلمة" [المصدر السابق/125]. لكن الله نور السموات والأرض وليس الظلمة، الظلمة التي تملأ قلوبكم وعقولكم يا كفرة.

عرف عن الجيلي كثرة شطحاته [في كتابه الإنسان الكامل]، وهو التعبير الذي استعاره الخميني في فلسفته الصوفية، وغالباً ما يسبغه على شيوخه المتصوفة [كما في كتابه مصباح الهداية/153]، حيث يذكر: "قال شيخنا وأستاذنا في المعارف الإلهية العارف الكامل شاه آبادي أدام الله ظله على رؤس مريديه لو ظهر علي قبل رسول الله لأظهر الشريعة كما أظهرها النبي، ولكان نبياً مرسلاً، لاتحادهما في الروحانية والمقامات المعنوية والظاهرية"، ويتبنى الخميني عقيدة مواطنه أبو يزيد البسطامي حول الإنسان الكامل معتبراً" الإنسان الكامل هو جميع سلسلة الوجود، وبه تستكمل دائرة الوجود، فهو الكتاب الكلي الإلهي" [شرح دعاء السحر/67]. وهو نفس ما ذكره عبد الكريم الجيلي زاعماً بأن "الإنسان الكامل، هو الذي يستحق الأسماء الذاتية والإلهية، وهو مقابل لجميع الحقائق الوجودية بنفسه" [الإنسان الكامل73/2].

ولجلال الدين الرومي تأثير واضح في فلسفة العشق الإلهي عند الخميني، التي تنتهي بحالة الجذب التي ترتقي به لمرتبة الإنسان الكامل. وهذا ما يتضح جلياً في شعره:

المجذوبون لجمال الجميل

والعاشقون للحسن الأزلي



والسكارى من كأس المحبة
والمصعوقون من قدح الست
الذين فرغوا عن الكونين
وتعلقوا بعز قدس جمال الله"
[سر الصلاة وصلاة لعارفين/157].
وقوله أيضاً:
يوم أمسيتُ عاشقا لجمالك
جُننِتُ بوجهك العديم المثال
رأيتت أن لم يكن في العالَمين سواك
فذُهلتُ عن نفسي وغرقتُ في كمالك
ويتبنى الخميني نفس المفاهيم الصوفية كما يلاحظ في أشعار العرفان. فالسكر بمفهومه الصوفي له ركن مهم في فكر الخميني الذي يعتبره الكلاباذي منزلة أقل من الفناء، ويعني عدم القدرة على تمييز الأشياء. ويعرفه آخرون بأنه يعني غفلة يتعرض لها الصوفي بسبب تغلب العاطفة على العقل. حيث يذكر الشيخ العز ابن عبد السلام بأنه: "إذا تمكن منك السكر أدهشك، وإذا أدهشك حيرك، وإذا دام تحيرك أخذك منك، وسلبك عنك" [حل الرموز ومفاتيح الكنوز/16].
قسم ابن عربي السكر إلى أنواع "الطبيعي للمؤمن" و"العقلي للعارف" و"الإلهي للكامل" [راجع الفتوحات المكية544/2]. أن كلمة "السكر" بمفهومها التصوفي استحدثها المتصوف الفارسي أبو يزيد طيفور سروشان البسطامي "كان جده سروشان مجوسياً". ويذكر عنه الهجويري في كتابه كشف المحجوب بأنه طريقته تتصف بالغلبة والسكر. والبسطامي يختلف منهجه عن الجنيد الذي يؤمن بالصحو، حيث يرى أن السكر آفة ومشوش للأحوال ومبيد للصحة وضياع لزمام النفس. لكن الخميني سار على على نهج مواطنه البسطامي. فهو يخاطب الذات المقدسة بشعره:
افتح الدن أمام السكارى!
تخل عن عشق الأهواء!
كالطفل الصبور في الكتاب
تقبل مني رمز السكر!
ويذكر أيضاً:
ارفع الكأس ثم اقرأ همساً!
على المعوزين والشاربين حتى السكر
يا نقطة عطف سر الوجود
ارفع عن المحب كأس السكر!
وقوله:
أنا السكران من قدح خمرتي الصافية
أنا البعيد لأجل حبيبي الآسر



وقوله:
أنا في عصبة العشاق السكارى
متحرر من عار الصلح والعداء
وينشد:
في وسط الزهاد وشاربي الخمور
في مظهر العلماء سيئي المذهب
كذلك من شعره:
ألا إنني سأسقط مغمى عليّ بسببك.
أنا هارب من الوعي وسكران من السكر
ويستشهد بحبيته الساسانية شيرين متصوراً نفسه فرهاد!
شيرين الشفة
شيرين الحاجب
شيرين المقال
فمن؟ مع هذا كله ليس فرهاد أمامك؟
وأخيراً! إنك لم تر فرهاد وصرت شيرين
لاحظ أن الخميني يستشهد بشيرين ويستعرض جمالها، وهي كما معروف ملكة ساسانية مجوسية كانت زوجة [كسرى أوبريز الذي مزق كتاب النبي صلى الله عليه وسلم عندما دعاه للإسلام] وعشيقها فرهاد كان من كبار قواد الملك الساساني وقد وعده بتزويجه من شيرين، ثم نكث بعهده مدعياً أنها ماتت، فانتحر فرهاد بسببها.
وتجدر الإشارة بأن سكر المتصوفة ومنهم الخميني يوقعهم في شطحات تصل إلى مستوى الكفر. لذلك حاول الإمام الغزالي أن ينقذهم من هذه الورطة مدعياً "كلام العشاق في حال السكر يطوى ولا يحكى" [المشكاة/117]. حيث يذكر الخميني:
المجذوبون لجمال الجميل
والعاشقون للحسن الأزلي
والسكارى من كأس المحبة
والمصعوقون من قدح الست
الذين فرغوا عن الكونين
وتعلقوا بعز قدس جمال الله
[سر الصلاة وصلاة لعارفين/157].
وكأنه يردد قول الشيخ روزبهان: "السكر هو كثرة شرب أقداح حسن التجلي"، وقول السهروردي: "السكر سانح قدسي للنفس يبطل النظام"، ويضيف الخميني: "إن أصحاب القلب وأهل الحق لايقفون عند حد الإيمان، بل إلى منزلة الكشف والشهود، وهو ما يحصل بالمجاهدة والخلوة مع الله، والعشق



لله" وهذا ما أشار إليه ماسينيون بقوله أن المتصوفة يمدحون الخمر التي حرمها الله في الدنيا ويتغنون بكأس المحبة التي يديرها ساقي الحانة "ترسابجه".

غالباً ما ترد كلمة دراويش في شعر ونثر الخميني الصوفي بالرغم من موقفه المتناقض من الدراويش! فهو مثلاً يمجدهم في شعره، ولكنه يحتقرهم في نثره! فمن مديحه: "إذا لم تكن لك خصال الدرويش. تَمُت من فراق ساحر فؤادك"، كذلك: "ألا قل في أذن الدرويش وقلبه وروحه. قل عالياً بمائة لسان مكرر. يا نقطة عطف سر الوجود. ارفع عن المحب كأس السكر"، وقوله: "في حلقة السالكين الدراويش. المستهينين الصبورين البعيدي التفكير" لكنه في رسالته لإبنه أحمد ينتقص منهم وينصحه بالإبتعاد عن مسلكهم بقوله"لا تترك خدمة المجتمع وتعتزل فإن هذه صفات الجاهلين المتنسكين أو الدراويش أرباب الدكاكين"! كما يعجب الخميني بشيخه ابن عربي ويصفه بشيخ المتألهين العارفين، في حين يصفه شيخ المؤرخين شمس الدين الذهبي"كلام ابن عربي كفر وزندقة، كان يجتمع به آحاد الاتحادية، ولا يصرح بأمره لكل واحد، ولم تشتهر كتبه إلا بعد وفاته" [تأريخ الإسلام].

فكرة الفناء لم يتحدث عنها المتصوفة إلا في القرن الثالث الهجري، والفناء لغة يعني الزوال والتلاشي، عكسه البقاء، كما جاء في سورة الرحمن: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾ [الرحمن:26]، ولكن المتصوفة أخذوا الفكرة الفلسفية من عقيدة النرفانا التي تعني فناء الوجود وأتبعوها بالاتحاد بالذات الإلهية. وقسموا الفناء إلى [ذاتي، صفاتي، إرادي]. والحقيقة أن أول من أدخل فكرة الفناء في العقيدة الصوفية هو أبو يزيد البسطامي. فقد جاء رجل إلى أبي يزيد يسأل عنه؟ فأجاب السائل: ليس في البيت غير الله!

ويذكر الخميني: "مَن ملك سبيل الحق، وخرج عن الأنانيه بقول مطلق، وفني ذاتاً وصفةً وفعلاً وشأناً في الرب المتعال، وسلم مملكه وجوده إلى القيوم ذي الجلال، وأتى الله بقلبٍ سليم، ووصل إلى مقام العبوديه بالطريق المستقيم، وتحقق بحقيقه "لا موجود سوى الله، ولا هو إلاّ هو". ربما شملته الرحمة الواسعة الإلهية، والفيوضات الكامله والربوبية، بإرجاعه إلى مملكته، وإبقائه بعد فنائه، فيصير عالَم الوجود مملكه وجوده، ومقرَّ سلطته ومسند أمارته" [التعليقه على الفوائد الرضويه للخميني/60]. وذكر الخميني بأن الإنسان "إذا بلغ مرتبة، تفنى قواه وإرادته في إرادة الحق، وتبدأ النتائج العظيمة، فيكون الإنسان الطبيعي إلهياً" [كتاب شرح دعاء السحر/ المقدمة].

يصف أبو سعيد الخراز الفناء بأنه في حال أناب الفرد للرب وأنشد إليه، سينسى نفسه ويستذكر الله فقط، وإذا سئل من تكون؟ سيجيب الله! في حين يحدد الكلاباذي صفات الفاني بخسارة الحظ في الدنيا والآخرة، في الدنيا خسارة مطالبة الأعراض، والآخرة خسارة مطالبة الأعواض. والبعض يرونه متمثلاً بفقدان الوعي أو الغفلة عما يحيط به أو عدم الشعور بالمحسوسات المادية. بمعنى تفنى روحه بالذات الإلهية المقدسة، وسيؤدي هذا التفاعل الغريب إلى الحلول أو ما يسمى بالاتحاد أو كلاهما، وهي منزلة متقدمة للمتصوف كما يزعمون. وهذا ما تمثل بقول الخميني يكون الإنسان الطبيعي إلهاً.

تفرع موقف شيوخ الصوفية إلى فرعين متعارضين حول الحلول، منهم من يؤيد حالة الحلول الناجمة عن الفناء كالبسطامي والحلاج وابن الفارض، ومنهم من يعارضها ويعتبرها تتنافى مع الشريعة



كالجنيد والتستري والهجويري والطوسي الذين تبرأوا من الحلولية بل لعنهم الهجويري. وهذا الأمر يدفعنا لمزيد من التأمل في تبني الخميني عقيدة الفناء المؤدية إلى الحلول التي ابتكرها مواطنه البسطامي! يذكر نيكلسون عن الحلول أن هذه العقيدة كانت شائعة في جميع أنحاء فارس سيما في العهد الساساني. وهذا ما يتمثل بوصف الخميني للإمام علي بن أبي طالب: "هو خليفة الرسول، القائم مقامه في الملك والملكوت، المتحد بحقيقته في حضرت الجبروت واللاهوت، أصل شجرة طوبى، وحقيقة سدرة المنتهى، الرفيق الأعلى في مقام أو أدنى، معلم الوحانيين، ومؤيد الأنبياء والمرسلين علي أمير المؤمنين" [مصباح الهداية/1].

يؤمن الخميني بعقيدة "الحقيقة المحمدية" التي تعني أن النبي صلى الله عليه وسلم هو المجلى الأعظم لله، وأن جميع الأشياء تصدر منه وتعود إليه. وفكرة الحقيقة المحمدية يتفق فيها الصفويون والمتصوفة تماماً، فالنور المحمدي عند الفريق الأول يتسلسل في الأئمة وعند الصوفية بالأولياء، حيث وصفهم ابن عربي: "هم نورانيون انفلقوا عن أنوار محمد" [عنقاء مغب/42].

ويلاحظ أن أول من تحدث بهذه الفكرة من الصوفية هو الحلاج الفارسي حيث اعتبرها أزلية وجدت قبل الكون؛ فالنبي صلى الله عليه وسلم أخذ علومه عن العلم الإلهي قبل ظهور الأنبياء، وهم استمدوا العلم منه، أي تراجع يعاكس الواقع! ويضيف: "برزت أنوار النبوة من نوره. وظهرت أنوارهم من نوره. وليس من الأنوار نور أنور وأظهر وأقدم من القدم سوى نور صاحب الكرم" [الطواسين/9].

وهذا الكلام يصب في عقيدة وحدة الأديان على أساس وحدة المصدر. فيذكر: "بالمشيئة الإلهية وهي اسم الله الأعظم ظهر الوجود، فهي الحبل المتين الذي يربط بين السماء الإلهية والأرض الخلقية، وبه فتح الله وبه يختم، فهو الحقيقة المحمدية والعلوية صلاة الله عليه ومقام الواحدية المطلقة والإضافة الإشراقية" [شروح دعاء السحر/110].

ويستخدم الخميني مصطلحات الصوفية في كتاباته سيما العارف وكذلك "الأستاذ، الشيخ، الكامل، المريد، أمين ودائع الله، وكنز أسراره، ومعدن أنواره، ودليل رحمته على خلقه" [الآداب المعنوية للصلاة/178].

ويمدح الشيخ ابن عربي بقوله: "كلمات أهل المعرفة سيما الشيخ الكبير محي الدين ابن عربي مشحونة بأمثال ذلك، كقوله الحق خلق والخلق حق" [مصباح الهداية].

ويعتبر وصول العارف بالله: "مقام التخلق بأخلاق الله يكون مورداً للعنايات الخاصة"، والعارف الصوفي كما يوضحه مصطفى العروسي مفرقاً بينه وبين العالم، بأن العارف من أشهد الله تعالى ذاته وصفاته وأفعاله؛ إذ المعرفة حالة تحدث عن شهود، والعالم "العامة" من أطلعه الله على ذلك لا عن شهود بل عن يقين يستند إلى دليل وبرهان.

يأخذ الخميني بالنوع الأول من العارفين حسب تصنيف النفري في كتابه [المواقف/34] بأنهم ثلاثة أنواع: "النوع الأول الذين عرفهم الله نفسه بنفسه عن فضله، فيستدلون بآثاره عليه، وقد يتفضل الحق "الله" بالرؤية والكرامة. والنوع الثاني هم الفلاسفة والحكماء ممن يستخدم العقل ويستدل بالأدلة. والنوع الأخير هم المجاهدون الذين يفنون أنفسهم بالذات الإلهية.



يلاحظ أن المتصوفة وضعوا درجات للعارف هي "التحير، الافتقار، الاتصال ثم التحير من جديد" كأنها حلقة مفرغة. وهو ما يمكن استخلاصه من كتابات الخميني؛ ففي هذا المقطع يتحير من المسجد والدرس، ثم يفتقر للزهد والرياء، ثم يتصل بالمرشد المخمور، ثم يتحير ثانية بإستذكار معبد الأصنام بقوله:

لقد سئمت من المسجد والدرس
وخلعت لباس الزهد والرياء
ولبست زي الدليل إلى الحب
فصحوت وضجرت
من مواعظ فقهاء المدينة
واستغثت بالمرشد المخمور
دعوني أستذكر معبد الأصنام
فصنم الحانة هو من أيقظني

لاحظ أن حالة الإنسلاخ عند الخميني عن زهده تشبه حالة إنسلاخ البسطامي عن نفسه بقوله: "انسلخت من نفسي، كما تنسلخ الحية من جلدها" [شطحات الصوفية لعبد الرحمن بدوي/100].

أما عقيدة وحدة الوجود فهي من العقائد الصوفية التي ظهرت بعد وفاة الحلاج. وأشهر من تحدث عنها هو قطبهم ابن عربي. ويؤمن الخميني بوحدة الوجود! حيث يذكر في هذا الصدد: "جميع الموجودات أسماء إلهية. وأن الأسماء والصفات الإلهية كاملة وبنفس الكمال، وأكمل الكمال هو الاسم الجامع لكل الكلمات "الله" [شرح دعاء السحر/78].

ويضيف الخميني: "لنا مع الله حالات هو نحن، ونحن هو" [مصباح الهداية/114]، وهو نفس قول الحلاج:

أنا من أهوى ومن أهوى أنا * * * نحن روحان حللنا جسدا
فإذا أبصرتني أبصرته * * * وإذا أبصرته أبصرتنا

إن وحدة الوجود من أخطر معتقدات الصوفية؛ لأنها تعتبر كل ما في الوجود هو الله، وكل ما تراه العين ويتلمسه اليد من إنس وجان وحيوانات وجماد هي أجزاء من الرب، لكنها تتخذ أشكالاً مختلفة. فأنا وأنت والشمس والقمر والكلب والخنزير والبحر والشجر والملائكة والشياطين كلها الله. أستغفر الله من هذيانهم!

وكلام الخميني مستعار من الشيخ أبو الفيض المنوفي الذي ذكر أن الله هو النبع السامي لكل شيء، وليس شيء من الأشياء جميعها هو الله، على اعتبار أن - جل جلاله - جميع الأشياء وليس شيء واحد فقط، ويلاحظ أن بعض المتصوفة يستخدمون تعبير"وحدة الشهود" بدلاً من "وحدة الوجود" لغرض التمويه، وكلاهما وجهان لعملة واحدة. فقد ذكر الشيخ إبراهيم بن عمر البقاعي: "أخبرني بعض الصادقين من فضلاء أهل العلم أنه رأى شخصاً ممن ينتحل هذه المقالة "وحدة الوجود" القبيحة بثغر الإسكندرية، وأن ذلك الشخص قال له: إن الله تعالى هو عين كل شيء، فمر بهما حمار، فقال:



وهذا الحمار؟ فأجابه: وهذا الحمار! ثم رأى روثاً فسأله: وهذا الروث؟ فقال: وهذا الروث" [مصرع التصوف/123]. بربكم هل هناك أشد من هذا الكفر؟!

وتصل الجرأة عند ابن عربي للتطاول على الذات الإلهية بتشبيهها كامرأة في حالة جماع: "لو تأمل الرجل الملتذ بالمرأة، لعلم أنه ليس مع امرأة بل مع الإله الصوفي، وأنه ليس هو الملتذ، بل الإله الذي تعين فيه" وهذا من شعر ابن الفارض في وحدة الأديان:

وإن عبد النار المجوس وما انطفت * * * كما جاء في الأخبار من ألف حجة

فما عبدوا غيري، وإن كان قصدهم * * * سواي، وإن لم يعقدوا عقد نيتي

ولا نعرف كيف يُوفق المتصوفة ومنهم الخميني ما جاء في سورة الشورى ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ﴾ [الشورى:11]، مع دعواهم بوحدة الوجود؟

لكن ما يجب التركيز عليه هو أن هذه الفكرة تخدم الديانة المجوسية من طرف خفي. لاحظ ما يذكره ابن عربي: "الذين يعبدون الله في الشمس يرون الله شمساً، وأن الذين يعبدونه في أشياء جامدة يرون الله شيئاً جامداً. والعارف الحق لا يقيد نفسه أبداً بإحدى هذه الطرق ويحكم بخطأ سواها" [الفتوحات316/2].

بمعنى أن المجوس الذين يعبدون النار هم يعبدون الله؛ لأن الله نار! ولا يجوز الحكم بتخطئتهم! وفكرة ابن عربي سبقه إليها الشيخ التلمساني. ويرى محمد سعيد الجليند: "هذا الأمر يمثل اتجاهاً عاماً لدى متصوفة الفرس والحلوليين" [من قضايا التصوف/111]. ولعل فكرة عبادة النار تفسر تبني الخميني فكرة وحدة الوجود وإيمانه المطلق بها، كما يتحلى في شعره ونثره الصوفي.

الكشف في المعنى الصوفي: "هو الاطلاع على ما وراء الحجاب من المعاني الغيبية والأمور الحقيقية وجوداً وشهوداً" [بصائر ذوي التمييز/354].

وقد أشار له الخميني في "منزلة الكشف والشهود" والكشف عند ابن عربي كما وضحه على خمسة أصناف "عقلي، قلبي، سري، روحي وخفي" [راجع تحفة السفرة إلى حضرة البررة/84].

ويذكر الكاشاني: "المعرفة حال تحدث عن شهود"، ويعتبر الغزالي الكشف أهم مصادر المعرفة اليقينية، وهو ليس من العلوم المكتسبة، وإنما عطاء إلهي يهبه للعارف. وبهذا المعنى يتحدث الخميني [في كتابه الأربعون حديثاً] بقوله: "نفسَ العلمِ حجاب غليظ، فإذا لم يُخرق هذا الحجاب بتوفيق من الله سبحانه في ظل التقوى الكاملة والترويض المجهد والانقطاع التام لله، والمناجاة الصادقة معه، لم تُشرِق في قلب السالك أنوار الجمال والجلال، ولم يشهَد قلبُ المُهاجر إلى الله المشاهداتِ الغيبيه، ولم يتمتع بالحضور العيني لتجلّيات الأسماء والصفات، فضلاً عن الحظوه بالتجلّيات الذاتيه" [الأربعون حديثاً/559].

كما يذكر الخميني: "ألا فأرفع الحجاب عني! ارفعه فأنا مفتضح بك"، وقوله: "أرفع الحجاب من بيننا حتى تجد عيني التائهة طريقاً إلى وجهك" ويذكر في المحجة: "إن اشتغال القلب بشهواته بمقتضى حواسه حجاب مرسل بينه وبين مطالعة اللوح الذي هو عالم الملكوت، فإذا هبت ريح حركت الحجاب وإزاحته، تلألأ شيء من عالم الملكوت في مرآة القلب كالبرق السريع" [المحجة البيضاء314/8].



وقد التزم الخميني بنفس شروط من سبقوه من الصوفيه في هتك الحجاب، ومن أبرزها التقوى الكاملة، والترويض المجهد للنفس، والانقطاع التام لله، والمناجاة الصادقة.
كما أن فكرة الخرقة الصوفية، هي من العبارات التي يستخدمها الخميني في كتاباته الصوفية، ومن المعروف أن المتصوفة جعلوها أساساً لعقيدتهم ونسبوها للإمام علي رضي الله عنه، مع أن الإمام علي لم يختص في لباس محدد وكذلك بقية الصحابة قبله وبعده. من المتصوفة الذين أكدوا ارتباط التصوف بخرقة الصوف، القشيري والهجويري. ويذكر الخميني بصددها: "أنزع عني خرقتي، وأنقلب درويشاً" كما يعرف الخميني الولاية بنفس تعابير المتصوفة فهي"القرب، أو المحبوبية، أو التصرف، أو الربوية، أو النيابة" [مصباح الهداية/57]. ويعتبر معجزات الأئمة وكرامات الأولياء "فرع من إظهار الربوية والقدرة، وأنهم يأبون إظهارها إلا عند الضرورة" [مصباح الهداية/90]. أليس الخميني نموذجاً على العلاقة الوثقى بين التصوف والتشيع؟



الخاتمة

هل التصوف والتشيع الصفوي إيمان أم ضلال؟

السؤال المطروح بعد الانتهاء من المباحث السابقة هو:

هل الصوفية إيمان أم ضلال؟ هل منبعها الإسلام أم الأفكار الغنوصية؟ هل جميع المتصوفة مؤمنون أم فيهم من هو على ضلال؟ وهل هناك معايير لتصنيفهم وفق قواعد الإيمان والإلحاد؟ هل التصوف وأفاعيل الدراويش كضرب الدرباشات والسيوف وأكل الزجاج والجمر وغيرها من البدع أم من صلب العقيدة الإسلامية؟ وهل هذه الممارسات من قوة الإيمان بالله تعالى؟ أم من قوى الظلام التي يقودها الشيطان؟

يذكر ياسين رشدي بأن من المتصوفة: "من جعل القرآن والسنة أساساً لطريقته وهم قلة، ومنهم من ابتدع معاني لآيات القرآن لا يحتملها اللفظ وتأباها قواعد اللغة، مدعياً أنها تفسير باطني، ومنهم من تأثر بثقافات أجنبية وفلسفة اليونان والرومان، وأدخل فيها عقيدة الحلول والاتحاد، ومنهم من أسقط التكاليف عن نفسه، كالصلاة والصيام مدعياً أنه وصل إلى نهاية الطريق" [التصوف ما له وما عليه/ 8]، بمعنى أن السيد رشدي صنفهم إلى عدة مجموعات وهذه حقيقة، لكن لنا رأي آخر سنوضحه لاحقاً.

نود أن نبين بادئ ذي بدء بأن من يؤمن بوحدة الوجود ومنفعة السحر والمعاجز والعروج إلى السماء والرجعة والفناء والحلول وغيرها من مصطلحات التصوف الشاذة، لا يمكن أن يحسب على عقيدة الإسلام وليس على أهل السنة فحسب. لأنه لا يوجد في الذكر الحكيم والسنة النبوية الشريفة العديد من أفكار الصوفية، مثلاً: أن قبر الكرخي يقسم به على الله فيستجيب، ويستشفى به، وأن الصوفية هم غياث الخلق؟ كما زعم القشيري في رسالته. ثم هل في الإسلام أن المريد لا بد له من شيخ، وأن من لا شيخ له فشيخه الشيطان؟ وأن غضب الشيخ من غضب الله؟ هل في الإسلام أن المريد يجب أن يكون بين يدي شيخه كجثة الميت بين يدي الغاسل؟ هل في الإسلام أن الولي أفضل من النبي صلى الله عليه وسلم؟ هل في الإسلام أن العارف يسمع كلام الله كما سمعه موسى؟

أما من كان متصوفاً بمعنى الزهد في الحياة الدنيا والتفرغ للعبادة وأداء الفرائض، وعدم الخروج عن كتاب الله وسنة نبيه المصطفى فهذا أمر لا غبار عليه، ولا يعنينا ألبتة! لأن العلاقة بين العابد والمعبود علاقة ثنائية وليست متعددة الأطراف، ولا شأن لنا بها عن قريب أو بعيد. العبادات أمر يعني الإنسان نفسه فقط، وكل نفس رهينة ما تكسب. لكن المعاملات هي التي تخصنا لأنها تهتم بعلاقات البشر بعضهم البعض. لذلك ميز الدين الحنيف بين العبادات والمعاملات من حيث التأثر والتأثير فقط؛ لأن المعاملات تستند أصلاً على العبادات، من حيث الالتزام بها أو التنصل منها.



ذكر الشيخ العلامة محمد الشنقيطي: "لا شك أن من الصوفية من هو على الطريق المستقيم، من العمل بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، ولم تظهر منهم أشياء تخالف الشرع" [أضواء البيان502/4]. منهم عمرو بن عثمان المكي، والحارث المحاسبي، وعبد الله بن خفيف، وإبراهيم بن أدهم، وبشر الحافي والفضيل بن عياض، وأبو سليمان الداراني ومعروف الكرخي والجنيد البغدادي ويوسف بن أسباط، ومعمر بن زياد الأصفهاني، والشيخ عبد القادر الكيلاني الذي قال فيه عبد الله بن قدامة: "ما رأيت أحداً يعظمه الناس للدين، أكثر منه"، ومدحه ابن كثير: "لأمره بالمعروف ونهيه عن المنكر وشدة زهده" ووصف ابن تيمية طريقته في التصوف بأنها "الشرعية الصحيحة".
كذلك الشيخ أحمد الرفاعي - ذاته وليس أصحاب طريقته - فقد أشاد به كبار العلماء المسلمين كابن تيمية الذي وصفه بأنه من "أئمة السلف"، والإمام الذهبي الذي قال فيه مادحاً، وبنفس الوقت منتقداً أتباعه: "لكن أصحابه فيهم الجيد والرديء، وقد كثر الزغل فيهم، وتجددت لهم أحوال شيطانية، منذ أخذت التتار العراق، منها دخول النيران، وركوب السباع، اللعب بالحيات، وهذا ما لم يعرفه الشيخ، ولا صلحاء أصحابه، فنعوذ بالله من الشيطان" [سير أعلام النبلاء77/21].
وهناك الكثير من المتصوفة يشهد له بحسن الحال والتمسك بالعقيدة، مثلاً: أبو علي الحسن بن علي الجوزجاني الذي يذكر: "أصح الطرق إلى الله تعالى وأعمرها وأبعدها عن الشبه أتباع السنة قولاً وفعلاً وعزماً وقصداً ونية، لأن الله تعالى يقول: ﴿وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا﴾ فقيل له: كيف الطريق إلى اتباع السنة؟ فقال: مجانبة البدع، واتباع ما أجمع عليه الصدر الأول من علماء الإسلام، والتباعد عن مجالس الكلام وأهله، ولزوم طريق الاقتداء بمن سبق قال تعالى في سورة النساء: ﴿وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا﴾ [الطبقات الكبرى88/1]. لكن مع احترامنا الكبير لشيوخنا الأفاضل، قرأنا بعض الأقوال التي تسيء لهولاء أيضاً، ومن قبل أتباعهم وليس أعدائهم!
هذه الآراء تدفعنا للقول بأن الجيل الأول من المتصوفة يختلف تماماً عن بقية الأجيال التي تلته؛ فلم تكن عقائد الحلول والفناء ووحدة الوجود والحقيقة المحمدية والسكر والشطحات والأساطير وغيرها قد دخلت بعد في لب التصوف وغلبت عليه. وهذا ما نوه عنه الشيخ العباس أحمد بن محمد بن سهل بن عطاء الآدمي بقوله: "التصوف خلق وما رأيت من أهله إلا الجنيد وابن عطاء" [الطبقات الكبرى94/1]. لاحظ خص اثنين منهما فقط! لكن عندما نناقش التصوف بشكل عام لا يجوز أن نحكم على الرأس ونترك الجذع والأطراف! عندما يكون الرأس بلا عيب فهذا لا يعني سلامة الجذع والأطراف. كما أن الجيل الأول يمكن تصنيفه في باب الزهد أكثر منه في باب التصوف. وعندما نفكر في التصوف سوف لا يخطر على بالنا الفضيل بن عياض، وأبو سليمان الداراني ويوسف بن أسباط فحسب، بل أيضاً ابن عربي والحلاج والبسطامي والقشيري والترمذي والجيلي وابن الفارض، وهؤلاء ليسوا كغيرهم.
كما أن كبار المتصوفة رفضوا الفصل بين هاتين الفئتين المتناقضتين لسبب لا نفهمه ولم يوضحوه لنا! ولذا سنتماشى مع رغبتهم آسفين على ضياع هذه الفرصة! فقد كان بودنا لو أنهم قاموا بهذا الفصل، وعزلوا المعافين عن المرضى، وفصلوا ما بين الحقائق عن البدع، والإيمان عن الضلال، والإسلام عن الغنوصية، لكانوا أراحوا أنفسهم، وأراحوا غيرهم، ونفس الأمر ينطبق على الروافض.



لذا بحثنا لا يتعلق بالمقارنة والمفاضلة بين المتصوفة، وفرز الجيد من الرديء. وإنما العلاقة بين الصفوية والصوفية، وليس المقارنة بين الشيخ أحمد الرفاعي وإسماعيل الصفوي على سبيل المثال. فالثريا ليست الثرى وشتان ما بينهما. ناقشنا العلاقة بين العقيدتين والمؤتلف بينهما ولم ندخل في مبحث المختلف. هناك بالطبع اختلافات ولكن برأينا أن كفة المؤتلف أرجح من كفة المختلف. وعندما تطرقنا إلى المآخذ على بعض الزهاد والمتصوفة، فهذا لا يعني أننا لا سامح الله ننتقص من قيمتهم ومكانتهم عموماً. فبعض المتصوفة كما أسلفنا أشاد بهم من هو أفضل منا وأعرف بهم منا وأعرف بأصول الدين منا! لكن هذا لا يعني عصمتهم عن الخطأ والزلل والسهو، فهم بشر والبشر خطاء، والكمال لله وحده فقط. لذا فإن إشارتنا لمواطن الزلل لا تعني مطلقا أن مكانة الصالحين منهم ستتصدع في قلوبنا وقلوب محبيهم.

كما أن نقاط الضعف التي أشرنا لها لم نأتِ بها من جيوبنا، وإنما من جيوب شيوخم ومقلديهم "المريدين" وناقل الكفر ليس بكافر. الشطحات التي تسيء للذات الإلهية والنبي المصطفى من بعض المتصوفة لا ينفع تبريرها بذريعة السكر والشطح وعدم القصد حتى، لو بررها الإمام الغزالي وغيره من العلماء. حدود الإيمان معروفة، وحدود الإلحاد معروفة أيضاً على خارطة الإسلام، ولسنا بحاجة لمن يبرر الكفر بأية حجة كانت، مع احترامنا الكبير لعلمائنا الأفاضل.

صحيح أن القرآن الكريم فيه الكثير من الأسرار التي توصل لها العلم لاحقاً، أو لم يتوصل لها بعد، لكن العلماء فقط، وليس الأئمة ولا المتصوفة ولا رجال الدين هم من حلوا هذه الأسرار للبشرية ليستفادوا منها.

يرى المقريزي في خططه بأن أمر الصوفية بدأ يتدهور بعد موت الشيوخ الأوائل: "حتى صاروا من سقط المتاع، فلا ينسبون إلى علم ولا ديانة"، من البديهي أن الصالحين من المتصوفة لا يتحملون مسؤولية عبث خلفهم من الأتباع والمريدين، ولكننا نتحدث عن وقائع ملموسة، وليس عن عفاريت يتحدث بهم الناس ولا يرونها. الحكم يكون شاملاً على الظاهرة عندما تكون واحدة ومتجانسة، وليست متجزأة.

وإذا كان التصوف طريقة للعبادة والزهد فقط! فما الغرض من تسميته التصوف وتعدد المصطلحات الخاصة به؟

ذكر مالك بن نبي: "الذين يعنون بالتصوف السلوك الإسلامي وترقيق القلوب والزهد في الدنيا، يقال لهم لماذا تسمون هذه الأشياء صوفية؟ وقد أصبحت علماً على رموز وأشكال تخالف الإسلام؛ فهل ابتعدتم عن الشبهات وتركتم هذه الأسماء التي ما أنزل الله بها من سلطان" [الصوفية ونشأتها/7].

وإذا كان التصوف طريقة للعبادة والزهد فقط! فلماذا يدخل في باب المذاهب الباطنية؟ والباطنية مجوسية الأصل كما يذكر أبو المظفر الإسفرايني: "إن الذين وضعوا دين الباطنية كانوا من أولاد المجوس، وكان ميلهم إلى دين أسلافهم، ولكنهم لم يقدروا على إظهاره مخافة سيوف المسلمين" [التبصر/84].

قال ابن الفارض:



وإن عبد النار المجوس وما انطفت * * * كما جاء في الأخبار من ألف حجة
فما عبدوا غيري، وإن كان قصدهم * * * سواي، وإن لم يعقدوا عقد نيتي
رأوا ضوء نوري مرة، فتوهموه * * * ناراً فضلوا في الهدى بالأشعة
ويذكر ابن حزم: "دين الله تعالى ظاهر لا باطن فيه، وهو جهر ولا سر تحته، وكله برهان"، ويقول العلامة رشيد رضا: "أن أكثر الذين خالفوا نصوص الشريعة بأقوالهم وكتبهم من لابسي لباس التصوف هم باطنية في الحقيقة، وقلدهم الكثير من المسلمين وهم يجهلون أصلها" [تأريخ الإمام115/1]. وهذ الأقوال من علماء الأمة.
ثم هل يحتاج الإسلام طريقتهم الخاصة للعبادة؟ وهل هناك ألغاز في الفرائض لم يتحدث عنها القرآن الكريم أو يوضحها النبي صلى الله عليه وسلم والصحابة وكباء الفقهاء فيما يتعلق بالعبادات والمعاملات؟ ألم يُفصل فقهاء المسلمين كل ما يحتاجه المسلم في عبادته؟ بل أحياناً وصل الأمر إلى الإسهاب المفرط الذي يشمل دقائق دقائق الأمور. فهناك عشرات المجلدات تتحدث عن الطهارة فقط!
لقد قالوا للصحابي الجليل سلمان الفارسي: لقد علمكم نبيكم كل شيء حتى الخراءة [قضاء الحاجة].
ثم هل كان النبي صلى الله عليه وسلم والصحابة والأئمة رضوان الله على الجميع من المتصوفة؟ يذكر عز الدين التنوخي بان: "التصوف هو روح الإسلام، والرسول هو الصوفي الأعظم"، ويضيف الشيخ محمد عبده الصوفي: "لقد ضاع الإسلام بضياع التصوف" [مجلة الثقافة السورية24/2].
لكننا قرأنا بحمد الله القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، ووجدنا الكثير من المفاهيم مثل العالمين والمتقين والمريدين والخائفين والعارفين والأولياء والصادقين والخاشعين والمحسنين والسائحين والمجتبين والمقربين والصالحين والمتوكلين والمؤمنين والحاكمين والصابرين والتابعين وغيرها لكننا لم نقرأ الصوفيين! ثم هل ضاع الإسلام حقا بضياع التصوف؟ أم سيضيع الإسلام بسبب التصوف والرفض؟
كما أن القرآن الكريم نزل باللغة العربية وبلغة قريش تحديداً، قرآناً فصيحاً مفهوماً وسهلاً، لا يصعب فهمه على الناطقين بالضاد. نحن عرب ونتحدث بلغة القرآن والسنة النبوية الشريفة، ومن يدعِ أن للقرآن ظاهر وباطن فليكفنا باطنه لنفسه، فلسنا بحاجة إلى الباطن! الظاهر منه هو الذي يعنينا، وهو والحمد لله يكفينا في الحياة الدنيا وزيادة.
لقد جاء القرآن الكريم لكل البشر، وليس للأئمة والشيوخ والمريدين، فكلام الله تعالى لم يفصل على عقولهم وفهمهم فقط. ولو كان التصوف عبادة خاصة بين الشيخ وربه، وبين الإمام وربه، ما كنا تدخلنا فيه أصلاً. أما أن تنحرف الناس عن القرآن والسنة وتركض وراء الأوراد والأذكار ومفاتيح الجنان ودعاء كميل. فهذا خط أحمر يستدعي من أي مسلم حريص على دينه أن يتدخل ويستنفر مجهوده للحفاظ على بيضة الإسلام، أو على أقل تقدير أن يحصن نفسه والآخرين من البدع والضلال، وذلك أضعف الإيمان، ألم يذكر النبي صلى الله عليه وسلم الحديث: «خيركم من تعلم القرآن وعلمه» [صحيح البخاري/ باب فضائل القرآن].
يحكى أن احد الضباط الإنكليز دخل في صومعة القلعة وقد اجتمع عدد من الناس وهو يصيحون ويرقصون بشكل جنوني، فسأل الضابط ترجمانه: ماهذه الغوغاء ونحن نعلم أن صلاة المسلمين في



غاية الخشوع والأدب والسكينة؟ فقال له ترجمانه: إنهم الصوفية وهذه أكبر صلاة عندهم. لاحظ وصف الأجنبي بأن صلاة المسلمين فيها خشوع وأدب! وليس فوضى وصخب. لقد عبر النصراني جيداً عن خلق الإسلام، وهو من غير دين الإسلام! فما بالكم يا من تدعون الإسلام؟!

إن ذكر الله تعالى لا يحتاج إلى الغناء والرقص وأكل الزجاج والجمر والضرب بالدرباشة والسيوف والخناجر، إنها بدع ومفتريات على الدين، ولو كان فيها تقرب لله تعالى لكان أولى بالنبي المصطفى صلى الله عليه وسلم والصحابة من السلف الصالح أن يقوموا بها. الإسلام لا يحض المسلمين على خرق أجسادهم بالسيوف والدرباشات ليلفتوا انتباه الجهلة والساذجين إلى بطولات وهمية لا نفع منها! أي دين هذا! وقد أمرنا الرحمن بأن لا نرمِ أنفسنا إلى التهلكة.

إن ما نقوله بحق الدجاجيل [أول من جمعها هكذا مالك بن أنس] لا يختلف ألبتة عما قاله كبار الصوفيه بحق أتباعهم المسيئين، فقد ذكر السيد أحمد الرفاعي: "طريقنا الكتاب والسنة، ومتى ما انحرف الإنسان عنهما ضل عن الطريق، طريقنا أن تقف عند حدود الشرع ولا تتعداه! وكل طريقة خالفت الشرع هي زندقة"؛ إذن هي زندقة باعتراف قطبهم!

وقال أبو القاسم الجنيد: "مذهبنا التقيد بالكتاب والسنة"، وقال أبو القاسم السندوسي: "هذا الطريق مبني على الغيرة لله ورسوله المصطفى، فمن كان يعد نفسه في إعداد أهل هذا الطريق وليس له غيرة على الله ورسوله، فهو دجال ومنافق ومبتدع، فاجتنبوه ولا تخالطوه" إذن علينا اجتنابهم!

وذكر الشيخ علي القرشي: "من لم يكتفِ بالكتاب والسنة والإجماع، فهو على الضلال" [مجلة الأستاذ/ ج830/35]. كما قال أبو عمرو محمد الزجاجي النيسابوري: "من انحرف عن جادة الظاهر فلا باطن له، هكذا وجدنا السلف الصالح: "بمعنى الظاهر يعبر عن الباطن ولا يناقضه. وقال أحند بن أبي الحواري الدمشقي: "من عمل بلا اتباع السنة فعمله باطل".

وسأل رجل رويم البغدادي: دلني على الطريق؟ فأجابه: ليس لك إلا بذل الروح، وإلا فلا تشتغل بترهات المتصوفة. [مجلة الأستاذ/ ج35/ 830]. هذا هو الكلام الصحيح المقبول والعقلاني الذي يتوافق من المنطق الإسلامي، ومع أخلاق وسيرة النبي صلى الله عليه وسلم والصحابة الأجلاء هو فصل الخطاب، ولا جدال حوله ولا حساب.

السؤال الآخر: هل ما يقوم به المتصوفة من أفعال، هي من صلب العقيدة المذكورة في كتاب الله وسنة رسوله أم هي من البدع؟

الجواب لا يقبل الوسط: إما القول: لا تقبل؛ لأنها بدع واضحة. أو القول: نعم تقبل؛ فهي من أصل الدين. في هذا الحال نطالب المعارض البرهان من القرآن والسنة فقط.

وإذا كان هناك تعارض واختلاف في المواقف، فمن البديهي أن نرجع إلى الحاكم الأوحد في مثل هذا الأمر! فقد جاء في سورة النساء: **﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا الله وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُوْلِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إلى الله وَالرَّسُولِ أن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾**، وهل هناك حاكم عدل أفضل من هذا؟



الحقيقة أن التصوف فيه حيرة أيضاً؛ لأنه يضعنا في مواجهة غير عادلة مع الدين، فهل كان الإسلام ناقصاً فجاء المتصوفة لإكماله؟ فإن كان الإسلام كاملاً كما جاء في القرآن الكريم: ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِينًا﴾ [المائدة:3]؛ فلسنا بحاجة لغيره.

قال عليّ بن أبي طلحة عن ابن عبَّاس في قوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ هو الإسْلام، أخبر الله نبيَّه صلى الله عليه وسلم والمؤمِنين أنَّه قد أكمل لهم الإيمان فلا يَحتاجون إلى زيادةٍ أبدًا، وقد أتمَّه الله فلا ينقصه أبدًا" [تفسير ابن كثير246/5]. إذن الدين كامل، ولا حاجة للتصوف؟ وإن كان ناقصاً كما يدعي الرافضة والمتصوفة لتحجر عقولهم، فنتركهم مع الله تعالى! فهو الحاكم وصاحب يوم الحساب.

علاوة على ذلك نقول لمعشر المسلمين:

ألا يكفي محاربة الإسلام من قبل الجبهات الخارجية الكثيرة، ليفتح المتصوفة والشعوبيين جبهات داخلية؟

ثم كيف نفسر توحد إرادة اعداء الخارج مع أعداء الداخل لخدمة هدف واحد؟ هل هي الصدفة؟ أم هي مؤامرة حقيقية على الإسلام؟ وإلا ما الهدف من شق عصا الجماعة، وزرع بذور الفتنة والنفرة والعداء بين المسلمين؟ ثم من المستفيد من النتيجة النهائية؟

قرأنا تعليقات القراء الأفاضل على بعض ما نشر من المباحث في الصحف والمواقع سواء اتفقت معنا أو عارضتنا، فجميعها موضع احترامنا وتقديرنا، الاختلاف في الرأي لا يفسد للود قضية، نحن نعيش في عصر التفتح والنور، ولا نتحدث عن معادلات رياضية لا تقبل الخطأ، إنها أفكار قد تصح جميعها أو نصفها أو أقل، وربما لا تصح ألبتة عند البعض. لا توجد مشكلة في هذا الأمر فلكل منا قناعاته الشخصية التي يؤمن بها صحيحة كانت أو غير صحيحة.

كما أن الخصم في النقاش لا يجوز أن يأخذ الجانب النظري "الأفكار" فقط من المسألة. ويترك الجانب العملي "الممارسات" التي ترافقها.

على سبيل المثال: نحن نؤمن أن بعض الشيوخ كالرفاعي والجنيد لم ينحرفا عن القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة. ولم يحضروا الموالد والأذكار ولم يرقصوا على الدفوف، ولم يتحدثوا عن عروجهم للسماء ولا عن وحدة الوجود والفناء، كما شهد لهم كبار العلماء القدامى، ولكن لا يمكن تنزيه خلفهم في تحريف الطريقة، كأكل الزجاج وإدخال الدرباشات والسيوف في أجسامهم وأكل الجمر والمشي حفاة على النار، والمعجزات كالطيران والمشي على الماء والعروج إلى السماء.

ثم لماذا يتسمون بالرفاعي وهو براء منهم؟ وكذلك إطلاق مصطلح الطريقة الرفاعية! هم وليس نحن من أطلق هذه التسمية؟ هم من يدعون أن قطبهم هو الرفاعي وليس نحن؟ هم من يذكرون أن أسرار الصنعة "مشروب الطريقة" أخذوها عن الرفاعي بالتوارث وليس نحن! وكذلك الحال بالنسبة للصفويين وما يمارسوه من شعائر اللطم والتطبير والضرب بالزناجير! هل هذه الممارسات مستمدة من الأئمة وهم من أوصوا بها؟ أم هي شعائر سنها وزير الشعائر الحسينية في العهد الصفوي، وقد استقاها من النصرانية خلال زياراته لأوروبا؟ وهل هي بدعة أم من أصول الدين؟ ولماذا لا يمارسها المراجع لأنفسهم. هل رأيتم مرجعاً يضرب رأسة بالقامة أو يجلد ظهره بسلاسل من الأمواس؟

إن من يضع نفسه موضع التهمة عليه أن يتحمل نتائجها!



مع ثقتنا الكاملة برأي كبار العلماء بالشيخ الرفاعي، لكن مع هذا لنستمع إلى بعض ما نسبه له تلامذته رغم أنه لم يؤلف كتاباً في حياته حاله حال الإمام علي والصادق! فقد ادعوا بأنهم جمعوا أقواله في ثلاثة كتب هي جمع أسرار الشريعة والحقيقة والطريقة [يُختصر بالبرهان]، وكتاب "النظام الخاص لأهل الإختصاص"، وكتاب "رحيق الكوثر". علماً أنه يذكر عن نفسه "لست بشيخ ولست بمقدم عليكم، ولست بواعظ، ولست بمعلم، حشرت مع فرعون وهامان أن خطر لي إني شيخ على أحد"، وهو صاحب المقولة الشهيرة "كل ما يخالف الشرع هو زندقة. والطريق إلى الله هو القول: آمنت بالله، ووقفت عند حدود الله، وعظمت ما عظم الله، وانتهيت عما نهى الله" [د. عبد المنعم الحفني كتاب الموسوعة الصوفية/ 180].

لنقرأ ما نُسب للشيخ الرفاعي من ترهات على يد أصحابه الرفاعية: "إذا تمكن العبد من الأحوال بلغ محل بالقرب من الله تعالى، وصارت همته خارقة للسماوات السبع، وصارت الأرضون كالخلخال في رجله، وصار صفة من صفات الحق جل وعلا لا يعجزه شيئاً، وصار الحق تعالى يرضى لرضاه ويسخط لسخطه" [طبقات الشعراني/142]. لكن هل بلغ الرسل والأنبياء هذه المكانة؟ يرضى الله برضاهم ويسخط الله بسخطهم؟ كيف نفسر عتب الله جل جلاله على رسوله المصطفى وعدم رضائه على سخطه كما في الآية الكريمة: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّى﴾ [عبس:1]، وغيرها كالانتقام من قريش بسبب مقتل الحمزة؟ ومن الأحاديث المنسوبة للشيخ أحمد الرفاعي "وعدني الرسول مكرمه أن يأخذ بيد مُريدي ومُحبي ومن تمسك بي وبذريتي وخلفائي في مشارق الأرض ومغاربها إلى يوم القيامة، عند انقطاع الحيل، وبهذا جرت بيعة الروح ولا يخلف الله عهده" [البرهان المؤيد/82]. لاحظ هو يتحدث عن كرامة مع النبي صلى الله عليه وسلم وليس عهداً مع الله تعالى لا يخلفه! حيرة في حيرة!

ويذكر الشعراني بأنه [الشيخ الرفاعي] عندما يصادف الكلاب والخنازير يقرأهم السلام عليكم! وهذه تحية المسلم للمسلم وليست تحية المسلم للخنازير والكلاب! [الطبقات/143]! وينقل عن الشيخ يعقوب الكراز عندما صاحب الشيخ الرفاعي للحج القول"لما صعدنا عرفات رأينا ستة أنفار قادمين من جهة الشام، خمسة يلبسون ثياباً خضر، والسادس ثوباً أبيض، فتقيد الرفاعي باثنين منهم خاصة. سألت الرفاعي عنهم فقال لي: اذهب واسألهم! فذهبت لهم، وأجابني لابس البياض: أنا الخضر وهؤلاء الخمسة سيد المرسلين وأبو بكر وعمر وعثمان وعلي" ويطلب الشيخ الرفاعي من المريدين تقبيل يد شيخهم ورجله! نترك الحكم للقراء الأفاضل وننصح بهذا الصدد قراءة المناظرة بين المتصوفة وشيخ الإسلام ابن تيمية، ففيها الكثير من الإيضاحات حول التصوف.

إن جميع الأحاديث التي استشهدنا بها في المباحث السابقة مستمدة من أمهات المصادر والمراجع الشيعة والصوفية، وجميعها مثبتة ورواتها ثقة كما يدعي أتباعهم كالكافي وبحار الأنوار والاستبصار وروضات الجنات والتهذيب ومن لا يحضره الفقيه وتفسير العياشي والصافي وغيرها بالنسبة لكتب الإمامية. وطبقات الصوفية وجامع كرامات الأولياء ورسالة القشيري وقوت القلوب وغيرها مما ذكرنا بالنسبة للمتصوفة [يمكن الرجوع إلى المصادر والمراجع]. نحن لن نأت بحديث من عندياتنا! ولم ندس على أحد، ويكفينا ما دسوا وافتروا على الأئمة والشيوخ.



بمعنى آخر، نحن لا نلام عما هو موجود في أمهات كتبهم من أكاذيب وافتراءات بحق الأئمة والشيوخ، وأن هذه الأكاذيب يتحمل وزرها من صنعها ومن نشرها دون أن يهذبها ويصححها! هناك الكثير من المضحكات المبكيات التي عزفنا عن ذكرها كي لا ندوس على الجرح أكبر.

هل قرأتم ما ذكره جعفر الصادق من قصص وأساطير تشبه قصص ألف ليلية وليلة ولكنها أكثر كفراً وافتراءاً؟ ألا تبدوا إطلاق صفة الصادق عليه مثيرة للعجب! هل هذه أحاديث رجل يوصف بالصادق! فماذا نطلق إذن على الكاذب؟ معاذ الله أن يكون الإمام الصادق بهذا المستوى الرقيع من الجهل والسخافة! معاذ الله أن يجهل قول الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْكَاذِبُونَ﴾ [النحل:105]، أكيد هو صادق وألف صادق، ونلقم مداساً في فم كل من يفتري عليه! فتلك الفئة الضالة التي نسبت له الأكاذيب والأساطير لتشويه شخصيته تزعم أنها من أنصاره! فهل هذا فعل أنصار أم أعداء؟ وإن كان أهل السنة أعداءا لأهل البيت كما يزعم الصفويون، فلماذا لم يسيء أهل السنة للصادق؟ بل اعتبروه من أفاضل العلماء وأشادوا به وبخلقه؟

نحن نؤمن ببرءاته مما نسب إليه من كذب ودجل وسحر وأساطير، كإيماننا ببراءة أمنا الفاضلة عائشة حبيبة المصطفى مما نسب نفس الأوغاد وأحفادهم لها. من يحب الأئمة حقاً ينزههم عن الرجس والكذب والكبائر ولا ينسبها إليهم.

من يحب الأئمة على معجزاتهم وأساطيرهم لا يختلف عمن يحب شخصية سوبرمان والوطواط وهاري بوتر. ومن يؤمن بطيران الأئمة والشيوخ لا يختلف عمن يهوى قصص بساط الريح.

نحن نحب الأئمة والشيوخ الحقيقيين، وليس الشخصيات الأسطورية. نحن نحب خلف النبي صلى الله عليه وسلم وليس أرباب الإغريق وسلالاتهم.

نحب سيرة الأئمة والشيوخ وأقوالهم وتواضعهم وزهدهم وشدة صبرهم وتضحياتهم ومحبتهم للإسلام واعتصامهم بحبل الله.

نحب الإمام على كخليفة زاهد بايع الخلفاء قبله وكان مستشاراً لهم، ولا نحب الإمام علي الذي صوته البرق وابتسامته الرعد، ويقوم مقام الله ويحمل كل صفاته.

نحن نحب الإمام الحسن ليس لأن جده النبي صلى الله عليه وسلم بل لأنه تنازل عن خلافته لجمع وحدة المسلمين، وأصلح بين فئتين مسلمتين، تخلى عن الرئاسة بمحض إرادته منعاً لسفك دماء المسلمين، وليس تقية كما يدعي الدجالون والمغرضون.

من يحب الأئمة والشيوخ يحافظ على سيرتهم، ويقلدهم بأخلاقهم وسلوكهم، وليس بالدراباشات والزناجير واللطم والنحيب. من يحب الأئمة والشيوخ لا يغالِ بسيرتهم وأفعالهم، ولا يغالِ أيضاً بحبهم فهم مع علو مقامهم، ليسوا بمنزلة أكبر من منزلة النبي صلى الله عليه وسلم نفسه.

يذكر حسين جوزو: "غالى الفقهاء من جهة، والصوفيَّةُ من جهةٍ أخرى، فحوَّل علماء الظاهر الإسلام إلى مجرَّد قشور، بينما أفرط علماء الحقيقة في الجانب الروحي" [الإسلام والعصر/135].

ويضيف علي عزت: "الفلسفة الصوفية والمذاهب الباطنية تمثل بالتأكيد نمطاً من أكثر الأنماط انحرافاً. ولذلك يمكن أن نطلق عليها وصف "نصرنة الإسلام"، إنها انتكاسة بالإسلام من رسالة محمد صلى الله عليه وسلم إلى عيسى عليه السلام" [الإسلام بين الشرق والغرب/287].



لكننا في نفس الوقت نستغرب من أنه، لا الصوفية ولا الشيعة المحدثون العقلاء انتقدوا ما ورد عن أئمتهم وشيوخهم من غلو وتخاريف، ولم يصححوا ويهذبوا مصادرهم التأريخية المطبوعة حديثاً، ولم يرفعوا عن الأئمة والشيوخ الغبن الذي لحق بهم! مما يعني موافقتهم على ما جاء بها من لغو وغلط، أو الرضا عما كُتب عنهم على أقل تقدير.

البعض اقترح علينا قراءة كتب محددة عن التصوف كما يفترض قبل الكتابة عن الموضوع أو لتصحيح رؤيتنا عن التصوف والصفوية! وهنا نود الإشارة بأننا لم نبحر في بحار الصوفية والصفوية بلا بوصلة! لذلك تداركنا الانحرافات الخاطئة قدر إمكاننا. اطلعنا والحمد لله على مئات الكتب عن العقيدتين فشمرنا ساعدنا بعدها للكتابة، ويمكن ملاحظة ذلك في إشاراتنا للمراجع التي استقينا منها الأحاديث وهناك العشرات من الكتب التي لم نشر إليها، وكنا حريصين في هذا الجانب كي لا نقع في مصيدة الإفك، جنبنا الله إياها. لذلك فالبعض الذي يعارضنا بدعوى: من أين أتيت بهذا الكلام؟ من الأجدر به أن يرجع إلى المصادر المذكورة، ليعرف من أين أتينا بالكلام!

البعض الأخر اقتص أسطراً من مباحثنا ليجعل منها قضية مستقلة، فصلها عما قبلها وعما بعدها، لتكون جملة شاذة غير متكاملة المعنى. وهذه الحالة تذكرنا بمقال سابق كتبناه عن الغزو الامريكي للعراق، فأجتزأ أحد الأساتذة عنوان المقال فقط وهو: "عندما تموت سأبصق على قبرك"، وبدأ يتهجم على سلوكنا وأخلاقنا قائلاً: أهذه أخلاق مسلم؟ يبصق على قبر رجل ميت من عباد الله؟ أين الإسلام وأين الرحمة وأين حرمة الموتى ... الخ. أما الجملة التي قبلها، والذي لم يذكرها الأستاذ فهي: "رسالة إلى الرئيس الأمريكي بوش: عندما تموت سأبصق على قبرك"، وكانت التعليقات على ما ذكره الأستاذ قاسية جداً! فمنهم من قال: لا يجوز ذلك هذا حرام! وآخر قال للموت قدسية، وآخر قال: ربما الكاتب غير مسلم أو لا يعرف الإسلام! وهناك من سب ولعن .. معذورون في حكمهم، فهم لم يطلعوا على المقال كاملاً، بل على جملة واحدة منقوصة.

نقول للأستاذ الذي تلاعب بكلامنا كأنه يلعب لعبة الكلمات المتاقطعة: لقد بصق الأمريكان على قرآننا، واتخذوه هدفاً للرمي بأسلحتهم فخرموه ثقوباً، ورموه في حظائر الخنازير، ودنس عناصر من المارينز نسخاً من القرآن بالتبول عليها في العراق المحتل! لكنك لم تتأثر بكل هذه الانتهاكات، واستهجنت بصقة على من دمر بلادنا وقتل الملايين من أبناء شعبنا، واغتصب نساءنا وسرق ثرواتنا، وبسببه ما زال نزيف الدم مستمراً! ألا تف عليه وألف تف!

البعض طالبنا بقراءة كتب الإمام الغزالي كإحياء علوم الدين لما فيه من معلومات هامة تفند بعض ما جاء في مباحثنا! نقول والحمد لله، لم يفتنا ذلك، فلقد طالعناه بإمعان ودقة وننصح من نصحنا بقراءته مشكوراً بأن يطلع بنفسه عليه! ويوافينا بإحصائية عما تضمنه الكتاب من أحاديث كاذبة منسوبة للنبي صلى الله عليه وسلم والتي لا وجود لها في الصحاح والسنن! سيما المتعلقة منها بالفقر والزهد والجوع لغرض دعائي وهو ترويج العقائد الصوفية. ونبادله النصح ونسهل له المهمة من خلال الاطلاع على ما أحصاه العلامة السبكي في كتابه "الطبقات" عن الأحاديث النبوية التي استشهد بها الغزالي في كتابه الأحياء بدون سند!



وقد وصفه د. زكي مبارك بقوله: "فهو [أي الغزالي] في جمعه الأحاديث كحطاب الليل"، وإلا سنكيفه بما قال عنه أخص أصحابه [أبو بكر بن العربي الفقيه المالكي] أن "شيخنا أبو حامد دخل في بطن الفلاسفة، ثم أراد أن يخرج منها فما قدر" علماً أن الغزالي نفسه يقر في كتابه التأويل: بأنه رجل رديء البضاعة في الحديث. الحقيقة أن كتابه الأحياء هو نسخة محدثة من كتاب [قوت القلوب] ولكنه لم يشر إلى اقتباساته منه، بما يعتبر سرقة أدبية! وننصح بقراءة [باب التوكل] في الكتابين لمعرفة الحقيقة.

كما تحدث أبو بكر الطرطوشي عن الإمام الغزالي وأهم كتبه [إحياء علوم الدين] بقوله: "شحن كتابه بالكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم وما على بسيط الذكر أكثر كذباً منه" [راجع كتاب الرسائل/ عبد اللطيف آل الشيخ137/3]. وهو نفس تقييم الإمام الذهبي لـ [إحياء علوم الدين] حيث قال: "فيه من الأحاديث الباطلة جملة" ويلاحظ أن من أساتذة الغزالي إخوان الصفا، وأن في كتبه المضنون بها آثاراً ظاهرة من باطنيتهم الخبيثة، وعجيب أمر الغزالي في نقده للباطنيين، وهم أساتذته، وهو من رواد مشاريعهم؟

وتجدر الإشارة إلى أن الخلاف بين الغزالي وبقية المتصوفة يدور حول نقطة واحدة، وهي إنكاره نزول الملائكة على الشيوخ، وقد رد عليه الشعراني بقسوة منتقصاً من قدرته ومكانته الصوفيه! لأنه لم يصل إلى مرتبة كبار الصوفية، لذلك لم تنزل عليه الملائكة. ورجع الشعراني في دعواه إلى آراء ابن عربي بهذا الصدد [للمزيد راجع اليواقيت والجواهر].

في حين أجاز ابن عربي نزول الملائكة على الشيوخ بما فيهم هو نفسه! وذكر في الفتوحات المكية "جميع ما أكتبه في تصانيفي ليس عن فكر ولا روية، وإنما هو عن نفث في روعي من ملك الإلهام" [الباب/366]. وفي مكان آخر: "جميع ما كتبته وأكتبه إنما هو عن إملاء إلهي، وإلقاء رباني أو نفث روحاني" كلام واضح غير قابل للتأويل يكشف حقيقة ابن عربي ومؤيديه.

في الختام نود الإشارة بأننا لا ندع الوصول إلى الحقيقة كاملة، ولا غيرنا يمكن أن يصل إليها! والسبب هو تأويل الكلام واتباع التقية وأسلوب الرموز والحروف والطلاسم وغيرها من غوامض الأمور التي يدعي الأئمة والمتصوفة بأن فهمهما مقصور عليهم وعلى أتباعهم فقط. وهي دعوة باطلة وطريقة مبتذلة للمراوغة والمناورة أكثر منها طريقة علمية ومنطقية لاستكشاف الحقيقة ونشرها بين الناس.

كلنا إيمان بأن العقائد السرية حتى وإن كانت هامشية هي أكثر خطورة من العقائد المعلنة حتى لو كانت عميقة.



المراجع والمصادر

الألف

القرآن الكريم.

الكتاب المقدس

الإحكام في أصول الأحكام. علي بن أحمد بن حزم الأندلسي. تحقيق أحمد شاكر. دار الآفاق الجديدة. بيروت

الأنوار القدسية في معرفة القواعد الصوفية/ عبد الوهاب الشعراني/ دار إحياء التراث العربي. بغداد 1984.

أسباب النزول. الإمام أبو الحسن علي الواحدي. دار الكتب العلمية. بيروت. عام 2000

الأنوار السنية والمنن البهية. القطب الغوث الشيخ عبدالسلام الأسمر الفيتوري الحازمي. دار الطباعة المحمدية. القاهرة. 1964

الأخلاق المتبولية لعبد الوهاب الشعراني. مطبعة دار التراث العربي. القاهرة

الإبريز/ الشيخ عبد العزيز الدباغ. مطبعة علي صبيح. القاهرة.

أبو الحسن الشاذلي/ عبد الحليم محمود. المكتبة العصرية. بيروت 1967

الإسلام والغرب/ روم لاتدو. تر. منير البعلبكي. دار العلم للملايين. بيروت 1973.

إثبات الهداة بالنصوص والمعجزات. محمد بن الحسن الحر العاملي. المطبعة العلمية. قم بلا.

إثبات الوصية. علي بن الحسين المسعودي. المطبعة الحيدرية. النجف.

إحياء علوم الدين، أبو حامد الغزالي/ تح. أبو الفضل عبد الرحيم. دار المعرفة. بيروت

الأبعاد الصوفية في الإسلام وتأريخ التصوف. آنا ماري شيمل. ترجمة/ محمد إسماعيل السيد/ منشورات دار الجمل. كولويا 2006

الإنسان الكامل في الإسلام/ د. عبد الرحمن بدوي. وكالة المطبوعات. الكويت.

الإنسان الكامل في معرفة الأواخر والأوائل/ عبد الكريم الجيلي. مصطفى البابي الحلبي. مصر 1375 هـ.

الإنسان الكامل في معرفة الأوائل والأواخر، لعبد الكريم بن إبراهيم الجيلي، تحقيق: صلاح بن عويضة، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى 1997/1418.

الاعتقادات. محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي. مركز نشر الكتاب - إيران 1370هـ

الاعتصام. إبراهيم موسى الشاطبي. تعليق. محمد رشيد رضا. دار المعرفة. بيروت 1986

أثر التشيع في الأدب العربي. محمد سيد كيلاني. دار العربي للبستاني. مصر. 1996

أمالي الطوسي، تأليف: محمد بن الحسن الطوسي - مؤسسة الوفاء- بيروت 1981

أمالي الصدوق، تأليف: محمد بن علي بن بابويه القمي، الصدوق- مؤسسة الأعلمي- بيروت.

الاستبصار، تأليف: محمد بن جعفر الطوسي- دار الأضواء- بيروت



إكمال الدين وإتمام النعمة في إثبات الرجعة: محمد بن الحسين بن بابويه القمي [الصدوق]، المطبعة الحيدرية، النجف 1389هـ.
الاحتجاج2/1، أحمد بن علي بن أبي طالب الطبرسي، تعليق: محمد باقر الخراساني، مؤسسة الأعلمي، بيروت 1401هـ.
ـ الأنوار النعمانية. نعمة الله الجزائري. تحقيق محمد علي القاضي الطباطبائي. طبع تبريز 1382ه.
ـ الافيستا الكتاب المقدس للدراسة الزرادشتية. إعداد. د. خليل عبد الرحمن. دار روافد للثقافة. دمشق 2008 ط/2
ـ أنوار الولاية لآية الله الآخوند ملا زين العابدين الكلبايكاني. سنة 1409
ـ أعيان الشيعة، للسيد محسن الأمين، تحقيق وتخريج: حسن الأمين، طبعة دار التعارف للمطبوعات- بيروت- لبنان، تاريخ الطبعة: 1406هـ- 1986م.
ـ أخبار الحلاج والطواسين/ عبد الحفيظ محمد هاشم. مكتبة الجندي. مصر 1970
ـ أوائل المقالات. الشيخ المفيد. دار المفيد. بيروت 1414 هـ
ـ الإختصاص. الشيخ المفيد. تعليق. علي أكبر الغفاري. دار جماعة المدرسين. قم
ـ إيقاظ الهمم في شرح الحكم. احمد بن عجيبة الحسني. دار المعرفة. بيروت.
ـ الانحرافات العقدية والعلمية في القرنين الثالث والرابع الهجري. د. علي الزهراني. دار الرسالة. مكة.
ـ ألف حرزوحرز لمحمد إبراهيم البرجوردي. تقديم. عباس الحسيني الكاشاني. ط 1422 هـ
ـ أبحاث في التصوف لعبد الحليم محمود. دار الكتاب اللبناني. بيروت. 1979
ـ إحقاق الحق وإزهاق الباطل. نور الله الحسيني التستري. مكتبة المرعشي النجفي. قم
ـ الأصنام. ابن الكلبي. تحقيق احمد زكي باشا. دار الكتب المصرية. القاهرة 1995
ـ إغاثة اللهفان في مصايد الشيطان. ابن القيم. تحقيق. محمد عفيفي. المكتب الإسلامي. بيروت 1409 هـ
ـ أعلام النبوة. الماوردي الشافعي. تعليق محمد المعتصم بالله البغدادي. دار الكتاب العربي بيروت/ لبنان الطبعة الأولى 1987م
ـ أصول الدين أبو منصور عبد القاهر بن طاهر. دار الكتب العلمية. بيروت/ لبنان الطبعة الثالثة 1981م
ـ اللمع، لأبي نصر السراج الطوسي، تحقيق: د. عبد الحليم محمود، طه عبد الباقي سرور، الناشر: مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة.

الباء

- البداية والنهاية. إسماعيل بن عمر بن كثير. تحقيق. حسان عبد المنان. ط. بيت الافكار 2009
ـ بحار الأنوار للمجلسي. طبعة مؤسسة الوفاء - بيروت لبنان- الطبعة الثانية 1403هـ - الموافق 1983م.



- بوارق الحقائق. بهاء الدين محمد مهدي الشيوخي[الشيخ الرواس]. تحقيق. عبد الحكيم بن سليم. مكتبة النجاح. طرابلس. ليبيا.
- بصائر الدرجات الكبرى في فضائل آل محمد. لأبي جعفر محمد بن الحسن الصفار، تقديم وتعليق وتصحيح: الحاج ميرزا محسن كوجه باغي، الناشر: منشورات الأعلمي- طهران، مطبعة أمير- قم، الطبعة الثانية، 1374
- البرهان المؤيد. أحمد الرفاعي. تحقيق. عبد الغني نكه حي. دار الكتاب النفيس. بيروت
- بدائع الفوائد، لأبي عبد الله محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية. دار الكتاب العربي، بيروت.

التاء

- تأريخ الرسل والملوك [الطبري]. محمد بن جرير الطبري. دار الكتب العلمية. بيروت. 1407 هـ
- التأريخ الأدبي لبلاد فارس. أدورد براون. تعريب إبراهيم الشواربي. مكتبة الثقافة الدينية. 2007
- تذكرة الحفاظ. للإمام شمس الدين أبو عبد الله الذهبي. دار الكتب العلمية. بيروت 1998
- التصوف. لويس ماسينيون ومصطفى عبد الرازق. دار الكتاب اللبناني. بيروت 1984 كتب دائرة المعارف الاسلامية.
- التصوف الاسلامي. نيكلسون. ترجمة أبو العلا عفيفي. لجنة التأليف والنشر. مصر 1366 هـ
- التصوف الاسلامي. زكي مبارك. المكتبة العصرية. بيروت
- التصوف في الاسلام. عمر فروخ. دار الكتاب العربي. بيروت 1981
- التصوف عند الفرس. د. إبراهيم الدسوقي شتا. دار المعارف. مصر. 1978
- تحف العقول عن آل الرسول. أبو محمد الحسن البحراني. مؤسسة الأعلمي. بيروت 1974
- التصوف ما له وما عليه. ياسين رشدي. جمعية المواساة الاسلامية. الاسكندرية.1993
- التصوف. المنشأ والمصادر. إحسان إلهي ظهير. إدارة ترجمان السنة. لاهور 1986
- التعرف لمذهب أهل التصوف. أبو بكر الكلاباذي. مكتبة الكليات الأزهرية. مصر 1400 هـ.
- تفسير العياشي، تأليف: محمد بن مسعود ابن عياش السمرقندي- مؤسسة الأعلمي-بيروت.
- تفسير القمي، تأليف: علي بن إبراهيم القمي- مؤسسة الأعلمي- بيروت.
- تفسير الوافي، للفيض الكاشاني، طبعة: مؤسسة الهادي. قم، الطبعة الثانية، 1416هـ.
- تفسير فرات، تأليف: فرات بن إبراهيم بن فرات الكوفي. مؤسسة النعمان. بيروت.
- تفسير مجمع البيان، للطبرسي. تحقيق وتعليق: لجنة من العلماء والمحققين الأخصائيين، الناشر: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات. بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، 1415 هـ- 1995م.
- تفسير كنز الدقائق. الميرزا محمد المشهدي، تحقيق: الحاج آقا مجتبى العراقي، الطبع قم1407، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين. ايران
- تفسير ابن كثير. لإسماعيل بن عمر الدمشقي/ 8 أجزاء/ دار طيبة 2002
- تفسير القرآن لابن بابويه القمي. طبعة دار السرور - بيروت
- تاج التفاسير من كلام الملك الكبير. محمد عثمان الميرغني. مجلس الذكر. الخرطوم. سلسلة مداد المسيد. وزارة الأوقاف.



- تفسير البرهان في تفسير القرآن: هاشم بن سليمان البحراني الكتكاني، ط: طهران، ط: الثانية.
- تهذيب الأحكام، تأليف: محمد بن جعفر الطوسي. شيخ الطائفة. دار الأضواء. بيروت.
- تفسير التبيان، للطوسي، تحقيق وتصحيح: أحمد حبيب قصير العاملي، طبعة ونشر: مكتب الإعلام الإسلامي، الطبعة الأولى، 1409هـ.
- تفسير الميزان. محمد حسين الطباطبائي. مؤسسة الأعلمي للمطبوعات. بيروت 1997
- تقييد العلم/ الخطيب البغدادي. تحقيق سعد عبد الغفار. دار الإستقامة. مصر 1924
- تلخيص الشافي في الإمامة للطوسي. ط ايران 1311
- تحرير الوسيلة. روح الله الخميني. مطبعة الآداب. النجف 1390 هـ.
- تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة، لأبي الريحان محمد البيروني. عالم الكتب. الطبعة الثانية 1983/1403.
- التشيع العلوي والتسيع الصفوي. د. علي شريعتي. مركز البحوث وتحليل المعلومات. العراق 1982
- تنقيح المقال في أحوال الرجال، عبدالله المامقاني. المطبعة دار إحياء التراث العربي. بيروت، لبنان. 1403 - 1983م.
- تلبيس إبليس. أبو الفرج عبد الرحمن بن الجوزي. دار الوعي العربي. بيروت.
- تنبيه الغبي إلى تكفير ابن عربي[مصرع التصوف]. برهان الدين البقاعي. تحقيق د. عبد الرحمن الوكيل. السنة المحمدية. مصر 1953
- تأريخ الدعوة الإسلامية. مصطفى غالب. دار الأندلس. بيروت. بلا تأريخ نشر
- تذكرة أولياء بر صغير [أردو] لميرزه محمد أختر الدهلوي. ط. باكستان.
- التدبيرات الإلهية لابن عربي. طبعة ليدن 1336 هـ.
- التبصير في الدين. أبو المظفر شاهفور بن طاهر الإسفرايني. تحقيق أحمد حجازي السقا. طبعة مكتبات كليات الأزهر سنة 1987م.
- تذكرة الأولياء. فريد الدين العطار. تحقيق. منال اليمني. الهيئة المصرية للكتاب. 2006
- تحفة البررة في السؤالات العشرة. مجد الدين البغدادي
- تأريخ الشعوب الإسلامية. كارل بروكلمان. ترجمة نبيه فارس/ منير بعلبكي. دار العلم للملايين.
- تأييد الحقيقة العلية، وتشييد الطريقة الشاذلية. جلال الدين السيوطي. تحقيق. عبد الله الصديق الغماري. مكتبة القاهرة، الطبعة الثالثة 2008م
- التعريفات، للشريف علي بن محمد الجرجاني. دار السرور. بيروت.
- تلبيس إبليسٍ. جمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي. عنيت بنشره إدارة الطباعة المنيرية، دار الكتب العلمية، بيروت

الجيم

- جمهرة الأولياء واعلام التصوف. محمود أبو الفيض المنوفي. البابي الحلبي. مصر 1967



- جامع كرامات الأولياء. يوسف بن إسماعيل النبهاني. تحقيق. إبراهيم عطوة عوض. مكتبة مصطفى البابي الحلبي. مصر. 1974
- جواهر المعاني وبلوغ المعاني. حرازم ابن العربي المغربي. ط. مصر 1901
- جامع المقاصد. للمحقق الكركي. مؤسسة آل البيت لإحياء التراث. طهران. 1408
- جلاء العينين في محاكمة الأحمدين. نعمان بن محمود أبو البركات الآلوسي. مطبعة المدني. 1981

الخاء

- خطورة التصوف. عبد الله بن سعيد الحساني. أبو ظبي 1430 هـ
- الخصال. ابن بابويه القمي. تصدير. علي أكبر الغفاري. دار التعارف.
- ختم الولاية للحكيم الترمذي. ط. المطبعة الكاثوليكية. بيروت.

الحاء

- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء. أبو نعيم الأصبهاني. دار الكتاب العربي. بيروت 1980
- حل الرموز ومفاتيح الكنوز. الشيخ العز ابن عبد السلام. مطبعة جريدة الإسلام. مصر 1899
- حقائق عن التصوف. سيدي الشيخ عبد القادر عيسى. موقع الطريقة الشاذلية. حلب 1961
- حقيقة التصوف. صالح بن فوزان. طبعة الكترونية. بلا تأريخ ودار نشر
- الحكومة الإسلامية لآية الله الخميني. منشورات المكتبة الإسلامية الكبرى.
- ديوان إمام. أشعار الإمام الخميني. ترجمة عن الفارسية غسان حمدان. دار التنوير. بيروت 2009
- الديوان. الإمام الخميني. ترجمة محمد علاء الدين منصور. من منشورات المجلس الأعلى للثقافة في مصر. سنة 2004، ضمن سلسلة المشروع القومي للترجمة العدد 674.
- حل الرموز ومفاتيح الكنوز. الشيخ شهاب الدين ابن عبد السلام. تحقيق. احمد الشاذلي. ط. جريدة الاسلام. مصر 1899

الدال

- دائرة المعارف الإسلامية. أحمد الشنتناوي وآخرون. دار المعرفة. بيروت. بلا تأريخ.
- ديوان الحلاج وأخباره وطواسينه، جمعه وقدم له: د. سعدي ضناوي، دار صادر، بيروت، الطبعة الأولى 1998.
- ديوان ابن الفارض. شرف الدين أبو حفص. مكتبة القاهرة. مصر 1972
- ديوان ابن عربي. مكتبة محمد الرشيدي. القاهرة. بلا.
- ديوان ترجمان الأشواق. محمد بن علي بن عربي. دار بيروت. بيروت 1981
- دلائل الإمامة. أبو جعفر بن جرير الطبري. المطبعة الحيدرية. النجف 1949.
- دراسات في التصوف. إحسان إلهي ظهير. دار الإمام المجدد. 1987
- درة الغواص على فتاوي سيدي علي الخواص. على هامش الإبريز. عبد الوهاب الشعراني.

الطاء

- الطرق الصوفية والإستعمار الفرنسي. التليلي العجيلي. منشورات كلية الآداب بجامعة تونس 1992 بمنوبة.



ـ الطبقات الكبرى [لواقح الأنوار في طبقات الأخيار]. الشعراني. المطبعة العامرية. مصر 1305 هـ
ـ الطبقات الصغرى. الشعراني. مكتبة القاهرة 1390هـ
ـ طرائق الحقائق. الميرزا معصوم علي شاه الشيرازي. طبعة ايران
طبقات الصوفية، لأبي عبد الرحمن السلمي، تحقيق: نور الدين شريبة، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الثالثة 1986/1406
ـ طبقات الصوفية. أبو عبد الرحمن السلمي. دار الكتاب العربي. القاهرة. 1372 هـ

الضاء

ظهر الإسلام. أحمد أمين، دار الكتاب العربي، بيروت. الطبعة الخامسة

الراء

ـ رجال الطوسي. تأليف: محمد بن جعفر الطوسي. دار الذخائر للمطبوعات. قم.
ـ رجال الكشي [اختيار معرفة الرجال] الاختيار: لمحمد بن الحسن الطوسي، والأصل: محمد بن عمر الكشي، تصحيح وتعليق: حسن المصطفوي، ط: طهران
ـ رجال النجاشي، تأليف: أحمد بن علي النجاشي. دار الأضواء. بيروت.
ـ رجال الحلي. الحسن بن يوسف بن المطهر الحلي. المطبعة الحيدرية. النجف 1961
ـ رسائل ابن عربي. محي الدين ابن عربي. دار المعارف الاسلامية. حيدر آباد. الدكن 1361 هـ
ـ رسائل الجنيد، لأبي القاسم الجنيد، تحقيق. د.علي حسن عبدالقادر.
ـ الرسالة القشيرية، لأبي القاسم عبد الكريم القشيري، تحقيق: عبد الحليم محمود، محمود بن الشريف. دار الكتب الحديثة، القاهرة.
ـ الرسالة القشيرية. عبد الكريم بن هوزان القشيري. دار الكتب الحديثة. مصر
ـ روضات الجنات، محمد باقر الخوانساري. الدار الإسلامية. بيروت 1412 هـ
ـ رياض الجنة ونور الدجية. الشيخ عبد الرحيم البرعي. تحقيق. عبد الرحيم حاج أحمد. إصدارات الأسباط
ـ العراق في دوري الاحتلال والإنتداب. عبد الرزاق الحسني. صيدا. 1953
.1974

السين

ـ سنن أبي داود، تأليف: سليمان بن الأشعث أبو داود السجستاني الأزدي. دار الفكر، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد
ـ سنن ابن ماجه، تأليف: محمد بن يزيد أبو عبد الله القزويني. دار النشر: دار الفكر، بيروت، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي.
ـ سير أعلام النبلاء. محمد بن احمد الذهبي. تحقيق. شعيب الأرناؤوط. مؤسسة الرسالة. بيروت 1985
ـ السيادة العربية والشيعة والإسرائيليات في عهد بني أمية، فإن فلوتن. مكتبة النهضة. مصر

الشين



- شرائع الإسلام في مسائل الحلال والحرام. المحقق الحلي. طبعة طهران 1409 هـ
- شموس الأنوار. ابن الحاج التلمساني. مصطفى البابي الحلبي. القاهرة.
- شرح إحقاق الحق. تأليف: السيد المرعشي، تعليق. السيد شهاب الدين المرعشي النجفي. تصحيح: السيد إبراهيم الميانجي. منشورات مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي. قم - إيران.
- شرح نهج البلاغة، تأليف: ابن أبي الحديد، تحقيق. محمد أبو الفضل إبراهيم. الطبعة: الأولى، سنة الطبع: 1959. دار إحياء الكتب العربية. عيسى البابي الحلبي وشركاه.
- نهج البلاغة. محمد عبدة. تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد. المكتبة التجارية. مصر. بلا.
- عقائد الإمامية. الشيخ محمد رضا المظفر دار الصفوة - بيروت
- الشبك من فرق الغلاة في العراق. أحمد حامد الصراف. مطبعة المعارف. بغداد 1954.
- شجرة طوبى. الشيخ محمد مهدي الحائري. المكتبة الحيدرية. طبعة 1369
- شرح حال الأولياء. عز الدين المقدسي/ مخطوط
- شطحات الصوفية. لعبدالرحمن بدوي، وكالة المطبوعات. الكويت، الطبعة الثانية 1976
- شرح عبد الرزاق الكاشاني على فصوص الحكم لمحي الدين بن عربي، مطبعة مصطفى البابي.

الصاد

- صحيح البخاري - محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي. علق عليه: د. مصطفى ديب البغا. دار ابن كثير. اليمامة. بيروت - الطبعة الثالثة 1987
- صحيح مسلم. مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري. تحقيق. محمد فؤاد عبد الباقي. دار إحياء التراث العربي. بيروت
- صحيح الترمذي. محمد ناصرالدين لألباني. مكتب التربية العربي لدول الخليج. الرياض.الطبعة الأولى 1408
- صحيح الجامع الصغير وزيادته. محمد ناصر الدين الألباني. المكتب الإسلامي 1408
- صحيح ابن حبان. محمد بن حبان بن أحمد التميمي البستي. المحقق. شعيب الأرنؤوط. مؤسسة
- الصوفية نشأتها وتطورها. محمد العبدة و طارق عبد الحليم. دار الأرقم. الكويت 1997
- الصوفية في الاسلامي. نيكلسون. ترجمة نور الدين شريبة. مطبعة الخانجي. مصر 1371 هـ
- صفوة التصوف. أبو الفضل المقدسي. دار النشر والتأليف. مصر 1370 هـ
- صفوة الصفوة. أبو الفرج ابن الجوزي. ط حيدر آباد 1969
- الصلة بين التصوف والتشيع. كامل مصطفى الشيبي. بيروت 1982.
- صور من الصوفية. أبو العزايم جاد الكريم. 2014. كتاب الكتروني.
- الصوفية الوجه الآخر، للدكتور محمد غازي.
- كتاب الصوم. روح الله الخميني. تحقيق ونشر مؤسسة تنظيم ونشر آثار الإمام الخميني ط1

العين

- عوارف المعارف. عبد القاهر السهروردي. دار الكتاب العربي. بيروت 1966
- عقيدة الصوفية. وحدة الوجود الخفية د.أحمد بن عبد العزيز القصير. مكتبة الرشد. الرياض 2003



- علل الشرائع. ابن بابويه القمي. المكتبة الحيدرية. النجف 1966.
- عيون أخبار الرضا. أبو جعفر محمد بن علي[الصدوق]. مؤسسة الأعلمي. بيروت 1984
- العقيدة والشريعة في الإسلام. أجناس غولد تسيهر. دار الكتاب المصري. القاهرة 1946
- العقد المنظوم فيما تحتويه الحروف من الخواص والعلوم. ابن عربي. تحقيق. سعيد عبد الفتاح. دار الكتب العلمية. 2006
- عودة الصفويين.عبد العزيز بن صالح المحمود. دار النشر: مكتبة الإمام البخاري. 1428هـ
- عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين. محمد ابن أبي بكر ابن قيم الجوزية. تصحيح: نعم زرزور. دار الكتب العلمية. بيروت.
- عوارف المعارف. ملحق بالإحياء، لعبد القاهر بن عبد الله السهروردي. دار الريان للتراث. الطبعة الأولى 1407/1987.
- عبد الحليم محمود وقضية التصوف. المدرسة الشاذلية. دار المعارف. القاهرة، الطبعة الثالثة

الغين

- الغيبة. محمد بن جعفر بن الحسن الطوسي. مكتبة الألفين. الكويت
- الغيبة. النعماني. منشورات مؤسسة الأعلمي. بيروت.
- الغارات. إبراهيم بن محمد الثقفي. تحقيق عبد الزهرة الحسيني. دار الاضواء. بيروت 1987
- الغنية لطالبي طريق الحق.عبد القادر الجيلاني. مصطفى البابي الحلبي. مصر 1375 هـ
- غيث المواهب العلية في شرح الحكم العطائية. النفري الرندي. دار الكتب الحديثة. القاهرة 1970

الفاء

- الفتح الرباني والفيض الرحماني. عبد القادر الكيلاني. مصطفى البابي الحلبي. مصر. بلا
- الفتوحات الإلهية في شرح المباحث الأصلية. أحمد بن محمد ابن عجيبة. دار المعرفة. بيروت.
- الفتوحات المكية. محي الدين ابن عربي. الهيئة المصرية العامة للكتاب. 1405 هـ
- فصوص الحكم. ابن عربي. شرح د. أبو العلاء العفيفي. دار الكتاب العربي. بيروت.
- فضائح التلمود. تعاليم الحاخاميين السرية. أي بي براناتيش. إعداد زهدي فاتح. دار النفائس 1983
- فضائح الصوفية. عبد الرحمن عبد الخالق. طبعة الكترونية. الكويت 1984
- الفكر الصوفي في ضوء الكتاب والسنة. عبد الرحمن عبد الخالق. طبعة الكترونية. الكويت 1986
- فاضحة الملحدين وناصحة الموحدين. علاء الدين بن محمد البخاري الحنفي. تحقيق محمد العوضي. رسالة ماجستير جامعة أم القرى. مكة المكرمة. 1414 هـ
- فلسفة التصوف الإسلامي. محمد عبد الحليم المنشاوي. مكتبة مدبولي. مصر 2008
- فصل الخطاب في إثبات تحريف كتاب رب الأرباب، تأليف: حسين بن محمد تقي النوري الطبرسي، ط: إيران 1398هـ.
- الفهرست، تأليف: محمد بن الحسين الطوسي، منشورات المكتبة الرضوية، مطبعة الوفاء بيروت. لبنان1403هـ - 1983م.
- الفصول المهمة في أصول الأئمة، تأليف. محمد بن الحسن الحر العاملي. مكتبة بصيرتي، قم.



ـ فجر الإسلام. أحمد أمين. مكتبة النهضة. مصر 1975
ـ الفصل في الملل والأهواء والنحل. علي ابن حزم. تحقيق. محمد إبراهيم نصر. دار الجيل. بيروت
ـ فقه الأدعية والأذكار. عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر. مكتبة المدينة. الكويت. 2003
ـ الفكر الصوفي في ضوء الكتاب والسنة. الشيخ عبد الرحمن عبد الخالق. الكويت 1986
ـ في التصوف الإسلامي وتاريخه، طائفة من الدراسات قام بها رينولد نيكلسون، نقلها إلى العربية وعلق عليها: أبو العلا عفيفي، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، 1969/1388
ـ فتوح الغيب. عبد القادر الجيلاني. مكتبة مصطفى البابي الحلبي، مصر، الطبعة الثانية 1392.
ـ الفتوحات المكية. محي الدين بن عربي. دار صادر، بيروت.

القاف

ـ قاموس المصطلحات الصوفية. أيمن حمدي. دار قباء للنشر. مصر 1999
ـ قلادة الجواهر في ذكر الرفاعي وأتباعه الأكابر. محمد أبو الهدى الرفاعي. بيروت 1400 هـ
ـ قلائد الجواهر. الشيخ محمد بن يحي الحنبلي. مطبعة مصطفى البابي الحلبي. مصر.
ـ قوت القلوب في معاملة المحبوب. أبو طالب المكي. دار صادر. 1381 هـ. بيروت.
ـ قوت القلوب في معاملة المحبوب ووصف طريق المريد إلى مقام التوحيد. محمد بن علي بن عطية أبو طالب المكي. المطبعة المصرية. الطبعة الأولى/1351 هـ.
ـ القصص العجيبة تأليف السيد عبد الحسين دستغيب. ترجمة:موسى قصير. دار البلاغة

الكاف

ـ الكافي لأبي جعفر محمد بن يعقوب بن اسحاق الكليني الرازي. صححه وعلق عليه علي اكبر الغفاري.دار الكتب الاسلامية. طهران الطبعة الثالثة -1388
ـ كسر الصنم لآية الله العظمى أبو الفضل البرقعي. ترجمة عبد الرحيم البلوشي.دار البيارق عمان 1998
ـ الكشف عن حقيقة التصوف. محمد عبد الرؤوف قاسم. دار الصحابة. بيروت 1987
ـ كشف الغمة عن جميع الأئمة. الشعراني. مصطفى البابي الحلبي. القاهرة.
ـ كشف المحجوب. أبو الحسن علي بن عثمان الهجويري. دار النهضة العربية. بيروت.
ـ كشف المحجوب. الهجويري. دراسة وترجمة وتعليق: د.إسعاد عبد الهادي قنديل، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، لجنة التعريف بالإسلام. القاهرة 1415/1994.

اللام

ـ اللمع/ عبد الله بن علي السراج. تحقيق. عبد الباقي سرور. دار الكتب الحديثة. مصر 1380 هـ.
ـ لواقح الأنوار في طبقات الأخيار. عبد الوهاب الشعراني. ط مصطفى البابي الحلبي. مصر 1954
ـ لطائف المنن. ابن عطاء الله السكندري تحقيق: خليل منصور. دار الكتب العلمية. بيروت، ط2 1427هـ-2005م
ـ لطائف المنن. أبو العطاء الإسكندراني. مطبعة حسان. القاهرة.

الهاء



ـ الهدية الهادية إلى الطريقة التجانية. د. تقي الدين الهلالي. ط 2. 1393 هـ

الميم

ـ المجالس الرفاعية. أحمد الرفاعي. مطبعة الإرشاد. بغداد.

ـ منبع أصول الحكمة، الشيخ أبو العباس أحمد البوني. البابي الحلبي. مصر.

ـ مصرع التصوف. كتاب تنبيه الغبي إلى تكفير ابن عربي و تحذير العباد من أهل العناد ببدعة الاتحاد. إبراهيم بن عمر الرباط.تحقيق. عبد الرحمن الوكيل. منشورات عباس أحمد البا. مكة المكرمة/1953

ـ مسند الإمام احمد بن حنبل. تحقيق أحمد محمد شاكر. دار المعارف. مصر1983

ـ المعجم الصوفي، للدكتورة سعاد الحكيم. مؤسسة دندرة للطباعة والنشر. بيروت، الطبعة الأولى 1981/1401.

ـ معجم اصطلاحات الصوفية. للدكتور أنور فؤاد أبي خزام. مراجعة: د. جورج متري عبدالمسيح، مكتبة لبنان، ناشرون، الطبعة الأولى 1993.

ـ مصطلحات الصوفية، لعبد الرزاق الكاشاني. تحقيق: د.عبد الخالق محمود. دار المعارف. القاهرة، الطبعة الثانية 1984/1404.

- معجم الفاظ الصوفية. د. حسين الشرقاوي. مؤسسة مختار. مصر 1987

- الموسوعة الصوفية. د. عبد الله حنفي. دار الرشاد. مصر 1992

- مقاصد التصوف. الإمام النووي. دار الإيمان. طبعة الكترونية

- من قضايا التصوف. د. محمد السيد الجليند. دار قباء للنشر. مصر 2001

- الدعوة السلفية بين الطرق الصوفية والدعاوى الصحفية. علي بن حسن الحلبي. صفحات من تأريخ الدعوات[1]. عمان بلا

- موضوع التصوف. د. لطف الله خوجة. مكتبة الملك فهد الوطنية. مكة المكرمة. 1432 هـ

ـ مشارق أنوار اليقين. رضى الدين رجب بن محمد البرسي. دار الفكر، بيروت ١٣٨٤ هـ.

ـ مدينة المعاجز في دلائل الأئمة الأطهار ومعاجزهم: هاشم الحسيني البحراني، مكتبة المحمودي، طهران.

ـ مستدرك الوسائل، تأليف: النوري الطبرسي - بيروت.

ـ مقدمة ابن خلدون. عبد الرحمن بن خلدون. دار الكتاب اللبناني. بيروت 1979.

ـ المحاسن، أحمد بن محمد البرقي. تحقيق. جلال الدين الحسيني. دار الكتب الإسلامية. طهران.

ـ المحاسن النفسانية في أجوبة المسائل الخراسانية. الشيخ حسين آل عصفور البحراني. دار المشرق العربي. بيروت 1979

ـ مستند الشيعة. النراقي. مؤسسة آل البيت. مشهد 1415 هـ

ـ مرآة العقول في شرح أخبار الرسول. محمد باقر المجلسي. دار الكتب الإسلامية. طهران 1404 هـ

ـ مصباح الهداية إلى الخلافة والولاية. الإمام الخميني. مؤسسة الوفاء. بيروت 1983

ـ من لايحضره الفقيه. أبو جعفر بن بابويه القمي. منشورات الأعلمي. بيروت.



ـ مناقب آل أبي طالب. ابن شهراشوب. المطبعة العلمية. قم. بلا.
ـ مروج الذهب ومعادن الجوهر. المسعودي. تحقيق. يوسف أسعد داغر. دار الأندلس. بيروت 1973.
ـ مثنوي جلال الدين الرومي. تعريب. محمد كفافي. المكتبة العصرية. صيدا. بيروت 1966.
ـ المواعظ والإعتبار بذكر الخطط والآثار[الخطط المقريزية] أحمد بن علي المقريزي. مكتبة الثقافة الدينية. القاهرة. 1987
ـ المعالم الزلفى في معارف النشأة الأولى والأخرى. السيد هاشم البحراني. مؤسسة احياء الكتب الاسلامية.
ـ مناقب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، عبد الرحمن بن الجوزي. تحقيق. حلمي محمد اسماعيل. دار ابن خلدون 1996
ـ مناقب الشافعي. احمد بن الحسين بن علي بن موسى البيهقي. تحقيق. احمد صقر. دار التراث. مصر 1970
ـ مقدمة التعرف لمذهب أهل التصوف، لأبي بكر محمد الكلاباذي، قدم له وحققه: محمود أمين النواوي. المكتبة الأزهرية للتراث. القاهرة، الطبعة الثانية 1992/1412.
ـ مصرع التصوف. أو تنبيه الغبي إلى تكفير ابن عربي، لبرهان الدين البقاعي. تحقيق: عبد الرحمن الوكيل، مطبعة السنة المحمدية، القاهرة، الطبعة الأولى 1953/1372.
ـ مجموع الفتاوى، لأحمد بن عبد الحليم بن تيمية، جمع: عبد الرحمن بن قاسم. إشراف الرئاسة العامة لشئون لحرمين الشريفين.
ـ مجموع رسائل الإمام الغزالي [7-1]، روضة الطالبين وعمدة السالكين [2]، مشكاة الأنوار [4]، دار الكتب العلمية، بيروت، 1986/1406.
ـ مجلة الثقافة السورية
ـ مجلة الأستاذ

النون

ـ نفحات الأنس/ عبد الرحمن جامي. ايران 1337 هـ
ـ نشأة الفكر الفلسفي. لدكتور علي سامي النشار. دار المعارف، الطبعة السابعة 1977.

الواو

ـ وسائل الشيعة. محمد بن الحسن الحر العاملي. تحقيق محمد رضا الجلالي. مؤسسة آل البيت لإحياء التراث بيروت لبنان، الطبعة الأولى، 1413هـ - 1993م.

الياء

ـ اليواقيت والجواهر في بيان عقائد الأكابر.عبد الوهاب الشعراني. البابي الحلبي. القاهرة 1378 هـ.